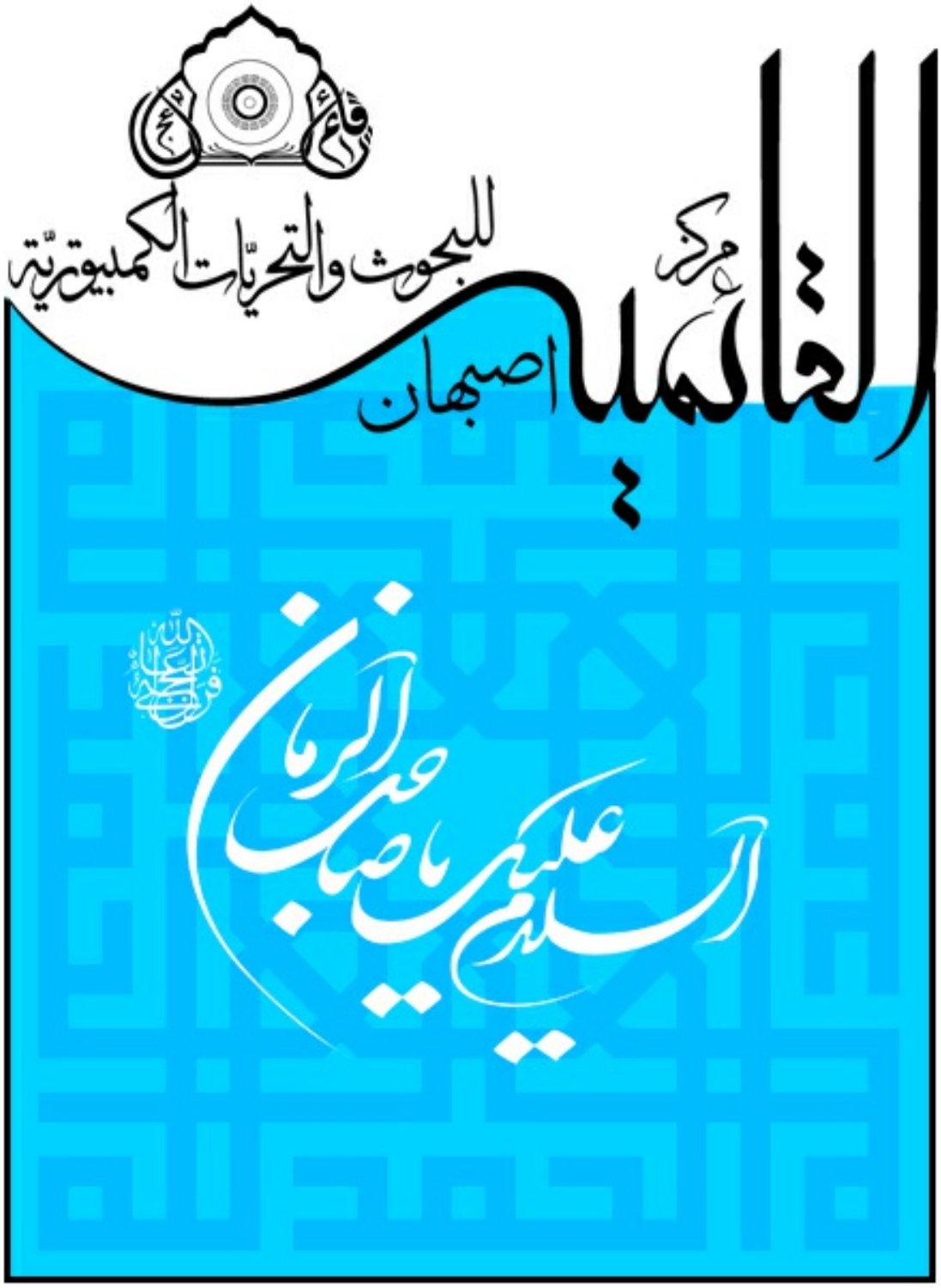

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سماحة آية الله العظمى
السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء الرابع عشر

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار الفارس

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

من هدی القرآن المجلد ۱۴ ----- ۱۱

اشاره ----- ۱۱

اشاره ----- ۱۲

سوره الذاریات ----- ۱۶

اشاره ----- ۱۶

فضل السوره: ----- ۱۶

الإطار العام ----- ۱۸

[سوره الذاریات (۵۱): الآیات ۱ الی ۱۹] ----- ۲۲

اشاره ----- ۲۲

اللغه ----- ۲۲

یَسئَلُونَ أَیَّانَ یَوْمُ الدِّینِ ؟! ----- ۲۴

هدی من الآیات: ----- ۲۴

بینات من الآیات: ----- ۲۵

[سوره الذاریات (۵۱): الآیات ۲۰ الی ۴۶] ----- ۴۵

اشاره ----- ۴۵

اللغه ----- ۴۵

وَ فِی السَّمَاءِ رِزْقُکُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ ----- ۴۸

هدی من الآیات: ----- ۴۸

بینات من الآیات: ----- ۴۹

[سوره الذاریات (۵۱): الآیات ۴۷ الی ۶۰] ----- ۶۸

اشاره ----- ۶۸

اللغه ----- ۶۸

وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ ----- ۷۰

هدى من الآيات: ---- ٧٠
بينات من الآيات: ---- ٧١
اشاره ---- ٧١
التكامل..الهدف الأسمى ---- ٨٥
سوره الطور ---- ٩٢
اشاره ---- ٩٢
فضل السوره: ---- ٩٤
الإطار العام ---- ٩٦
[سوره الطور (٥٢): الآيات ١ الى ٢٨] ---- ١٠٠
اشاره ---- ١٠٠
اللغه ---- ١٠٠
إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ ---- ١٠٣
بينات من الآيات: ---- ١٠٣
[سوره الطور (٥٢): الآيات ٢٩ الى ٤٩] ---- ١٢٥
اشاره ---- ١٢٥
اللغه ---- ١٢٥
سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ---- ١٢٧
هدى من الآيات: ---- ١٢٧
بينات من الآيات: ---- ١٢٨
سوره النجم ---- ١٤٤
اشاره ---- ١٤٤
فضل السوره: ---- ١٤٦
الإطار العام ---- ١٤٨
[سوره النجم (٥٣): الآيات ١ الى ١٨] ---- ١٥٠
اشاره ---- ١٥٠
اللغه ---- ١٥٠

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى ----- ۱۵۲
هدى من الآيات: ----- ۱۵۲
بينات من الآيات: ----- ۱۵۲
[سوره النجم (۵۳): الآيات ۱۹ الى ۳۰] ----- ۱۶۸
اشاره ----- ۱۶۸
اللغه ----- ۱۶۸
أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنَّى ----- ۱۷۰
هدى من الآيات: ----- ۱۷۰
بينات من الآيات: ----- ۱۷۱
[سوره النجم (۵۳): الآيات ۳۱ الى ۶۲] ----- ۱۸۴
اشاره ----- ۱۸۴
اللغه ----- ۱۸۴
وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى ----- ۱۸۷
هدى من الآيات: ----- ۱۸۷
بينات من الآيات: ----- ۱۸۸
سوره القمر ----- ۲۱۲
اشاره ----- ۲۱۲
فضل السوره ----- ۲۱۴
الإطار العام ----- ۲۱۶
[سوره القمر (۵۴): الآيات ۱ الى ۲۲] ----- ۲۱۸
اشاره ----- ۲۱۸
اللغه ----- ۲۱۸
وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ----- ۲۲۱
هدى من الآيات: ----- ۲۲۱
بيّنات من الآيات: ----- ۲۲۲
[سوره القمر (۵۴): الآيات ۲۳ الى ۴۰] ----- ۲۴۴

اشاره ----- ۲۴۴
اللغه ----- ۲۴۴
فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ----- ۲۴۷
هدی من الآیات: ----- ۲۴۷
بینات من الآیات: ----- ۲۴۸
[سوره القمر (۵۴): الآیات ۴۱ الی ۵۵] ----- ۲۶۴
اشاره ----- ۲۶۴
اللغه ----- ۲۶۴
إِنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ ----- ۲۶۶
هدی من الآیات: ----- ۲۶۶
بینات من الآیات: ----- ۲۶۷
سوره الرّحمن ----- ۲۸۲
اشاره ----- ۲۸۲
فضل السوره: ----- ۲۸۴
الإطار العام ----- ۲۸۶
[سوره الرحمن (۵۵): الآیات ۱ الی ۱۸] ----- ۲۹۰
اشاره ----- ۲۹۰
اللغه ----- ۲۹۰
اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ----- ۲۹۲
هدی من الآیات: ----- ۲۹۲
بینات من الآیات: ----- ۲۹۳
[سوره الرحمن (۵۵): الآیات ۱۹ الی ۳۶] ----- ۳۱۳
اشاره ----- ۳۱۳
اللغه ----- ۳۱۳
كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِی شَأْنٍ ----- ۳۱۵
هدی من الآیات: ----- ۳۱۵

بینات من الآیات: ----- ۳۱۶
[سوره الرحمن (۵۵): الآیات ۳۷ الی ۷۸] ----- ۳۳۹
اشاره ----- ۳۳۹
اللغه ----- ۳۳۹
وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ ----- ۳۴۳
هدی من الآیات: ----- ۳۴۳
بینات من الآیات: ----- ۳۴۴
سوره الواقعه ----- ۳۸۴
اشاره ----- ۳۸۴
فضل السوره: ----- ۳۸۶
الإطار العام ----- ۳۸۸
[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۱ الی ۲۶] ----- ۳۹۲
اشاره ----- ۳۹۲
اللغه ----- ۳۹۲
وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ ----- ۳۹۴
هدی من الآیات: ----- ۳۹۴
بینات من الآیات: ----- ۳۹۵
[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۲۷ الی ۵۶] ----- ۴۱۲
اشاره ----- ۴۱۲
اللغه ----- ۴۱۲
هذا نُزُلُهُمْ یَوْمَ الدِّینِ ----- ۴۱۴
هدی من الآیات: ----- ۴۱۴
بینات من الآیات: ----- ۴۱۵
[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۵۷ الی ۷۴] ----- ۴۳۷
اشاره ----- ۴۳۷
اللغه ----- ۴۳۷

نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْ لا تُصَدِّقُونَ ---- ۴۳۹
هدی من الآیات: ---- ۴۳۹
بینات من الآیات: ---- ۴۴۰
[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۷۵ الی ۹۶] ---- ۴۵۹
اشاره ---- ۴۵۹
اللغه ---- ۴۵۹
إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ---- ۴۶۱
هدی من الآیات: ---- ۴۶۱
بینات من الآیات: ---- ۴۶۲
تعریف مرکز ---- ۴۸۲

من هدی القرآن المجلد ۱۴

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۱۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳ ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳ ؛ ۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

اشاره

سوره الذاریات

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره:

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال :«من قرأ سوره«الذاریات»فی یومه أو فی لیلته أصلح الله له معیشته،و أتاه برزق واسع،و نور له فی قبره بسراج یزهر إلی یوم القیامه »

ص:۵

الإطار العام

مثلما تذرو الأعاصير الحطام ذروا،مثلما تحمل السحب وقر الغيث إلى الأرض العطشى،مثلما تجرى السفن الثقيله فى البحر سيرا،و كما يقسّم ملائكه اللّه أرزاق العباد أمرا أمرا،كذلك وعد اللّه صدق حقّا حقّا.متى؟فى يوم الجزاء الذى لا ريب فيه.

هكـذا تنتظم آيات سوره الذاريات حول محور المسؤوليه التى يهدينا إليها التدبير القائم فى الخليقه،و أنّ كلّ شـىء خلق بقدر،و إلى أجـل،و لحكمه بـالغه.أ فيترك هـذا الإنسـان الـذى سـخّرت له الأشـياء سـدى أو يمكن أن يكون خلقه عبثـا بلا حكمه و لا هدف؟ كلّا..قسـما بالسماء المنتظمه كحلقات الدرع المتينه إنّ الرساله حق،و إنّما اختلفوا فيها أو انحرفوا عنها لأنّهم خرّاصون إن يتبعون إلّا ظنّا،و لم يأخـذوا الأمور بجـد،بل تغمرهم أمواج الأمانى،ساهين عمّا ينتظرهم،و يسألون باسـتهزاء:متى يأتى الجزاء؟هل يدرون أيّان يوم الجزاء عند ما يعرضون على النار عرضا،و قبل أن

يلقوا فيها يقال لهم: «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ» .

أو ليس هذا الجزاء الحق كان لإيقاظ الإنسان من سباته،و إنقاذه من غمرات السهو؟بلى.و فى الجانب الآخر أنظر إلى المتقين الذين آمنوا بالجزاء فتجنّبوا النار و ما يجرّهم إليها فى الدنيا.أين تراهم اليوم؟إنّهم فى جنّات و عيون،و كما أحسنوا فى الدنيا بالعطاء تراهم اليوم يأخذون عطاءهم من ربّهم.أىّ عمل عظيم قاموا به فبلغوا هذه الدرجات العلى؟ كٰانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مٰا يَهْجَعُونَ تبتّلا إلى اللّه، و بالأسحار هم يستغفرون تطهّرا من الذنوب و تطلّعا إلى المغفره و الرضوان،و قد وضعوا على أنفسهم فى أموالهم حقّا مفروضا للسائل و المحروم غير الواجبات التى فرضت عليهم إحسانا و فضلا.

أ فلا يكفى ذلك باعثا للصالحات،داعيا إلى المكرمات.أ فلا يكفينا ذلك باعثا للصالحات،داعيا إلى المكرمات.أ فلا يكفينا سهوا و غفله و هزلا؟ و إذا نظرت إلى الأرض كيف مهّدت للحياه،و إلى النفس كيف انطوت على عالم كبير اختصرت آيات الخليقه فى كل خليه منها،و إلى السماء كيف يتنزّل منها رزق اللّه و ما وعده الداعين من فضله..لعرفت أنّه الحق كما أنّك لا ترتاب فى نطقك.

و يضرب القرآن مثلا من ضيف إبراهيم المكرمين:كيف بشّروه بغلام عليم لأنّه أطاع اللّه،و حملوا العذاب إلى قوم لوط لأنّهم كذّبوه.أو ليس ذلك دليلا على أنّ وعد اللّه صادق،و أنّ الدين لواقع،و أنّ الرساله حق لا يحتمل السهو و اللهو و السخريه.

كما أنّ استجابه الدعاء لامرأه إبراهيم العجوز العقيم لشاهد صدق على تدبير

اللّه للخلق،و أنّ وعده لصادق عند ما أمرنا بالدعاء و ضمن الإجابه.

و يقصّ السياق عاقبه فرعون الذى كذّب برساله موسى الذى جاءه بسلطان مبين فأخذه اللّه و جنوده فألقاه فى اليمّ غير مأسوف عليه..كذلك يشير إلى قصه عاد الذين أرسل عليهم ريحا مدمّره،و قصه ثمود الذين أخذتهم الصيحه،و قصه قوم نوح الذين لفهم الطوفان،كلّ أولئك الذين فسقوا عن أمر اللّه فدمّر عليهم،فهل هذا سهو أم هزل؟ كلّا..ما خلق اللّه السماوات و الأرض إلاّ بالحق و الحكمه.فما هى حكمه خلق الجنّ و الإنسان(بما أوتيا من حريه القرار)؟ تعال ننظر إلى السماء التى بناها اللّه بقوّه و إنّه لموسعها،و إلى الأرض فرشها برحمته،و خلق من كلّ شىء زوجين،لعلّنا نذكر وحدته و حسن تأليفه و تدبيره.

على أىّ بصيره تشهد كلّ هذه الحقائق؟أو ليس على أنّه سبحانه المدبّر و السلطان المهيمن؟ألاّ نفرّ إليه لنأمن فى كهفه عواصف الفتن،و قواصف العذاب،سالمين من فتنه الشركاء و الأنداد الذين ينهبون فى الدنيا حقوقنا و يقودوننا فى الآخره إلى سواء الجحيم؟ من أجل هذا جاء الرسول و جاءت سائر الرسالات،و لكنّ الناس تمرّدوا و قالوا عن كلّ واحد منهم شاعرا أو مجنونا،فهل تواصوا بذلك أم هم قوم طاغون؟ ذرهم فى غيّهم غير ملوم عليهم،و توجّه للقاء المؤمنين فذكّرهم.إنّ الذكرى تنفعهم.

و كذلك جاء الرسل لتحرير الإنسان من نير العبوديه الشركيه إلى رحاب عبوديه

الربّ الواحد،و إنّها لحكمه خلق الجنّ و الإنس،فما خلقهم اللّه ليربح عليهم أو يعطوه شيئا،تعالى اللّه ذو القوه المتين أن يصل إليه نفع من عباده أنّى كان صغيرا.

إذا فما هى عاقبه هؤلاء الظالمين و الكافرين؟دعهم يستعجلون العذاب فإنّ نصيبهم منه مضمون،و إنّهم لمعذّبون مثل سلفهم الغابر،و إنّ لهم الويل فى يوم المعاد عند ما يحيق بهم ما استهزءوا به.

و هكذا تختم السوره بما يبدو أنّه محور السوره الأساس أى حكمه خلق اللّه للإنس و الجن المتمثّله فى عبادته.

ص:١٠

[سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۱ الى ۱۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . وَ اَلذّٰارِيٰاتِ ذَرْواً (۱) فَالْحٰامِلاٰتِ وِقْراً (۲) فَالْجٰارِيٰاتِ يُسْراً (۳) فَالْمُقَسِّمٰاتِ أَمْراً (۴) إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَصٰادِقٌ (۵) وَ إِنَّ اَلدِّينَ لَوٰاقِعٌ (۶) وَ اَلسَّمٰاءِ ذٰاتِ اَلْحُبُكِ (۷) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (۸) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (۹) قُتِلَ اَلْخَرّٰاصُونَ (۱۰ اَلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سٰاهُونَ (۱۱) يَسْئَلُونَ أَيّٰانَ يَوْمُ اَلدِّينِ (۱۲) يَوْمَ هُمْ عَلَى اَلنّٰارِ يُفْتَنُونَ (۱۳) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا اَلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (۱۴) إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ (۱۵) آخِذِينَ مٰا آتٰاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كٰانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ (۱۶ كٰانُوا قَلِيلاً مِنَ اَللَّيْلِ مٰا يَهْجَعُونَ (۱۷) وَ بِالْأَسْحٰارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (۱۸) وَ فِي أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ لِلسّٰائِلِ وَ اَلْمَحْرُومِ (۱۹)

اللغه

(۱)[الذاريات]:هى الرياح التى تذروا التراب و غيره.

(۲)[فالحاملات وقرا]:الأشياء التى تحمل حملا ثقيلا سواء كانت تلك الحاملات التى تحمل الأمطار أو السفن التى تحمل الإنسان و غيره أو نحوهما،تسير بسبب الذاريات.

(۳)[فالجاريات]:أى السفن أو السحب.

(۴)[فالمقسمات أمرا]:هم الملائكه التى خلقها اللّه و جعلها تقسم أمور الكون.

(۷)[الحبك]:أى الطرائق و الطرق الحسنه.

(۹)[يؤفك]:يصرف.

(١٠)[الخرّاصون]:الخرّاص الذى يخمّن بدون علم.

(١٧)[ما يهجعون]:الهجوع النوم،أى قليلا من الليل ينامون،ف(ما)زائده أو المراد قليلا من الليل لا ينامون ف(ما) نافيه.

(١٨)[بالأسحار]:السحر هو الثلث الأخير من الليل.

يَسْئَلُونَ أَيّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟!

هدى من الآيات:

فى سوره الذاريات المكيه التى تحتوى على ستين آيه مباركه نقرأ قول اللّه سبحانه و تعالى فى الآيه السادسه بعد الخمسين: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ» ، و كما سبق و نوّهنا إلى أنّ بعض الآيات القرآنيه تعتبر محورا للسياق القرآنى فى السوره،و ربما تكون الآيه الواحده فى السوره مفتاحا لفهم السوره بأكملها،و الآيه (المحور)التى جاءت السوره من أجلها و من أجل تكريس مفهومها و مضمونها، كما مثلا- آيه الشورى فى سوره الشورى أو آيه النور فى سوره النور و آيه الحديد فى سوره الحديد أو ما أشبه.

و لعلّ الآيه الكريمه: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ» هى الآيه (المحور)فى سوره الذاريات،حيث تبعثنا نحن البشر إلى التوجّه بكلّيّتنا لربّ العالمين،و التخلّص من الأثقال الماديه و الأصر النفسيه و الأغلال الاجتماعيه، فارّين إليه من ذنوبنا و جهالتنا،هاربين إلى قوّته و قدرته من الضعف و العجز اللذين

نرتكس فيهما ارتكاسا.

و إنّ عباده اللّه تعنى التحرّر من كلّ عبوديه أخرى،من عبوديه الهوى و الشهوه و المال و السلطه،و التقاليد و الأعراف،ممّا يمنح الإنسان الكرامه التامّه،و آنئذ يرتفع إلى مستوى التقرّب إلى اللّه حتى يهب له الربّ قدره لا تحد،و حياه لا تنتهى،

جاء فى حديث قدسى عن ربّ العزّه سبحانه أنّه يقول :«يا ابن آدم:أنا غنى لا أفتقر أطعنى فيما أمرتك أجعلك غنيّا لا تفتقر،يا بن آدم:أنا حى لا أموت أطعنى فيما أمرتك أجعلك حيّا لا تموت،أنا أقول للشىء كن فيكون أطعنى فيما أمرتك تقول للشىء كن فيكون » (۱).

إنّه آنئذ يكون خليفه اللّه ليس فى الأرض فقط بل فى الطبيعه أيضا،

ففى الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق-عليهما السلام-أنّه قال :«من خاف اللّه عزّ و جل أخاف اللّه منه كلّ شىء » (۲).

بينما يكون العكس حينما يعبد غير اللّه،حيث يصبح ضعيفا حقيرا أمامه،لا يملك من حول أو قوه:

«و من لم يخف اللّه عزّ و جلّ أخافه اللّه من كلّ شىء » (۳)

بينات من الآيات:

[۴-۱]تبدأ سوره الذاريات بآيات تشير إلى ما فى الكون من مظاهر قدره اللّه و تجلّيات تدبيره:فهذه الدوره الحياتيه التى تبدأ بالرياح تذرو البذور و تنشرها لتتلاقح،ثم تحمل السحب الثقيله بالغيث و تجرى فى السماء بيسر،بالرغم من الوقر الذى تحمله،ثم يقسّمها اللّه حسب مساحات الأرض بتقدير حكيم تفيض على

۱- ۱) كلمه اللّه/ص ۱۴۰

۲- ۲) بحار الأنوار/ج /۷۰ص ۳۸۱

۳- ۳) المصدر

السهول و الروابی و الجبال و علی الأراضی البعیده کما القریبه.

و عشرات الألوف من السنن و الأنظمه تتولّی تدبیر هذه الدوره النباتیه التی ینهض کلّ عامل فیها بدوره المرسوم،و تتکامل العوامل حتی تبنی حیاه زاخره بالخیر و البرکه.

أو لیس فی ذلک عبره تهدینا إلی ما ورائها من تقدیر و تدبیر،و أنّ الإنسان الذی تخدمه هذه المنظومه المتکامله من العوامل لا یمکن أن یخلق عبثا أو یترک سدی. إنّه هو الآخر جاء لحکمه بالغه،و یذهب وفق سنّه نافذه،و تحکمه سنّه الجزاء العادل.

هکذا تتواصل آیات الکتاب المبین ببلاغه معجزه و فی أیمان متلاحقه لتبصّرنا بأنّ الوعید حق و الجزاء واقع لا ریب فیه،و هذه من أبرز غایات القسم فی آیات الذکر الذی سوف نجده بتکرار فی فواتح السور الآتیه،و سوف نذکّر-کما ذکّرنا مرارا-بغایاته المتنوعه.

وَ الذّارِیاتِ ذَرْواً إنّها الریاح التی تنشر الغبار و الأوراق و البذور.ما أقدرها من قوّه،و ما أعظم تدبیر من سخّرها لبثّ البذور فی الفلوات و المفازات المتباعده..

تفکّر ما ذا لو سکنت الریح،و لم تکن هذه العواصف الهوج و الأعاصیر الرهیبه،کیف کانت تنتشر فی الأرض بذور النباتات الطبیعیه التی تکمل کلّ واحده منها الأخری،و هی جمیعا ضروره قصوی فی دورات الحیاه النباتیه و الحیوانیه.

إنّنا نمرّ عبر أراضی شاسعه و نجد آثار الحیاه فی بقعه بقعه وقیعه قیعه،و لا نعرف

ما وراءها من أسرار ذرو النباتات و تلاقحها،و ما فی کلّ واحده من دور عظیم فی منظومه الحیاه المتکامله،و لو فکّرنا و علمنا لما وسعنا إلّا أن نهتف مسبّحین:اللّه أکبر.

فَالْحامِلاتِ وِقْراً بعد ما تستقرّ البذور فی رحم الأرض تجری الریاح إلی مراکز السحب فوق البحار و المحیطات و تحمل کتل الماء الثقیله بعیدا عن مجال تکوّنها لتسقی الأرض من أعلی فلا یبقی موقع جافّا،و یفیض موقع آخر فیضانا مضرّا.من الذی قدّر أمر هذه السحب و مواقع سقیاها.أو لیس المدبّر الحکیم؟ فَالْجارِیاتِ یُسْراً هذه السحب تجری بیسر،ثم تهطل فتمتلئ الروافد و الأنهر،و تجری فوقها السفن بیسر لتصبح أفضل وسیله لتبادل البضائع بین الأمم منذ أن خلق اللّه الإنسان و حتی الیوم.

فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً إنّهم الملائکه الذین یشرفون بأمر اللّه علی تدبیر هذه العوامل الحیاتیه.

جاء فی الحدیث أنّ ابن الکوّا(و کان خارجیّا)سأل أمیر المؤمنین علیه السلام عن «الذّارِیاتِ ذَرْواً» ؟قال:الریح،و عن «فَالْحامِلاتِ وِقْراً» فقال:هی السحاب،و عن «فَالْجارِیاتِ یُسْراً» فقال:هی السفن،و عن «فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً» فقال:الملائکه (۱).

۱- ۱) نور الثقلین/ج /۵ص ۱۲۰.

[۵]إذا كان معنى القسم فى كلامنا-نحن البشر-اتصال موضوعه بأخرى بصوره اعتياديه فإنّ معناه فى كلام الربّ اتصالهما بالحق.أ رأيت لو قلت:و عمرى إنّنى صادق،ما ذا يكون معناه؟أو ليس معناه أنّك ربطت صدقك بعمرك، و زعمت أنّهما موضوعتان متصلتان حتى لو فقدت إحداهما(صدقك)كانت الثانيه (عمرك)مفقوده هى الأخرى؟ و قد لا تكون الموضوعتان متصلتين ببعضهما فى الواقع بل فى اعتبارك أو تقديرك فقط.

بينما إذا جاء القسم فى كلام ربّنا فإنّ اتصاله بما أقسم له حق و واقع لا ريب فيه،فإذا قرأنا فى القرآن الكريم: «وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ وَ طُورِ سِينِينَ وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» و تلونا بعدها: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» فإنّ معنى ذلك أنّ هناك اتصالا واقعيّا بين خلقه الإنسان فى أحسن تقوم و بين ما سبق من التين و الزيتون(اللذين بهما طعامه)، وَ طُورِ سِينِينَ (الذى يحمى البلاد من الأعاصير و الأعداء،و يوفّر الكثير من عوامل الحضاره) وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (الذى يزرع السكينه فى نفوس الناس)بين كل ذلك و قوام خلق الإنسان.

كذلك فى هذا السياق حينما أقسم اللّه بالرياح التى تذرو،و السحب التى تسقى،و السفن التى تجرى،و الملائكه الذين يقسّمون أمرا،فإنّ هناك ربطا بينها و بين الحقيقه التاليه:

إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَصٰادِقٌ أوّلا:لأنّ ربّ السماء المدبّر لهذه القوى العظيمه لا يخلف وعده،و هل يخلف وعده إلّا العاجز،و هل لنا أن نتصوّر شيئا من العجز فى مقام ربّنا القوى القاهر

المقتدر الذى حمّل الرياح العاصفه هذه المقادير العظيمه من الماء،و ساقها من فوقنا إلى حيث شاء من الأرض الميته فأحياها؟كلّا..إنّه صادق الوعيد،و حقّ لنا أن نخشاه قبل أن يحلّ بأرضنا الدمار و البوار.

ثانيا:إنّ كلّ تلك القوى المحيطه بنا تؤدّى دورها حسب تقدير العزيز العليم، فكيف لا يخضع الإنسان لذلك التقدير؟كيف ترك يتبع هواه؟و لماذا جاءته النذر من بين يديه و من خلفه يحذّرونه من عذاب شديد؟بلى.إنّه لم يترك إلى الأبد، إنّما ليوم الفصل حيث ينتظره الوعيد الصادق.دعنا إذا نحذر الآخره،و نتقى ما يعرّضنا فيها للعذاب،هكذا تتصل حقائق القسم السابقه بحقيقه الوعيد الذى أنذر به البشر.

[۶] وَ إِنَّ الدِّينَ لَواقِعٌ اَلدِّينَ (ذلك الجزاء الأوفى الذى بشّرنا به لو اتقينا الرب)حق،و يقع فى ميعاده المحدّد.

قالوا: اَلدِّينَ هو الجزاء،و أنّ يوم الدين هو يوم الجزاء،و إذا فالدّين-حسب هذا الرأى-يقع فى الآخره.

و لكنّ الأمثال التى يضربها القرآن فيما يأتى من واقع التاريخ البشرى فى الدنيا لا تخص بالآخره،و حتى كلمه الدّين عامّه تشمل الدنيا،بلى.الجزاء الأوفى فى الحياه الأخرى أمّا الدنيا فالجزاء فيها محدود.

إنّ تقدير اللّه حكيم،و تقسيم الملائكه الأمر يجرى وفق ذلك التقدير،فكيف لا يتصل بسلوك البشر و ما يختاره لنفسه من خير و شر.

الأمنه و الخوف،التقدّم و التخلّف،الغنى و الفقر،الصحه و المرض،الوفره و الجدب،كلّ ذلك يخضع لتقدير الربّ الحكيم،و لعلّ وعى هذه الحقيقه يفتح أبواب المعرفه أمام الإنسان،و يعطيه مفك ألغاز الخليقه من حوله،و يضعه على المنهج السليم فى بحثه عن العلل و الأسباب.إنّه باختصار سبيله نحو الحضاره.

أ ليس التخلّف ناشئ من الفصل بين سلوك الإنسان و واقعه،إذا فإنّ الخلاص منه يكون بمعرفه اتصالهما ببعضهما اتصال العله بالمعلول.

أكثر الناس يجهلون أو يغفلون عن هذه الحقيقه أنّ ظواهر الطبيعه و أحداثها تخضع لتقدير حكيم،و أنّ سلوك كلّ واحد من أبناء البشر يؤثّر-بقدره-فى هذه الظواهر،لذلك فهم يتمنّون تحسّن حياتهم،و لكن دون أن يسعوا إلى ذلك بتحسين سلوكهم،و القرآن لا ينفك عن تأكيد هذه الحقيقه لعلّنا نبلغ أهدافنا بأقصر السبل و آمنها ألا و إنّه إصلاح الذات لإصلاح الحياه.

[۷]ثمّ يقسم الربّ تبارك و تعالى بالسماء التى أحكمت احكاما،و التى تشبه الدروع المحبوكه،المتصله حلقاتها مع بعضها بمتانه و قوه.

وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ لعلّ القرآن الحكيم يشبّه السماء بالدرع،و عندئذ يعطى لها هذا التشبيه صفات ثلاث:

الأولى:أنّها قويه متينه كما الدرع.

الثانيه:أنّها تحفظ الأرض من النيازك و الغازات السامه.

الثالثه:أنّ كراتها شبيهه بحلقات الدرع فهى متناثره و لكنّها ترتبط مع بعضها

البعض برباط وثيق.إنّ الإنسان يزعم بادئ النظر أن لا صله للشمس بالأرض و للأرض بالقمر أو أنّه لا علاقه بين أجرام المنظومات الشمسيه و منظومات المجرّات،كلّا..هناك ما يشبه غلالله من الجاذبيه تربط بين جميع الكرات و المنظومات و المجرات كما تتصل حلقات الدرع تماما..

[٨]إنّ التفاعل بين أجرام السماء و أجزاء الأرض لا بد أن ينعكس على التكامل بين معارف الإنسان،أو ليس العلم مرآه صافيه لما فى الواقع،فلما ذا التناقض و الاختلاف عند البشر؟لماذا هذه الآراء المتباينه؟و هذا الحشد الكبير من النظريات التى لا تستقر على أساس؟أليس ذلك دليلا على مدى جهل البشر، فلما ذا التعصب لآرائه فى مواجهه بصائر الوحى؟ انظر إلى مواجهه بصائر الوحى؟ انظر إلى أقوالهم فى الوحى ذاته.إنّهم لا يدرون كيف يبرّرون كفرهم بهذه الحقيقه التى تكاد تفرض نفسها عليهم فرضا!تراهم يقولون حينا:إنّه شاعر، و حينا يقولون:بل هو مجنون،و يزعمون حينا بأنّه مفتر كذّاب! إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ قالوا:المراد أنّهم اختلفوا فى قضيه الوحى أو الحشر أو الرساله أو الولايه، فيكون المعنى:إنّكم أمام قول(الوحى)قد اختلف فيه،فما ذا يكون موقفكم، هل تنكرونه كما كفر به الآخرون،أم تسلّمون له كما قبله المؤمنون؟ [٩]و هذا القول المتمثّل فى الوحى الإلهى تسنده الحجج البالغه،و إنّما يكفر به الذين تبعدهم ضلالات الشيطان عنه.

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ

أمّا من لا يتعرّض للتضليل الشيطانى و كذبه و دجله و أنواع إفكه فإنّه لا ينصرف عنه،لأنّه حق لا ريب فيه.

[۱۰]و الذى يؤفك عن الحقيقه تحيط به الظنون و التصوّرات. أ رأيت الذى لا يعرف وزن التمر على النخل فيطفق بالتخريص كذلك يخرص المنحرفون فى فهم حقائق الخلق..و يا ويلهم كيف يفسّرون بأذهانهم القاصره و معارفهم المحدوده قضايا الخليقه اللطيفه و الغائره.

قُتِلَ الْخَرّاصُونَ إنّها لعنته الأبديّه التى تلاحقهم،و أىّ جريمه أكبر من ترك العلم إلى الجهل، و اليقين إلى الظن،و الوحى إلى التخرّص،و هل ابتلى الإنسان بمصيبه أكبر من الضلاله،و فتنه أشدّ من الجهاله؟ و لعلّ الآيه تشمل كلّ أنواع التخريص و القول بغير علم أنّى كان.

و قالوا فى معنى الآيه:إنّها دعاء بالقتل و الفناء،لأنّ فائده وجود الإنسان علمه فإذا ترك علمه كان الموت أولى له.و قالوا:تعنى اللعنه و الطرد من رحمه اللّه.

[۱۱]أ رأيت الذى تغمره أمواج الماء؟هل يقدر على أن يبصر شيئا أو يقرّر أمرا؟كذلك الذين تحيط بهم أمواج الخيالات و التخرّصات ساهون عن الحقائق.

اَلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَهٍ ساهُونَ إذا تخلّص فكره من دعايات أبواق الشيطان أحاطت به موجه من إثاره الشهوات،و إذا انحسرت عنه الأمانى الخادعه طغت عليه موجات القلق و الاضطراب و الخشيه من المستقبل،و هكذا تغمره أمواج الهواجس غمره بعد غمره

حتی الموت.

[۱۲]و بسبب تلاحق غمرات الهواجس و الظنون علی أفئدتهم یسهون عن حقیقه الموت و واقع الحساب،و لا ینفکّون یبعدونه عن أذهانهم،و یتساءلون:متی هو؟ یَسْئَلُونَ أَیّانَ یَوْمُ الدِّینِ إنّهم یستبعدونه أو یستهزءون به،و بالتالی لا یأخذونه مأخذ الجدّ،ربما لأنّهم غرقوا فی الأفکار الساهیه.

[۱۳]و إنّه آت لا ریب فیه،و ما دام الأمر کذلک فعلینا الإعداد له لأنّه رهیب.أو لیس الذی یمتطی صهوه الزمن یسار به و إن کان واقفا؟أو لیس

«کلّ متوقّع آت،و کلّ آت قریب دان» (۱)کما یقول أمیر المؤمنین علیه السلام؟ و ماذا یستعجلون من یوم الدّین،هل یستعجلون منه اللهیب الذی یحرق أبدانهم؟ یَوْمَ هُمْ عَلَی النّارِ یُفْتَنُونَ کما یعرض الذهب علی النار،و یبدو أنّ الکفّار یعرضون فی البدء علی جهنّم ثم یلقون فیها،و لعلّ ذلک لکی یقرأ علیهم حکم خلودهم فی النار و سبب ذلک، کما یتلی علی المحکوم بالإعدام الحکم و حیثیّاته قبل تنفیذه.

[۱۴]فی تلک اللحظه الرهیبه یبلّغون الجواب عن سؤالهم الذی اقترن

۱- ۱) نهج البلاغه/الخطبه ۱۰۳.

بالسخريه، و يكون الجواب بالطبع مطابقا للسؤال:

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هـذه هى النـار الـتى كنتم بهـا تسـتهزؤون.إنّها الفتنه الـتى تمثّلت فى الـدنيا فى صـوره أوامر و نواهى و واجبـات و محرّمات.إنّها اليوم ظهرت على واقعها نارا متفجّره.

هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ من هذا الجواب نعرف طبيعه سؤالهم،و أنّه كان مليئا بالسخريه و الأفكار.

[۱۵]فى جانب آخر من الصوره نجد المتقين الذين حفظوا أنفسهم من أسباب الاحتراق بالنار،نجدهم فى جنات و عيون.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ لكلّ جنه نعيمها،و لكلّ عين شراب معلوم،و هم يسيحون فيها يتلذّذون بما تشتهيه أنفسهم.

[۱۶] آخِذِينَ مَا آتاهُمْ رَبُّهُمْ كما أخذوا فى الدنيا بتعاليم ربّهم مسلّمين لها يأخذون اليوم ثوابه العظيم.

و قالوا:الأخذ هنا بمعنى التملّك،كأن نقول:فلان أخذ البلاد،فالجنه ليست بحكم الموقّت بل ملكهم الدائم.

و قالوا:صيغه الكلمه «آخِذِينَ» تدلّ على استمرار أخذهم به،لأنّ نعم الجنه لا يمكن أخذها مره واحده لأنّها لا نهايه لها.

و قالوا:الأخذ يكون برضا و قبول،فهم راضين بنعيم الجنه أىّ رضا.

و الكلمه كما يبدو تحتمل كلّ هذه المعانى و أكثر.

هذا الأخذ كان فى مقابل عطائهم،إنّهم فى الدنيا قبل الآخره كانوا محسنين.

إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ فإحسانهم على أنفسهم بالطاعات،و على الناس بالإنفاق و الصدقات،كان ثمن أخذهم ثواب اللّه العظيم.

فإحسانهم على أنفسهم بالطاعات،و على الناس بالإنفاق و الصدقات،كان ثمن أخذهم ثواب اللّه العظيم.

[۱۷]سعى المتقين فى النهار يهدف الإحسان،أمّا إذا آووا إلى مساكنهم اتخذوها محرابا للعباده و فرصه للتهجّد،فتراهم صافّين أقدامهم يجأرون إلى ربّهم، تكاد أرواحهم الطاهره تفارق أبدانهم شوقا إلى اللّه و فرقا من عذابه.

إنّ معرفتهم بربّهم و تطلّعهم إلى القربى منه لا تدع أجسادهم تستريح إلى الفراش،و هل يستريح من يطلب أمرا عظيما.

و إنّ خشيتهم من غضب ربّهم و شديد عذابه تقضّ مضاجعهم فتتجافى جنوبهم عنها.أ رأيت الذى حكم عليه بالإعدام غدا كيف ينام ليلته؟ كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قالوا:الهجع النوم ليلا،و لعلّ الكلمه توحى بثلاثه ظلال حسب ما جاء فى اللغه من مفرداتها:

الأوّل:عدم السكون التام فى النوم،و بسبب تعلّق قلوب المتقين بالآخره لا تسكن تماما فى الليل بل تسكن جوارحهم دون جوانحهم،و منه التهجاع النومه

الخفیفه.

الثانی:النوم فی أوّل اللیل دون آخره.قالوا:الهجعه:النومه الخفیفه من أوّل اللیل.

الثالث:النوم المتقطّع فی بعض اللیل.قالوا:الهجع من اللیل:الطائفه منه، و یقال:زارنی بعد هجع من اللیل (۱).

و الآیه تدل بظاهرها علی أنّ نومهم فی کل لیله قلیل حسبما تدلّ علی ذلک آیات أخری کقوله سبحانه: «قُمِ اللَّیْلَ إِلاّ قَلِیلاً» (۲)و قوله: «وَ مِنَ اللَّیْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَیْلاً طَوِیلاً» (۳)و قوله: «أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّیْلِ ساجِداً وَ قائِماً یَحْذَرُ الْآخِرَهَ» (۴).

و للآیه تفسیر آخر:أنّ هؤلاء لم یکونوا یترکون قیام اللیل إلاّ قلیلا،

و جاءت به الروایات فقد أثر عن محمّد بن مسلم أنّه سأل الإمام الصادق علیه السلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: «کانُوا قَلِیلاً مِنَ اللَّیْلِ ما یَهْجَعُونَ» فقال:«کانوا أقلّ اللیالی تفوتهم لا یقومون فیها » (۵).

و لا یتنافی التفسیران،فهم یقومون کلّ اللیالی إلاّ قلیلا،و إذا قاموا إلی الصلاه لا ینامون إلاّ قلیلا.

و قد تواترت النصوص الدینیه فی التحریض علی قیام اللیل و التبتّل إلی اللّه فی

۱- ۱) انظر المعجم الوسیط/ج /۱ص ۹۷۳-۹۷۴.

۲- ۲) المزمل۲/.

۳- ۳) الإنسان۲۶/.

۴- ۴) الزمر۹/.

۵- ۵) وسائل الشیعه/ج /۳ص ۲۷۹.

رحم الظلام حيث تسكن النفوس،و تنام العيون،و تتساقط الحجب بين العبد و ربّه،و يخلو الحبيب بحبيبه..و يخيّل لمن يتلوها أنّ قيام الليل واجب كسائر الفرائض.

جاء فى الحديث عن الإمام الصادق(عليه السلام)أنّه قال لسليمان الديلمى:

«يا سليمان لا تدع قيام الليل،فإنّ المغبون من حرم قيام الليل » (۱).

و عنه عليه السلام :

«ليس من عبد إلاّ و يوقظ فى كلّ ليله مرّه أو مرّتين أو مرارا،فإن قام كان ذلك،و إلاّ فجاء الشيطان فبال فى أذنه.أو لا يرى أحدكم أنّه إذا قام و لم يكن ذلك منه(قيام الليل)قام و هو متخثّر ثقيل كسلان؟ » (۲).

و عنه عليه السلام :

«إنّى لأمقت الرجل قد قرأ القرآن ثم يستيقظ من الليل فلا يقوم حتى إذا كان عند الصبح قام يبادر بالصلاه » (۳).

و لماذا نجد البعض يوفّق لقيام الليل بينما لا يوفّق غيره؟تجيب النصوص الدينيه أنّ ذنوب النهار تقيّد الرجل عن ذلك،و بالذات الكذب و الغيبه.

يأتى رجل إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب(عليه السلام)يقول:إنّى قد حرمت الصلاه بالليل فقال:

۱- ۱) وسائل الشيعه/ج /۳ص ۲۷۸

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) المصدر/ص ۲۷۹.

«أنت رجل قد قيّدتك ذنوبك » (۱).

و فی حدیث مأثور عن الإمام الصادق(علیه السلام)أنّه قال :

«إنّ الرجل لیکذب الکذبه فیحرم بها صلاه اللیل،فإذا حرم صلاه اللیل حرم بها الرزق » (۲).

أمّا إذا قرّر الرجل القیام باللیل تائبا إلی اللّه فإنّ اللّه سبحانه یغفر بذلک ذنوبه التی اقترفها بالنهار..هکذا

یقول الإمام الصادق(علیه السلام)فیما روی عنه:

«صلاه المؤمن باللیل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار » (۳).

و مثلما تتساقط الذنوب عن المتهجّد باللیل فإنّ الأمراض تطرد من جسده،

جاء فی الحدیث عن الإمام الصادق(علیه السلام) :

«علیکم بصلاه اللیل فإنّها سنّه نبیّکم،و دأب الصالحین قبلکم،و مطرده الداء من أجسادکم » (۴).

کذلک تجلب صلاه اللیل الرزق،حتی

جاء فی النصّ المأثور عن الإمام الصادق (علیه السلام) :

«کذب من زعم أنّه یصلّی باللیل و یجوع بالنهار.إنّ اللّه ضمن بصلاه اللّیل

۱- ۱) المصدر.

۲- ۲) المصدر/ص ۲۷۸.

۳- ۳) المصدر/ص ۲۶۹

۴- ۴) المصدر/ص ۲۷۱.

قوت النهار » (۱).

كما أنّ قيام الليل يزيد من شرف المؤمن،

جاء فى الحديث المروى عن رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله)عن جبرئيل أنّه قال :

«شرف المؤمن صلاته بالليل،و عزّه كفّ الأذى عن الناس » (۲).

و نختم حديثنا عن صلاه الليل

بحديث رائع عن علىّ بن محمد النوفلى عن أحد الأئمه(عليهم السلام):

«إنّ العبد ليقوم فى الليل فيميل به النعاس يمينا و شمالا،و قد وقع ذقنه على صدره،فيأمر اللّه أبواب السماء فتفتح،ثم يقول للملائكه:انظروا إلى عبدى ما يصيبه فى التقرّب إلىّ بما لم أفترض عليه راجيا منى لثلاث خصال:ذنب أغفره له،أو توبه أجدّدها له،أو رزق أزيده فيه.اشهدوا ملائكتى أنّى قد جمعتهنّ له » (۳).

[۱۸]تتجاذب الإنسان قوى الخير و قوى الشر ممّا يجعله فى صراع دائم لا ينفك عنه حتى لقاء ربّه،و لا ينجو أىّ إنسان-أنّى كان قوىّ الإيمان نافذ البصيره- من السقوط فى وهده الذنوب،و لكنّ المهم هو القيام بعد السقوط،فبينما نجد أكثر الناس يسترسلون مع الضغوط حتى تهديهم إلى سواء الجحيم فإنّ الصالحين يعودون إلى نقائهم كلّما دنّستهم الخطايا،و يتطهرون بالتوبه إلى ربّهم الغفور..و هؤلاء هم أصحاب الجنه.

۱- ۱) المصدر

۲- ۲) المصدر/ص ۲۷۳.

۳- ۳) المصدر/ص ۲۷۲.

وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ و عند السحر يكون العالم المحيط بالإنسان فى سبات عميق،حتى الذين أسهرهم المرض أو اللعب أو ما أشبه يخلدون إلى السكون،و الإنسان بدوره يعيش السكون فى داخله،تتراجع شهواته،و تهدأ أعصابه،و تقلّ هواجسه و وساوسه، و يعود إلى نفسه،و تكون الفرصه مواتيه لمراجعه حساباته و محاكمه أعماله و أقواله فى محكمه عقله و وجدانه،و هنالك تتجلّى له أسماء ربّه،و يجد كأنّ خالقه القاهر فوقه البصير به و الأقرب إليه من حبل الوريد يحاسبه:لما ذا ابتعدت عنى عبدى؟أو لم أكن نعم الربّ لك،فلما ذا كنت بئس العبد؟هل غيّرت معك عاده الإحسان فأشركت بى و خضعت لعبادى من دونى؟ و كم هى رائعه يقظه الضمير بعد السبات،و انتفاضه الإراده بعد الخوار؟اللّه ما أحلى العوده إلى دار الأنس بعد الغربه فى نفق العصيان،ما ألذّ حكايه الاعتراف بعد الطيش و التمرّد! من هنا كانت نفوس المتقين تتطلّع إلى تلك الساعه المتّقده حبّا و شوقا و قربا.

أ لم تسمع

روايه الرسول(صلّى اللّه عليه و آله)أنّه قال :«الركعتان فى جوف الليل أحبّ إلىّ من الدنيا و ما فيها » (۱).

أ و سمعت زين العابدين على بن الحسين(عليه السلام)يسأل:ما بال المتهجّدين من أحسن الناس وجها؟فقال:«لأنّهم خلوا باللّه فكساهم من نوره » (۲).

۱- ۱) المصدر/ص ۲۷۶.

۲- ۲) المصدر.

و كلّ واحد منّا بحاجه إلى الاستغفار لكى لا تتراكم فوق قلبه أدران الخطايا و الغفله فيقسو و ينغلق و يصبح غلفا لا يرجى له علاج..و لكى لا يفاجئه الأجل فتضيع عنه فرصه التوبه إلى الأبد.

و لا بد أن نسعى لفرز العمل الصالح عن السيئات بالاستغفار حتى لا يختلط علينا الحقّ و الباطل،و ذلك بأن نحدّد بالضبط طبيعه العمل الذى قمنا به،و لا نخضع لتزيين الشيطان أو تسويل النفس الأمّاره بالسوء،فنبرّر كلّ ما قمنا به، و نلبسه ثوب الشرعيه بتحريف نصوص الدين حسب أهوائنا،فنكون-لا سمح اللّه-ممّن اتخذ إلهه هواه.

إنّ المؤمن يتهم نفسه أبدا،و يستجلى قيم الحق و موازين الشرع حتى يقيس بها أعماله،فإذا اشتبهت عليه قضيه سعى إلى معرفه الحق بمراجعه الفقه و السؤال من أهل الذكر.

أمّا الذين يستغفرون لذنوب مجهوله،بينما يبرّرون ذنوبهم التى يمارسونها يوميّا،فإنّهم لا يتطهرون بالتوبه بل يزيدهم الإصرار على تلك الذنوب قسوه فى القلب و ضلاله فى الفكر.

إذا اغتابوا مسلما كفّروه ليبرّروا ذنبهم،فهل ينفع مثل هؤلاء الاستغفار؟ و إذا أكلوا أموال الناس بالباطل زعموا أنّهم مضطرون إلى ذلك،و لا اضطرار عندهم غير حبّ الراحه،فهل تنفعهم التوبه شيئا؟ و إذا خضعوا للسلاطين تشبّثوا ببعض النصوص المتشابهه،و تركوا المحكم من آيات الجهاد فى سبيل اللّه و الكفر بالطاغوت.

و إذا غشّوا و كذبوا و احتكروا و أكلوا الربا اعتبروا ذلك تجاره و شطاره و نجاحا و فائده رابحه،و هكذا..

كلّا..الحلال عند اللّه لا يصبح حراما بأعذار واهيه،و الحرام لا يضحى حلالا..و الاستغفار ينفع الفقهاء و من اتبعهم ممّن يلتزم بمقاييس الكتاب و موازين الشرع تماما.نسأل اللّه أن يجعلنا جميعا منهم.

[۱۹]لنفاذ بصائرهم يعلم المتقون أنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئه،فيسعون لتزكيه أنفسهم منه،بالإنفاق المنظّم الذى يفرضونه على أنفسهم أكثر من الحقوق الشرعيه،فالواحد منهم يجعل ثلث أمواله التى يغنمها للّه،و الآخر ربعه،و هكذا حسب ظروفهم المعيشيه.

وَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ و السائل هو الذى يسكب ماء وجهه أمامك فلا تحرمه من عطائك مهما كان قليلا،

فقد جاء فى الحديث المروى عن رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله) :

«لا تقطعوا على السائل مسألته،فلو لا أنّ المساكين يكذبون ما أفلح من ردّهم » (۱).

و روى عن الإمام الباقر(عليه السلام) :

«لو يعلم السائل ما فى المسأله ما سأل أحد أحدا،و لو يعلم المعطى ما فى العطيه ما ردّ أحد أحدا » (۲).

۱- ۱) نور الثقلين/ج /۵ص ۵۹۸.

۲- ۲) المصدر.

أمّا المحروم فهو الذی ضاقت علیه مذاهب الاکتساب،فکلّما سعی لم یقدر علی تأمین معاشه،و یسمّی بالمحارف،

جاء فی حدیث مأثور عن الإمام الباقر (علیه السلام) :

«الْمَحْرُومِ :الرجل لیس بعقله بأس،و لا یبسط له فی الرزق،و هو محارف » (۱).

قالوا:المحارف الذی لا یتیسر له مکسبه قال رجل محارف(بفتح الراء)أی محدود محروم،و هو خلاف قولک:مبارک (۲).

و یبدو أنّ المحروم هو الذی حرم رزقه،سواء بسبب جائحه،کما جاء فی الآیه حکایه عن أهل الجنه التی احترقت: «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» ،أو بسبب إدبار الحیاه عنه،و قلّه حظّه فی المکسب.

و یبقی سؤال:ما هذا الحق الذی فی أموال المتقین،هل هو الزکاه المفروضه کما قال البعض أم أنّه حق آخر؟ یبدو أنّه حق غیر الحقوق الشرعیه،لأنّها مفروضه علی أموال کلّ الناس دون المتقین منهم،لذلک

جاء فی الحدیث المروی عن أبی بصیر قال :کنّا عند أبی عبد اللّه(الإمام الصادق علیه السلام)و معنا بعض أصحاب الأموال فذکروا الزکاه فقال أبو عبد اللّه:

إنّ الزکاه لیس یحمد بها صاحبها،و إنّما هو شیء ظاهر،إنّما حقن بها دمه،و سمّی بها مسلما،و لو لم یؤدّها لم تقبل له صلاه،و إنّ علیکم فی أموالکم

۱- ۱) المصدر/ص ۱۲۳

۲- ۲) القرطبی/ج /۱۷ص ۳۸.

غير الزكاه.

فقلت:أصلحك اللّه!و ما علينا فى أموالنا غير الزكاه؟فقال:سبحان اللّه أما تسمع اللّه عزّ و جلّ يقول فى كتابه: «وَ الَّذِينَ فِى أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ» ؟قال:قلت ماذا الحق المعلوم الذى علينا؟!قال:هو الشىء الذى يعمله الرجل فى ما له يعطيه فى اليوم أو فى الجمعه أو فى الشهر قلّ أو كثر غير أنّه يدوم عليه (۱).

۱- ۱) وسائل الشيعه/ج /۴ص ۲۸.

[سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۲۰ الى ۴۶]

اشاره

وَ فِي اَلْأَرْضِ آيٰاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (۲۰) وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ (۲۱) وَ فِي اَلسَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ (۲۲) فَوَ رَبِّ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مٰا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (۲۳) هَلْ أَتٰاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرٰاهِيمَ اَلْمُكْرَمِينَ (۲۴) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقٰالُوا سَلاٰماً قٰالَ سَلاٰمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (۲۵) فَرٰاغَ إِلىٰ أَهْلِهِ فَجٰاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (۲۶) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قٰالَ أَ لاٰ تَأْكُلُونَ (۲۷) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قٰالُوا لاٰ تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلاٰمٍ عَلِيمٍ (۲۸) فَأَقْبَلَتِ اِمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهٰا وَ قٰالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (۲۹) قٰالُوا كَذٰلِكِ قٰالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ اَلْحَكِيمُ اَلْعَلِيمُ (۳۰) قٰالَ فَمٰا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا اَلْمُرْسَلُونَ (۳۱) قٰالُوا إِنّٰا أُرْسِلْنٰا إِلىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (۳۲) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجٰارَةً مِنْ طِينٍ (۳۳) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (۳۴) فَأَخْرَجْنٰا مَنْ كٰانَ فِيهٰا مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۳۵) فَمٰا وَجَدْنٰا فِيهٰا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ (۳۶) وَ تَرَكْنٰا فِيهٰا آيَةً لِلَّذِينَ يَخٰافُونَ اَلْعَذٰابَ اَلْأَلِيمَ (۳۷) وَ فِي مُوسىٰ إِذْ أَرْسَلْنٰاهُ إِلىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ (۳۸) فَتَوَلّٰى بِرُكْنِهِ وَ قٰالَ سٰاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۳۹) فَأَخَذْنٰاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنٰاهُمْ فِي اَلْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ (۴۰) وَ فِي عٰادٍ إِذْ أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمُ اَلرِّيحَ اَلْعَقِيمَ (۴۱) مٰا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاّٰ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (۴۲) وَ فِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّىٰ حِينٍ (۴۳) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ اَلصّٰاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (۴۴) فَمَا اِسْتَطٰاعُوا مِنْ قِيٰامٍ وَ مٰا كٰانُوا مُنْتَصِرِينَ (۴۵) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كٰانُوا قَوْماً فٰاسِقِينَ (۴۶)

اللغه

(۲۶)[فراغ]:ذهب إبراهيم عليه السلام بتسلل و خفيه لأن يحضر لهم طعاما،فإن من أدب الضيافه أن يتسلل الضيف لإحضار الطعام و التسلل لأجل ان لا يمنعه الضيف عن الإحضار.

(۲۸)[فأوجس]:أضمر فى نفسه.

(۲۹)[صرّه]:صياح شديد من الصرير بمعنى الصوت.

[فصكّت]:لطمت.

(۳۴)[مسوّمه]:معلّمه.

(۳۹)[بركنه]:الركن الجانب الذى يعتمد عليه،و فرعون كان يعتمد على جنوده و ملكه.

(۴۰)[اليم]:البحر.

[مليم]:آت بما يلام عليه.

ص:۳۵

(۴۱)[الریح العقیم]:سمّیت عقیما لعقمها من الرحمه و لأنها لا تلد خیرا.

(۴۲)[کالرّمیم]:الرمیم هو ما تفتت من حجر أو بناء أو غیرهما،و قیل کالشیء الهالک البالی و هو نبات الأرض إذا یبس و دیس،و قیل هو العظم البالی السحیق.

(۴۴)[فعتوا]:أی خرجوا عن أمر ربهم ترفّعا عنه و استکبارا.

وَ فِی السَّمٰاءِ رِزْقُکُمْ وَ مٰا تُوعَدُونَ

هدی من الآیات:

مثلما تتصل حقائق السماء و الأرض بما فی بدنک،لا بد أن تتواصل عبرها و آیاتها و ما فی عقلک من وعی،و یبدو أنّ الموقنین وحدهم یبصرون آیات اللّه فی الأرض،و فی النفس و فی السماء التی قدّر اللّه فیها الرزق،و جعل فیها ما نتطلّع إلیه من فضله،و ما نحذر من نقماته..و فی قصه ضیف إبراهیم تصدیق ذلک،فقد جاءوه بالبشری(حیث رزق من عجوز عقیم غلاما علیما هو إسحاق)،و أرسلوا إلی قوم لوط المجرمین بالعذاب متمثّلا فی حجاره من طین قد هیّأت لأولئک المسرفین (الشاذّین جنسیّا).

و کان العذاب مقدّرا بحکمه بالغه،فلم یشمل بیتا واحدا کان فیه مسلمون و هم آل لوط الذین أخرجهم اللّه منها سحرا،و قد ترک هذا البیت کما آثار تلک القریه لکی یکونا آیه بیّنه لمن یخشی العذاب(أمّا قساه القلب فإنهم لن یستفیدوا من هذه الآیه).

و قصه فرعون هی الأخری عبره لمن یعتبر حیث أرسل اللّه إلیه موسی بحجه بالغه، و لکنّه تولّی بکل وجوده و قواه(حتی أنّه لم یعرف کیف یفسّر کفره)فقال:هذا ساحر أو مجنون،فأخذه اللّه و جنوده بقوّته،و نبذهم فی البحر بذنوبهم.

و مأساه عاد کانت أیضا عبره هامّه حیث أرسل اللّه علیهم الریح العقیم التی أتت علی کلّ آثار الحیاه فی بلادهم(بما کفروا بنعمه اللّه و کذّبوا رسله).

و کذلک فعل بثمود الذین عتوا عن أمر ربّهم فأخذتهم الصاعقه(نار فیها عذاب)،و بالرغم من أنّهم کانوا ینتظرونه لم یقدروا علی الدفاع،و لم ینصرهم أحد،و ما کان یمکن نصرهم أبدا.

و بعد أن یشیر السیاق إلی قصّه نوح یختم الدرس الذی نستوحی منه سنّه الجزاء فی الخلق،و أنّها لا تختص بقوم و لا بذنب،فکلّ فسق و جریمه و إسراف یلقی جزاءه، و هذا الجزاء دلیل هیمنه الرب و عدالته و قدرته،و کلّ ذلک یهدینا إلی الجزاء الأکبر فی الآخره.

بینات من الآیات:

[۲۰]لو اطلعت ضحی من فوق ربوه علی مروج خضراء،تحیط بها أشجار مثمره،و علی الیمین منها ابتسم لک حقل من ورود متنوّعه،لا بد أنّ جمال المنظر یشغلک عن تذکّر الحقیقه التالیه:أنّه لو لا ضیاء الشمس الذی ینعکس علی الطبیعه إذا ما ظهرت هذه الألوان الجذّابه علیها.ألیس کذلک؟ و إذا تذکّرت هذه الحقیقه عرفت آنئذ أنّ کلّ ورقه زاهیه من هذه الورود و کلّ نبته خضراء رائعه فی تلک المروج علامه واضحه علی وجود ضیاء الشمس.

أصحاب البصائر یتذکّرون هذه الحقیقه،و ینفذون بعقولهم إلی غیب الواقع

المشهود فيما يتصل بخالق الطبيعه،و يعرفون أنّ كلّ شيء فى الخليقه آيه ظاهره لخالقها العظيم،كما أنّ انعكاسات النور شاهده على وجود مصدره(الشمس)، و تعالى اللّه عن الأمثال.

و من هنا كانت آيات اللّه فى الأرض تتجلّى للمؤمنين بصوره أبهى و أسنى،أمّا غيرهم فإنّ جمال المظهر يشغلهم عن ينبوع النور و الجمال و البهاء،لأنّ نظرتهم قاصره،و همّتهم محدوده،فلا تتجاوز الحقائق الجزئيه و الدّانيه.

وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ المنهج القرآنى الذى يكشف حجب العناد و الريب و الغفله عن بصائر الناس، و يجعلهم يتفكّرون فى غيب السموات و الأرض،و لا ينظرون فقط إلى ظاهر الحياه الدنيا،بل يجعلون كلّ ظاهره جسرا إلى غيبها،و كلّ حدث نافذه إلى رحاب الحقيقه الأكبر منه.

بلى.هذا المنهج القرآنى المعجز يصل الإنسان بالخليقه عبر جسر الإيمان،حتى ليصبح كلّ شيء من حوله ناطقا يناجيه بسر الكائنات،و يتناجى هو معه بلغه العارفين.

إنّ حقائق الخلق،من حجر و شجر و أحياء..من سحب تلبّد السماء،و غيث يسقى الأرض،و عواصف و رعد و برق..من أمواج البحر،و شعاع الشمس،و نور القمر،إنّها جميعا فى وعى المؤمنين تجلّيات لأسماء اللّه،و منافذ إلى غيب قدرته و حكمته..رحمته و عزّته..جماله و جلاله..فلا ينظرون إلى شيء إلّا عبر هذه الرؤيه،ممّا يجعله مسبّحا بحمد ربّه،ناطقا بآياته،داعيا إليه،يبثّ فى روعهم حكمه الحياه،و يعكس جمالها و جلالها،و يهديهم إلى سرّها العظيم.

فهم إذا نظروا إلى الأرض و حجم هذه الكره الوحيده التى تحتضن الحياه فيما نعرف من الكرات يتساءلون:ما الذى قدّر حجمها،و طبيعه حركتها حول نفسها و حول الشمس،و المسافه المحدّده التى تفصلها عنها..حتى لو أنّها اقتربت أو ابتعدت تباطأت أو تعجّلت لما أمكن نشوء الحياه فيها أبدا؟ و سمك الأرض بهذا القدر المحدد بدقه ما الذى نظمّه حتى لو كانت أسمك عشره بوصات لما وجدت ماده الأوكسجين الضروريه للحياه..و لو كانت البحار أعمق عده بوصات من عمقها الحالى لابتلعت كل ما فى الجو من هذه الماده الضروريه؟ و كذلك الغلاف الواقى المحيط بأرضنا لو كان أدق قليلا ممّا هو عليه لكانت الأرض معرضه لملايين الشهب المتوجهه إليها من الفضاء الخارجى و لاستحالت الحياه عليها..و الغازات المتنوعه التى نحتاج إلى كلّ واحد منها بذات النسبه الموجوده فى الجو،و التى تكونت عبر السنين المتطاوله من مصادر عديده.أ ليست شاهده على حكمه المدبّر سبحانه؟ (۱)[۲۱]و إذا عدت إلى نفسك التى هى خلاصه مباركه لكل ذلك العالم الكبير الواسع،فإنّك تجد آفاقا من العلم لا تحد،و شواهد لا تحصى على حسن التدبير لخالقها الرحمن،و لكنّنا بحاجه إلى بصيره نافذه لكى لا تحجبنا حاجات الجسم العاجله المحدوده عن الغور فى أعماقها الزاخره بالمعرفه و الحب و الأحاسيس الزاكيه.

وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ

۱- ۱) راجع تفسير نمونه(بالفارسيه)/ج /۲۲ص ۳۳۱-۳۳۲.

کیف لا نبصر ما فی أقرب الأشیاء إلینا،و هل یستحق الإکرام من یغفل عن آیات اللّه فی ضمیره و وجدانه..فی عواطفه الخیره..فی إرادته الماضیه..فی عقله الوقّاد..فی ترکیبه عینه و إذنه..فی أعصاب دماغه..فی حلقه و ما أطبقت علیه شفتاه من لسانه ذی الوظائف المتعدّده،إلی أضراسه و أسنانه،إلی حلقه و بلعومه؟ دعنا نتفکر قلیلا فی هذه الشبکه المعقّده من الأعصاب،و هذه المنظومه الواسعه من الأورده و الشرایین التی تقدّر بعشرات الألوف من الکیلومترات..و إلی هذا الحشد الهائل من الخلایا التی تقدّر بعشره ملایین ملیار،و کلّ خلیّه عالم عظیم تعکس آیات الصنع الالهی.أو تدری ان الخلیه الواحده هی فی الواقع مدینه صناعیه ضخمه بحیث لو استطاع الإنسان فرضا تقلیدها لکان علیه ان یبنی مصانع فی ساحه ألف هکتار یزرعها بمختلف الاجهزه المعقده و المتطوره؟ (۱)،و لکن أین تلک البصیره التی تنفذ إلی أعماق وجود الإنسان لعلها تهتدی إلی بعض آیات اللّه العظیمه..و تؤمن بالبعث من بعد الموت من خلال الإیمان بقدره اللّه و حکمته؟ [۲۲]و بعد ذکر الأرض و آیاتها،و الإنسان و ما فیه من تجلّیات القدره، یذکّرنا السیاق بالسماء و آیاتها،و کیف یرزقنا اللّه منها،فهذا الغیث ألا تری کیف یتنزل من السماء برزق مبارک،و هذه الأشعه التی تبثّ إلینا من الشمس و النجوم و ما فیها من فوائد عظیمه نعرف بعضها و نجهل الکثیر؟کلها آیات التدبیر الدقیق.أ فلا نتذکر؟ وَ فِی السَّماءِ رِزْقُکُمْ وَ ما تُوعَدُونَ و فی السماء تلک الإمکانات المستقبلیه التی یهدینا الرب إلیها ففیها من البرکات أضعاف ما ننتفع به حالیّا کما فیها من النقمات ما ینبغی اتقاؤها بالعمل

۱- ۱) راجع المصدر/ص ۳۳۳

الصالح،و يبدو أنّ الآيات التاليه تأويل لهذه الكلمه،حيث أنّ ربنا سبحانه قد وعد-و وعده الصدق-إبراهيم بأن يرزقه ذريّه كما أوعد قوم لوط بالعذاب فجاءته الملائكه بهما جميعا.

و قال البعض:معنى «وَ مٰا تُوعَدُونَ» الجنه جعلها اللّه فى السماء.و لعل هذا صحيح فى بعض رياض الجنه أما الجنه جميعا فعرضها كعرض السماوات و اللّه العالم.

و فى الآيه تفسير آخر:هو ان اللّه قد قدر عنده فى السماء(الجهه الأعلى)كل أرزاق العباد فلما ذا الحرص و التكالب؟ بلى.السعى واجب و لكن الفرق كبير بين السعى وراء الرزق بل و حتى الكد و الكدح من أجله و بين التهالك عليه(الذوبان فى بوتقته)حتى لا يكون لدى المرء هم سواه،فتمسخ شخصيته،و تختصر انسانيته فى آله اقتصاديه،كلا..ان للإنسان تطلعات ساميه و انما الرزق وسيله البلوغ إليها فقط.لذلك

جاء فى الحديث المأثور عن النبى صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: «الرزق لا يجره حرص حريص و لا يصرفه كره كاره » (۱).

بل اننا نجد ان الرزق يرتبط بجوانب عديده من حياه الإنسان منها السعى و الكدح.فمن ألغى سائر جوانب حياته و اختصر نفسه فى البحث عن الطعام لم يوفق فيه كيف؟ أ ليست الأمه الجاهله المفككه التى لا تهتم بالسياسه و لا تعى التطورات الكبرى فى العالم و لا تتكامل عواطفها أدبيا و فنيا هذه أمه متخلفه،و هل نصيب الأمه

۱- ۱) نور الثقلين/ج /۵ص ۱۲۶.

المتخلفه غير الفقر و المسكنه حتى لو واصل أبناؤها الليل و النهار فى طلب الرزق؟ و كما فى الأمه كذلك فى الفرد فمن تدانت عزيمته و همته،و ضاق أفق علمه و وعيه،و ساءت أخلاقه و آدابه،لم ينفعه اجتهاده فى طلب الرزق.بينما الآخر الذى تسامت همته،و ازداد علمه و وعيه،و حسنت أخلاقه و آدابه اكتفى بقليل من الجهد المركز،و حصل على الكثير من المكاسب أليس كذلك؟من هنا

جاء فى الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام:

«و الذى بعث جدى بالحق نبيا إنّ اللّه تبارك و تعالى يرزق العبد على قدر المروه،و ان المعونه تنزل على قدر شده البلاء » (۱)،و

قال عليه السلام :«كف الأذى و قله الصخب يزيدان فى الرزق » (۲)،

و روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله انه قال :«التوحيد نصف الدين،و استنزل الرزق بالصدقه » (۳)و اخطر ما فى التهالك على طلب الدنيا انه يشغلك عن ذكر اللّه، و التسامى إلى قربه،و النظر إلى آيات قدرته فى نفسك و الخليقه،و الاجتهاد فى طلب الآخره التى هى دار مقرك.

و كلمه أخيره:

لان ما وعدنا اللّه من رحمته فى السماء فقد أمرنا بالتوجه إليها عند الدعاء.

جاء فى حديث مأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال:

«إذا فرغ أحدكم من صلاته فليرفع يديه إلى السماء،و لينصب فى الدعاء».فقال ابن سبا:يا أمير المؤمنين أليس اللّه فى كل مكان؟قال:«بلى».

قال:فلم يرفع يديه إلى السماء؟فقال:«أو ما تقرأ: «وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ»

۱- ۱) المصدر/ص ۱۲۵.

۲- ۲) المصدر/ص ۱۲۶

۳- ۳) المصدر

فمن أين تطلب الرزق إلّا من موضع الرزق،و موضع الرزق و ما وعد اللّه عزّ و جلّ السماء » (۱).

[۲۳]أقرب الأشياء إليك نفسك،و تتجلى النفس لذاتها حين تفكر،و أعظم لحظات التفكر هى عند ما تنطق،و إذا قال بعضهم:أنا أفكر فاذا أنا موجود.

و قال آخر:الإنسان حيوان ناطق فلأن التفكر حاله يقظه النفس لذاتها،أما النطق فهو ذروه هذه اليقظه.و قد يشك العقل فى معطيات الحواس لان بعض أحاسيس الاذن طنين الدم من داخل البدن،و البصر قد يزيغ و اليد قد تصاب بالبرد دون سبب خارجى.أما النطق فلا يشك العقل فيه لأنه من أعظم آيات اللّه فى البدن، و من أصعب الفعاليات عند البشر، حيث يشترك فيه الجسم و الروح معا.انه قمه الوعى عند الإنسان،لا يشكّ فيه أحد حتى المثاليون و السوفسطائيون يزعمون بأنّهم على يقين من انهم ينطقون،و على ثقه بما يقولون.

من هنا يحلف القرآن يمينا برب السماء ان وعد اللّه حق،و أن البعث و النشور حق،كما أن نطق الإنسان حق عند نفسه.

فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ و حين يكون القسم بربّ السماء و الأرض يكون أقرب إلى وعينا-نحن البشر-لأننا نعرف شيئا من ضخامه السماء و الأرض،فلا بد أن نهتدى بذلك إلى بعض جوانب قدره الرب و تدبيره إذا عرفنا انه-سبحانه-هو رب السماء و الأرض.

ثم يكون التأكيد بالغا حيث يضاف إلى القسم ان و لام التأكيد،و يشتد التأكيد بأن يضرب له مثل الحق بحاله النطق.

۱- ۱) المصدر/ص ۱۲۴

و قال البعض:ان النطق هو سمه أساسيه فى حضاره الإنسان،فمن دونه كيف كانت التجارب تنتقل من شخص لآخر،و من جيل لجيل ناشئ.

و قالوا:ان القسم هو على ضمان الرزق و على استجابه الدعاء اللذين ذكرا فى الآيه السابقه،و يبدو لى أنه على كل الحقائق التى تواصلت فى الآيات السابقه و أبرزها حقيقه الجزاء فى الدنيا و الآخره.

[۲۴]و هذا مثل ظاهر لما فى السماء من رزق و من وعد مستوحى من قصه إبراهيم الخليل(عليه السلام)حينما جاءته الملائكه يبشرونه باستجابه دعائه فى نفسه(بغلام)و فى قوم لوط(بإهلاك الكافرين).

إن استجابه الدعاء فى الذريه التى نزلت بها الملائكه كانت أعظم نعمه ينزلها اللّه على بشر،فلقد وهب اللّه له غلاما زكيّا يرفع اسمه،و يصبح امتدادا لرسالته كما أن الوعد بإهلاك قوم لوط كان أعظم ما ينتظره الرسول بعد أن يكمل رسالته.

هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ ان الضيافه كانت جانبا هامّا من ثقافه العرب،و كانت للضيف مكانه خاصه عندهم،و لعله لذلك يتخذه القرآن وسيله لبيان الحقائق التاريخيه،و يقول عن ضيوف إبراهيم:

اَلْمُكْرَمِينَ لقد أكرمهم إبراهيم بضيافته و خدمته لهم.

[۲۵] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ

حينما دخلوا عليه قالوا:سلاما،فرد سلامهم قائلا:سلام،و كأنهم استأذنوه فأذن لهم.و لكنه لم يعرفهم،فقال لهم:انا لا نعرفكم أو أسرّه فى نفسه.

قَوْمٌ مُنْكَرُونَ حيث نظر إليهم فعرف بأنهم ليسوا من أهل بلده،و لعل صورهم لم تكن مطابقه مع صور البشر،انما كانوا يشبهون البشر فقط.

[۲۶]بعد ذلك جلسوا،فتسلل نبى اللّه الكريم إلى أهله:

فَراغَ إِلى أَهْلِهِ أى ذهب بخفيه.و هذه من الآداب التى تتعلق بإكرام الضيف،إذ ليس من اللائق أن يقول المضيف لضيفه:أ تأكل كذا، أو ماذا تشرب؟ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ جلب لهم عجلا قد شوى على النار،و لعله فعل ذلك بالرغم من قله عدد الضيوف(۳ أو ۴ أو على الأكثر ۹)لمزيد من الإكرام،أو لأنهم كانوا ضخاما،أو لكى يطعم بفاضل طعامهم سائر المساكين،و هذا كان و لا يزال من سنن الكرماء.

[۲۷] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ و دعاهم إلى الطعام،فلم ير أيديهم تصل إلى العجل.

قالَ أَ لا تَأْكُلُونَ [۲۸] فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً

و لعل السبب فی إحساسه بالخوف منهم انه کان من عاده من یضمر شرا ألّا یأکل من بیت عدوه حتی لا یتصف بالغدر.

و هکذا قالوا:من لم یأکل طعامک لم یحفظ ذمامک.

قٰالُوا لاٰ تَخَفْ و ما لبثوا أن بشّروه بتحقّق أمنیته التی کادت تخیب لکبر سنه.و قد جاءت البشاره بعد الخوف لیکون أبلغ أثرا و أحلی.

وَ بَشَّرُوهُ بِغُلاٰمٍ عَلِیمٍ و یبدو أن الغلام لیس مجرد الذکر من الأولاد-حسب بعض علماء اللغه-بل«یلحظ فی الماده معنی أخص من النشاط لما هو أصل الحیاه،فیقال:

غلم کفرح:هاج شهوه،و الغلمه:شهوه الضراب،و من هذا یطلق الغلام علی الفتی الذکر الطار الشارب،لاکتمال حیویته» (۱).

و إذا صح هذا التفسیر فقد بشرته الملائکه بولد ذکر،یرعاه الرب حتی یبلغ أشدّه،و لعل وصفه ب «عَلِیمٍ» یدل علی ذلک،إذ من المعروف أن الغلام لم یولد علیما،بل نمی حتی أضحی کذلک عند ما أصبح غلاما.

یا لها من بشاره کبری لمن بلغ من العمر عتیا،و حسب التوراه،و بعض المفسرین:کان قد جاوز سنه المائه،أما زوجته ساره فقد بلغت التسعین.

انه قد قضی عمرا ممتدا،یدعو إلی ربه و لم یؤمن به إلاّ قلیل،و الآن حیث یکاد یودع الحیاه لا یفکر إلّا فیمن یحمل مشعل الدعوه،و یحقق آمال داعیه التوحید

۱- ۱) معجم ألفاظ القرآن الکریم الصادر عن المجمع العلمی/ج /۲ص ۲۷۲.

الكبير الذى كاد يكون وحيدا فى عالم كان يغوص فى دنس الشرك،و ظلام الجاهليه.

يا لها من بشاره عظيمه:ان يستجيب الرب لعبده رأفه به،و تخليدا لذكره فى الآخرين،فيرزقه ولدا يرعاه حتى يصبح غلاما و يعلمه حتى يضحى عليما.

[۲۹]و سمعت زوجته(ساره)بهذه البشاره،ربما لقربها من الضيوف حيث كانت تخدمهم،أو لأنها جاءت إليهم فأخبرت بها.

فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ تصيح صياحا يشبه صوت الريح لما أصابها من فرحه مزيجه بالعجب!! فَصَكَّتْ وَجْهَهَا أى ضربته-على عاده النساء العجائز عند مواجهتهن لموقف لا يحتملنه- و عبّرت عن عمق تعجبها من هذه البشاره العظيمه..

وَ قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ فهل ألـد و أنا عجوز يائس؟!بل كيف ألـد و أنا امرأه عقيمه،و لم أنجب فى شبابى؟! [۳۰] قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ نعم هكذا قال اللّه القدير،فالرزق بيده،و لأنه أراد إثبات هذه الحقيقه أنّه وهب عجوزا عقيما غلاما عليما.

إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

و لم يذكر القرآن شيئا عن رد فعل إبراهيم(عليه السلام)لماذا؟ربما لأن انجاب رجل كبير فى مثل سنه ممكن عقلا بعكس امرأه عقيم فى مثل عمرها، و الدليل على ذلك أن إبراهيم عليه السلام تزوج بهاجر فأنجبت له إسماعيل عليه السلام .

و المعروف أن الولد كان(اسحق)و تدل على ذلك الآيه المباركه: «وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ» .

و هذه الحادثه توحى ببصائر ثلاثه:

أولا:إن اللّه قادر على تغيير ما نعرفه من السنن بقضائه النافذ،و حكمه الذى لا يرد.

ثانيا:إنه يستجيب دعاء من دعاه بفضله و بوسائل غير معروفه لدينا،و علينا ألاّ نقنط من رحمته فى أشد حالات الأزمه،و ألاّ نحرص على الدنيا خشيه المستقبل فهو الرزّاق ذو القوه المتين.

و إلى هذا تشير

الروايه المأثوره عن الإمام زين العابدين(عليه السلام):«قال:

خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط،فاتكيت عليه،فاذا رجل عليه ثوبان أبيضان،ينظر فى وجهى،ثم قال لى:يا على بن الحسين!ما لى أراك كئيبا حزينا؟!أعلى الدنيا حزنك فرزق اللّه حاضر للبر و الفاجر،فقلت:ما على هذا أحزن،و إنه لكما تقول،قال:يا على بن الحسين!هل رأيت أحدا سأل اللّه عزّ و جلّ فلم يعطه؟!قلت:لا،قال:نظرت فاذا ليس قدامى أحد » (۱).

ثالثا:إن كلّ ذلك دليل يهدينا إلى البعث بعد الموت.أ ليست العقبه الرئيسيه عند الكفار به هى جهلهم بقدره اللّه على إحياء الموتى،أو خرق الأنظمه السائده على

۱- ۱) نور الثقلين/ج /۵ص ۱۲۶.

الخليقه،فهذه القصص تزيل عنهم هذه العقبه،مما يمهد الطريق أمامهم للإيمان بالآخره.

[۳۱]بشاره إبراهيم عليه السلام بالغلام العليم جانب من وعد اللّه،أما الآخر فهو عذاب الاستئصال الذى صب على قوم لوط.

و حين عرف إبراهيم الملائكه سألهم عن الأمر العظيم الذى نزلوا من أجله،إذ حسب

نصّ مأثور عن الإمام الصادق(عليه السلام) :«كانوا أربعه أملاك:

جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و كروبيل عليهم السلام » (۱).و مثل هؤلاء لا ينزلون إلّا لخطب جلل.

قالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ لا بد انكم تقومون بعمل عظيم فى الأرض فما هو؟ [۳۲-۳۳]قالُوا إِنّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ* لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَهً مِنْ طِينٍ و نتساءل أولا:ما هو هذا الطين؟..هل هو ذلك الطوب الذى بنيت به مدينتهم باعتبار ان المدينه قد ارتفعت ثم هبطت مره أخرى ساعه تدميرهم؟أم هو حمم بركان تفجّر عليهم فشبهت بالطين؟أم أصل الحجاره التى أهلكوا بها كانت من الطين؟..لا ندرى بالضبط،و لكن الظاهر من الآيه أنه ذات«السجيل» التى جاءت فى آيه أخرى،و التى قالوا:انها معربه فارسيه و أصلها(سنك كل) أى حجاره من الطين،و الأقرب انها قطعات من طين متصلب و متحجر.

۱- ۱) المصدر۱۲۷/.

ثانيا:ماذا كانت جريمتهم التى استحقوا بها ذلك العذاب الشديد؟يبدو انهم كانوا قد تدرجوا فى عدّه مراحل،حتى بلغوا الدرك الأسفل،و الذى مثّل فى الشذوذ الجنسى،اما غيره

فقد جاء فى الحديث: «انهم لم يكونوا يتنظّفون من الغائط، و لا يتطهرون من الجنابه،بخلاء،أشحّاء على الطعام » (۱).

[۳۴]و ان هذا الهبوط المستمر كان بسبب إسرافهم المقيت.

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ يبدو من هذه الآيه ان الإسراف ينتهى بالإنسان إلى الجريمه،فهو يسرف حتى يستوعب حقه،فيبادر على الاعتداء على حقوق الآخرين،

و فى الحديث عن الامام على عليه السلام: «ما رأيت نعمه موفوره إلاّ و إلى جانبها حقّ مضيع »لا ن من يأكل أكثر من حقه يأكل-و بشكل طبيعى-حقوق الناس،و الحجاره التى أصابتهم كانت مسومه،قد عرفت باسمهم،و لعل كل حجاره كانت باسم واحد منهم،فلم تكن تطيش هنا و هناك،لأنها كانت مسجله باسمه و حسب جريمته.

[۳۵]و كما كانت مسومه باسم المجرمين كانت بعيده عن المؤمنين الذين أخرجوا من تلك البلاد.

فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ و لكن من كان فيها من المؤمنين؟ [۳۶] فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [۳۷]و بعد أن خرجوا من تلك القرى،أرسل اللّه الحجاره المسومه،فأهلكتهم.

۱- ۱) المصدر/ص ۱۲۹.

أين كانت قرى قوم لوط؟يقال انها واقعه اليوم فى الأردن،على مقربه من البحر الميّت،و انها كانت تسمى ب:(سدوم)،و أنها هى المؤتفكات أى القرى المنقلبه.

و يقال ان إبراهيم(عليه السلام)الذى بعث لوطا إلى تلك القرى ليدعوهم إلى ربهم كان يسكن فى مدينه(حبرون)قريبا من(سدوم)و قد شاهد آثار العذاب حين نزل عليها.

و يزعم البعض:ان بعض الآثار قد ظهرت فى قاع البحر الميت،مما يدل على أنه يغطى قرى قوم لوط،و لا ريب أن تلك المناطق تشهد بذلك العذاب الرهيب، الذى نزل بأولئك المجرمين،بيد أن هذه الآثار كثيره فى أرضنا،و ان عبرها كافيه للإنسان ليرتدع عن غيه،بيد أن أكثر الناس فى غفله منها،و إنما يتعظ بها الخائفون من عذاب اللّه.

وَ تَرَكْنا فِيها آيَهً علامه بيّنه بما وقع فيها،قيل:أنّها آثارهم فى القريه الخربه،و قال البعض:

إنّها الحجاره المسوّمه،

و يظهر من حديث مأثور عن النبى(صلّى اللّه عليه و آله) عن جبرئيل(عليه السلام)أنّ الآيه بيت لوط حيث قال و هو يروى كيف دمّر بأمر اللّه تلك القرى:

«و إنّى نوديت من تلقاء العرش لمّا طلع الفجر:يا جبرئيل!حقّ القول من اللّه،تحتّم عذاب قوم لوط فاهبط إلى قريه قوم لوط و ما حوت فاقلبها من تحت سبع أرضين،ثمّ أعرج بها إلى السماء فأوقفها حتى يأتيك أمر الجبّار فى قلبها، و دع منها آيه بيّنه من منزل لوط عبره للسيّاره » (۱).

۱- ۱) المصدر/ص ۱۲۸

حقّا:إنّها آیه بیّنه أن تدمّر کلّ تلک القری شر تدمیر و یبقی بینهما بیت واحد عبد اللّه فیه سالما.أولا یهدینا ذلک إلی أنّ الدمار لم یکن بسبب زلزال طبیعی،بل عذابا مقدّرا لجرائم ارتکبوها؟ لِلَّذِینَ یَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِیمَ أمّا الغافلون فهم لن ینتفعوا من مثل هذه الآیه.

و هذه القصّه تذکّرنا بسنّه الجزاء،و أنّ اللّه لم یخلقنا عبثا،و أنّه سوف یحاسبنا لیجازینا إن خیرا فخیر و إن شرّا فشر.

[۳۸]و مثل آخر یهدینا إلی حقیقه المسؤولیه و الجزاء أیضا نقرأه فی قصّه فرعون التی بقیت هی الأخری آیه بیّنه للناس.

وَ فِی مُوسی إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلی فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِینٍ لقد أرسل اللّه موسی إلی طاغوت عصره فرعون،و زوّده بسلطان مبین یتمثّل فی کلمه الحق و العصا و الید البیضاء.

[۳۹]و لکن ماذا کان جواب فرعون؟ فَتَوَلّی بِرُکْنِهِ کذّب بموسی و سلطانه بکلّ وجوده و قواه سواء قوّه جسده أو قوّه جیشه.

وَ قالَ ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ لقد احتار کیف یفسّر حقیقه الرساله إذا أنکرها،فإذا کان صاحبه ساحرا

يبحث عن مال و مقام فلما ذا يتحدّى سلطانه؟لماذا لا يخضع له كما فعل سائر السحره؟و إذا كان مجنونا فما هذه الحجّه البالغه لديه و السلطان المبين؟ما هذه المعاجز التى تتوالى على يديه؟ و هذا الترديد شائع عند كلّ الذين يكفرون بالحق،و يعاندون أمام الحجج البالغه،ذلك أنّ الحق يفرض نفسه على الساحه حتى لا يكاد أحد يقدر على التهرّب منه.

[۴۰]أنظر إلى عاقبه أمرهم،لقد أخذهم اللّه بقوّته فلم يقدروا على الفرار من جزائه العادل بمثل ما تهرّبوا من الحق الذى دعاهم إليه،ثم ألقاهم فى البحر كما ينبذ شىء يسير لا وزن له و لا قيمه.

فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ و لا يلام غيره.أ فلم ينذره اللّه،و أتمّ الحجّه عليه فلم تنفعه شيئا؟ وَ هُوَ مُلِيمٌ تلاحقه لعنه اللّه و الملائكه و الناس إلى يوم القيامه.

[۴۱]و إذا تكرّرت صوره أخذ الطغاه و المجرمين فإنّ السنّه واحده،و تلك السنّه تصبح عبره لمن شاء أن يعتبر،ففى أرض الأحقاف الواقعه-حسب المفسّرين- بين حضرموت و عمان كانت قبائل عاد تطغى و تفسد و تبطش بالناس كما الجبّارون،و جاءهم النذير فلم يستجيبوا له،فأرسل اللّه عليهم الريح لا لكى تلقّح ثمارهم أو تحمل الغيث إلى أرضهم العطشى،بل لكى تبيد ما أتت عليه من زرع و ضرع و إنسان و أثاث و بناء حتى لا تخلّف وراءها شيئا فهى عقيم.

وَ فِی عٰادٍ إِذْ أَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمُ الرِّیحَ الْعَقِیمَ و قالوا فی معنی العقیم:أنّه الذی لا ینتج غیثا و لا لقاحا.و لعلّ العقیم هو الذی لا یذر شیئا بعده فتکون الآیه التالیه تفسیرا له.

[۴۲]و یبدو أنّ الإعصار کان یحمل نارا و سمّا،و هکذا لم یدع شیئا قائما علی حاله بل أباد الأرض و ما علیها و جعلها رمیما.

مٰا تَذَرُ مِنْ شَیْءٍ أَتَتْ عَلَیْهِ إِلاّٰ جَعَلَتْهُ کَالرَّمِیمِ قالوا:من الرّمه العظم البالی،و الرّمه الحبل البالی،و الرّم ما یقع علی الأرض من التبن،و قال:البعض الرمیم الرماد،و قال آخر:إنّه الذی دیس من یابس النبات.إنّه التراب المدقوق،و قال ابن عباس:کالشیء الهالک البالی.

و یبدو لی أنّ الکلمه توحی بانعدام الشیء،فإذا کان البناء یتهدّم،و إذا کان العظم أصبح مهشّما،و الحبل بالیا،و التراب رمادا لا حیاه فیه..و إذا صحّ هذا التفسیر فإنّ تلک الأرض لا تصلح لإعاده الحیاه فیها أبدا،و هذا عاقبه طغیانهم و تحدّیهم لرسالات ربّهم.

[۴۳]و من جنوب الجزیره العربیه إلی شمالها حیث سکنت قبائل ثمود فی منطقه(حجر)نقرأ ذات القصه،و نجد ذات العبره،و تتجلّی حقیقه المسؤولیه و الجزاء.

لقد کفروا بالرسالات،و تمرّدوا علی رسولهم،و عقروا الناقه،فأمهلوا ثلاثه أیّام،فلم یقدروا علی الفرار،و لا نصرهم ما أشرکوا به،و لا نفعتهم الحیله،بل دمّروا بالصاعقه شرّ تدمیر..و هکذا کانت فی ثمود آیه بیّنه.

وَ فِی ثَمُودَ إِذْ قِیلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّٰی حِینٍ قالوا:إنّها الأیّام الثلاثه التی أمهلوا فیها. و لعلّ المراد الفرصه التی سنحت لهم فی الحیاه الدنیا،و الحریه المحدوده التی منحوا لیبتلی اللّه إرادتهم،و لکنّهم خالفوا رسوله بعقرهم الناقه التی کانت آیه مبصره لهم.

[۴۴] فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصّٰاعِقَهُ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ [۴۵]و بالرغم من أنّ الصاعقه نزلت بهم بعد أن أنذروا بها،و علموا بوقوعها، و نظروا إلیها بالعین المجرّده،فإنّهم لم یقدروا علی مقاومتها أو الفرار منها.

فَمَا اسْتَطٰاعُوا مِنْ قِیٰامٍ وَ مٰا کٰانُوا مُنْتَصِرِینَ فلا قدروا علی مقاومتها بأنفسهم،و لا کان یقدر أحد علی نصرهم.

[۴۶]العذاب الذی توالی علی المجرمین فی الدنیا نذیر لنا بأنّ عذاب اللّه واقع، و أنّ الجزاء حق لا ریب فیه،و أنّه لا أحد یستطیع أن یهرب من مصیره الذی یرسمه بعمله.

وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ کذّبوا بآیات اللّه فأخذهم بالطوفان و لم تبق منهم إلّا العبره.

إِنَّهُمْ کٰانُوا قَوْماً فٰاسِقِینَ تجاوزوا حدود اللّه،و فسقوا عن أمره،فاختطفهم،العذاب وفقا لسنّه اللّه التی لن تجد لها تبدیلا.

[سوره الذاريات (۵۱): الآيات ۴۷ الى ۶۰]

اشاره

وَ اَلسَّمٰاءَ بَنَيْنٰاهٰا بِأَيْدٍ وَ إِنّٰا لَمُوسِعُونَ (۴۷) وَ اَلْأَرْضَ فَرَشْنٰاهٰا فَنِعْمَ اَلْمٰاهِدُونَ (۴۸) وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنٰا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۴۹) فَفِرُّوا إِلَى اَللّٰهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۵۰) وَ لاٰ تَجْعَلُوا مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۵۱) كَذٰلِكَ مٰا أَتَى اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ قٰالُوا سٰاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۵۲) أَ تَوٰاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طٰاغُونَ (۵۳) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمٰا أَنْتَ بِمَلُومٍ (۵۴) وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ اَلذِّكْرىٰ تَنْفَعُ اَلْمُؤْمِنِينَ (۵۵) وَ مٰا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ (۵۶) مٰا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مٰا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (۵۷) إِنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلرَّزّٰاقُ ذُو اَلْقُوَّةِ اَلْمَتِينُ (۵۸) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحٰابِهِمْ فَلاٰ يَسْتَعْجِلُونِ (۵۹) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ اَلَّذِي يُوعَدُونَ (۶۰)

اللغه

(۴۷)[بأيد]:بقوه-من آد-يئيد.

(۵۹)[ذنوبا]:نصیبا من العذاب،و أصل الذنوب الدلو المملوء ماء و جیء به للاشاره إلی کثره ذنوبهم.

ص:۵۸

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ

هدى من الآيات:

إذا كان محور سوره«الـذاريات»أن الهـدف الاساسـى من خلقه الجن و الانس هو عباده اللّه فان خاتمه السوره تبين ذلك بعد ان تمهد له بتوجيهنا:الى السـماء كيف بناها ربنا بقوه،و لا يزال يوسـعها،و إلى الأرض كيف فرشـها،و مهدها لنا أفضل تمهيد،و إلى سنه الزوجيه فى كل شىء مخلوق،تذكرنا بالخالق الغنى المقتدر.

ثم يأمرنا بالاستعاذه باللّه و الفرار اليه من ضعفنا،و عجزنا،و شرور أنفسنا، و شرور العالم المحيط بنا.

و لكى لا نستسـلم للضـغوط يذكرنا:ان الرسول نذير مبين من عند اللّه،و انه يحذّر من مغبه الشـرك باللّه،و الكفر بالرساله،و اتهام الرسـول بـأنه سـاحر أو مجنـون كمـا فعـل الغـابرون جميعـا.حتى لكـأنهم تواصـوا بـذلك بينمـا الحقيقه أنهم جميعـا كـانوا قـوما طاغين،فاذا تولى عنهم الرسول لا يكون ملوما لأنهم جحدوا بالرساله و لكن

يجب الاستمرار فى رعايه المؤمنين بالتذكره لأنها تنفعهم.

و بعد هذا التمهيد الذى فيه تذكره بآيات اللّه فى الخليقه،و تبصره بدور الرسول فى الإنذار و البلاغ فقط فيما يتصل بالكفار،و دور التذكره فيما يتعلق بالمؤمنين..

ذكّرنا اللّه بأهم غايه فى الخلق و قال: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ» و حقيقه العباده التسليم للّه و تهيئه النفس لاستقبال نور معرفته،و تطهيرها من دنس الشرك و الفواحش الباطنه،ثم العمل بكتابه.

و عباده اللّه دليل رحمته،و هكذا كان الخلق بهدف التفضل على المخلوقين،و لا تصل أيه فائده من خلقه اليه،فهو لا يريد منهم رزقا و لا طعاما،بل هو الرزاق الذى يغمرهم بنعمه،و هو ذو القوه الدائمه التى لا تزول فلا يحتاج الى نصرهم.

و فى الخاتمه يحذر ربنا الظالمين بأن نصيبهم من العذاب مضمون لهم،فلا يستعجلوه،كما يحذر الكفار من ويلات اليوم الموعود.

بينات من الآيات:

اشاره

[۴۷]هل نظرت الى السماء فى ليله صافيه..هل حاولت مرّه إحصاء نجومها؟لا ريب انك لو فعلت ذلك كللت،لأنه كلما أدرت عينك رأيت نجمه غائره فى الفضاء اللامتناهى،و إذا علمنا ان كل مجموعه نجوم تشكل مجره واحده؟ لا بد أن نذهل فعلا مما اكتشفه العلم من عدد نسبى لعدد المجرات التى تبلغ المليارات..فهل يأتى يوم يستطيع الإنسان أن يحصى نجوم السماء علما بأن ضخامه نجمه واحده منها قد تبلغ حدا لو ألقى كوكبنا الأرضى فيها لضاعت كما تضيع حبه الرمل فى الصحراء.

أى قوه بنت هذه السماء؟!

وَ السَّمٰاءَ بَنَيْنٰاهٰا بِأَيْدٍ و الأيد هى القوه،و لعل كلمه البناء توحى بالتدريج فى الخلق و المتانه فيه، و الصله بين جزء و جزء فيما بنى،و كل ذلك صحيح فى أمر السماء.

وَ إِنّٰا لَمُوسِعُونَ ذهب المفسرون مذاهب شتى فى معنى هذه الكلمه،فقد قال ابن عباس ان معناها:إنّا لقادرون،و قيل:و إنّا لذو سعه،و قيل:و إنّا لموسعون الرزق على خلقنا،و قال الضحاك:اغنيناكم دليله: «عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ» و قيل:جعلنا بينها و بين الأرض سعه (۱).

و لعل هذا الاختلاف دليل صعوبه استيعاب ظاهر الآيه فى تلك البيئه العلميه التى كادت لا تعترف إلّا بالأرض و ما فوقها من أجرام علويه محدوده،و إنا لنجد مثل هذا الاختلاف فى كثير من الآيات التى تهدى الى حقيقه علميه كانت غامضه فى تلك الأيام.

علما بأن المعنى الظاهر للآيه هو:ان ربنا المقتدر يوسع بناء السماء دائما، و هذا ينسجم مع الحقائق العلميه التاليه:

۱/ان الأرض و سائر الكرات تمتص المواد الأثيريه المبثوثه فى الفضاء،كما لو كانت أجهزه تنظيف عملاقه تكنس الفضاء مما يسمح لها بالنمو دائما،و قد قالوا:

ان حجم المواد المبثوثه فى الفضاء هو بحجم الاجرام الموجوده الآن.أى أنها كافيه لتكون الماده الأوليه لخلق أجرام جديده بعدد و بفخامه الأجرام الموجوده و ربما أكثر.

۱- ۱) القرطبى/ج /۱۷ص ۵۲

/۲ان السماء فی حاله امتداد دائم و کأنها کانت فی یوم ما کره واحده، و حدث فیها انفجار عظیم قبل(۱۵)ملیارد سنه ثم بدأت تتمدد،و تتسع الفجوه بین أجرامها بصوره منتظمه و سریعه،و کما یقول جورج کاموف:ان الفضاء المحیط بنا الذی یتشکل من ملیارات المجرات هو فی امتداد سریع.و فی الحقیقه ان عالمنا لیس ساکنا،و ان انبساطه لأمر مؤکد.

و ان معرفه هذه الحقیقه هی مفتاح ألغاز العالم،إذ أن العالم لو کان فی حاله امتداد الآن فلا بد انه کان فی وضع انقباض و ترکیز شدید فی یوم من الأیام (۱).

و قد حدد بعضهم سرعه انبساط الاجرام،و تباعدها عن بعضها ب(۶۶)ألف کیلومتر فی الثانیه الواحده (۲).

و العجیب انها کلما ابتعدت عن بعضها ازدادت سرعتها کما قالوا.

الی أی مدی ستظل السماء تنبسط و تمتد و تتباعد أجرامها و أین ستقف و ما هی عاقبه أمرها؟ علم ذلک کله عند اللّه.إلاّ ان هذا التوسع العظیم لا یجری دون تدبیر و هیمنه من لدن سلطان العالم الذی یحفظ توازنه،و یدبر أموره(سبحانه).

/۳یری بعض علماء الفضاء:ان هناک أجراما سماویه تتکون مع الزمن،و قد اکتشفوا فی بعض زوایا هذا الفضاء الرحیب ما یبدو عندهم بدایات تکون الشموس التی تبدو أکثر لمعانا من الشموس الموجوده بکثیر.

۱- ۱) تفسیر نمونه/ج /۲۳ص /۳۷۴نقلا عن جورج کاموف فی کتابه خلقه العالم.

۲- ۲) المصدر/ص /۳۷۳نقلا عن فرد هویل.

إن ألغاز السموات لا تزال كثيره و لعل الإنسان يحل المزيد منها كلما تقدم فى صنع أدوات جديده لتصوير أجرام السماء،و تحليل الأشعه التى تصل منها،و ربما يعى الإنسان يومئذ أبعاد هذه الآيه و أمثالها بصوره أفضل.

۴/و يقول الأستاذ بيار روسو،فى كتابه المؤلف عام ۱۹۶۳(من الذره إلى النجم):إن المجرّات تقع فى تسلسل النظام الفلكى فوق النجوم،فالمجره مجتمع يتألف من مئات ملايين،أو مئات مليارات النجوم،أو قل بالأصح:عددا لا يمكن أن يحصى حتى بأضخم و أدق الكمبيوترات من النجوم.

و المجرّه التى نحن جزء منها تحتوى على ما لا يقلّ عن مائتى مليار نجم،يضاف إليها كتله من الماده المبعثره بين النجوم تتراوح بين ۳۰٪و ۴۰٪من الكتله العامه.

و نكتفى هنا بالقول:إن عدد المجرات لا يحصى كما يبدو ذلك فى الصور الفوتغرافيه المأخوذه بواسطه المقاريب الكبرى.

ثم يتحدث عن تكوّن النجوم من الغيوم(أى المواد ما بين النجوم):و وجود غيوم من الماده الكونيه يحمل على الإعتقاد بأن النجوم خرجت من الغيوم عند تكثفها تصبح نجوما،و ليست هذه الظاهره مجرد افتراض لأن الفلكيين عثروا فى السماء على تحول من هذا النوع تم خلال سنوات معدوده.

أما الآن فما يجب أن نحفظه من هذه النظره السريعه على العالم المجرىّ أمران:

الأول:هو أن النجوم لم تكن موجوده منذ الأزل لكنها نشأت عن الماده الكونيه فى أوقات معينه.

الثانى:انها لم تتكون جميعها فى آن واحد،و أنها تتابع تكونها فى أيامنا هذه،

و يعتقد الثقات من علماء الفلك: أن عمر النجوم يدور حول ۱۵ مليارد سنه.

و إذا حدّدنا عمر المجره بخمسه عشر مليارد سنه،فلا يعنى ذلك أن الكون محتوم بهذه البدايه،و نحن نعلم الآن أن الماده تتحول بلا انقطاع إلى طاقه(و بتعبير أصح إلى اشعاع)و فى داخل الظاهرات الهائله العاصفه فى الآفاق الفضائيه تعيد هذه الطاقه تكوين الماده بدون انقطاع،و إن كان سياق إعاده الخلق هذا فى غايه البطء.

[۴۸]كيف مهد اللّه الأرض لحياه البشر،كيف تحطمت الصخور التى تكونت أصلا منها حتى أضحت ترابا مرنا،يصنع منه المساكن،و يشق فيه الطرق،و يزرع فيه ما يشاء؟و لو كانت صلبه كصخور كوكب الزهره أو رخوه كتراب القمر هل كنا نرتاح عليها،و كيف أودع فى ضميرها ما نحتاج إليها من مواد تخصب زراعتنا،و تطهّر أجواءنا و تمتص ما يضربنا؟! وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ بلى.يا ربنا!أنت نعم الممهد و المهيئ للأرض لعيشنا سبحانك.

[۴۹]و بين السماء التى هى آيه قدره اللّه،و الأرض التى هى آيه رحمه اللّه نجد الأحياء و النباتات و الأشياء التى جعلها اللّه يكمل بعضها بعضا.فاذا كانت الأرض تكمل الشمس،و يكملها القمر،فان البحر يكمل فوائد البر،و هكذا السهل و الجبل،و الإنسان و سائر الأحياء،و كل أنواع النبات يكمل بعضها بعضا كما يكمل سائر المخلوقات.

وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ و تتجلى هذه الزوجيه فى أروع صورها بين الذكر و الأنثى، التى نراها فى الإنسان

و الحیوان و النبات،بل و فی کل شیء مخلوق حتی الذره المتناهیه فی الصغر تجد فیها الجانب المنفی(المتمثل فی الالکترون)و الجانب المثبت(المتمثل فی البرتون).

و هذا التکامل عنوان الحاجه المشترکه بین المخلوقات و التی هی بدورها تهدینا الی بصیرتین:

الف/الحاجه بذاتها نعمه،و التحسس بها وقود التحرک،و اشباعها لذه الوجود،فلو افترضنا حیاه بلا حاجه الی الطعام و الشراب و الراحه و الجنس فهل کانت لدینا رغبه فیها.انها أخت الموت،و کلما ازدادت،و اشتدت،و تنوعت الحاجه کلما ازدادت و تنوعت و اشتدت اللذه فی قضائها..أ لیس الشبع بعد الجوع، و الأمن بعد الخوف،و النکاح عند الشبق أشد لذه و أعظم؟! باء/التکامل و خصوصا بین الزوجین دلیلنا الی ربنا،لان کل شیء یحتاج الی غیره،فلا یتصور فیه الاستقلال و الالوهیه لشهاده کل محتاج انه فقیر محدود و مدبر، و ان له ربا غنیا،واسعا مدبرا.

ثم ان تدبیر التکامل،و تألیف التزاوج،و تنظیم شؤونهما دلیل الی المدبر المنظم سبحانه.

و هو فی الوقت ذاته شاهد علی أن المدبر غیر محتاج،و انه غیر محدود،و انه لا ندّ له و لا نظیر.

جاء فی الحدیث عن الامام الرضا(علیه السلام) :بتشعیره المشاعر عرف ألاّ مشعر له،و بتجهیره الجواهر عرف ألاّ جوهر له،و بمضادّته بین الأشیاء عرف ألاّ ضدّ له،و بمقارنته بین الأشیاء عرف ألاّ قرین له،ضادّ النور بالظلمه، و الیبس بالبلل،و الخشن باللین،و الصرد بالحرور،مؤلفا بین متعادیاتها،مفرقا بین

متدانیاتها،داله بتفریقها علی مفرقها،و بتألیفها علی مؤلفها،و ذلک قوله: «وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ» .ففرق بین قبل و بعد لیعلم ألاّ قبل له و لا بعد له،شاهده بغرائزها ألاّ غریزه لمغرزها،مخبره بتوقیتها ألاّ وقت لموقّتها،حجب بعضها عن بعض لیعلم ألاّ حجاب بینه و بین خلقه (۱).

لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ فتزدادون معرفه باللّه کلما أحسستم بالحاجه،و کلما قضیت لکم.حقّا إن معرفه اللّه هی الهدف الأسمی لخلقه العالم.أو لیست المعرفه هی السبیل الی التقرب الی اللّه،و الأنس بمناجاته،و الفلاح بذکره.

[۵۰]و لکن کیف نتسامی الی اللّه و قد أحاطت بنا عوامل النقص و العجز، فمن نفس أمّاره بالسوء تسول لنا الذنوب و تسوفنا التوبه،الی شیطان یغوینا یزین لنا الموبقات،و یملأ أفئدتنا بالتمنیات و الوساوس و الظنون،و الی طغاه الأرض الذین یضیقون علینا مذاهب الحیاه حتی نسلم لهم أمورنا،و نشرکهم فی دیننا و دنیانا،و الی مجتمع فاسد،و تربیه مفسده،و ثقافه ضاله..و..و.کل هذه العوامل تهبط بنا الی واد سحیق. فکیف نتسامی الی اللّه،و نحرز الفلاح؟! القرآن الکریم یجیب علی ذلک:

فَفِرُّوا إِلَی اللّهِ استعیذوا به من کل شر تذکروه،ناجوه،و اعتمدوا مناهجه التی أوحی بها، أطیعوا من أمرکم بطاعته، والوا من أمرکم بولایته.

۱- ۱) نور الثقلین/ج /۵ص ۱۳۰

و الادعیه المأثوره عن أهل بیت الرسول صلّی اللّه علیه و آله زاخره بمعانی الاستعاذه باللّه،و الالتجاء الیه،و الفرار من سخطه:و إلیک بعضا منها:

«الحمد للّه،و الحمد حقه،کما یستحقه،حمدا کثیرا،و أعوذ به من شر نفسی.إنّ النفس لأماره بالسوء إلّا ما رحم ربی،و أعوذ به من کل جبار فاجر، و سلطان جائر،و عدو قاهر.اللهم اجعلنی من جندک فان جندک هم الغالبون، و اجعلنی من حزبک فان حزبک هم المفلحون،و اجعلنی من أولیائک،فان أولیاءک لا خوف علیهم و لا هم یحزنون » (۱).

و نحن نفر الی اللّه و نستعیذ به لیس فقط من تلک العوامل،بل و أیضا من سخطه و عذابه کما

نقرأ فی دعاء سید النبیین محمّد(صلّی اللّه علیه و آله) :

«أعوذ بنور وجهک الذی أضاءت له السموات و الأرضون،و انکشفت له الظلمات،و صلح علیه أمر الأولین و الآخرین من فجاءه نقمتک،و من تحویل عافیتک،و من زوال نعمتک » (۲).

و نقرأ فی الدعاء المأثور عن الصادقین علیهما السلام :

«اللهم إنّی إلیک فقیر،و من عذابک خائف مستجیر.اللهم لا تبدّل اسمی، و لا تغیّر جسمی،و لا تجهد بلائی،و لا تشمت بی أعدائی،أعوذ بعفوک من عقابک،و أعوذ برحمتک من عذابک،و أعوذ برضاک من سخطک،و أعوذ بک منک،جل ثناؤک.أنت کما أثنیت علی نفسک،و فوق ما یقول القائلون » (۳).

إِنِّی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ مُبِینٌ

۱- ۱) مفاتیح الجنان/دعاء یوم الثلاثاء.

۲- ۲) مفاتیح الجنان/أعمال النصف من شعبان.

۳- ۳) المنتخب الحسنی/ص ۷۴۷

و هکذا فالإنسان بین خطرین:أحدهما یسیر و سریع الانقضاء،و الثانی عظیم دائم،فلینظر لنفسه کیف یختار؟فلو استسلم للضغوط،و أشرک باللّه فانه یتجنب الخطر الیسیر،و یحیق به الخطر الأکبر،بینما لو فر الی اللّه و استجار بذمامه المنیع فانه لیس فقط یتجنب الخطر العظیم المتمثل فی غضب اللّه الجبار،و عظیم عذابه،بل و یغیثه الرب و ینقذه من الخطر الآخر.

[۵۱]و هکذا بعث اللّه النذیر المبین لیدعوهم الی نفسه،و لیحذرهم من عاقبه التمرد علیه،و الإشراک به.

وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ فانه لا ینقذکم من أخطار الدنیا،و یسبب لکم غضب الرب و عذابه.

إِنِّی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ مُبِینٌ و کم تکون خساره الإنسان کبیره،و ندمه عظیما حینما تصم أذنه عن هذا النذیر المبین.

[۵۲]ما الذی جعل البشر یکفرون بهذا النذیر المبین،و یخسرون أنفسهم و إلی الأبد؟ إنه الطغیان الذی انطوت علیه أنفسهم،انها الذاتیه المقیته،لذلک تراهم یتّهمون النذیر بتهم متناقضه لکی یبرروا کفرهم به.

کَذلِکَ ما أَتَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ

[۵۳]کانت تلک تهمه هدفها الطغیان و الکفر،یکررها کلّ الکفار علی امتداد التاریخ،حتی لیخیل للإنسان ان بعضهم یوحی لبعض بذلک،بید أن الحقیقه اشتراکهم جمیعا فی تلک النفسیه الطاغیه التی تفرز مثل هذه التهم.

أَ تَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ ان ذات التهم التی افتراها قوم نوح قبل ألوف السنین ضد نبی اللّه العظیم (علیه السلام)نجدها الیوم مثلا علی السنه الذین یخالفون الدعاه الی اللّه،المنذرین الناس عذابه،ذلک أن أشیاء کثیره تتغیر فی حیاه البشر إلّا انها لا تمس جوهر وجوده،و الغرائز التی تنطوی علیها نفسه.

و هکذا ینبغی ألا ننزلق-نحن الذین نتلوا آیات القرآن-فی هذا الوادی فکلما دعانا الی الخیر داع،أو أنذرنا عن الشر منذر اتهمناه فی عقله أو فی نیته.

و لعل أخطر شر یجب أن نفرّ منه الی اللّه،و نجأر الیه لیخلصنا منه هو هذا الطغیان الذی تنطوی علیه أنفسنا(أعاذنا اللّه من شرورها).

[۵۴]و حین یبلّغ الرسول قومه الإنذار تتم الحجه علیهم،و تنتهی عندئذ مسئولیته،فلا یظن أحد أن الرسول یکون وکیلا عنه،و مسئولا عن هدایته بطریقه أو بأخری.کلا..انه لا یلام علی کفرهم بعد الإنذار المبین.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ [۵۵]بلی.المؤمنون یظلّون موضع رعایه و عنایه من لدن رسول اللّه،الذی لا ینی یذکّرهم بربهم،لأنهم یستفیدون من الذکری.

وَ ذَکِّرْ فَإِنَّ الذِّکْری تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِینَ

و قد روى عن أمير المؤمنين(عليه السلام)انه قال :

«لما نزل: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ) لم يبق أحد منا إلّا أيقن بالهلكه حين قيل للنبى (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) فلما نزل (وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) طابت أنفسنا » (۱).

[۵۶]ما هى الغايه الأسمى لخلق الجن و الانس؟الخليقه سخرت للإنسان، الشمس و القمر،و السحاب و الرياح،و السهل و الجبل،و الانعام و الطيور و الأسماك و..و..كلها مسخرات للإنسان.أو لا نتفكر هل الممكن أن تكون خلقه البشر بلا هدف؟ كل شىء يخدم هدفا،بل لكل جزيئه من جزيئات وجود كل شىء غايه.

أ فيمكن ألّا تكون لوجود الإنسان-سيد مخلوقات كوكبنا-أيه غايه؟! أو يتخذ رب السماوات و الأرض من الخلق لعبا-سبحانه-و هو الغنى الحميد،العليم الحكيم؟! تعالوا إذا نتفكر:هل خلق أى عضو من أعضاء أجسادنا عبثا،حتى و لو كانت قطعه من المصران،أو غدّه صغيره،أو حتى خليه واحده،و إذا كان الجواب بالنفى حسب كل معلومات الطب و الفسلجه،فكيف يكون مجمل خلق الإنسان بلا هدف؟! فما هو الهدف اذن؟ أو يكفى ان نجعل الهدف الطعام و الشراب.دعنا نستنطق عقولنا،و وجدان

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵-ص ۱۳۲

قلوبنا؟!أو نقتنع من أنفسنا أن نأكل،و نشرب،و نتمتع.أو لأنا نجد فراغا كبيرا لا بد أن نملأه بغير اللذات العاجله.

اننا نسعى جميعا نحو العلم و الفضيله،و نعطى لهما قيمه أسمى من قيمه الثروه و القوه،و نتساءل:ما هى أعلى درجات العلم؟أو ليست معرفه اللّه الذى نعرف به حقيقه أنفسنا،و الواقع المحيط بنا.فمن دون معرفه اللّه تبقى كل الأسئله حائره.

كذلك أسمى درجات الفضيله تقوى اللّه،و ابتغاء مرضاته،و القرب منه.

و تتلخص معرفه اللّه و تقواه فى كلمه العباده،التى يجعلها القرآن الكريم غايه خلقه البشر فيقول:

وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ فما هى العباده؟قالوا:أصل العبوديه الخضوع و الذل،و التعبيد:التذليل، يقال:طريق معبّد (۱)،و يبدو لى أن أصل معنى العبوديه ليس التذلل و الخضوع -كما قالوا-بالرغم من أن ذلك من لوازمها،بل صلاح الشىء بحيث يكون مهيأ للاستفاده أو بتعبير آخر:عدم وجود ما يمنع الانتفاع منه،و لذلك قيل سفينه معبّده و و انما سمى الطريق معبّدا لأنه خال من الثغرات و العثرات،و الا فان كل الطرق و كل الاراضى خاضعه و ذليله،فلما ذا لا تسمى بالمعبده؟و إنما سمى الرقيق عبدا لأنه لا يمتنع عن طاعه مولاه،و هكذا يكون أصل الكلمه الطاعه و التسليم.

فما معنى عباده اللّه و ما هى أبعادها؟هنالك حقائق لا بد أن نعرفها لكى نعرف شيئا عن عباده اللّه:

۱- ۱) القرطبى/ج ۱۷-ص ۵۶.

أولا:أولئك الذين يخضعون لغير اللّه،و يتخذون أهواءهم إلههم من دون اللّه، أو يعبدون الطغاه و المترفين،أو يقدسون التراث و التقاليد انهم بعيدون عن هدف الخلق،لأن عباده اللّه تعنى تحرير الإنسان من الشركاء من دونه،و لعل الآيه التاليه تشير الى ذلك:

«أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ إِنَّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً» (۱)،و قال سبحانه: «يا أَيُّهَا النّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ فَأَنّى تُؤْفَكُونَ» (۲).

و جاء فى الحديث المأثور عن الامام الصادق عليه السلام: «إن اللّه عز و جل ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه،فاذا عرفوه عبدوه،فاذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عباده من سواه»فقال له رجل:يا ابن رسول اللّه!بابى أنت و أمى فما معرفه اللّه؟ قال:«معرفه أهل كل زمان إمامهم الذى تجب عليهم طاعته » (۳).

و حسب هذا الحديث يكون تحرّر الإنسان عن عباده غير اللّه الغايه الأسمى للخلق،كذلك نجد توحيد اللّه المحور الرئيسى لكل سور الذكر و آياته.

ثانيا:ان عباده اللّه لا تتم إلاّ بمعرفته،و ان معرفته لا تكتمل إلاّ بعبادته،لأن فى معرفته التزلف إليه،و التقرب من رضاه،و لذلك جعلت معرفه اللّه أو معرفه آياته هدفا من أهداف الخلق حسبما قرأنا فى النص السابق و نقرؤه فى قوله سبحانه: «اللّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً» (۴).

۱- ۱) الكهف۱۰۲/

۲- ۲) فاطر۳/

۳- ۳) عن علل الشرائع/تفسير البصائر/ج ۴۱/ص ۱۳۴

۴- ۴) الطلاق۱۲/

و لکن کیف یمکن بلوغ کمال المعرفه الالهیه،من دون التسلیم له،و طاعته، و عبادته، علما بأن معرفته لا تکون إلّا به،و کیف یکون غیره دالا علیه،و بنوره أشرقت السموات و الأرض،أو یکون لغیره من الظهور ما لیس له حتی یکون هو المظهر له سبحانه؟! و هو لا یمنح معرفته إلّا لمن سلم له،و عبده وحده،و هکذا تکون العباده هدفا للخلق لأنها السبیل الی المعرفه.

ثالثا:هل یمکن أن یبلغ الإنسان الفلاح فی الدنیا و الآخره من دون شریعه واضحه یسیر علیها،و هل یمکن تطبیق الشریعه بغیر الایمان باللّه،و التسلیم لأوامره، و هل یمکن تطهیر القلب من أدرانه،و تحریره من أغلاله بغیر معرفه اللّه،التی تجعل النفوس فی رحاب قدسه،بعیده عن الأنانیه و الشح،و الغضب،و نائره الشهوات؟! کلا..إن معرفه اللّه،و التسلیم له هما السبیل الی طرد جنود الشیطان من القلب، و تنظیفه من وساوسه،و ظنونه،و أمانیه،و تخلّقه بأخلاق الرب،و تأدیبه بآدابه الساميه من الکرم،و الإیثار،و الإحسان،و التقوی،وحب الخیر و اهله،لذلک نجد فی آیات الذکر ما یوحی بأن هدف الخلق هو الخلق الرفیع.لنقرأ الآیات التالیه:

فی تسع آیات قرآنیه جعل اللّه الشکر هدفا لنعمه الخلق أو سائر النعم کقوله سبحانه:

«وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ» (۱).

«لِتَجْرِیَ الْفُلْکُ فِیهِ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ» (۲).

۱- ۱) النحل۷۸/.

۲- ۲) الجاثیه۱۲/

كما جعلت التذكره غايه الخلق فی قوله سبحانه فی هذه السوره:

«وَ مِنْ كُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (۱).

و هكذا جعل التعقل هدفا فی قوله سبحانه:

«وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّی وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (۲).

كما جعل الابتلاء هدفا أساسيا للخلق فی آيات عديده كقوله سبحانه:

«الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاهَ لِیَبْلُوَكُمْ أَیُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» (۳).

و الامتحان بدوره سبيل لتكامل الإنسان،و تطهيره من الجوانب السلبيه التی فيه.

التكامل..الهدف الأسمی

من خلال البصائر التی ذكرت نعرف:أن تسامی الإنسان فی معارج القرب من اللّه سبحانه هو الهدف الأسمی لخلقه،و يتمثل ذلك فی تحريره من نير العبوديات،و تطهير قلبه من غلّ الهوی و الشهوات،و تساميه فی مدارج المعرفه باللّه سبحانه،و التقرب إليه بالصالحات.

و إذا تسامی الإنسان الی حيث القرب من اللّه فان رضوان اللّه و غفرانه و رحماته و سائر نعمائه و آلائه يكون كل ذلك قد سبقته هناك لتشمله،و من هو أولی من اللّه بأن يقری عبده الذی حل بجنابه ضيفا،و من هنا جعلت الرحمه هدفا للخلق فی آيه

۱- ۱) الذاريات۴۹/

۲- ۲) غافر۶۷/

۳- ۳) الملك۲/

كريمه حيث يقول سبحانه:

«وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ» (۱).

[۵۷]و لكن الغايه التى نتحدث عنها ليست بمعنى العلّه التى لدينا فنحن إذا فعلنا شيئا فلا بد من علّه تدفعنا إليه،و غايه نسعى إليها.فالعطش عله الشرب، و الجوع عله الاكل،و الرقه عله العطف،أما الارواء و الشبع و الإحسان فهى أهداف و غايات.

و تعالى اللّه عن أن يكون لفعله سبب يدفعه،و عله تجأره،و تجبره.إنه الغنىّ الحميد،عطاؤه محض رحمه منه،و فضله محض إراده،لا يبرمه إلحاح الملحين،و كما

جاء فى الدعاء:

«تقدس رضاك أن تكون له عله منك فكيف تكون له عله منى.إلهى أنت الغنى بذاتك أن يصل إليك النفع منك،فكيف لا تكون غنيّا عنى » (۲).

و ان اللام الذى جىء بها فى سياق بيان الهدف من الخلق «لِيَعْبُدُونِ» ليس بمعنى:أن اللّه سبحانه سعى نحو هذه الغايه بهذه الوسيله-و هو الغنى بذاته-و انما بمعنى:أنه قدّر و قضى ليكون ذلك وسيلتنا اليه،و طريق سعينا ابتغاء مرضاته، و مدارج كمالنا فى وجودنا،كما أن الطهاره غايه الوضوء،و ذكر اللّه هدف الصلاه،و التقوى نتيجه الصيام،فان العباده غايه الخلق و محتوى ما أمر الإسلام به من واجبات.

۱- ۱) هود۱۱۸/-۱۱۹

۲- ۲) دعاء عرفه للإمام الحسين(عليه السلام)/المنتخب الحسنى/ص ۹۲۵.

و لعله لذلک أکد ربنا علی أنه غنی بذاته عن خلقه،و عن أی فعل یمارسونه فقال سبحانه:

مٰا أُرِیدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مٰا أُرِیدُ أَنْ یُطْعِمُونِ فلا یتصور أی فائده تصل الی اللّه-سبحانه-من خلال خلقه،و حتی ما قیل (بأن اللّه سبحانه کان کنزا مخفیا،فأراد أن یعرف)لم أجد مصدره و حتی لو کان لهذه الکلمه مصدر موثوق فان علینا تأویله بما لا یتنافی و نص الآیه الکریمه،و حکم العقل بأن اللّه لا تصل الیه منفعه من لدن خلقه و الظهور بعد الخفاء نوع من المنفعه، و لذلک

نقرأ فی الدعاء المأثور:

«کیف یستدل علیک بما هو فی وجوده مفتقر إلیک،أ یکون لغیرک من الظهور ما لیس لک حتی یکون هو المظهر لک متی غبت حتی تحتاج الی دلیل یدل علیک » (۱).

و یبدو أن الفارق بین الرزق و الإطعام هو أن الرزق یستمر،بینما قد یکون الطعام مره واحده،و قد لوحظ فی کل منهما معنی الاستفاده و المنفعه،و کأن المرزوق یعتمد فی بقائه علی الرزق أو الطعام الذی هو مفرده من مفردات الرزق.

[۵۸]و کیف یحتاج الی الرزق من یعتمد علیه الخلائق جمیعا فی حیاتهم،فلو لا دوام فضله،و تواتر نعمه،و تواصل رزقه لم یبق شیء مخلوق.

إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزّٰاقُ و الرزاق لا یکون مرزوقا.

۱- ۱) المصدر۹۲۴/

ذُو الْقُوَّهِ الْمَتِينُ فلا ضعف فيه حتى يحتاج الى الطعام،و لا نقص حتى يحتاج الى إتمام،و قوته ليست عرضيه بل هو متين شديد،فهو سبحانه لا يغلب و لا تلحقه مشقّه فى أفعاله أو رهق.

و ربما تدل الآيه على أن رزق اللّه-سبحانه-يتوالى على عباده بعبادتهم، و كذلك قال ربنا سبحانه على لسان نبيه الكريم نوح-عليه السلام-: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً* يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً* وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً» (۱).

[۵۹]و لتبقى مصائر الغابرين عبره للأجيال،و لا بد أن نعرف أنّها خاضعه لسنّه إلهيه لا تتبدل و لا تتغير،فلقد أهلك الظالمين لظلمهم،و سوف يهلك من سار على دربهم عاجلا أو آجلا.

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ و ما لهم يستعجلون اللّه و رسوله فى عذاب يصيبهم،تقدم أو تأخر و هل يستعجل أحد هلاكه؟! قالوا:الذّنوب:الفرس ذو الذنب الطويل،و سمى به الدلو الكبير الذى يربط فى نهايته الحبل لتسهيل عمليه التفريغ،و يبدو ان العرب كانوا يتعاونون فى نزح مثل هذا الدلو على أن يكون كل ذنوب لطائفه منهم و أنشدوا:

۱- ۱) نوح ۱۰/-۱۲

لكم ذنوب و لنا ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب

و هكذا استخدمت الكلمه بمعنى النصيب،و لعله النصيب الذى يشترك فيه طائفه من الناس،فيكون معنى الآيه:إن لهم نصيبا من الذنوب يصيبهم بعد نصيب السابقين.أى ان لهم دورهم فلينتظروا و لا يستعجلوا،كما أن لكل قوم دورهم فى تقسيم الماء ذنوبا لهؤلاء و ذنوبا لأولئك على الترتيب.

و قال بعضهم:باعتبار أن الذنوب هو فى الأصل الدلو الذى يصب فان العذاب يصب عليهم صبا.

و يبقى سؤال:لماذا استخدمت كلمه الظلم فيهم مع انهم كانوا كافرين؟ يبدو ان الظلم أعم من الكفر و الشرك،يشملهما،و يتسع لغيرهما فيكون المعنى:ان عاقبه الظلم سواء كان بدرجه الكفر و الشرك أو أقل منهما و خيمه،تستنزل النقمه على صاحبه.

[۶۰]أما الكفّار فلهم الويل فى يوم الوعيد الصادق،الذى أنذروا به فى فاتحه السوره.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ انهم هالكون فى ذلك اليوم و لا يأسف لمهلكهم أحد أبدا،انما تلحقهم اللعنه لأنهم مسئولون عن هلاكهم.

و فى نهايه تلاوتنا لسوره«الذاريات»نستعيذ باللّه من كل شر،و نفر الى جنابه من كل خوف،و نبتهل اليه ضارعين:

«اللهم انى أسألك من كلّ خير أحاط به علمك،و أعوذ بك من كلّ شر

أحاط به علمک.اللهم إنی أسألک عافیتک فی أموری کلّها،و أعوذ بک من خزی الدنیا و عذاب الآخره » (۱).

۱- ۱) المنتخب الحسنی/ص ۱۰۵.

سوره الطور

اشاره

ص:۸۱

بسم الله الرحمن الرحیم

فضل السوره:

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناد،عن أبی عبد اللّه و أبی جعفر (علیهما السلام)قالا :«من قرأ سوره(الطور)جمع له خیر الدنیا و الآخره».

تفسیر نور الثقلین/ج /۵ص ۱۳۵

ص:۸۳

الإطار العام

قسما بالطّور،و الكتاب المسطور.قسما بالبيت المعمور،و بالسقف المرفوع.

قسما بالبحر المسجور:إن عذاب اللّه حق،و إنّه واقع بالتأكيد.

بهذه الكلمات الصاعقه تفتتح السوره التى جاءت لشفاء الإنسان من مرض الجدل،و ما أكثره جدلا!متى يصدق بهذه الحقائق.أفى يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً، وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً ،و هل ينفعه التصديق يومئذ حيث يصب الويل للمكذبين؟ إنهم لم يكونوا يأبهون بالنذر،كانوا سادرين فى لعبهم،فهل لهم أن يستمروا كذلك يوم يدعون الى نار جهنم دعّا،و هل لهم أن يكذبوا بنارها التى تتّقد أمامهم؟! أم يقولون يومئذ:انها خيال و سحر زائف؟!ليس المهم ما يقولون،و لا أنهم يصبرون يومئذ على النار أم لا يصبرون،لأنهم مواقعوا النار يصلون لهيبها بما كانوا يعملون.

ص:٨٥

هکـذا تتواصل الآیات تستریـح من نفس الإنسان حالات الجدل و اللعب و التهرب من الحقائق بالاعذار التافهه،و لکی لا یستریح الإنسان إلی الرخاء الظاهر و الأمن الموقّت الـذی یعیشه الیوم لا بد أن یتحسـس ذلک الیوم الذی یهتز فیه کل شـیء،من السـماء التی کانت سقفا محفوظا،إلی الجبال التی کانت رکنا شدیدا.

ثـم یرسـم السـیاق لـوحه بـارعه الجمـال تتجلی فیهـا صـوره أهـل الجنـه و هـم یتنعمـون فی جنـات واسـعه،بعیـدین عـن عـذاب الجحیم،یـأکلون و یشـربون بمـا عملوا من الصالحـات فی حیـاتهم الـدنیا،و قـد استراحوا علی سـرر مصـفوفه،و زوجهم اللّه بحور عیـن،و حـولهم الصـالحون مـن ذریتهم،و وفر اللّه لهم النعم من الفـاکهه و اللحم و الکـأس الکریم،و یتـذاکرون نعم اللّه علیهم أ فلیس قد کانوا مشفقین فی أهلهم، وجلین من عذاب جهنم،فقد وقاهم ربهم بمنه عذاب السموم.

و بعـد أن نشاهد هذه اللوحه التی تثیر اشتیاق النفوس الکریمه یتناول السیاق ما یبدو انه الموضوع الرئیسـی للسوره،و هو معالجه حاله الجـدل فی الحقائق الواضـحه، و ذلک بتسـفیه الاعـذار التی یتشـبّث بها الإنسان للتهرب عن قبول الحق،و هی مظاهر مرض الجـدل الخطیر..لقـد قـالوا:إنّ الرسول کـاهن أو مجنون،و قـالوا بـل هو شـاعر فـإذا مات انتهت دعوته،و قالوا انه افتراه..کل تلک الدعایات تتلاشی حینما یضعها الإنسان فی إطار الحقائق الکبری،و یتصور نعم اللّه التی یسبغها علیه (من اَلطُّورِ وَ کِتابٍ مَسْطُورٍ وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ و..و..)و عنـد مـا یتحسـس یوم القیـامه عنـد مـا تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً، وَ تَسِیرُ الْجِبالُ سَیْراً ،کـذلک تتلاشـی أفکار مشابهه مثل التفکیر فی عدم الحاجه إلی البارئ.

و یتسـاءل السـیاق:إذا هـل هم خلقوا أنفسـهم؟أم أنهم خلقوا من غیر شـیء؟ و من الـذی خلق السـموات و الأرض؟کلاّ. بَلْ لا یُوقِنُونَ ،و هذه هی مشکلتهم

الأولى.و من يريد الفرار من الحقيقه الواضحه لا يجد أمامه سوى هذه الخرافات.

و يمضى الذكر الحكيم فى بيان ضلالاتهم و تفنيدها:فمن يا ترى يسيطر على خزائن السموات و الأرض؟ثم يقولون:ان للّه البنات فهل لهم البنون و للّه ما يعتبرونه الأدنى أى البنات!ما لهم كيف يحكمون؟! أم تراهم يخشون من دفع غرامه إن هم آمنوا.أو يطالبوا بأجر.أم أنهم يعلمون الغيب بوضوح فيعتمدون عليه فى تخرصاتهم.؟ و بهذه التساؤلات الحاده المتتاليه يستثير القرآن عقولهم و وجدان ضمائرهم حتى يروا بطلان تلك الأفكار بأنفسهم.

ثم يقول: «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً» ،و يبدو أن هذا هو جواب التساؤلات، و لكن،يعلموا أنهم هم المكيدون،و أنّه لا إله إلاّ اللّه الواحد لا شريك له،و لا علاج لمثل هؤلاء إلاّ عند ما يرون العذاب فيقولون سحاب مركوم،فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون.

و بعد أن يذكّر القرآن أولئك الكفّار بأنّ عذاب الدنيا نذير لعذاب الآخره يأمر الرسول و المؤمنين بالصبر لحكم اللّه فإنّه و هم فى رعايه ربّ العزه،و يأمره و إياهم بالتسبيح ليلا و عند الأسحار.

سوره الطّور

[سوره الطور (۵۲): الآیات ۱ الی ۲۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . وَ اَلطُّورِ (۱) وَ كِتٰابٍ مَسْطُورٍ (۲) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (۳) وَ اَلْبَيْتِ اَلْمَعْمُورِ (۴) وَ اَلسَّقْفِ اَلْمَرْفُوعِ (۵) وَ اَلْبَحْرِ اَلْمَسْجُورِ (۶) إِنَّ عَذٰابَ رَبِّكَ لَوٰاقِعٌ (۷) مٰا لَهُ مِنْ دٰافِعٍ (۸) يَوْمَ تَمُورُ اَلسَّمٰاءُ مَوْراً (۹) وَ تَسِيرُ اَلْجِبٰالُ سَيْراً (۱۰) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۱۱) اَلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (۱۲) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلىٰ نٰارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (۱۳) هٰذِهِ اَلنّٰارُ اَلَّتِي كُنْتُمْ بِهٰا تُكَذِّبُونَ (۱۴) أَ فَسِحْرٌ هٰذٰا أَمْ أَنْتُمْ لاٰ تُبْصِرُونَ (۱۵) اِصْلَوْهٰا فَاصْبِرُوا أَوْ لاٰ تَصْبِرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۶) إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَ نَعِيمٍ (۱۷) فٰاكِهِينَ بِمٰا آتٰاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ عَذٰابَ اَلْجَحِيمِ (۱۸) كُلُوا وَ اِشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۹) مُتَّكِئِينَ عَلىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْنٰاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (۲۰) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ اِتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمٰانٍ أَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مٰا أَلَتْنٰاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ اِمْرِئٍ بِمٰا كَسَبَ رَهِينٌ (۲۱) وَ أَمْدَدْنٰاهُمْ بِفٰاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمّٰا يَشْتَهُونَ (۲۲) يَتَنٰازَعُونَ فِيهٰا كَأْساً لاٰ لَغْوٌ فِيهٰا وَ لاٰ تَأْثِيمٌ (۲۳) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمٰانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (۲۴) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ (۲۵) قٰالُوا إِنّٰا كُنّٰا قَبْلُ فِي أَهْلِنٰا مُشْفِقِينَ (۲۶) فَمَنَّ اَللّٰهُ عَلَيْنٰا وَ وَقٰانٰا عَذٰابَ اَلسَّمُومِ (۲۷) إِنّٰا كُنّٰا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ اَلْبَرُّ اَلرَّحِيمُ (۲۸)

اللغه

۱[و الطور]:الطور هو جبل سيناء،و قيل:هو جبل بمدين.

۳[رقّ]:الرق هو الجلد الرقيق المدبوغ.

۴[البيت المعمور]:قيل:انه بيت اللّه الحرام،،و قيل:انه الضراح فى السماء الرابعه،و قيل السابعه،و هو بيت يلى البيت الحرام فوقه.

۵[السّقف المرفوع]:السماء.

۹[تمور مورا]:المور الاضطراب:و هو تردد الشيء جيئه و ذهابا.

۱۳[یدعّون]:الدّع الدفع بعنف و قوه.

۲۱[و ما ألتناهم]:ما أنقصناهم.

۲۳[یتنازعون]:یتعاطون،و قیل:علی سبیل المزاح و المفاکهه.

ص:۹۰

۲۶۶[مشفقین]:خائفین من العذاب،إذ من لا خوف له لا یعمل صالحا إلّا فی الأندر النادر.

۲۷[عذاب السموم]أی النار النافذه فی المسام و ثقب الجسد.

ص:۹۱

إِنَّ عَذَابَ رَبِّکَ لَوَاقِعٌ

بينات من الآيات:

[۶-۱]للقسم الذى يرد فى القرآن،و يتركّز فى السور المكيه التى تعالج أكثر ما تعالج عقائد الإنسان،عدّه أهداف،أبرزها:

۱-الربط بين العقيده التى يدعو اللّه الناس إليها و بين حقائق العالم، و أصل القسم هو إبداء الصله بين شيئين،فالحلف باللّه على فعل أمر أو عدم فعله، صدقه أو كذبه،هدفه الربط بين عقيده الإنسان بالرب و بين ذلك الأمر لاقناعه به.أمّا القرآن ففيه نوع من التجاوز لهذه القاعده،لأنّ كلام اللّه لا يحتاج إلى إثبات من خارجه،و إنّما الهدف من القسم فيه هو بيان الصله بين الغيب و الشهود،بين ما يجهله البشر من حقائق الخلق و بين ما هو ظاهر منها.

يقول تعالى: «وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشى* وَ النَّهارِ إِذا تَجَلّى* وَ ما خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى* إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى» (۱)و قال:

۱- ۱) الليل/(۱-۴).

«وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها* وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها* وَ النَّهارِ إِذا جَلّاها* وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها* وَ السَّماءِ وَ ما بَناها* وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها* وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها* وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها» (۱)و قال: «وَ الضُّحى* وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى* ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى* وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى* وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى» (۲)ففی المثال الأوّل یربط القرآن بین اللیل حین یلفّ الدنیا بظلامه،و النهار عند ما یظهر ظهورا تامّا بأنواره،و ما بینهما من اختلاف نجده بصوره أخری عند الذکر و الأنثی،و بین اختلاف السعی و المذاهب عند الناس..و فی المثال الثانی یربط بین عظمه الشمس و القمر،و اللیل و النهار،و السماء و الأرض،و النفس و طبیعتها،و بین فلاح من یزکّیها و خیبه الذی یغمسها فی رواسب الذنوب و الانحراف..و فی المثال الثالث نجد ربطا بین الضحی بإشراقه الذی هو وقت الحرکه و النشاط،و اللیل الذی هو وقت الراحه و السبات،و بین الحقائق التالیه:أنّ الوحی لم ینقطع عن النبی،و أنّ الآخره أفضل من الدنیا،و أنّ عطاء اللّه یعوّض للإنسان متاعبه و تضحیاته و أکثر من ذلک حتی یرضی به.

و عند التدقیق فی الأمثله المتقدمه نجد أنّ المقسم به یمثّل الشهود(الجانب الظاهر من الحقائق)بینما المقسم علیه یمثّل الغیب(الحقائق الخافیه أو المعنویه)،و الصله بین الاثنین قائمه فی عالم التحقیق،و لکنّنا ربما جهلناها أو غفلنا عنها،فتأتی الآیات لتوضّحها و تذکّرنا بها،و هذا ما نجده فی سائر آیات القرآن.

۲-و فی القسم القرآنی علاج لغرور البشر،لیخرج من کبره و قوقعه ذاته الی رحاب الحقائق،ذلک أنّ القسم ینطوی علی تذکیره بما حوله من مخلوقات عظیمه، کالبحار التی هی أعمق منه،و السماء التی هی أوسع منه،و الجبال التی هی

۱- ۱) الشمس/(۱-۴).

۲- ۲) الضحی/(۱-۵).

أطول و أضخم من جسمه،و هذا التوجيه و الألفات إلى الحقائق التى تلتقى كلّها عند التذكير باللّه،لا شك أنّه سوف يحدث فى نفسه انبهارا إيجابيّا بعظمه الخالق ممّا يقوده إلى التسليم إليه..و القرآن يصرّح بهدف تحطيم كبرياء الإنسان من وراء ذلك عند ما يقول: «وَ لا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً» (۱).

۳-كما تبيّن الآيات من خلال القسم فى كثير من موارده حسن التدبير و سلامه الصنع فى الخلق،و بالتالى دلاله ذلك على هدفيه الحياه،هذه الحقيقه التى ينبغى للإنسان إدراكها،و تكييف تفكيره و سلوكه وفقها،فهل يعقل أن تكون مفردات الحياه(الجبل،و الكتاب،و الجلد الذى يسطّر عليه،و بيت العباده، و السماء،و البحر)كلّها ذات حكمه و هدف إلاّ الإنسان حتى يخوض و يلعب؟! كلاّ..إنّه الآخر خلق لهدف فلا بد أن يتعرّف عليه،و يسعى لتحقيقه،و إلاّ راح طعمه لنار جهنّم تقع به ألوان من العذاب لا يدفعها عنه شىء.

وَ الطُّورِ قسما بالجبل و ما يمثّله من مظاهر قدره اللّه و حكمته،و أىّ جبل هو طور فى اللغه،و لكن أبرز الجبال و أعظمها و التى يتوجّه لها هذا القسم بصوره خاصه هو طور سيناء الذى تلقّى النبى موسى عليه السلام عنده الوحى،و الذى نتقه اللّه و رفعه على رؤوس بنى إسرائيل حينما عصوا الرسول،و كذلك جبال مكّه التى تلقّى فيها نبينا محمد صلى الله عليه و آله الوحى عند غار حراء،فذكر الطور إذن يذكّر المؤمنين بآيات و جوانب كثيره من قصه رساله إلهيه عظيمه..لهذا نجد ذكره يقترن بذكر الكتاب الذى

۱- ۱) الإسراء/(۳۷).

أنزل على جنباته،لذلك يقسم الربّ مباشره بالكتاب فيقول:

وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ و هذا التلازم نجده

فى دعاء لفاطمه عن أبيها(صلوات اللّه عليهما و آلهما)فيه:

«الحمد للّه الذى خلق النور،و أنزل النور على الطور فى كِتابٍ مَسْطُورٍ، فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ ،بقدر مقدور،على نبىّ محبور » (۱).

و لأنّ الكتاب بذاته لا يتم به النفع مهما بلغ من الكمال إذا كان معطّلا و مطويّا جاء القسم به حال كونه منشورا يرى ما فيه من الآيات.

فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ و الرق هو الجلد الرفيق اللامع،يقال ترقرق الشىء إذا لمع،و هو أفضل ما يكتب عليه من الجلد.

ثم يقسم اللّه بالبيت الذى يعمر بالعباده كما يريدها أو بالبناء فيقول:

وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ و من أبرز تجلّيات هذه الآيه بيت العصمه و النبوّه الذى قال عنه تعالى: «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ* رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقَامِ الصَّلاهِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاهِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ» (۲)و الذى قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (۳)و هكذا بيوت العلم و العباده،و أبرزها الكعبه

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۵)ص(۱۳۶).

۲- ۲) النور/(۳۶-۳۷).

۳- ۳) الأحزاب/(۳۳).

المطهّره،و قیل انّه بیت فی السماء،و لا تناقض بین القولین،فالکعبه هی تجلّ دنیوی ظاهر لذلک البیت،و انعکاس له فی الأرض.

روی عن الامام الباقر-علیه السلام-أنّه قال :«إنّ اللّه وضع تحت العرش أربع أساطین،و سمّاهنّ الضراح،و هو(البیت)المعمور،و قال للملائکه:طوفوا به،ثم بعث ملائکته فقال:ابنوا فی الأرض بیتا بمثاله و قدره،و أمر فی الأرض أن یطوفوا بالبیت » (۱).

و فی روایه أخری عن النبی صلی الله علیه و آله قال :«البیت المعمور الذی فی السماء الدنیا یقال له الضراح،و هو بفناء البیت الحرام لو سقط لسقط علیه،یدخله کلّ یوم ألف ملک لا یعودون فیه أبدا » (۲).

و فی روایه عن أبی عبد اللّه علیه السلام فی حدیث المعراج قال :«فلمّا فرغ مناجاته ردّ الی البیت المعمور،و هو فی السماء السابعه بحذاء الکعبه » (۳).

و یضیف القرآن قسما آخرا فیقول:

وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ فما هو السقف،و ما هی دلالته؟ قد تصدق هذه الکلمه علی سقف البیت أو المسجد،إلّا أنّ أظهر المصادیق و الذی وردت فیه الأدلّه هو السماء،قال تعالی:

۱- ۱) نور الثقلین/ج(۵)-ص(۱۳۶).

۲- ۲) المصدر.

۳- ۳) المصدر.

«وَ جَعَلْنَا السَّمٰاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آيٰاتِهٰا مُعْرِضُونَ» (۱)

و عن الصادق علیه السلام :«فخلق السماء سقفا مرفوعا و لولا ذلک لأظلم علی خلقه،بقربها،و لا حرقتهم الشمس بدؤبها و حرارتها » (۲)و قد أیّد صاحب المجمع(ر ض)ذلک عن علی علیه السلام (۳)، و فی السقف دلاله علی السلام و الأمن.

و قد یکون من المصادیق الظاهره و القریبه للکلمه طبقه الغلاف الجوی المحیطه بالأرض،حیث تصدّ النیازک و الشهب عن الوصول الی الأرض،کما تمتصّ و تحجب کمیّات من الوحدات الحراریه و الضوئیه الساقطه علی الأرض من الشمس و غیرها،و التی من شأنها لو سقطت بکلّها أن تضر بالحیاه علیها.

وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ قیل:یسجر یوم القیامه (۴)،یدلّ علیه قوله تعالی: «وَ إِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ» (۵)أی صیّرت محمیه کالنار و التّنور،و یبدو لی أنّ المسجور الممتلئ و المتلاطم الموج، و هکذا فی المنجد قال:سجّر التّنور:ملأه وقودا و أحماه،و الماء النهر ملأه،و البحر فاض،و سجّر البحر هاج و ارتفعت أمواجه (۶).

و العلاقه بین هذه الأشیاء التی أقسم بها الربّ قد تکون علاقه المعنی بالماده، و المدنیه المادیه بحضاره القیم،فلو أخذنا ریشه،و حاولنا رسم صوره أو تصوّر عن مجموع ما ذکر لکان التالی:جبال عمران مدنی السماء البحار(ذات الأثر

۱- ۱) الأنبیاء/(۳۲).

۲- ۲) نور الثقلین/ج(۵)-ص(۱۳۸).

۳- ۳) مجمع البیان/ج(۹)-ص(۱۶۳).

۴- ۴) نور الثقلین/ج(۵)-ص(۱۳۸)عن تفسیر علی بن إبراهیم.

۵- ۵) التکویر/(۶).

۶- ۶) المنجد/باب سجر.

الكبير فی تحضّر الشعوب)ذلک المجتمع الذی تحکمه رساله اللّه(الکتاب)، و هذه هی معالم الحضاره الأساسیه.

[۸-۷]و من الغلط أن یعتمد الإنسان علی نعم اللّه،و یسخّرها دون أن یحسب حسابا للعذاب فیضلّ أو یتعاطاها بعیدا عن بصیره الایمان،إنّما ینبغی أن یکون من العقلاء، «الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللَّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَکَ فَقِنا عَذابَ النّارِ» ،و هکذا من التعرّف علی هدفیه کلّ شیء حوله یهتدی إلی هدفه فی الحیاه فیسعی له،و من الشهود الذی یراه و یتحسسه ینفذ ببصیرته إلی الإیمان بالغیب..و من هنا تکون العلاقه واضحه و وثیقه بین ما تقدّم من الآیات و هذا التأکید علی العذاب.

إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ لَواقِعٌ و یبدو أنّ المقصود بالعذاب هو المعنی الشامل کما فی الدنیا و ما فی الآخره یدل علیه قوله فی آخر هذه السوره:« وَ إِنَّ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا عَذاباً دُونَ ذلِکَ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ »ذلک أنّ عذاب الدنیا نفحه من عذاب الآخره،و دلیل علیه،و نذیر ملموس من نذره.

و الوقوع هنا لیس بمعنی الحدوث،بل بمعنی التحقّق و الواقعیه،فکما أنّ الجبال و الکتب و البیت و السماء و البحار کلّها حقائق لا یشک الإنسان فی وجودها،فإنّ عذاب اللّه هو الآخر واقع حق،یراه المخلصون بالیقین و بالآیات و الإشارات الدالّه علیه فی الدنیا،فیعملون علی تجنّبه،و یقیهم اللّه منه« وَ وَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِیمِ » (۱)،بینما یعمی عنه الآخرون،فیتخذون الحیاه خوضا و لعبا،فیقعون فی

۱- ۱) الطور/(۱۸).

العذاب دنيا و آخره، و لا يكتشفون هذه الحقيقه التى ذهلوا عنها إلا عند الموت «فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (۱).

إنّ السعى من قبل الإنسان لتصحيح مسيرته و العمل الصالح يكون مجديا قبل تورّطه فى النتائج العمليه لأخطائه،أمّا إذا حلّ به العذاب فلن يجد وسيله للوقايه عنه،و بالذات إذا كان عذابا من اللّه.

مٰ لَهُ مِنْ دافِعٍ [۹-۱۰]و ماذا عسى أن تبلغ قدره هذا الإنسان الضعيف و المحدود حتى يقدر على تحدّى اللّه و دفع عذابه؟أم يحسب أنّه عذاب و غضب يصدر عن إنسان مثله حتى يكون ردّه ممكنا؟كلاّ.إنّه من الرهبه و العظمه بمكان تمور به السماء مورا على سعتها و سمكها الذى لا تصل إليه عقولنا،و تسير الجبال المتأصّله فى الأرض عن مواقعها.

يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً أى تتحرك بسرعه هائله،و يتداخل بعضها فى بعض،كما يتداخل ماء البحر الهائج فى بعضه،إلاّ أن المور هو الحركه السريعه من دون ضوضاء.

وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً و بالتدبّر فى القرآن نخلص الى أنّ للجبال يوم القيامه ثلاث حالات عبر مراحل ثلاث متتاليات أيضا،و هى:

الأولى:الحركه من مكانها و السير،كما فى هذه الآيه،و فى قوله تعالى:

۱- ۱) ق/(۲۲).

«وَ إِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ (۱).

الثانیه:تحوّلها الی جزئیات و ذرّات صغیره یقول تعالی: وَ تَکُونُ الْجِبالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (۲)، وَ کانَتِ الْجِبالُ کَثِیباً مَهِیلًا (۳).

الثالثه:و أخیرا تتلاشی،قال تعالی: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ یَنْسِفُها رَبِّی نَسْفاً (۴)،و قال حاکیا التتالی فی هذه المراحل: وَ سُیِّرَتِ الْجِبالُ فَکانَتْ سَراباً (۵)،و یبدو أنّ الجاذبیه تنعدم یوم القیامه فتفقد الأجسام وزنها،و حیث تقع فی الفراغ من الجاذبیه تتفکّک جزیئاتها فتصیر أجساما و ذرأت صغیره ثم تتلاشی و تضحی کالسراب.

[۱۱]و حین تواجه النفس البشریه حقائق عظیمه تثقل علیها تتهرّب منها بالتکذیب بها زاعمه أنّ ذلک یجدیها نفعا،و یوقفها القرآن أنّ التکذیب لیس لا یغنی عنها شیئا،بل هو بذاته یستدرج عذابا عظیما،فلا فرار إلّا إلی اللّه و التسلیم للحقائق.

فَوَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ و بما أنّ المکذّبین یعتمدون علی قیم و علاقات ماديه،یزعمون أنّها تنفعهم شیئا عند ما یکذّبون بالحقائق، فقد نسفها نسفا،و بیّن أنّ النظام الکونی علی عظمته لا یستقرّ یوم القیامه فکیف بهذه العلاقات و القیم؟

۱- ۱) التکویر/(۳).

۲- ۲) القارعه/(۵).

۳- ۳) المزمل/(۱۴).

۴- ۴) طه/(۱۰۵).

۵- ۵) النبأ/(۲۰).

[۱۲]و يسقط المكذّبون من حسابهم حقيقه الجزاء،فلا يشعرون بالمسؤوليه، ممّا يجعل حياتهم عبثيه،بعيده عن الضوابط و الكوابح،هائجه فى غمرات اللهو و اللعب.

اَلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ و هذا التعريف لشخصيه المكذّبين يهدينا الى حقيقتين هامتين:

الأولى:إنّ المكذّب ليس الذى يقول ببطلان الرساله الاسلاميه و حسب،بل هو كلّ إنسان لا يتحمّل المسؤوليه فى الحياه.

الثانيه:إنّ المكذّبين إنّما يكذّبون بالرساله من أجل التهرّب من تحمّل المسؤوليه،أو ليست الرساله تدعو الى الجدّ و الجهاد و الإنفاق و..و..،إذن فليكفروا بها لكى لا يتحمّلوا شيئا من ذلك!و لكن أين المفرّ من عذاب اللّه؟ [۱۳]و لأنّ الحديث عن هؤلاء الفريق من الناس فإنّ جرس الخطاب يأتى عنيفا و غليظا.

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلىٰ نٰارِ جَهَنَّمَ دَعًّا و الدعّ ربما يكون الدفع بعنف و جفوه و تكرار،و قد يؤيّده قوله تعالى: أَ رَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (۱)،و لعلّ احتمال شمول كلمه «الدع»لمعنى التكرار يأتى نصّيا من وجود المفعول المطلق الجنس لا المفرد،فلم يقل اللّه:و يدعّون دعّه،إنّما قال«دعّا»،و لعلّ المكذّبين يحاولون يومئذ الخلاص من جهنم لعظيم عذابها،فلا يتقدّمون إليها،فيدفعون نحوها مكرهين المره بعد

۱- ۱) الماعون/(۱-۲).

الأخرى.

[۱۴]و عند ما يوقفون عليها يأتيهم الخطاب:

هٰذِهِ النّارُ الَّتِی کُنْتُمْ بِهٰا تُکَذِّبُونَ و هی جزء من تکذیبهم العام للحقائق التی جاءت بها الرساله.

[۱۵]و هناک حیث یرون جهنم و یصلون بنارها یسألون:

أَ فَسِحْرٌ هٰذٰا أَمْ أَنْتُمْ لاٰ تُبْصِرُونَ إنّ الحقائق الغیبیه التی یتحدّث عنها الوحی الالٰهی ظاهره کظهور الحقائق الشاخصه أمام الإنسان،بل هی فی بعضها أشدّ تجلّیا و وضوحا،و لکنّ بصیره البشر محجوبه بالغفله و الشهوه،و قلبه محاط بالجحود و الکبر،فتراه لا یصدّق بها، و یفسّر آیاتها و علائمها بما لها من قوه التأثیر علیه بأنّها ضرب من السحر،عجبا لهذا الإنسان الخصم اللدود کیف یتعالی علی الحقائق و ینکرها،و یزعم أنّ آثارها علی نفسه لیست سوی الخیال المرکّز الذی یسمّی بالسحر،فهل یستطیع أن یفسّر نار جهنم أیضا بأنها سحر؟ [۱۶]إنّ النار حقّ جلی یراه المتقون فی کلّ إثم و معصیه،فالکذب و الغش و النفاق و الخیانه و..و..کلّ ذلک فی بصیرتهم قطعات من نار جهنم،لهذا تجدهم یتجنّبون الموبقات اتقاء جهنم،أمّا المکذّبون فهم محجوبون عن هذه الحقیقه،لذلک تجدهم یتخبّطون فی النار من حیث لا یشعرون،باقترافهم الذنوب التی تتجسد غدا نارا حامیه،و تتوضح لهم هذه الحقیقه فی الآخره عند ما تتحوّل جرائمهم الی تلال من الأفاعی و العقارب.

اِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الآخره بعكس الدنيا تماما،فلا الصبر و الاحتمال ينفع ثمّه و لا التحدى و المواجهه،بينما يتألّم المرء فى الدنيا فيتحمّل الألم بالصبر فيجديه سكينه،كما يستمطر بذلك رحمه اللّه،و قد يتحدّى الألم بعمل مضاد فيرتفع و يخفّف عنه،أمّا الآخره فإنّ الاستسلام للعذاب لا يخفّف عنه،كما أنّ مواجهته لا تجديه نفعا، ذلك أنّ العذاب الذى يصلاه المكذّبون فى الآخره هو بالضبط أعمالهم الدنيويه، و هناك حساب و لا عمل.

بلى.يستطيع الإنسان أن يتقى النار فى الدنيا باجتناب السيئات و بالتوبه منها،و متى ما عرف الإنسان بأنّه هو الذى يحدّد مستقبله بنفسه ترك الاسترسال مع الظروف و الخوض فى اللعب،و نظر إلى الحياه نظره جادّه،و انطلق نحو تحمّل المسؤوليه بثبات.

[١٧]و هذا الايمان نجده عند المتقين.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ إنّ الحياه الدنيا(دار الابتلاء)تشبه الى حدّ بعيد حقلا مزروعا بالألغام، و الفرق بين المتقين فيها و غيرهم أنّهم آمنوا بهذه الواقعيه فاتبعوا هدى ربّهم، و ساروا ضمن الخط المرسوم لهم،فوقاهم اللّه شرّ ذلك اليوم،و لقّاهم نظره و سرورا، بينما كذّب الآخرون بذلك فصاروا طعمه للعذاب،و وقودا لجهنم.

[١٨]إنّ اللّه خلق الناس ليرحمهم،كما صرّح بذلك فى قوله: إِلَّا مَنْ رَحِمَ

رَبُّکَ وَ لِذٰلِکَ خَلَقَهُمْ (۱)،و ما على الإنسان لكى ينال الرحمه إلاّ أن يتقى ما يسخط اللّه فهنالك تشمله رحمات اللّه.

فٰاکِهِينَ بِمٰا آتٰاهُمْ رَبُّهُمْ مهما بلغ الإنسان فى الدنيا من الملك و الغنى فإنّه لا يحسّ بتمام الراحه،إمّا لنقص فى النعم أو لنقص فيه،فلذّته محدوده،و هى تتعب صاحبها مهما أوتى من ثراء عريض،و آخر ما قرأناه فى ذلك أنّ واحدا من أصحاب البلايين دفع أخيرا مبلغ ربع مليون دولار و سياره ثمنا لقتله بعد فشل فى عده محاولات انتحار،ففعل الأجير ذلك مأثوما.هكذا لا تتم نعم الدنيا لأحد.

بينما فى الجنه يبلغ المؤمن غايه اللذه،فهو لا يعانى من نقص ينغّص عليه،كما أنّ اللّه يرزقه حاله الرضى بنعمته،فلا يحس بالشبع،إنّما يستلذّ و يستلذّ بالنعيم أبدا و بلا ملل.

قال الامام الصادق عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله مبيّنا ثواب المؤمن:فيرفع رأسه فإذا هو بزوجته قد كادت يذهب نورها نور عينيه،قال:فتناديه:قد آن لنا أن تكون لنا منك دوله،قال:فيقول لها:و من أنت؟قال:فتقول:أنا ممّن ذكر اللّه فى القرآن: لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا وَ لَدَيْنٰا مَزِيدٌ ،فيجامعها فى قوّه مائه شاب، و يعانقها سبعين سنه من أعمار الأوّلين،و ما يدرى أ ينظر إلى وجهها أم إلى خلفها أم إلى ساقها (۲)

و فى حديث آخر :«فيعتنقان مقدار خمسمائه عام من أعوام الدنيا لا يملّها و لا تملّه » (۳).

۱- ۱) هود/(۱۱۱).

۲- ۲) موسوعه بحار الأنوار/ج(۸)-ص(۲۱۴).

۳- ۳) المصدر/ص(۱۵۹).

و قال الامام الصادق عليه السلام :«إنّ الرجل فى الجنه يبقى على مائدته أيّام الدنيا، و يأكل فى أكله واحده بمقدار أكله فى الدنيا » (۱).

و من أعظم النعم التى يبلغها المتقون هى نعمه الشكر للّه التى تزيدهم نعيما إلى نعيمهم لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ،و يكون الاحساس بالنعيم و بالتالى الشكر أعمق عند الاطّلاع على أهل الجحيم بين ألوان من العذاب ممّا يذكّرهم بلذه النجاه منها، و هذا يوضح العلاقه الوثيقه بين ذكر اللّه للتفكّه بالنعيم،و ذكر نجاه المتقين من النار.

وَ وَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ [۱۹]كما تتميّز الجنه عن الدنيا بإباحه نعيمها جميعا لأصحابها،فلا حرام فيها،و لا مكروه،و لا تكليف،و لا مسئوليه،إنّما يأكلون و يشربون ما يشاءون.

كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً و لا يكون الأكل أو الشرب هنيئا إلّا إذا كان ذاته طيّبا،و مذاقه لذيذا،و كان نافعا لا يعقبه ضرر،و لا يتصل به ما يسلب صاحبه الراحه أو الاطمئنان أو المتعه، و لكن لا طريق إلى تلك النعم إلّا بالعمل الصالح،لذلك يترافق مع دعوه المتقين الى النعيم «كُلُوا وَ اشْرَبُوا» بيان لهذه الحقيقه:

بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هذا هو السبب الوحيد الى الجنه،فمن يتقى اللّه يقيه عذاب الجحيم.و عند المقارنه بين جزاء أهل النار و بين هذه الآيه نرى القرآن يعبّر هناك عن سبب

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۴)-ص(۶۱۴).

العذاب بقوله: مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ،بينما يعبّر عن سبب الرحمه هنا بقوله: بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بإضافه كلمه الباء الداله على البعضيه،مما يدلّ بأنّ الجزاء هناك هو ذات أعمالهم و مساو لها نوعا و كمّا،بينما ثواب اللّه لأصحاب الجنه مضاعف، و إنّما عملهم سبب و وسيله له فقط.

[۲۰] مُتَّكِئِينَ عَلىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَهٍ قال الراغب فى مفرداته:و السرير الذى يجلس عليه من السرور،إذ كان ذلك لأولى النعمه،و جمعه أسره و سرر،و سرير الميت تشبيها به فى الصوره،و للتفاؤل بالسرور الذى يلحق الميت برجوعه إلى جوار اللّه تعالى و خلاصه من سجنه(يعنى الدنيا) (۱)،و سرر المتقين فى الجنه تكون مرتبه فى نظام بحيث يتقابلون فيها لا يستدبر أحدهم الآخر،و يعمّق ذلك النظام حاله السرور،لأنّ النفس تهوى الترتيب.

وَ زَوَّجْنٰاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ عند التعمّق فى هذه الآيه و التى سبقتها نجد علاقه بين النعم الثلاث التى يذكرها القرآن جزاء للمتقين،فأولا- ذكر الاباحه فى الأكل و الشرب كجزاء لالتزامهم بالحلال و الحرام فى الدنيا،و كبحهم لشهوات البطن،ثم ذكر الاتكاء على السرر مما يرمز الى الراحه جزاء تركهم الراحه و تحمّلهم أعباء المسؤوليه فى الدنيا،و أخيرا يذكر نعمه الحور العين جزاء وفاقا لتجنّبهم الحرام من الجنس،و هذا التدبر يتصل بعمق مع كلمه المتقين.

[۲۱]و لأنّ المتقى كأىّ إنسان آخر يتطلّع إلى خير أسرته،يعرج القرآن ليعالج

۱- ۱) مفردات الراغب/ص(۲۳۴).

هذه المسأله علاجا مبدئيا،و ذلك بإعطاء المؤمنين وعدا بإلحاق ذريتهم بهم فى الجنه ليتمّ لهم السرور،و لكن بشرط أن يتبعوهم بإيمان.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمٰانٍ أَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ و هكذا الإسلام لا يرى وسيله الى الجنه سوى العمل الصالح،فلا يتم التحاق الذريه لمجرد الانتساب،بل بالاتباع الواعى لمسيره الجيل المتقدّم«بإيمان»،أمّا مجرّد الانتماء النسبى أو حتى الاتباع الأعمى لا يغنى شيئا حسب منهج القرآن، بغضّ النظر عن كون العمل صالحا أو فاسدا.

إنّ المنطلق فى ممارسه العمل الصالح ينبغى أن يكون منطلقا سليما.أ ترى لو مارس أحد الطقوس الدينيه بغير نيه التقرب،بل لأنّه ولد فى أسره مسلمه أو يعيش فى مجتمع مسلم و يتماشى مع المحيط،أو خوفا من سلطان،أو لأهداف مصلحيه، فهل يكون عمله مقبولا- عند اللّه؟ إنّ الانتماء الحقيقى للصالحين ليس بالنسب و الحسب،و لا بالانضمام الى تجمّعهم،إنّما بالعمل الخالص لوجه اللّه.

يقول تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصّٰالِحِينَ (۱)، و القرآن يضرب أمثله لهذه الحقيقه من تاريخ أقرب العباد إليه و هم الأنبياء،يقول تعالى: قٰالَ يٰا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صٰالِحٍ -و أغلظ له الخطاب قائلا- فَلاٰ تَسْئَلْنِ مٰا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجٰاهِلِينَ (۲)و قال:

۱- ۱) العنكبوت/(۹).

۲- ۲) هود/(۴۶).

ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلَا النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ* وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّهِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ (۱).

بلی.إنّ الانتماء النسبی إلی المقرّبین و الصالحین یزید ذریتهم شرفا، و یضاعف لهم الجزاء،إکراما لآبائهم،و إکمالا للنعم علیهم،فلعلّ واحدا من الذریه لا ینهض به عمله لیبلغ درجه آبائه هنالک قد تدرکه شفاعتهم فیلتحق بهم بدعائهم لیجتمع شمل الاسره فی مقام أمین،و لعلّ تتمه الآیه تدلّ علی ذلک حین یقول ربّنا:

وَ ما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَیْءٍ فما ینقص اللّه من أعمال الأوّلین شیئا حین یلحق الآخرین بهم إکراما لهم.

کُلُّ امْرِئٍ بِما کَسَبَ رَهِینٌ و کون الإنسان مرهون بما کسب دلیل علی أنّ شفاعه الصالحین لذراریهم التی تهدی إلیها هذه الآیه لیست بعیده عن سنّه الجزاء،فهم إن لم یتبعوا آباءهم لم یدخلوا معهم الجنه.

و لعلّنا نجد انعکاسا و تفسیرا لهذه الآیه

فی الحدیث المروی عن الرسول صلی الله علیه و آله إذ قال:«من سنّ سنّه حسنه عمل بها من بعده کان له أجره و مثل أجورهم،من غیر أن ینقص من أجورهم شیئا » (۲)فالآباء یضاعف لهم الجزاء لأنّهم ساهموا فی هدایتهم الی ربّهم.

۱- ۱) التحریم/(۱۰-۱۱).

۲- ۲) میزان الحکمه/ج(۴)-ص(۵۶۶)نقلا عن کنز العمّال.

و من هذه الآیه نهتدی إلی أنّ القرآن یعارض صراع الأجیال،بل و یسعی لامتصاص هذا الصراع و تحویله الی صله الحب و التعاون و التکامل،فهو یرسم للجیل السابق شعارا تجاه اللاحقین هو قوله تعالی: وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَیْهِمْ وَ لا یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱)، کما یرسم شعارا للجیل الصاعد تجاه السابقین فیقول: وَ الَّذِینَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونا بِالْإِیمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۲).

و الآن دعنا نقرأ شیئا من الأخبار الوارده فی تفسیر هذه الآیه الکریمه.

عن الامام الصادق علیه السلام فی قوله عزّ و جلّ:«الآیه»قال:«قصرت الأبناء عن عمل الآباء فألحق الأبناء بالآباء لتقرّ بذلک أعینهم » (۳).

و عن أبی بصیر قال:قال أبو عبد اللّه علیه السلام :«إذا مات الطفل من أطفال المؤمنین نادی مناد فی ملکوت السموات و الأرض ألا- إنّ فلان ابن فلان قد مات،فإن کان قد مات والداه أو أحدهما أو بعض أهله من المؤمنین دفع إلیه یغذوه،و إلّا دفع إلی فاطمه علیه السلام تغذوه حتی یقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بیته من المؤمنین فتدفعه إلیه » (۴).

[۲۲-۲۳]و یعود السیاق یحدّثنا عن نعیم الجنه.

۱- ۱) الحشر/(۹).

۲- ۲) المصدر/(۱۰).

۳- ۳) نور الثقلین/ج(۵)-ص(۱۴۰).

۴- ۴) المصدر/ص(۱۴۱).

وَ أَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ و هما معا غذاء متكامل،و هذه النعمه لا تنفذ و لا تنقطع عن المتقين،بل و تصلهم بالشكل و الحجم و النوع الّذى تهواه نفوسهم،فالعنان هناك مطلق للشهوه يبلغ الشخص ما يريد و ما يتخيّل،

و فى الروايه عن النبى صلى الله عليه و آله قال :«فإذا اشتهوا الطعام جاءهم طيور بيض يرفعن أجنحتهنّ فيأكلون من أىّ الألوان اشتهوا، جلوسا إن شاؤوا أو متكئين،و إن اشتهوا الفاكهه تسعّبت(تدلت و اقتربت) إليهم الأغصان فأكلوا من أيّها اشتهوا » (۱).

يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً قال الراغب:و التنازع و المنازعه:المجاذبه،و يعبّر بهما عن المخاصمه و المجادله،قال تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ ،و قال:

«فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» (۲)،أمّا المؤمنون فلا مخاصمه بينهم.إنّهم يمرحون مع بعضهم،و يتبادلون كؤوس المحبه.

و الكأس التى يشربونها ليست مسكره تسلب عقولهم فيلغون،و لا هى حرام عند اللّه.

لَا لَغْوٌ فِيهَا وَ لَا تَأْثِيمٌ [۲۴]و فى الأثناء ترى الغلمان الّذين ملّكهم اللّه فى طواف دائم عليهم، يخدمونهم و يسرّون ناظرهم،جزاء لاجتهادهم فى طاعه اللّه و خدمه الناس فى دار الدنيا.

۱- ۱) بح/ج(۸)ص(۲۱۴).

۲- ۲) مفردات الراغب/ص(۵۰۹).

وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ و يشير القرآن هنا إلى صفتين مهمتين(يريدهما المخدوم)فى الغلام،إحداهما الطاعه،و غلمان الجنّه للمتقين يطيعونهم فى كلّ شىء،و لا يكونون عليهم فهم «لهم»دائما،و الأخرى الشمائل الحسنه(الجمال)و ذلك مما تميل إليه فطره الإنسان،و يرتجى به الخير عند صاحبه،

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :«اطلبوا الخير عند حسان الوجوه فإنّ فعالهم أحرى أن تكون حسنا » (۱)،و لا ريب أنّ الجمال وحده ليس ذا اعتبار فى الإسلام،إنّما إذا اجتمع مع طهاره القلب و حسن السيره،

قال الامام على عليه السلام :«لا ينفع الحسن بغير نجابه » (۲)،و قد جمع اللّه الاثنين فى غلمان المتقين.

[۲۶-۲۵]و يتعمّق إحساس أهل الجنه بنعيمها و لذّته عند تذكّر نعمه النجاه من النار.

وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ عن حالهم فى الدنيا،و صفه التشاور و التفاعل بين أفراد المجتمع المؤمن من الصفات الحضاريه،و هى فى الآخره امتداد لما كانوا عليه فى الدنيا،فهم مقبلون على بعضهم،و على العكس من ذلك فإنّ التمزّق و التدابر من معالم التخلّف عند الأمم و المجتمعات.

قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِى أَهْلِنا مُشْفِقِينَ إنّ خشيه اللّه هى التى تبعد الإنسان عن حياه الهزل و اللعب إلى حياه الجدّ

۱- ۱) بح/ج(۷۴)ص(۱۸۷).

۲- ۲) غرر الحكم.

و السعی و النصب،و تزرع فی قلبه التقوی،و من ثمّ تدفعه نحو تنفیذ الحق بعزم راسخ.إنّها القوّه المحرّکه التی تدفعه نحو التطبیق المستمر و المتقن لمناهج الوحی، و بما أنّ الخوف من القوی الأخری،و الغرور بالذّات و بالعمل،و حبّ الراحه، و ضغط الشهوه،و ما أشبه،کلّها قیود تکبّل الإنسان عن السعی و التسلیم للّه،فإنّ خشیه اللّه تحرّر الإنسان من کلّ تلک القیود.

و ربما تقابل کلمه المشفقین فی هذه الآیه کلمه المسرور التی جاءت فی قوله تعالی: وَ أَمّا مَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ* فَسَوْفَ یَدْعُوا ثُبُوراً* وَ یَصْلی سَعِیراً* إِنَّهُ کانَ فِی أَهْلِهِ مَسْرُوراً (۱)و التی تعنی الفرح و الاختیال،و اللّه لا یحبّ المختال و لا الفرح،ذلک أنّ هذا النوع من السرور(عدم الجد و المبالاه)یضلّ سعی الإنسان أو یعطّله تماما عن الکدح إلی ربّه،بل و یدفعه نحو أهداف تافهه أو فاسده.

[۲۷]و إشفاق المتقین لیس لأنّهم لا یعملون بطاعه اللّه،و إنّما لایمانهم الراسخ بأنّ العمل وحده لا یدخلهم الجنه،و لا یخلّصهم من العذاب،إلاّ بفضل اللّه، و تتأکّد لهم هذه الحقیقه عند الحساب،و حینما یصیرون إلی النعیم.

فَمَنَّ اللّهُ عَلَیْنا فأدخلنا الجنه.

وَ وَقانا عَذابَ السَّمُومِ و هو الحرّ الشدید الذی یلفح الوجوه فی النار.

[۲۸]و ما کان المتقون یغفلون دور الدعاء الذی یزکّی نفوسهم،و یرفع

۱- ۱) الإنشقاق/(۱۰-۱۳).

أعمالهم،و يستنزل فضل اللّه و رحمته.

إِنّا كُنّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ و لم نكن نعتمد على عملنا وحده،إنّما نتوكّل على اللّه،و نسأله القبول و الرحمه.

إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ و البرّ:فاعل الخير و الإحسان.

ص:۱۱۳

[سوره الطور (۵۲): الآیات ۲۹ الی ۴۹]

اشاره

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ (۲۹) أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ اَلْمَنُونِ (۳۰) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ اَلْمُتَرَبِّصِينَ (۳۱) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ (۳۲) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ (۳۳) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ (۳۴) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ اَلْخالِقُونَ (۳۵) أَمْ خَلَقُوا اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ (۳۶) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ اَلْمُصَيْطِرُونَ (۳۷) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (۳۸) أَمْ لَهُ اَلْبَناتُ وَ لَكُمُ اَلْبَنُونَ (۳۹) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (۴۰) أَمْ عِنْدَهُمُ اَلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (۴۱) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ اَلْمَكِيدُونَ (۴۲) أَمْ لَهُمْ إِلهٌ غَيْرُ اَللَّهِ سُبْحانَ اَللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (۴۳) وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ اَلسَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحابٌ مَرْكُومٌ (۴۴) فَذَرْهُمْ حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ اَلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (۴۵) يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (۴۶) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذاباً دُونَ ذلِكَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۴۷) وَ اِصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (۴۸) وَ مِنَ اَللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبارَ اَلنُّجُومِ (۴۹)

اللغه

۳۰[نتربّص]:ننتظر.

۳۳[تقوّله]:اختلقه.

۴۰[مغرم]:التزام غرم.

۴۴[کسفا]:قطعا.

۴۵[یصعقون]:یموتون.

ص:۱۱۵

سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يُشْرِكُونَ

هدى من الآيات:

يعالج هذا الدرس الحجب التى منعت الكفّار عن الايمان بالرساله.إنّهم لم يعرفوا كيف يمكنهم أن يبرّروا موقفهم من الوحى،فقالوا عن الرسول بأنّه كاهن،ثم اتهموه بالجنون،بل و سمّوه شاعرا،ثم أكّدوا ضلالتهم بعد ما تبيّن لهم بطلان التهم السابقه و قالوا بأنّه ساحر،و لكنّ الأمر ليس كذلك،إنّما هم طاغون لا يريدون الايمان بالحق تهرّبا من المسؤوليه فبحثوا لموقفهم عن تبرير فلجئوا إلى تلك التهم الرخيصه،فموقفهم كما تبريراتهم إذا ليس بمعقول،و الجدال معهم لا ينبغى أن يكون جدلا عقليّا،إنّما ينبغى أن يهزّ ضمائرهم،لذلك نجد فى الآيات تهديدا مبطّنا بالعذاب: «قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ» كما نجد فى الآيات من جهه أخرى إثاره للكفار نحو التفكّر فى الخلق من حولهم،ليكبحوا جماع الغرور فى أنفسهم،و يخرجوا من قوقعه الذات إلى الآفاق الواسعه.

إن استشاره عقل الإنسان نحو التدبّر فى الآفاق(الطبيعه و القوانين التى

تحكمها)ركيزه أساسيه للتربيه و التوجيه فى نهج القرآن،و لكنّ ربط هذا التدبر بما يجرى داخل النفس البشريه هو المهم فى المنهج،لذلك يبدو واضحا فى كثير من الآيات أنّ القرآن يريد بناء جسر بين الآفاق حتى أبعد مدى فيها و بين النفس حتى أعمق غور منها.

بينات من الآيات:

[۲۹]تزدحم التهم و الاشاعات ضد كلّ مصلح رسالى بمجرّد أن يرفع رايه الإصلاح،فإذا به يدعى كاهنا أو مجنونا أو عميلا يتصل بجهات خارجيه،من أجل تحطيمه أو الضغط عليه فى اتجاه التخلّى عن رسالته،فيجب إذن أن لا يفاجأ أىّ عامل إذا ما تعرّض لذلك فى مسيرته،بل يعتبره أمرا طبيعيّا،و يستمر فى حركته حتى يبلغ إحدى الحسنيين،متوكّلا على ربّه،و مهتديا بوحيه،واثقا بنفسه.

و رسولنا الأكرم محمّد بن عبد اللّه صلى الله عليه و آله و هو الأسوه العظمى لنا،كان عرضه لمختلف الدعايات و التهم و لأنواع شتى من الأذى،و إذا لم تكن ثقته بربه و برسالته و بنفسه ثقه عميقه لم يستمر،و مع ذلك أمره اللّه بالاستمرار فى دعوته قائلا:

فَذَكِّرْ فَمٰا أَنْتَ بِنِعْمَهِ رَبِّكَ بِكٰاهِنٍ وَ لاٰ مَجْنُونٍ و هذه الآيه تنفى عن النبى صلى الله عليه و آله جميع التهم التى وجّهت اليه بالتالى:

۱-أنّ رسالته تثير دفائن العقول البشريه بالتذكره.

۲-أنّ التذكره التى جاء بها الرسول ليست من عنده و لا من أحد،إنّما هى نعمه من اللّه تصله عبر الوحى،و من دونها لا يكون رسولا و لا مذكّرا.

و بهذين الدليلين نهتدى إلى أنّ الرسول ليس بكاهن لأنّ الكاهن هو الذى يتنبّأ بالمستقبل دون أن يستثير العقل،فتراه يصيب مره و يخطئ مرات،بينما لا نجد و لا خطأ واحدا فى آيات اللّه،و ليس بمجنون لأنّ ما يصدر عن المجنون لا يلتقى مع العقل،بينما تلتقى الرساله معه بكلّ مفرداته دون استثناء،و هو يعتمد خطّه واضحه فى تحرّكه هى رسالته،و ليس بمجنون-حاشا للّه-لأنّه ينبعث عن منطلقات إيمانيه و عقليه،و حسابات علميّه بالغه الدقه نافذه الحكمه.

كما يتميّز النبى بالشجاعه و التوكّل و الثقه،بينما المجنون لا يعتمد على شىء، و ليس الرسول بشاعر لأنّه يستثير العقل،بينما يعتمد الشاعر على إثاره مشاعر الإنسان،و أداته الخيال و المبالغه،و أخيرا ليس بساحر لأنّ الساحر إنّما يلعب بخيال البشر،و يسحر عيونهم،و لا يفلح الساحر حيث أتى،فهل رأيت ساحرا يقود أمّه أو يصنع تاريخا أو حتى يجمع ثروه طائله أو يكتسب جاها عريضا؟ كلّا..لأنّ الساحر لا يعيش حقائق الحياه حتى يسخّرها لمصلحته أو لقضيّته بل يتقلّب فى سحره مع التمنّيات و الظنون،هذا أولا،و ثانيا تلتقى التهم الموجهه إلى النبى صلى الله عليه و آله فى كون المذكورين يعتمدون على قوى ليست مشروعه فى نظر العرب أنفسهم،فالكاهن يعتمد على اتصاله بالشياطين أو على مجرّد الحدس،و المجنون هو الذى سحرته الجن فهى توحى له بتصرّفاته و أقواله،و الذى اعترته الآلهه بسوء كما قالوا من قبل لهود عليه السلام : «إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ» و الشاعر هو الذى يحس بما لا يحس به الآخرون،و يتلقّى الإلهام من الآلهه أو قوى أخرى كالجن،و الساحر هو الذى يستغنى بالشياطين و العفاريت أو يسخّرهما،أمّا الرسول صلى الله عليه و آله فهو يتصل عبر الوحى باللّه خالق الخلق و يعتمد عليه.

و القرآن إنّما يثبت هذه التهم ليعكس للرساليين عبر التاريخ طبيعه المسيره التى ينتمون إليها من جانب،و من جانب آخر لبيان اعتراف الأعداء بجوانب من

شخصیه الرسول صلی الله علیه و آله ،فهم بهذه الاتهامات یعترفون ضمنیّا بقوته و تأثیره فی الناس،فتهمه الکهانه تعکس صدقه،و تهمه الجنون تعکس شجاعته،و تهمه الشعر تعکس بلاغته و قوته علی الاقناع،و تهمه السحر تعکس تأثیره العملی فی المجتمع، إلاّ أنّهم یسعون بهذه التسمیات إلی النیل من شخصیته،و تحویر الحقیقه لکی لا یتأثّر به أحد.

[۳۱-۳۰]إنّ الحیره التی وقع فیها المشرکون و الکفّار و عدم ثباتهم علی تهمه معینه دلیل واضح علی اتباعهم الظنون لا العقل فی تقییم رسالته و شخصیته،ممّا یدلّ علی أنّه جاء بحرکه جدیده لم یستطیعوا لها تفسیرا و لا تأویلا،و قد یدلّل اتهامهم له بالشعر بعد الکهانه و الجنون-مع کون الشاعر فی نظر العرب أعلی ثقافه من الآخرین-علی تنازلهم أن الأخریتین الماضیتین.

أَمْ یَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَیْبَ الْمَنُونِ و لکنّ الرسول یختلف عن الشاعر،و رسالته لیست شعرا للأسباب الأساسیه التالیه:

۱-إنّ الشاعر-و فی ذلک العصر بالذات-یعبّر تعبیرا بلیغا عن الثقافه القائمه،بینما الرساله خارجه عن إطار الثقافه الفاسده الواقعیه الشائعه فی المجتمع، و الذی یقرأ أشعار العرب یلاحظ فیها و بوضوح تعبیرا صریحا عن الروح القبلیه، و عن الأضغان و الفرقه و سائر مفردات الثقافه القائمه علی الواقع،کقول الفرزدق:

أولئک آبائی فجئنی بمثلهم إذا جمعتنا یا جریر المجامع

أو کقول جریر:

فغضّ الطرف إنّک من ثقیف فلا کعبا بلغت و لا کلابا

۲-أنّ الشعر یعبّر فی کثیر من الأحیان عن المصالح و الأهواء الشخصیه، بینما الرساله کلّها قیم،و ربما تعارضت مع شهوات الإنسان.

۳-إنّ الشعراء عندهم ثقافه و لکنّها لا تستمر مع الزمن و عبر الأجیال،أمّا الرسول فخطه یبقی أبدا،و المستقبل لرسالته التی لا تبلی،و لا یتجاوزها تقدّم البشریه،و لعلّ السبب فی ذلک أنّ الشاعر ثقافته مربوطه به تموت عند موته أو بعده بقلیل،بینما الرساله یرعاها اللّه،و لیست متصله بشخص الرسول حتی تذهب بذهابه،و لذلک أمر اللّه تعالی نبیّه صلی الله علیه و آله بتحدّی الکفّار و المراهنه علی أنّ المستقبل فی صالحه و لرسالته.

قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِینَ و التربّص هو الانتظار،و لکن مع توقّع شیء ما یحدث،و منه قوله تعالی:

لِلَّذِینَ یُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَهِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فاؤُ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱)و الکفّار ینتظرون نهایه للرساله بموت النبی صلی الله علیه و آله فی أیّ لحظه،بینما یعلم النبی أنّ الرساله تزداد علی الزمن بهاء و إشراقا.

[۳۲]ثم یأتی القرآن علی بیان المنطلقات الحقیقیه للکفر بالرساله مؤکّدا بأنّ التهم التی وجّهوها للرساله لا أساس لها حتی عند أصحابها،بل جاؤوا بها رغبه عن الحق،و تهرّبا من المسؤولیه.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا و الحلم هو الجانب العملی من العقل،و الحلیم الذی یستخدم عقله فی مواقفه

۱- ۱) البقره۲۲۶/

و أفكـاره فلا ينطلق فى أىّ موقف أو حكم من ردّات الفعل و إثاره المواقف المضاده، و الكفّار كبشـر لـديهم مناهـج عقلانيه و لكنّهم خرجوا عن دائرتها فصاروا يعارضون الرسول و يتهمونه بالكهانه و الجنون أو بالشـعر و السـحر،ليس لأنّهم وجدوا ما عنده باطلا،و إنّما نتيجه اتباع الهوى و الطغيان و ردود الفعل.

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ و «أَمْ» هنا ليست بمعنى التخيير و عـدم التأكّـد،بل هى تأكيـد لما بعـدها،و لعلّ السـبب أنّ الاحتمالات السابقه واضـحه البطلاـن ممـا يبعث السامع إلى البحث عن الاحتمال الصـحيح،و يتساءل:إذا لماذا يعارض هؤلاء الرساله؟و يأتى الجواب بصيغه احتمال،و لكنّ السامع يتقبّله رأسا،فيكون كما لو أنّه هو الذى اكتشف الحقيقه.

و من عموم هـذه الآـيه نسـتفيد فكره كثيرا مـا يشـير القرآن إليها،و هى أنّ الاحتياط من العقل،فينبغى للمؤمن أن لا يسـتعجل فى رفض فكره يسمعها،بل يفترض إمكان صحتها،ثم يفكّر فيها مليّا،و يتخذ موقفه منها على ضوء تفكير موضوعىّ دقيق.

و إنّ الـذين رفضوا الرسـاله لم يعتمـدوا فى رفضـهم على العقـل بـل على الطغيان، لأنّ العقل يقيّـد الشـهوه و يقنّنها،بينما الطغيان يسيّرها،بل و يجعلها هى القانون، و لو أنّهم اتبعوا هدى عقولهم لآمنوا بها،لأنّها تهدى إلى العقل كما يهدى العقل إليها.

[٣٣]و من نتائـج اتبـاعهم الهوى فى تقييم الرساله و النبى صـلى الله عليه و آله اتهامهم له بأنّه لا ينطق عن اللّه،و أنّ ما عنـده ليس رساله من الرب،إنّما هى من صنيع فكره.إنّ

عقولهم تهدى إلى صحه ما جاء به،و لكنّهم لا يريدون إلزام أنفسهم بالمسؤوليه، لذلك تراهم يبحثون عن تبرير لعدم إيمانهم،فقالوا:نحن نؤمن بعظمه الرسول و بعظمه ما جاء به و لكنّه من عبقريته،و لسنا ملزمين باتباع ما تفتقت عنه عبقريّات البشر،إنّما نحن ملزمون باتباع وحى اللّه و حسب، و هذا هو منهج المستشرقين و كثير من المسيحيين فى تقييم الإسلام و الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله .

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ [۳۴]و يتحدّاهم القرآن بأنّه إذا كان القرآن من عبقريه الرسول فهو بشر مثلهم فهل يستطيعون صناعه كلام يشبه القرآن؟ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ و تنكير كلمه «بِحَدِيثٍ» يدل على التبعيض،فالتحدى إذن واقع على جزء من القرآن كالسوره أو الآيه،و تبقى هذه المعجزه الالهيه الخالده تتحدّى ضلال البشر عبر الزمن و فى كلّ جيل من الانس و الجن،يقول تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (۱)[۳۵-۳۶]و من الحديث المنطلق من واقع التشريع ينتقل السياق إلى الحديث من واقع الخلق،فبعد أن أثبت بأنّ الرساله ليست من صنيع البشر فلا هى كهانه و لا جنون و لا شعر و لا مخالفه للعقل،و أنّ الدليل على كونها من اللّه عدم قدره البشر على المجيء و لو بحديث واحد يشبهها،نجد السياق هنا ينعطف لاثبات وجود الخالق عزّ و جل عبر تساؤلات ثلاث:

الأولى:أن يكونوا(الكفّار و عموم الخلق)قد خلقوا من غير خالق.

۱- ۱) الإسراء۸۸/.

الثانيه:أن يكونوا هم الذين خلقوا أنفسهم.

الثالثه:أن يكونوا هم الذين خلقوا السماوات و الأرض.

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ و التعبير هنا عن الخالق بالشيء ليس من باب أنّه سبحانه يشبه الخلق،و إنّما لاثبات أنّه حق فالشيء فى مقابل العدم،ففى مقام الربوبيه ليس لنا سبيل إلّا بقدر الخروج من حدّ النفى و التعطيل،أو بتعبير آخر:نفى النفى و إعدام العدم،أمّا أن نثبت-وراء ذلك-لربّنا القدوس ذاتيه معلومه أو موهومه أو متخيله فلا،فهو شيء أى أنّه حق قائم قيّوم و لكن لا كالأشياء الكائنه التى يحيط بها العلم و يتصوّرها القلب.

و ليس أحد يعتقد فى نفسه و لا يعتقد فيه الآخرون العقلاء بأنّه مصداق لأحد هذه الفروض الثلاثه و لا التى ستأتى بعدها،ذلك أنّ المخلوق لا- يأتى من الفراغ ما دامت شواهد الصنع ظاهره فيه،بل لا بد له من خالق،و واضح أنّه لا يمكن للشيء أن يخلق نفسه إنّما يحتاج إلى صانع غيره،و يكفى الإنسان شاهدا على نفسه بأنّه ليس الخالق أن ينظر حوله إلى السماوات و الأرض هل يعقل أن يكون قد خلقهما هو أو بشر مثله؟ أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ ان المشكله مشكله نفسيه و لو كانت عقليه لا نحلت بشيء من التفكير فى مثل هذه الفرضيات انهم لا يريدون الايمان لكى لا يلزموا أنفسهم بمسؤولياته،اذن فالنقص موجود فيهم لا فى حجج الحق التى تقوى عليهم! [۳۷]ثمّ دعنا عن حديث الخلق و لنسأل:ماذا لدى الكفّار من الملك و السيطره

حتی یتکبّرون علی الحق اعتمادا علیهما؟إنّ أکثر من ۹۹٪من ثروات البشر و قدراته هی رزق مباشر من عند اللّه.و الذی یحتاج الحصول علیه من الثروه مع السعی أقل من ۱٪،و ما هی نسبه ما یقع فی أیدی الناس حتی یتفاخروا به و یکون سببا لکفرهم؟ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّکَ و الخزائن هی أماکن حفظ الثروات و مقالیدها،و من مصادیق الخزائن المنابع الأوّلیه للثروه فی الحیاه،کمناجم المعادن،و ینابیع الغیث،و مصادر الطاقه، و مواد الحیاه فی الأرض،و هی جزء بسیط جدا من خزائن اللّه التی خلقها و وزّعها فی الکون.

و إذا نظرنا إلی جانب التدبیر فی الحیاه فلن نجد سلطه فعلیّه تحکمها غیر سلطان اللّه،فالإنسان لا سلطان له حتی علی حیاته الشخصیه إلّا قلیلا،فطالما تصوّر نفسه متمکّنا و قادرا فوجد العکس،و طالما قرّر شیئا فاکتشف عجزه المضی فیه.

أَمْ هُمُ الْمُصَیْطِرُونَ بالطبع لا سیطره لهم علی الحیاه فلیحاولوا دفع الموت عن أنفسهم إن استطاعوا.

[۳۸]و یسترسل الوحی فی طرح السؤال تلو السؤال،و هذا جزء من منهج القرآن فی علاج الانحرافات النفسیه و العقائدیه لدی البشر،أن یضعه أمام الحقیقه من خلال أسئله تسوق الاجابه الموضوعیه علیها إلی ذات الحقیقه،کما یحاول بها ضرب الفلسفات و الاعتقادات المنحرفه عنده.

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ یَسْتَمِعُونَ فِیهِ

إنّ الذى ينبغى الطاعه له و التسليم لقياده ليس الذى يملك ظاهرا من الثروه و السيطره قدرا ضئيلا لا يقاس إلى ما عند اللّه،و هم معترفون بأنّهم لا يملكون أداه لالتقاط الغيب،فما ذا فى أعماق الأرض و أغوار الفضاء،و ما الذى تخبّؤه الأقدار، و ماذا يحدث غدا،و ما هى الأرواح و الملائكه و الجن و عالمهم؟ و إنّما القياده و الفضل لمن يتصل باللّه عبر الوحى و هو الرسول صلى الله عليه و آله ،و لعلّ اختيار كلمه «فِيهِ» فى الآيه و تجنّب التعبير بكلمه«به»لأنّ الاستماع لا يكون بسبب السلّم بل فى السلّم الذى يعرجون فيه.

و إذا كانوا يزعمون أنّهم مطّلعون على الغيب إذا دعهم يأتوا عليه بحجه داحضه.

فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ كالقرآن بشموليته،و كماله،و روعه أسلوبه،و هيمنته على عقل الإنسان و نفسه،و لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا.

[۳۹]و كيف يأتى هؤلاء ببرهان قاطع و هم لا يتبعون إلا الظن،و لا يعتقدون إلّا بالباطل،و إلّا فكيف قالوا بأنّ البنات للّه و لهم البنون؟!ما هو دليلهم على ذلك؟ أَمْ لَهُ الْبَناتُ وَ لَكُمُ الْبَنُونَ و فى سوره الزخرف نجد علاجا أشمل لهذه العقيده المنحرفه لدى المشركين، يقول تعالى: «أَمِ اتَّخَذَ مِمّا يَخْلُقُ بَناتٍ وَ أَصْفاكُمْ بِالْبَنِينَ* وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ* أَ وَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِى الْحِلْيَهِ وَ هُوَ فِى الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ* وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَهَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ

سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ* وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ» (۱)و هنا يشير السياق مجرّد إشاره إلى سفاهه هذا القول و يسوقه مثلا لضلالاتهم الداله على بعدهم عن الغيب.

[۴۰]و الرسل لا يطالبون الناس بالأجر بإزاء تعبهم و نصبهم من أجلهم حتى يمكن الكفّار تفسير رفضهم الرساله بأنّهم لا يقدرون على إعطاء الأجر.

أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ إنّ الرسول لا يتطلّع إلى أهداف ماديّه مصلحيّه من وراء قيادته للناس.إنّه ليس كالذين يتسلّطون على المجتمع من أجل فرض الضرائب و امتصاص خيرات البلاد و العباد،إنّما يريد أن يعطيهم شيئا هو الغنى بعد الفقر،و الأمن بعد الخوف، و الوحده بعد الفرقه،و بعباره أخرى يريد أن يتقدّم بهم نحو الحضاره الربّانيه التى فيها خيرهم، و هذا ما تتميّز به رسالات اللّه عن الدعوات البشريه الماديه حيث لا يجد فيها المجتمع إلاّ الكلفه و الغرم الثقيل.

[۴۲-۴۱]ثم يشير القرآن إلى حاجه فطريه عند الإنسان تدعوه إلى معرفه الغيب و الاتصال به،و كلّ إنسان يخشى من الغيب،و يعلم بأنه لا سبيل له اليه، لأنّ الاختيار فى هذا الأمر ليس مرتبطا به،إنّما يختار اللّه من يشاء من عباده، «وَ ما كانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ» (۲)و البعض يدّعى الاتصال بالغيب و لكن دون أن يدّعى أنّه قادر على معرفه أبعاد الغيب بحيث تمكّنه من كتابته بوضوح كما كتب الرسول أبعاد الوحى،أى أنّهم

۱- ۱) الزخرف۱۶/-۲۰

۲- ۲) آل عمران۱۷۹/.

ليست عندهم معرفه شامله واعيه بالغيب،إنّما يتبعون الظنون و جانبا من أخبار الشياطين.

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ بلى.إنّهم لا يعتمدون على الغيب،إنّما يعتمدون على الكيد،و كلمه«أم» التى تأتى فى الآيه للتأكيد لا الاحتمال و التردّد.

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً و الكيد هو القوّه المخططه و المقنّنه كالاستراتيجيّه،و إنّما نكّر اللّه الكيد ليجعله دالا على أنّه لا ينفع أىّ نوع أو أيّه درجه منه.

فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ لأنّهم مهما بلغوا من المكر و الحيله فلن يستطيعوا الغلبه على الحق(سنن اللّه فى الخلق و مشيئته القاهره)و منهجه المتكامل إذا اتبعه المؤمنون،و التاريخ شاهد على هذه الحقيقه.

[۴۳]و يعود القرآن إلى بيان الانحرافات النفسيه العميقه عند الإنسان فيقول:

أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يُشْرِكُونَ إنّ اللّه منزّه عن الشركاء،و الإنسان يشرك به غيره للتهرّب من المسؤوليه، و ليس اعتمادا على عقيده راسخه بيّنه،إنّه إذا لم يدع شريكا مع اللّه فهو ملزم بالتسليم لرسالته عقلا و ضميرا،لذلك نجده يسعى لتخليص نفسه من هذا الالتزام بالشرك.

[۴۴]و لأنّ العقائد المنحرفه عند الكفّار و المشركين،و التى استعرضتها الآيات الماضيه،تنتهى كلّها إلى غايه واحده هى محاوله التملّص من المسؤوليه،فإنّ القرآن لا ينى يؤكّد المسؤوليه من خلال بيان سنّه الجزاء الحاكمه فى الحياه،ففى الدنيا تجلّيات عديده لهذه السنّه ممّا يؤكّد وجود حياه أخرى للجزاء أيضا،و لكنّ الإنسان حينما يكفر أو يشرك لا تهديه العلامات إلى الحقيقه،بل يفسّرها تفسيرا ماديّا منحرفا،بل حتى لو رأى آيه ظاهره فسّرها تفسيرا بعيدا.

وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحابٌ مَرْكُومٌ و فى سوره الأحقاف يضرب القرآن لنا مثلا على هذا النوع من التفسير عند الكفّار فيقول: فَلَمّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحُوا لا يُرى إِلاّ مَساكِنُهُمْ كَذلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (۱).

[۴۵]و حينما يصل الإنسان إلى هذه الحاله النفسيه من الضلال و الجحود تصعب هدايته إلى الحق،لأنّه لن ينظر إلى الآيات نظره عقلانيه مجرّده،إنّما سينظر إليها من خلال أفكاره،و يسعى جاهدا لاستلابها دلالاتها الواقعيّه الحقّه،لذا لا ينبغى للداعيه أن يصرّ و يبخع نفسه لهدايته،إنّما يبيّن إليه الحق ثم يتركه يواجه مصيره بنفسه،لأنّ الإصرار الزائد عن حدّه قد يسبّب حالات و صفات خاطئه كالديكتاتوريه و الغصب،أو أن يغيّر هو من الدّين ليدخلهم فيه.

فَذَرْهُمْ حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ إشاره إلى العذاب الذى ينتظر الكفّار يوم القيامه،فلأنّهم كفروا بالآخره

۱- ۱) الأحقاف۲۴/-۲۵

و غفلوا عنها فی حیاتهم فإنّهم یفاجأون بذلک.

[۴۶]و إذا کان مکرهم و کیدهم فی الدنیا نفعهم بعض الشیء و خدم مصالحهم،فربما انتصروا عسکریّا علی المؤمنین،أو ظهروا علی البلاد و أضلّوا الناس عن الحق،فإنّهم فی الآخره لا ینفعهم المکر شیئا،و لا یدفع عنهم خطرا.

یَوْمَ لا یُغْنِی عَنْهُمْ کَیْدُهُمْ شَیْئاً کما أنّ القوی الأخری التی اعتمدوا علیها فی کفرهم و کیدهم للحق و المؤمنین لا تعینهم،و إن أعانتهم فهی لا تبلغ بهم سبیلا إلی الغلبه و النصر.

وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ [۴۷]و لکنّ دعوه اللّه لرسوله(و للمؤمنین من خلاله)إلی ترک الظلمه و الکفّار یلاقون عذاب الآخره لا یعنی أنّ الدنیا لهم،یلعبون فیها کیفما شاءت أهواؤهم و مصالحهم،کلّا..إنّما یلقون فیها نصیبا من العذاب متمثّلا فی غضب اللّه المباشر أو علی أیدی أولیائه،و لکنّه مهما بلغ لا یکون کعذاب الآخره.

وَ إِنَّ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا عَذاباً دُونَ ذلِکَ أی غیره،و أقلّ منه ألما،و هو دلیل علی عذاب الآخره،قال تعالی: کَذلِکَ الْعَذابُ وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَکْبَرُ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ (۱)و قال: وَ لَنُذِیقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنی دُونَ الْعَذابِ الْأَکْبَرِ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (۲)،و لکنّهم لا ینظرون إلی الآیات ببصیره الایمان و من ثمّ لا یصلون إلی الحق.

۱- ۱) القلم۳۳/

۲- ۲) السجده۲۱/

وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ و بالتالی فإنّ جهلهم یوقعهم فی العذاب الدنیوی و الأخروی معا.

[۴۹-۴۸]و بعد أن عالج القرآن مشکله التکذیب بالعذاب و الکفر باللّه من الناحیه النفسیه و العقلیه،أکّد ضروره الاستمرار و الاستقامه علی الحق فی سبیل اللّه.

وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ و حیث حذف متعلّق الصبر دلّ ذلک علی کلّ معانیه(الصبر عند البلاء، و الصبر علی الطاعه،و الصبر عن المعصیه)،فیجب إذن علی المؤمن أن یتنازل عن جمیع تطلّعاته و مصالحه و آرائه فی سبیل رسالته،مهما کان الصبر علی ذلک صعبا، و أن یترک العجله فی الأمور،بل یصبر حتی یأتی أمر اللّه متمسّکا بمنهج الوحی، و هذا یوحی بأنّ علی المؤمن تطبیق أحکام اللّه أثناء الصبر،و لیطمئنّ أنّ عین اللّه تحرسه و تسدّد خطاه.

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنٰا و عیون اللّه تتجسّد فی سننه و ملائکته و إرادته المباشره التی تؤیّد المؤمنین،و کما یقاوم المؤمن الضغوط،و یستمر فی الطریق،و یلتزم بحدود اللّه و أوامره بعامل الصبر،فإنه یستمدّ إرادته من الاتصال باللّه فی الصلاه،و لو تدبّرنا فی القرآن فإنّنا لا نکاد نجد دعوه إلی الصبر إلاّ و قد اقترنت بها دعوه إلی الصلاه أیضا،إذ بهما نستعین علی الأمور،بلی.قد تختلف التعابیر من موضع إلی آخر،فتأتی تاره صریحه کما فی قوله تعالی: وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاٰهِ (۱)،و أخری دون ذلک بالدعوه

۱- ۱) البقره۴۵/

إلی التسبیح أو الرکوع و السجود کمظهر أو جوهر للصلاه،أو بإضافه أمر آخر مثل ضروره الاحساس بالرعایه الالهیه کما فی هذه السوره،و لکنّ الحقیقه واحده و هی اقتران الصبر بالتبتّل،و فی هذه الآیه نجد شاهدا علی ذلک فبعد أن دعا اللّه رسوله للصبر و الاطمئنان لرعایته أمره بالتسبیح.

وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ حِینَ تَقُومُ قال علی بن إبراهیم:«لصلاه اللیل» (۱)وَ مِنَ اللَّیْلِ فَسَبِّحْهُ

قال الباقر و الصادق(علیهما السلام) :إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله کان یقوم من اللیل ثلاث مرات،فینظر فی آفاق السماء،و یقرأ الخمس من آل عمران التی آخرها «إِنَّکَ لا تُخْلِفُ الْمِیعادَ» ثم یفتتح صلاه اللیل (۲)و التسبیح هو تعظیم اللّه عزّ و جل و تنزیهه،و ما أحوج الإنسان و هو یقاوم مختلف الضغوط فی مسیرته حتی لا ینهزم أمامها إلی ذلک.و لماذا یستسلم الإنسان إلی الضغوط؟أ لیس لأنّه یجدها أکبر من إرادته؟إذن فهو بحاجه إلی تذکّر اللّه لیقاوم الهزیمه و الانبهار فی داخله.

وَ إِدْبارَ النُّجُومِ یعنی نافله الصبح،

عن زراره عن أبی جعفر علیه السلام قال :قلت له «وَ إِدْبارَ النُّجُومِ» قال:«رکعتان قبل الصبح » (۳)

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۱۴۳

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) المصدر/ص ۱۴۴

و قد يكون القيام عموم الصلاه،و لكنّ القرآن يخصّ بالذكر صلاه الليل و نافله الصبح لغرض ما.

ص:۱۳۲

سوره النجم

اشاره

ص:۱۳۳

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السوره:

فی کتاب ثواب الأعمال باسناده الی أبی عبد اللّه علیه السلام قال :«من کان ید من قراءه و النجم فی کل یوم أو فی کل لیله عاش محمودا بین الناس،و کان مغفورا له،و کان محبوبا بین الناس».

بحار الأنوار/ج /۹۲ص ۳۰۵

ص:۱۳۵

الإطار العام

بالرغم من أنّ كثيرا من آيات هذه السوره تحدّثنا عن الوحی ممّا یدع القارئ یظنّ لأوّل الأمر أنّها تعالج هذا الموضوع،إلّا أنّ المتدبّر یری أنّ السیاق یهدف معالجه المسؤولیه البشریه،و تزداد هذه الفکره وضوحا عند التأکید علی المسؤولیه المباشره للإنسان عن أفعاله و أن لیس له إلا سعیه،و أنّه سوف یراه إن عاجلا فی الدنیا أو آجلا فی الآخره.

و العلاقه بین هاتین الفکرتین(فکره المسؤولیه و فکره الوحی)علاقه عضویه واضحه،ذلک أنّ إحساس الإنسان بمسؤولیته نتیجه مباشره لإیمانه العمیق بالوحی، و هل تنزّل الوحی برسالات اللّه للأمم علی الأنبیاء عبر التاریخ إلّا لإتمام الحجه علی الناس،و تقریر مسئولیتهم أمام اللّه؟ کما نجد فی السوره خطا موازیا لهذا السیاق یهدف تصحیح منهجیّه التفکیر عند الإنسان،إضافه إلی علاجه العقائد المنحرفه معالجه مباشره.

[سوره النجم (۵۳): الآيات ۱ الى ۱۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . وَ اَلنَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ (۱) مٰا ضَلَّ صٰاحِبُكُمْ وَ مٰا غَوىٰ (۲) وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىٰ (۳) إِنْ هُوَ إِلاّٰ وَحْيٌ يُوحىٰ (۴) عَلَّمَهُ شَدِيدُ اَلْقُوىٰ (۵) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوىٰ (۶) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ اَلْأَعْلىٰ (۷) ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰى (۸) فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ (۹) فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ (۱۰) مٰا كَذَبَ اَلْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ (۱۱) أَ فَتُمٰارُونَهُ عَلىٰ مٰا يَرىٰ (۱۲) وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ (۱۳) عِنْدَ سِدْرَةِ اَلْمُنْتَهىٰ (۱۴) عِنْدَهٰا جَنَّةُ اَلْمَأْوىٰ (۱۵) إِذْ يَغْشَى اَلسِّدْرَةَ مٰا يَغْشىٰ (۱۶) مٰا زٰاغَ اَلْبَصَرُ وَ مٰا طَغىٰ (۱۷) لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ اَلْكُبْرىٰ (۱۸)

اللغه

۵[شديد القوى]:هو اللّه و قيل جبرئيل عليه السلام .

۶[مرّه]:قوّه،و أصل المره خلط فى العروق كالصفراء و السوداء،و سمّى مره لقوّه البدن به،أو المراد بذى مرّه:

الحصافه فى العقل و الرأى.

۸[فتدلى]:أصل التدلّى استرسال مع تعلّق و هو مثل تدلّى الدلو فى البئر.

۱۴[سدره المنتهی]:سدره فی الأفق الأعلی بلغها الرسول صلی الله علیه و آله .

ص:۱۴۰

إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْیٌ یُوحیٰ

هدی من الآیات:

تهدینا آیات الدرس الأوّل إلی علاقه الرسول صلی الله علیه و آله بربّه من خلال الوحی، هذه المیزه التی تمیّزه عن دعاه النظریات البشریه،و عما تتفتق به عقول النوابغ من أفکار.إنّه لا ینطق إلاّ بإذن اللّه،ممّا یجعله حجه و قدوه للبشریه فی کلّ مکان و زمان،و هو علی یقین تام بنبوته،لا یشک فی ذلک طرفه عین أبدا.

و لا شک أنّ هذه منزله رفیعه بلغها النبی الأعظم صلی الله علیه و آله دون سائر البشر و أعلی من سائر الأنبیاء،و لکن ذلک لم یصیّره إلها،بل تدلّی،و ذلک یعنی أنّه أرفع من الخلق،و أدنی من الخالق.

بینات من الآیات:

[۱] وَ النَّجْمِ إِذا هَوی

قد يكون القرآن يقصد هنا نجما معيّنا أخبر المسلمين بسقوطه فى المستقبل،كما تشير الروايات إلى ذلك،و لكنّنا بالنظر إلى الظاهر و إلى الهدف من وراء هذا القسم نستطيع اعتباره شاملا لكلّ نجم،و إنّما عرّف اللّه المقسم به ب(ال)لأنّه أبلغ من التنكير فى القسم كما قيل،و لكن لماذا يقسم القرآن بالنجم حين يهوى؟ أولا:ربما لأنّ الكثير من الناس كانوا يعتقدون بأنّ النجوم ثابته لا تتغيّر،و قد اتخذها بعضهم آلهه من دون اللّه،و سقوطها أبطل هذا الإعتقاد الضال.

ثانيا:قد لا يكون المقصود من الهوى السقوط و الانتشار،كما فى قوله تعالى:

وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (۱)، وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ (۲)كعلامه ليوم القيامه،و إنّما الميل إلى طرف من الأفق،الأمر الذى يجعله أفضل هدايه و تعريفا للإنسان بالطريق.

[۲]و كما أنّ النجم رمز للهدايه فإنّ الرسول صلى الله عليه و آله هو علم رفيع لهدايه البشريه،كما

قال الإمام على عليه السلام :«ألا إنّ مثل آل محمّد(صلّى اللّه عليه و آله) كمثل نجوم السماء،إذا خوى نجم طلع نجم » (۳)،و لكنّ الرسول صلى الله عليه و آله يختلف عن النجم فى أنّ دلالته و هدايته للناس تبقى قائمه فى رسالته و سيرته حتى بعد موته، أمّا النجم فإن دلالته تنتهى بهويه،كما

يقول الإمام على عليه السلام :«أيّها الناس حذوها من خاتم النبيين(صلّى اللّه عليه و آله و سلّم):إنّه يموت من مات منّا و ليس بميّت،و يبلى من بلى منّا و ليس ببال » (۴)،و أولى بالعاقل أن يتبع هدى الرسول الذى يتبع الحق،و لا يكذب أهله،لا أن يتبع ظنون نفسه،و لا تخرّصات

۱- ۱) التكوير۲/

۲- ۲) الإنفطار۲/

۳- ۳) نهج البلاغه/خ ۱۰۰

۴- ۴) نهج البلاغه/خ ۸۷

الكهنه و المنجّمين.

«ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى» الضلاله هى الانحراف عن أصل الطريق،بينما الغوايه-حسبما يبدو- الانحراف عن سواء الطريق،فقد يضل الواحد طريقه إلى مدينه شرقيه فيتجه غربا، و قد يغوى عنها فلا يتجه إليها عبر خط مستقيم..و لم يضل النبى طريقه نحو اللّه فيختار-حاشاه-طريقا آخر،كما لم يتنكّب عن الخط المستقيم و لا شيئا قليلا، فلم يكن كأبينا آدم-عليه السلام-الذى قال عنه ربّنا: «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى» (۱).

[۴-۳]بلى.لقد زعم البعض أنّ عصمه النبى صلى الله عليه و آله محدوده فى الشؤون المتصله بالرساله نفسها و حسب،و لكن السؤال:إذا كيف نعرف أنّ ما يتحدّثه الرسول هل هو جزء من الرساله،أو هو شأن من الشؤون التى يخطأ فيها؟كلّا..

إنّ اللّه قد عصم الأنبياء جميعا،و أيّدهم بروح القدس،حتى تتمّ حجته على خلقه، و لا يبرّروا مخالفتهم لهم بعدم الثقه بأنّ كلامهم من عند اللّه،و قد قال سبحانه:

«وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ» (۲)، و قال: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ» (۳).

إنّ الإنسان تنازعه من داخله قوّتان:نور العقل الذى يهديه إلى الحق،و شهوات الهوى التى تدفعه باتجاه الباطل،و لقد أدّب اللّه نبيّه صلى الله عليه و آله إلى أن اعتصم من آثار الهوى،و جسّد الحق لا يزيغ عنه لحظه و لا قيد شعره.

۱- ۱) طه۱۲۱/

۲- ۲) الحاقه۴۴/-۴۶

۳- ۳) الجن۲۶/-۲۷-۲۸

إنّ العقل المحض لا- يخطئ أبدا،و لذلك اعتبره الإسلام رسولا- باطنا كما أنّ الأنبياء كانوا رسلا ظاهرين،و حجه خفيّه كما الرسالات حجه ظاهره.

وَ مٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ* إِنْ هُوَ إِلاّٰ- وَحْيٌ يُوحىٰ و من عمق الأدب القرآنى و بلاغته أنّه لم يكتف بكلمه «وَحْيٌ» بل أضاف إليها كلمه «يُوحىٰ» الفعل المبنى للمجهول،و ذلك لأنّ الوحى قد يكون من فعل نفس الإنسان،أمّا إذا بنى للفاعل المجهول فإنّه يكون من طرف آخر،و الآيه التاليه تبيّن الموحى و هو اللّه شديد القوى، نفيا لاحتمال أن يكون الرسول يتلقّى رسالته من قوى يتصل بها كالجن أو بعض الكهنه،كما ادّعى عليه الجاهلون «وَ قٰالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ» (۱)،كلاّ- إنّه يتلقّى رسالته عبر الوحى من اللّه،و هذا الاتصال هو الذى يمدّه بالعصمه،و حديث عصمه الرسول حديث طويل بحثه الدارسون،و قد اختلفوا فيه كثيرا،و أنا أترك الخوض فى هذا الموضوع بالصوره التى بيّنها الكثير،و أقتصر هنا على الحديث عنه من زاويه هامّه جدا،و هى دراسه حياه الرسول صلى الله عليه و آله ،لأنّ ذلك كما اعتقد سوف يكشف لنا شخصيته الفذّه،و كيف أنّها لم تتأثّر بأىّ عامل هوى،إنّما كانت دائما و أبدا صنيعه العقل و الوحى.

لقد عاش صلى الله عليه و آله فى مكّه المكرّمه-قبل أن يظهره اللّه على المشركين فيها- تلاحقه عصابات الضلاله و البغى من قريش،يحاولون أن يخدعوه عن دينه، و يصرفوه عن رسالته،بالإرهاب تاره و بالترغيب أخرى،حتى بلغ الأمر بهم أن عرضوا عليه السلطه المطلقه عليهم و على أموالهم،و لكنّه لم يخش إرهابهم،و لم تحرّفه عروضهم المغريه،إنّما تسامى على ذلك كلّه،و أجابهم:

«و اللّه لو وضعتم الشمس فى يمينى،و القمر فى يسارى،على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه »،

۱- ۱) الدخان۱۴/

و اضـطر من شـدّه ضـغوطهم و أذاهم إلى الهجره عن مكه، و كانت القبائل جميعها ترفض إيواءه عـداوه له أو خوفا من قريش،و سار نحو الطائف لعلّه يجد مفزعا فيها، و لكنّه اصـطدم بحقدهم الدفين ضدّه و ضدّ رسالته،حيث طردوه و أدموا ساقيه الشـريفتين بالحجاره،لكنّه مع ذلك كان يتحدّى الواقع المر،و يسمو بروحه الطاهره إلى آفاق الإيمان باللّه،

فقـد جاء فى الخبر أنّه رفع يديه إلى السـماء و قال:«اللّهمّ اهد قومى فإنّهم لا يعلمون،إلهى إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ».

و حينمـا هـاجر إلى المـدينه المنـوّره انطلق منهـا يقهر القوى العسـكريه المضـاده، فحطّم كبريـاء قريش،و دمّر حصون اليهود من أعـداء الرساله و غيرهم،و إلى حين رفعه اللّه إليه كان قـد جهّز جيشا ليقاتل الروم القوه العظمى يومـذاك،و بين هذا و ذاك بنى أمّه و حضاره لا زالت البشريه و لن تزال كلّما تقدّم بها الزمن و التطوّر تجد نفسها دون عظمتها.و هو مع ذلك لم تتغيّر أخلاقه و لاـ سـيرته فى العيش،إنّمـا بقى و هـو الحـاكم العظيم يربـط حجر المجـاعه على بطنه،و يتواضع للصـغير و الكـبير،أ ترى من هـذه حيـاته،و من جعله اللّه أسـوه مطلقه وصـفها بـالحسن إلاّـ أن يكون معصومـا؟ ثم أ ليست العصـمه أن لاـ يتـأثّر الإنسـان بـالعوامل السلبيه،و لا يخرج عن خطّه و لا قيد شعره؟بلى.إذن فلندرس حياه الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله هل نجد فيها و لو كلمه أو تصـرّفا يخالف الحق؟ إنّ من السـهل على العاقل أن يميّز الـذى ينطق عن الهوى عمّن ينطق عن العقل، فالذى ينطق عن الهوى لا يصدق دائما،و لا يكون حديثه موافقا للعقل،إنّما يكون تعبيرا عن شهوات صاحبه،و متناقضا متقلّبا حسب الظروف و المصالح.

ثم لننظر إلى الرسـاله التى جـاء بهـا النبى هـل تخالف العقل و الحق؟و هل فيها شـىء من التناقض؟كلاّ..إذن فهى معصومه،و من عند اللّه، وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ

غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً (۱).

ثمّ أنه كان ينقل ما ينزل عليه من اللّه بامانه تامّه إلى المجتمع لا يغيّر شيئا أبدا، و حتى الآيات التى تشتمل على لومه كان يثبتها فى الرساله،و يبلّغها للناس،و لو كان يتبع أهواءه لكان يخفيها عليهم،و من هذه الآيات قوله تعالى: وَ إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً* وَ لَوْ لَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً* إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاهِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً (۲)و قوله: عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (۳)، و الآيه الكريمه: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (۴)و أشدّ من ذلك كلّه قوله تعالى:

وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (۵).

و أخيرا:لم يكن النبى يبلّغ الرساله للآخرين فقط،بل كان هو يطبّقها أيضا، و قبل غيره،بما فيها من واجبات تقتضى أن يخالف الإنسان أقوى منعطفات الهوى، فهو يتقدّم المؤمنين فى أمر حاسم و خطير كالقتال.أ ترى لو كان يتبع أهواءه يصنع كلّ ذلك؟! [۵-۶]و كيف يتبع الرسول هواه،فيخفى بعض الذى أنزل عليه،أو يتقوّل على اللّه بدافع الشهوه و المصلحه،و هو يعلم ما عنده من البطش و الشده؟

۱- ۱) النساء۸۲/

۲- ۲) الإسراء۷۳/-۷۵

۳- ۳) التوبه۴۳/

۴- ۴) آل عمران۱۲۸/

۵- ۵) الحاقه ۴۰/-۴۷

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ ذو الإراده المطلقه النافذه فی الحیاه،و هذه ضمانه لتنفیذ الحق الذی جاء به القرآن و تطبیقه علی الحیاه.

ذُو مِرَّهٍ أی مطلق العلم و الحکمه،ممّا یجعل الرساله(الوحی)کامله دقیقه لا یلحقها نقص و لا عیب، و لأنّ الرسول کان یتلقّی رسالته و علمه من صاحب هاتین الصفتین فقد تکامل بالتأیید و العلم الإلهیین..

فَاسْتَوىٰ و فی الآیه أقوال شتی:فقال الکثیر من المفسّرین:أنّ من علّم رسول اللّه هو جبرئیل الذی هو شدید القوی،و هو أیضا ذو مرّه و قد استوی.

و فی کلمه «ذُو مِرَّهٍ» قال البعض:أنّ معناها صاحب قوّه،و قال آخرون:ذا عقل،و قیل:صاحب خلق حسن،أمّا عن الإستواء فقال البعض:أنّ معناه أنّ جبرئیل استوی هو و الرسول،و قال البعض:أنّ الرسول قد استوی،و قال البعض:

بل اللّه هو الذی استوی علی عرش القدره.

و لعل التفسیر الذی اخترناه آنفا هو الأقرب،لأنّ السیاق لا یحدّثنا شیئا عن جبرئیل،ثم أنّ الإستواء الذی یهتم به سیاق السوره متصل بالرسول،لأنّه یحدّثنا عن الرسول و لیس عمّن علّمه.

[۷]و بهذا الاتصال أیضا سمی النبی محمد صلی الله علیه و آله بروحه طهرا و عرفانا و زلفی إلی أفق الحقّ الأعلی،فصار سیّدا لأفضل خلق اللّه و هم النبیّون(علیهم السلام)،

و لقد كان عروجه إلى اللّه فى تلك الرحله المشهوده تجسيدا لذلك السمو.

لقد كان(صلّى اللّه عليه و آله)يتلقّى الوحى عبر جبرائيل حينا،و بصوره مباشره حينا،و لعلّ أعظم ساعات التلقّى كانت حينما رفعه اللّه إلى مقام قال عنه رفيقه جبرئيل:

«مكانك يا محمّد فلقد وقفت موقفا ما وقفه ملك قط و لا نبى » حتى لم يبق بينه و بين ربه واسطه،و دنى من اللّه قربا فكان كما

قال الإمام الصادق عليه السلام :بينهما حجاب يتلألأ بخفق،فنظر فى مثل سمّ الإبره إلى ما شاء اللّه من نور العظمه، فقال اللّه تبارك و تعالى:«يا محمّد!قال:لبيك » (۱)و كلّمه تكليما،كما كلّم موسى بن عمران(عليه السلام).

وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلىٰ يطوف معه جبرئيل و هو على البراق،يصعد من سماء إلى أخرى ينظر إلى آيات اللّه،و يزداد برؤيتها يقينا و صعودا فى آفاق الإيمان حتى بلغ السماء السابعه.

ثُمَّ دَنىٰ فَتَدَلّٰى حتى بلغ حجب النور،

يقول النبى صلى الله عليه و آله : «فقال لى جبرئيل:تقدّم يا محمّد، و تخلّف عنى،فقلت:يا جبرئيل!فى مثل هذا الموضع تفارقنى؟!فقال:يا محمّد إنّ انتهاء حدّى الذى وضعنى اللّه عزّ و جلّ فيه إلى هذا المكان،فإن تجاوزته احترقت أجنحتى،بتعدّى حدود ربّى جلّ جلاله،فزخّ بى فى النور زخّه حتى انتهيت إلى حيث(ما)شاء اللّه من علوّ ملكه » (۲).

و يخالف الفكر الإسلامى الأصيل النظره الفلسفيه،أو ما يسمّيها البعض

۱- ۱) بحار الأنوار/ج ۱۸-ص ۳۰۶

۲- ۲) المصدر/ص ۳۴۶

بالعرفانيه فى علاقه الخالق بالمخلوق،فبينما ترى هذه وحده الوجود و إمكانيه الحلول،تعالى اللّه عمّا يصفون،تفصل النظريه الإسلاميه بين الإثنين،و ترى أنّ الخالق غير المخلوق،و أنّه لا يمكن بأىّ حال من الأحوال أن يصل الإنسان إلى مقام الربوبيه،مهما بلغ من الفضل و العلم و الإيمان،بل المجال مفتوح أمام البشر للتكامل فى معارج القرب من ربّه،أفقا أفقا،و درجه درجه،دون أن ينتهى ذلك أبدا،لأنّ

«اللّه خلو من خلقه، و خلقه خلو منه » (۱).

إنّ القرآن يقرّ رحله المعراج و دنوّ النبى صلى الله عليه و آله من ربّه،و لكنّه يعتبره دنوّا معنويّا لا ماديّا،و يقول بأنّه(صلّى اللّه عليه و آله)تدلّى فى علوّه،كما الدلو حينما يتأرجح فى البئر فلا هو إلى قعره حيث الماء،و لا هو إلى أعلاه حيث الأرض،إنّما بين الإثنين،و هكذا سمى الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله حتى ارتفع عن سائر الخلق بقر به من اللّه،و لكنّه لم يصل إلى مقام الربوبيه،فهو فوق الخلق و دون الخالق،

و فى الخبر عن ثابت بن دينار قال :سألت زين العابدين علىّ بن الحسين(عليهما السلام) عن اللّه عزّ و جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟فقال:«تعالى اللّه عن ذلك»،قلت:

فلم أسرى بنبيّه محمّد صلى الله عليه و آله إلى السماء؟قال:«ليريه ملكوت السماوات و ما فيها من عجائب صنعه و بدائع خلقه»،قلت:فقول اللّه: «ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى» قال:«ذاك رسول اللّه صلى الله عليه و آله دنا من حجب النور،فرأى ملكوت السماوات،ثمّ تدلّى فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض » (۲).

و فى حديث آخر عن يونس بن عبد الرحمن قال :قلت لأبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام :لأىّ علّه عرج بنبيّه إلى السماء و منها إلى سدره المنتهى،و منها إلى حجب النور و خاطبه و ناجاه هناك،و اللّه لا يوصف بمكان؟فقال عليه السلام :«إنّ اللّه لا

۱- ۱) التوحيد-للصدوق/ص ۱۴۳

۲- ۲) بحار الأنوار/ج /۸ص ۳۴۷

يوصف بمكان و لا يجرى عليه زمان،و لكنّه عزّ و جلّ أراد أن يشرّف به ملائكته و سكّان سماواته، و يكرمهم بمشاهدته،و يريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه،و ليس ذلك على ما يقوله المشبّهون،سبحان اللّه و تعالى عما يصفون » (۱)و قد يكون التدلّى الأخذ من المعرفه و العلم،كقولنا تدلّى فلان إذا أرسل دلوه فى البئر،و اغترف منه ماء،فإنّ الرسول كان يتدلّى معرفه من بحار العلم و النور التى مرّ بها فى ملكوت السماوات السبع أثناء رحله المعراج،

قال الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام فى جواب له على سؤال رجل عن هذه الآيه و معنى «فَتَدَلّى» :«إنّ هذه لغه فى قريش،إذا أراد الرجل منهم أن يقول:قد سمعت يقول:قد تدلّيت،و إنّما التدلّى الفهم » (۲)و كلّما فهم الإنسان الحقائق،و ازداد معرفه بربّه،كلّما تقرّب إليه و دنى منه،و لعلّ مرور الرسول فى عروجه بملكوت السماوات،و مشاهدته لما فيها من الآيات التى كانت تعرّفه بربّه أكثر فأكثر كلّما صعد فى الأفق نحو الحدّ الذى وصل إليه و تجلّى له فيه نور ربّه،كان تهيئه له ليرى التجلّى الأعظم للّه فى نوره الذى قرب منه الرسول صلى الله عليه و آله .

فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى أبدا ليس اللّه بعيدا عن خلقه.أ و لم تقرأ

فى الدعاء :«و أنّ الراحل إليك قريب المسافه،و أنّك لا تحتجب عن خلقك إلاّ أن تحجبهم الأعمال دونك » (۳).

و لكنّ الإنسان هو البعيد عن ربّه.أو ليس قد تراكمت على نفسه حجب الغفله و الجهل و المعاصى،فكيف يتلقّى نور ربّه؟!

۱- ۱) تفسير نور الثقلين/ج(۵)/ص(۱۸۵).

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۵-ص ۱۵۱

۳- ۳) نور الثقلين/ج ۵-ص ۱۵۲

وهب أنّه طهر قلبه من كلّ ذلك فكيف تستقبل هذه النفس المحدوده العاجزه أنوار عظمه الخالق دون أن يتصدّع قلبه.أو ليست قدره الاحتمال عند النفس البشريه محدوده؟و هل تصبر العين على التركيز فى قرص الشمس طويلا؟كلّا..

لقد تجلّى الربّ لحظه للجبل فجعله دكّا،و لم يصبر قلب موسى ذلك النبى العظيم لرؤيه الجبل الذى تدكدك بتجلّى الرب فخرّ صعقا،فيا ترى كيف صمد قلب محمّد(صلّى اللّه عليه و آله)لنور ربّه،و أىّ مقام سام تعالى إليه نبيّنا الأكرم حتى كان قاب قوسين من ربّه أو أدنى؟! و لم يحدّد القرآن المسافه بالضبط،لعلّه لبيان حاله التصاعد و التنازل التى يتعرّض لهما الإنسان فى القرب و البعد من ربّه،كما قال عن قوم يونس «وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَهِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» ،و لكنّه قال «قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى» فى مقام الرسول لأنّه فى حاله تصاعديه من الإيمان لا تنازليه.

و كلمه أخيره:

قال تعالى «قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى» معبّرا بهذه الوحده القياسيه العرفيه عن قرب الرسول للدلاله على شدّه القرب المعنوى من اللّه،و لتأكيد الفاصله بين الخالق و المخلوق،و قد قالوا فى قاب قوسين:أنّ القاب هو المسافه بين المقبض و السّيه.

[١٠]و هنالك حيث اقترب الرسول من ربّه،و تهيّأ من الجانبين،أوحى اللّه إليه أمرا أبهمه فى النصّ ب «ما» دلاله على العظمه.

فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى قال علىّ ابن إبراهيم(ر ض):«وحى مشافهه» (١)،

و قال الصادق عليه السلام

١- ١) مفاتيح الجنان/دعاء أبى حمزه الثمالى.

لأبی بصیر:«یا أبا محمّد ما جاءت ولایه علی من الأرض،و لکن جاءت من السماء مشافهه » (۱).

[۱۲-۱۱]و إذا کان الرسول رأی نور ربّه بعینه لمّا دنی منه،فإنّه رأی ربّه ببصیره الإیمان فی وحیه المنزل علیه،و رؤیه القلب أجلی و أصدق من رؤیه البصر،بل إنّ هذه الرؤیه القلبیه کانت تأکیدا و تصدیقا لما رآه بعینه من النور.

و لا یمکن أن یری الإنسان ربّه بعینه مشافهه،و لا بعقله لأنّه هو الآخر نعمه محدوده من اللّه،إنّما یری ربّه بربّه من خلال تجلّیه فی آیات الخلق و الوحی،و فی الدعاء نقرأ إشاره إلی هذه الحقیقه عند

قول الإمام علیه السلام :«یا من دلّ علی ذاته بذاته،و تنزّه عن مجانسه مخلوقاته،و جلّ عن ملاءمه کیفیّاته،یا من قرب من خطرات الظنون،و بعد عن لحظات العیون » (۲).

و قلب الإنسان حینما یری شیئا فإنّه لا یخطئ فی رؤیته،ذلک أنّ وجدان الإنسان یصدّق الحق.

مٰا کَذَبَ اَلْفُؤٰادُ مٰا رَأیٰ من الحق النازل علیه من عند اللّه،بل هو علی یقین و قناعه راسخه،لا یمکن أن تزلزله الشبهات و جدلیّات الجاهلین،و أقوال الرسول صلی الله علیه و آله و سلوکیّاته الشخصیه و الاجتماعیه کلّها تدلّ علی أنّه لم یکن یتکلّف فی إیمانه،و إنّما کان ینطلق من قناعه صادقه.

أَ فَتُمٰارُونَهُ عَلیٰ مٰا یَریٰ

۱- ۱) المصدر/ص ۱۵۰.

۲- ۲) مفاتیح الجنان/دعاء الصباح

إنّكم لا يمكن أن تحرّفوا مسيرته،أو تدخلوا إلى نفسه الشك فى رسالته،لأنّه على اليقين.

قال محمّد بن الفضيل سألت أبا الحسن عليه السلام هل رأى رسول اللّه صلى الله عليه و آله ربّه عزّ و جلّ؟فقال:نعم،رآه بقلبه.أمّا سمعت اللّه عز و جل يقول: «مٰا كَذَبَ الْفُؤٰادُ مٰا رَأىٰ» لم يره بالبصر،و لكن رآه بالفؤاد (۱)،و

سئل الرسول صلى الله عليه و آله عن الآيه نفسها فقال:«قد رأيت نورا » (۲).

[۱۵-۱۳] وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْرىٰ و ذلك يحتمل معانى،منها:أنّ الرسول كان يرى اللّه متجلّيا فى كتابه (الوحى)،ثم رأى تجلّيا آخر لربّه عند ما عرج به جبرئيل عليه السلام إلى الأفق الأعلى، و دنى من ربّه فخاطبه مشافهه،و قد يكون المعنى:أن جبرئيل عرج بالنبى إلى حيث أوحى له اللّه ما أوحى،و هناك رأى ببصره نور اللّه،و بقلبه رأى ربّه،ثم عرج به إلى مقام آخر رأى فيه تجلّ ثان للّه عزّ و جل،و هو قوله تعالى:

عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهىٰ و هى شجره فى السماء السابعه(عن على بن إبراهيم) (۳)

«و إنّ غلظ السدره لمسيره مائه عام من أيّام الدنيا» (۴)عن الباقر عليه السلام ،و ربما سمّيت بهذا الاسم لأنّها الموضع الذى ينتهى الملائكه إليه بأعمال العباد (۵)، و لأنّها منتهى ما يمكن أن يبلغ

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵-ص ۱۵۳

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) المصدر/ص ۱۵۵

۴- ۴) المصدر/ص ۱۵۴

۵- ۵) المصدر

إليه مخلوق قربا و دنوّا من ربّه. (۱)

و قيل:هى شجره طوبى (۲)،و قال علىّ بن إبراهيم(رض)هى الشجره:

«التى يتحدث تحتها الشيعه فى الجنان» (۳)،و لعلّها البرزخ بين عالمى الدنيا و الآخره.

و الآيه الكريمه تشير إلى هذا التفسير،قال تعالى:

عِنْدَها جَنَّهُ الْمَأْوى [۱۶-۱۷]و هناك تجلّى نور الربّ لنبيه الأعظم صلى الله عليه و آله فغشى السدره،كما تجلّى من قبل لموسى بن عمران عليه السلام ففاض نور الوحى على تلك الشجره التى أوحى اللّه إليه عندها.

إِذْ يَغْشَى السِّدْرَهَ ما يَغْشى من نور ربّها،و عندها ثبّت اللّه فؤاد نبيّه ليرى ذلك النور،و يبصر به آياته،

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام :«فتجلّى لمحمّد نور الجبّار عزّ و جلّ،فلمّا غشى محمّدا صلى الله عليه و آله شخص بصره،و ارتعدت فرائصه،فشدّ اللّه عزّ و جلّ لمحمّد قلبه، و قوّى له بصره،حتى رأى من آيات ربّه ما رأى » (۴)فلأنّ اللّه ثبته استطاع أن يستوعب الحقائق.

ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى

۱- ۱) المصدر/ص ۱۵۵ و ص ۱۵۶ رقم ۴۴

۲- ۲) بحار الأنوار/ج ۱۸-ص ۲۸۹

۳- ۳) نور الثقلين/ج ۵-ص ۱۵۶

۴- ۴) المصدر/ص ۱۵۴

و الزيغ هو الانحراف،قال تعالى: فَلَمّا زٰاغُوا أَزٰاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ (۱)يعنى لمّا انحرفوا عن الحق،و قال: «رَبَّنٰا لاٰ تُزِغْ قُلُوبَنٰا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنٰا» (۲)أى لا تحرفها عن الحق،و قال: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ أى انحراف فَيَتَّبِعُونَ مٰا تَشٰابَهَ مِنْهُ (۳)،و لكنّ زيغ البصر هنا يعنى انحرافه بعامل الخوف،و يشبهه قول اللّه:

إِذْ جٰاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زٰاغَتِ الْأَبْصٰارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنٰاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا (۴).

أمّا الطغيان فهو الزياده السلبيه فى الشىء،و منه طغيان الحاكم إذا بالغ فى الظلم،و طغيان النهر إذا فاض ماؤه،و طغيان البصر أن يرى الإنسان الشىء أضخم من حجمه،و الرسول لم يزغ بصره،بل كان مطمئنّا ركّز نظره فى الحقيقه لم ينحرف عنها بما ثبّته اللّه تعالى،و لم تطغ عينه فكان ما رآه صغيرا و لكنّه صوّره لنا أكبر من حجمه عند ما رجع من عروجه.

[۱۸]إنّ الآيات التى رآها كانت كبيره بالفعل.

لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ كسدره المنتهى التى تظلّ الورقه منها الدنيا بأجمعها،و يقف عليها ملك يسبّح اللّه لا يفتر عن ذلك،و كنور اللّه الذى تجلّى للنبى صلى الله عليه و آله عندها،و هكذا الكثير من الآيات التى تعرّضت إليها أحاديث الإسراء و المعراج،إلّا أنّ الكبر فى الآيات لا ينصرف إلى حجمها و حسب،إنّما هى قبل ذلك كبيره فى دلالتها على الحق.

۱- ۱) الصف۵/

۲- ۲) آل عمران۸/

۳- ۳) آل عمران۷/

۴- ۴) الأحزاب۱۰/

و كلمه أخيره:

إنّ الآيات التى رآها الرسول صلى الله عليه و آله لا يلمّ بها الكلام مهما كان طويلا و واضحا،و قد لا تستوعبها أذهاننا،لأنّ الكثير منها حقائق غيبيّه مجرّده،لذلك يأتى ذكرها فى القرآن كما فى الأخبار ذكرا إجماليّا.

ص:۱۵۶

[سوره النجم (۵۳): الآیات ۱۹ الی ۳۰]

اشاره

أَ فَرَأَيْتُمُ اَللاّتَ وَ اَلْعُزّى (۱۹) وَ مَنٰاةَ اَلثّالِثَةَ اَلْأُخْرىٰ (۲۰) أَ لَكُمُ اَلذَّكَرُ وَ لَهُ اَلْأُنْثىٰ (۲۱) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزىٰ (۲۲) إِنْ هِيَ إِلاّٰ أَسْمٰاءٌ سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمْ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ اَلظَّنَّ وَ مٰا تَهْوَى اَلْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ اَلْهُدىٰ (۲۳) أَمْ لِلْإِنْسٰانِ مٰا تَمَنّىٰ (۲۴) فَلِلّٰهِ اَلْآخِرَةُ وَ اَلْأُولىٰ (۲۵) وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ لاٰ تُغْنِي شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اَللّٰهُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْضىٰ (۲۶) إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ اَلْمَلاٰئِكَةَ تَسْمِيَةَ اَلْأُنْثىٰ (۲۷) وَ مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ اَلظَّنَّ وَ إِنَّ اَلظَّنَّ لاٰ يُغْنِي مِنَ اَلْحَقِّ شَيْئاً (۲۸) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّىٰ عَنْ ذِكْرِنٰا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ اَلْحَيٰاةَ اَلدُّنْيٰا (۲۹) ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ اَلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اِهْتَدىٰ (۳۰)

اللغه

۲۲[ضیزی]:جائره،من ضاز یضیز إذا جار.

أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنّى

هدى من الآيات:

المسافه بين الحق و الباطل و بين الهدى و الهوى هى بالذات المسافه بين الحقّ و التمنّيات،و بين السعى و الأحلام،و إذا عرفنا الفارق بين واحده من هذه المفارقات فإنّها ستكون مقياسا لنا نعرف بها مثيلاتها.

فالذين يعيشون على التمنّيات هم الذين يعبدون الأصنام،زاعمين بأنّ عبادتهم لها سوف تغنيهم عن الحقّ الواقع،و هم الذين يزعمون بأنوثه الملائكه و بنوّتهم للّه، و أنّهم يشفعون لهم من دون إذنه تعالى،و هم كذلك الذين يتبعون الظن طلبا للتخلّص من مسئوليه الحقّ و العلم.

ففى الدرس السابق بيّن القرآن و بوضوح كاف أنّ الوحى رؤيه مباشره و حضور النبى صلى الله عليه و آله عند اللّه بدئ كلّ حق و بديع كلّ واقع سبحانه،و كذلك شهوده الواعى للملك المنزل من عنده و هو جبرئيل عليه السلام و وعيه و عرفانه لآيات اللّه،و بالتالى

فإنّ مسافه لا متناهيه تفصل بين واقع الحضور و الشهود و العلم عند الرسول و بين الأهواء و الظنون عند أولئك الكفّار.

و هنا يلج السياق فى الحديث المفصّل ببيان الضلالات التى وقع فيها المشركون بابتعادهم عن الهدى،و اعتقادهم بالأصنام ليس عن قناعه،بل لأنّهم أرادوا منها الشفاعه،و الفرار من المسؤوليه،و الآيات تنسف هذا الضلال بالتأكيد على أنّ الملائكه مع كرامتهم عند اللّه لا يملكون الشفاعه إلّا من بعد إذنه و رضاه،فكيف بهذه الأصنام الحجريه التى لا تبصر و لا تسمع،و لا تنفع و لا تضر،بل يستوجب الإعتقاد بها الغضب و العذاب؟!بلى.إنّهم يتمنّون ذلك و يزعمون،و الظن لا يغنى من الحق شيئا،إذ ليس فى هذا العالم إلّا الحق،و إنّما الحق أن يبلغ الإنسان ما يسعى إليه.

بينات من الآيات:

[۲۰-۱۹]الجهل أرضيه أكثر العقائد الفاسده،فلأنّ المشركين لم يعرفوا عظمه اللّه و آياته طفقوا يعبدون الأصنام،و لذلك نجد القرآن بعد تأكيد علم النبى صلى الله عليه و آله بربّه من خلال الوحى يأتى على بيان فساد عقائد المشركين بالآلهه المزيّفه التى عبدوها من دون اللّه،بتوجيههم إلى العلم و تبصّر الحقائق دون الاسترسال مع الأهواء،و يقول مستنكرا هذا الضلال:

أَ فَرَأَيْتُمُ اللاّتَ وَ الْعُزّى* وَ مَنٰوةَ الثّالِثَهَ الْأُخْرى و هى من أهمّ و أشهر الأصنام التى عبدها المشركون فى الجاهليه،فأمّا «اللاّتَ» فقيل أنه صنم لأهل الطائف جعلوا له سدنه و كهنه و حجّابا،و زعموا أنّه تأنيث للّه سبحانه و تعالى،و قالوا:إن كان لأهل مكّه بيتا يزورونه و يطوفون حوله كلّ عام فنحن لنا هذا الإله،و كانت قبيله ثقيف التى تسكن الطائف تقدّسه

و تحترمه،و أمّا «الْعُزّٰى» فقيل أنّه تأنيث عزيز،و هو شجره بين الطائف و مكه يقدّسونها و يعبدونها،و قيل عن «مَنٰاهَ» أنّه بين مكّه و المدينه(و لعلّ التعبير مستوحى من الأمنيه)و كانت قبيلتى الأوس و الخزرج و أخرى غيرهما يزورونه و يطوفون حوله،و ربما كانوا يحرمون عنده فى طريقهم إلى مكّه المكرّمه.

و المشركون عبدوا هذه الأصنام و لم يروا عليها برهانا قاطعا،إنّما نطقوا عن الهوى،و اتبعوا الظن،أمّا الرسول فهو على بصيره من أمره،و هدى من ربّه.إنّه آمن باللّه من خلال وحيه الذى تنزّل عليه،الذى كان من الدلاله و الحجّيه أن رآه متجلّيا فيه،كما رآه متجلّيا فى مشاهدات المعراج.

[۲۲-۲۱]و ربما كان المشركون يعتقدون بأنّ هذه الأصنام هى رموز لملائكه فى السماء،فهم يقدّسونها لكى تقرّبهم إلى تلك الملائكه،و هى بدورها تشفع لهم عند اللّه،كما قالوا: «مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللّٰهِ زُلْفىٰ» (۱)،و حيث يعتقد الجاهلون بأنّ الملائكه إناث فقد سمّوا هذه الأصنام تسميه الأنثى و نسبوها إليه عزّ و جل،و القرآن يستنكر هذه النسبه التى لا تقوم على أساس من العلم و الحق.

أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثىٰ و حيث يعتقد المشركون بأنّ الذكر أفضل من الأنثى فكان ينبغى على ضوء عقيدتهم أن يتقرّبوا إلى اللّه بالأحسن لا الأسوأ،و من هذا المنطلق تكون قسمتهم ظالمه حتى حسب معتقداتهم الضاله.

تِلْكَ إِذاً قِسْمَهٌ ضِيزىٰ بعيده عن الحق،و هم لم يروا الملائكه و لم يشهدوا خلقهم حتى يزعموا بأنّهم

۱- ۱) الزّمر۳/

كانوا إناث!،و هنا تتضح منهجيه القرآن،فهو يحطّم العقائد المنحرفه من بناها الأساسيه،و ذلك يزيل القدسيه التى يعتقدونها فى أصنامهم،ببيان أظهر الأدلّه على زيفهم و انحرافهم،مع أنّ الأظهر قد لا يكون هو أهمّ الأدلّه،و قد لا يعبر عن كلّ الحقيقه،و لكنّه يحطّم القدسيه التى أضفوها على معتقداتهم و رموزها من الأصنام و الطغاه،و بعد أن تزول عقبه القدسيه الموهومه عن طريق النفس يتحرّر الفكر، و ينطلق للبحث عن الحقيقه،فيطرح القرآن الحقائق الأعمق للنظر فيها.

[۲۳]و بعد التمهيد المتقدّم الذى استهدف إزاله قدسيه معتقدات المشركين ينسف القرآن أفكارهم من أساسها نسفا،و ذلك ببيان أنّها لا رصيد لها أبدا من الواقع و الحق،و أنّها لا تقوم إلاّ على الأوهام و الظنون.

إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ فهى لا واقعيه لها،بل هى مجرّد أسماء و رموز لا مسمّيات لها،و لعلّ معنى ذلك أنّ قوّه هذه الأصنام نابعه من ظنونكم و أوهامكم،لا من واقع حق وراء ذلك.أو ليس ما يتصوّره البشر من صور خياليه قائمه بنفسه،و يكفى لإزالتها مجرد توقّف الخيال عن تصوّرها؟ تصوّر الآن نهرا من لجين مذاب،و اختر له اسما مثلا(نهلجين)،ثم أوقف عمليه التصوّر،ماذا يبقى من هذا الذى سمّيته(نهلجين)؟لا شىء،كذلك حين يوقف المشرك توهّمه لقدسيه الأصنام لا يبقى منها شىء،و كذلك الطغاه(و هى الأصنام البشريه)تزول قوّتهم و هيبتهم بمجرّد إحساس المستضعفين بواقع أمرهم و انتزاع و هم القدسيه عنهم.أ ليس كذلك؟

ثمّ أنّ هذه الأسماء لا شرعيه لها،لأنّ الشرعيه تأتى من عند اللّه وحده،و ليس هناك دليل على أنّ اللّه أمر بعبادتها أو التوسّل بها إليه.

و مجرّد عدم وجود دليل(و سلطان مبين)من عند اللّه يسمح للإنسان بالتسليم لقوّه سياسيه(صنم حجرى أم بشرى)يكفى دليلا على حرمه هذا الأمر.أو ليس اللّه قد خلقنا،و نحن عبيده.أ فينبغى للعبد أن يطيع غير مولاه؟! و إنّما قال تعالى: «أَنْتُمْ» و أضاف إليها «وَ آباؤُكُمْ» لكى يؤكّد مسئوليتهم هم عن انحرافهم،و أنّه لا يجوز إلقاء مسئوليه الانحراف على آبائهم وحدهم، و نستوحى من هذه الآيه أنّ منهج المشركين الخاطئ خليط من أمور ثلاثه:

الأوّل:وراثه الضلاله من الآباء،بينما الشرعيه الحقيقيه يأخذها الإنسان من ربّه لا من آبائه.

الثانى:الظنون،و هى الإفرازات السلبيه للذهن البشرى حينما تعمل فيه المؤثّرات الخاطئه.

الثالث:أهواء النفس،و دورها:أوّلا:التمهيد للظنون،و ثانيا:ترسيخها كما ترسيخ ذلك التقديس الخاطئ للآباء،لأنّها تلتقى معه.

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ مٰا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدىٰ و بالتدبّر فى هذه الآيه و ما سبقها يتضح لنا أنّ حركه الإنسان نحو الزيغ تبدأ من أهواء النفس،الذى يتحوّل إلى تمنّى،و التمنّى إلى ظن(خيال)،ثمّ تتحوّل التمنّيات إلى عقيده و فكره،ثم يؤطّر البشر ذلك برموز و أسماء يزعمها،فالأصنام

إذن ليست رموزا للملائكه و لا- للقوى الطبيعيه،إنّما هى تجلّيات للأهواء النفسيه و المصالح الماديه،فحينما يحبّ الإنسان الثروه يحبّ الثرى،و يتخيّل لهذا الحب رمزا و مذهبا،ثمّ حينما يعبده فهو لا- يعبد الصنم و لا- الثرى أو الثروه،إنّما يعبد أهواءه و شهواته،و هكذا الذى يعشق الجمال أو الجنس،و لو قمنا بدراسه تحليليه عن الأوثان و الأصنام التى عبدها الجاهلون فى شبه الجزيره العربيه،أو تلك التى علّقوها فى الكعبه،أو الأخرى التى تقدّس و تعبد هنا و هناك،لخلصنا إلى نتيجه واحده و هى أنّها ترمز إلى قوى اجتماعيه و اقتصاديه و سياسيه أو ثقافات و تقاليد و أساطير عند أصحابها،و أنّ عبادتها ليست إلّا عباده للأوهام و الأهواء المتجذّره فى نفوسهم.

و هذا الضلال ليس نتيجه انعدام الهدى أو غموضه،فقد جاءهم الهدى من ربّهم،و على لسان أفضل خلقه و أبلغهم و هم الأنبياء،و لكنّهم تركوا العقل إلى الجهل،و العلم إلى الظن،و الهدى إلى الهوى.

[۲۴]و لو تساءلنا عن سبب هذا الإختيار الضال لوجدناه محاولتهم التهرّب من ثقل المسؤوليه بالأعذار المختلفه التى جاءت السوره لعلاجها،و يبدو أنّ السياق يمهّد لذلك و يقرّبنا شيئا فشيئا منه،فمن أهداف الرسالات الإلهيه جميعا ترسيخ المسؤوليه،و تعريه الإنسان من حجب التبرير و الأهواء التى يحاول أن يتخلّص من المسؤوليه باسمها.

أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنّى التمنّى هو خداع الإنسان لنفسه بشىء جميل من خلال الظنون و الأوهام التى يصنعها بتخيّلاته،فالجائع يتمنّى الشبع فيتخيّل القرص،و العطشان يتمنّى الارتواء فيتوهّم الأنهار الرقراقه،و الشبق يتخيّل نفسه يلصق بمعشوقته،و هذه حاله طبيعيه فى

الإنسان،تعطيه التوازن فى الحياه،و كلّما كانت الحقائق و التطلّعات التى يصبو إليها كبيره و هامّه كلّما كانت تمنّياته تأخذ أشكالا و أبعادا جديده،إلاّ أنّ المبالغه فى التمنّى تضرّ به لأنّه يخرجه من التعايش الواقعى مع الحياه إلى الأوهام و الأساطير، و من السعى الجاد نحو الهدف إلى مجرد الظنّ و الهوى.أ ترى لو جلس أحد فى بيته و تمنّى وصول الرزق إليه هل يتحقّق ذلك له؟و هكذا لو مشى فى الدنيا خبط عشواء، فإنّ مجرّد تمنّياته-المنطلقه من أهوائه و الظنون و المبنيه على اعتقاده بالأصنام-لن تدفع عنه المشاكل و الويلات،و لن تنقذه من العذاب،بلى.للإنسان سعيه و عمله خيرا أو شرّا،و هذا ما سنجد الآيات تنتهى إليه كمحصّله نهائيه لعلاج فكره التمنّى،

قال الإمام الصادق عليه السلام :«تجنّبوا المنى،فإنّها تذهب بهجه ما خوّلتم، و تستصغرون بها مواهب اللّه جلّ و عزّ عندكم، و تعقبكم الحسرات فيما وهمتم به أنفسكم » (۱).

[۲۶-۲۵]و بطلان فكره التمنّى ليس مختصا بالآخره و حسب،بل يشمل الدنيا أيضا،ذلك أنّ اللّه الذى خلقهما رسم خريطتهما،و أركز فيهما سبلا و سننا واقعيه تجريان على أساسهما،و ليس على أساس الأحلام و التمنّيات،يقول تعالى:

لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (۲).

فَلِلّهِ الْآخِرَهُ وَ الْأُولى اللّه هو الحق،و هو الآمر به،و سلطانه الدائم،و تدبيره المهيمن،و قضاؤه النافذ،كلّ أولئك ضمانه لتنفيذ الحق رغم تمنّيات البشر المعاكسه له،و ليس فى

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۴۲

۲- ۲) النساء۱۲۳/

ظلّ حكومه اللّه مجال لظنون الإنسان و تمنّياته،و من يزعم أنّه يتخلّص من سنن اللّه و حاكميته بالاعتماد على أمانيه فهو يخطئ،لأنّه ينازع اللّه فى سلطانه سبحانه، و لكى يعمل أمنياته لا بد أن يخرج من سلطان اللّه،و يبحث له عن حياه تغنى فيها الأمنيات،و لن يحصل ذلك لأنّ الحياه كلّها له عزّ و جلّ،أو يبحث له عن حكومه يمكنها أن تواجه سلطانه و إراده،و لن يجد إلى ذلك سبيلا،و حتى الملائكه الموكّلين بالطبيعه لا تغنى شفاعتهم شيئا، لأنّ قوّتهم من اللّه و ليست ذاتيه،و هم لا يشفعون إلاّ لمن شاء و ارتضى.

وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمٰوٰاتِ لاٰ تُغْنِى شَفٰاعَتُهُمْ شَيْئاً لو افترض أنّهم بادروا للشفاعه،فكيف بتلك الأصنام؟!بلى.إنّ شفاعتهم و الأولياء تنفع بإذنه تعالى،و لأفراد مخصوصين يرضى لهم اللّه الشفاعه.

إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللّٰهُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْضىٰ و إذنه لا يحصل بسبب ضغط قوى أخرى،تعالى عن ذلك علوّا كبيرا،إنّما يأذن بإرادته العليا،كما أنّه لم يجعل الشفاعه بعيده عن القوانين و السنن التى خلق الحياه وفقها،و من هذه القوانين أن يكون الشفيع مرضيّا عنده.

و هكذا يحدّد القرآن الشفاعه بحدّين:

(أ)حدّ للشافع الذى لا يكون إلاّ من يرتضيه اللّه،فلا تجوز الشفاعه أساسا إلاّ للأنبياء و الأولياء و الملائكه المقرّبين،أمّا الأصنام الحجريه و البشريه فليست أهلا للشفاعه أبدا.

جاء فى الحديث عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله :

«الشفاعه للأنبياء و الأوصياء و المؤمنين و الملائكه » (۱).

و عنه صلى الله عليه و آله :«ثلاثه يشفعون إلى اللّه عزّ و جلّ فيشفعون:الأنبياء،ثمّ العلماء،ثمّ الشهداء » (۲).

(ب)حدّ لمن يشفعون له،فلا يشفع من وصل إلى درجه الشفاعه إلّا لبعض الناس ممّن يأذن اللّه له بأن تشمله الشفاعه و ممّن رضى اللّه عنه.قال عزّ و جلّ:

وَ لا يَشْفَعُونَ إِلّا لِمَنِ ارْتَضى (۳).

و روى عن الإمام الصادق عليه السلام :«اعلموا أنّه ليس يغنى عنكم من اللّه أحد من خلقه شيئا،لا ملك مقرّب و لا نبى مرسل،و لا من دون ذلك،فمن سرّه أن ينفعه شفاعه الشافعين عند اللّه فليطلب إلى اللّه أن يرضى عنه » (۴).

و عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله :«الشفاعه لا تكون لأهل الشك و الشرك،و لا لأهل الكفر و الجحود،بل يكون للمؤمنين من أهل التوحيد » (۵).

و عن الإمام الصادق عليه السلام :«لو أنّ الملائكه المقرّبين و الأنبياء المرسلين شفعوا فى ناصب ما شفّعوا » (۶).

و لا تنفى الآيه بقوله تعالى «لا تُغْنِى» الشفاعه كلّيا،و إنّما تنفى حتميتها، كما تؤكّد على ضروره أن لا تكون علاقه الإنسان بالغير حتى العباد المكرمين

۱- ۱) بحار الأنوار/ج ۸ ص ۵۸

۲- ۲) المصدر/ص ۳۴

۳- ۳) الأنبياء۲۸/

۴- ۴) بحار الأنوار/ج ۸ ص ۵۳

۵- ۵) المصدر/ص ۵۸

۶- ۶) المصدر۴۲/

كالملائكه و الأولياء من الناس مضادّه لعلاقته بربّه،و لا بديلا عنها،بل امتدادا لها،و قوله «لِمَنْ يَشٰاءُ» يهدينا إلى أنّ الشفاعه قضيه شخصيه تتوجّه إلى الإنسان الفرد بذاته بعيدا عن النظر الى انتمائه،فقد ينتمى اجتماعيّا إلى فريق الضالين و لكنّها تناله،و قد تفوته بالرغم من انتمائه إلى فريق المؤمنين،و الذى يحدّد الشفاعه هو علم اللّه النافذ إلى حقيقه الإنسان.

[۲۷]ثمّ يقول تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاٰئِكَهَ تَسْمِيَهَ الْأُنْثىٰ و السؤال:لماذا يسمّى المشركون الملائكه إناثا،و ما هى علاقه ذلك بالكفر بالآخره؟ لعلنا نجد الجواب فى أنّ الأنثى رمز العطف و الحنان،و هم يسمّون الملائكه بذلك رجاء عطفهم و شفاعتهم لهم عند اللّه،و بهذا الإعتقاد يحاول المشركون تبرير ممارستهم للذنوب فى الدنيا،و اقناع أنفسهم بإمكانيه التخلّص من مسئولياتها فى الآخره بالتوسّل بمن يعطف عليهم و هم الإناث من خلق اللّه و هم الملائكه حسب زعمهم،و هذا كفر صريح بالآخره كدار للجزاء العادل.

[۲۸] وَ مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ و هو الإفرازات(التصوّرات و الأفكار)الناتجه من إعمال الإنسان لخياله بعيدا عن البراهين الواقعيه.

وَ إِنَّ الظَّنَّ لاٰ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً و نفى البعض ينفى الكل،و ليس العكس،و هو أبلغ فى النفى،فلا شىء من الحق يغنيه الظنّ أبدا،و القرآن هنا يستثير قضيه وجدانيه هى قبح كلام الإنسان

فيما لا يعلم،و قد تحدّث هؤلاء عن طبيعه الملائكه و ذلك جزء من الغيب المحجوب عن علم البشر بشهاده وجدانه.أو ليس الإنسان ينفذ عقله إلى معرفه الأشياء عبر حواسه؟أو ليس لكلّ علم أداته و وسيلته،فما هى الحاسه التى نعلم بها غيب السموات و الأرض،و ما هى الأداه التى نعرف بها طبيعه الملائكه،و أنّهم إناث لا ذكور؟! إنّها مشكله البشر.إنّه يهوى شيئا فيتمنّاه،ثم يظن أنّه واقع فيسعى وراء ظنّه خادعا نفسه.

[۲۹]و إنّما اتبع هؤلاء الظن لأنّهم اختاروا الدنيا على الآخره،فاكتفوا بالظن بدل العلم و الحق،و بالتمنّى بدل السعى،و كلّ ذلك لأنّهم لم يعترفوا بالمسؤوليه، و لم يبتغوا مرضاه الربّ،و لو آمنوا بالآخره،و ظنوا أنّهم ماثلون أمام ربّهم للحساب غدا عن كلّ صغيره و كبيره،إذا عرفوا أنّ الطريق إلى الحق هو العلم و ليس الظن، و لكنّهم آمنوا بالدنيا فقط،و الدنيا هى حياه اللامسؤوليه،و على الداعيه الرسالى أن لا يبخع نفسه عليهم،بل يتركهم و شأنهم.

فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَياهَ الدُّنْيا لأنّ مشكله هذا النوع من البشر ليس عدم قناعته بالحق،فهو يعلم بأنّه الهدى و الصواب،و لكنّه يتولّى عنه ابتغاء الدنيا،و إنّما أمر اللّه بالإعراض عنهم لكى لا يتأثّر المؤمن بهم سلبيّا،فيغيّر من رسالته صوب الدنيا،تنازلا عن بعض أهدافها،أو من أجل إقناعهم باتباعها،ثم أنّه لا ينبغى للمؤمن أن يبدّد جهوده الغاليه فيما لا يرجو نفعا منه،بل فيما يخدم الرساله،و يقدّم المؤمنين خطوه إلى الإنتصار.

و قد قال تعالى: «عَنْ ذِكْرِنا» و هى للتعظيم،و لم يقل عن ذكرى،لأنّ

الضمير المفرد يستخدمه اللّه فى موضع إثبات التوحيد و تأكيده،أو فى مجال الرحمه و العطف،و الحال أنّ هؤلاء تكبّروا عن الحق،و تولّوا معرضين عنه،فالمقام مقام التعالى و التكبّر عليهم ممّا يتناسب و استعمال ضمير التعظيم(أو ما يسمّى بضمير الجمع)،ذلك لأنّ إعراضهم لا ينال شيئا من عظمه اللّه،كما أنّ إيمان المؤمنين لا يزيده سبحانه شيئا.و سمّى القرآن هنا بالذكر لأنّه فى مقام علاج العقائد،و هى قضايا وجدانيه،و لفظ الذكر بما يحويه من إيحاءات و إشارات لعلاقه القرآن بالفطره البشريه أخدم للمعنى من غيره فى هذا الموضع.

كما تنطوى نهايه الآيه: «إِلَّا الْحَياهَ الدُّنْيا» على فكرتين مهمّتين:

الأولى:إنّ المؤمن يفترق عن الكافر و المشرك فى قضيه أساسيه هى أنّ الأوّل يريد الدنيا و الآخره،و يسعى لهما معا،موفّقا بين الحق الذى يجب عليه الالتزام به،و بين نصيبه الذى أحلّ اللّه له من الدنيا.

و الثانيه:إنّ على المؤمن أن لا يضعف أمام أعداء اللّه أو يتملّق إليهم لأنّهم ظفروا بشىء من حطام الدنيا،فذلك حظّهم،بل يجب عليه أن يستمسك برسالته، و يتصلّب فى ولائه للحق، و يعرض عنهم،لأنّهم لا يملكون إلّا هذه الدنيا الزائله.

[۳۰]و إنّ عدم إراده المعرضين عن الذكر للحياه الآخره ليس ناشئا من حسن اختيارهم،و إنّما لجهلهم بتلك الحياه و ما فيها من الثواب،و لو علموا يقينا ما فيها من الفوز لأرادوها و اشتدّت فاقتهم إليها،و عظمت رغبتهم فيها،و لكنّهم حصروا أنفسهم و حبسوا عقولهم فى سجن الدنيا،و هذه من معضلات الإنسان أنّه يصنع لنفسه سقفا من العلم،و يكبّل عقله بأغلال الهوى و إصر الشهوات عن الانطلاق فى رحاب العلم و الحق،

و صدق الإمام على عليه السلام حيث قال :«كم من عقل أسير تحت

هوی أمیر » (۱).

ذٰلِکَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ و هذه الآیه تؤکّد بأنّ الإیمان بالآخره حجر الزاویه فی تفکیر الإنسان المؤمن.

و لکی یتم إعراض المؤمن عن الجاهلین یحتاج إلی أمور أهمّها:

۱-العلم بأنّهم علی باطل،و قد بیّن القرآن ذلک حینما أکّد بأنّهم إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ مٰا تَهْوَی الْأَنْفُسُ ،ثم ضرب أمثله علی ذلک کموقفهم من الملائکه، و کفرهم بالآخره،و تولّیهم عن الذکر.

۲-الیقین بأنّهم ضعفاء فی المحصّله النهائیه بخسرانهم الآخره.

۳-المعرفه بأنّ حساب الناس لیس من مسئولیات المؤمنین،إنّما اللّه یفصل بینهم،و یعلم المهتدین و الضالین.

إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدیٰ إذن فغلبه الضالین علی المؤمنین عند الجدال أو عدم غلبه المؤمنین علیهم لا یغیّر من الواقع شیء،فأهل الباطل هم أهل الباطل و أهل الحقّ هم أهله،ذلک أنّ کلام الناس لیس مقیاسا،إنّما الحق و الباطل هما المقیاس بذاتهما.

ثمّ أنّ الخلافات-حسبما نستوحی من الآیه الکریمه-لا تحسم فی الدنیا لأنّها لم تخلق لذلک،و کما قال اللّه:

۱- ۱) نهج البلاغه/حکمه ۲۱۱.

«وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النّٰاسَ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ لاٰ یَزٰالُونَ مُخْتَلِفِینَ» (۱)،و الدار الآخره هی محلّ الحسم و الجزاء،فلا ینبغی للمؤمن أن یکون جبّارا علی الناس یحاول إکراههم علی الهدی إن أوتی السلطه علیهم،کما لا ینبغی عند ضعفه أن یهلک نفسه إذا ما تولّوا عن دعوته.

کما نستوحی من کلمه «عَنْ سَبِیلِهِ» فی الآیه أنّ فی الحیاه سننا و قوانین،و هی السبیل إلی الحق،و هذه یعلمها اللّه و یحاسب علیها،یضلّ عنها جماعه فیصیرون إلی الباطل و العذاب،و یهتدی إلیها آخرون فیصیرون إلی الحقّ و السعاده،و السبب أنّ الفریق الأوّل ینکر هذه الحقیقه،بینما یؤمن بها فریق المهتدین فیبحثون عنها،فإذا وجدوها طبّقوها،و کیّفوا حیاتهم وفقها،و تجاوزوا الأخطاء و الضلال.

۱- ۱) هود۱۱۸/.

[سوره النجم (۵۳): الآیات ۳۱ الی ۶۲]

اشاره

وَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ لِیَجْزِیَ اَلَّذِینَ أَسٰاؤُا بِمٰا عَمِلُوا وَ یَجْزِیَ اَلَّذِینَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَی (۳۱) اَلَّذِینَ یَجْتَنِبُونَ کَبٰائِرَ اَلْإِثْمِ وَ اَلْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اَللَّمَمَ إِنَّ رَبَّکَ وٰاسِعُ اَلْمَغْفِرَهِ هُوَ أَعْلَمُ بِکُمْ إِذْ أَنْشَأَکُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّهٌ فِی بُطُونِ أُمَّهٰاتِکُمْ فَلاٰ تُزَکُّوا أَنْفُسَکُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اِتَّقیٰ (۳۲) أَ فَرَأَیْتَ اَلَّذِی تَوَلّیٰ (۳۳) وَ أَعْطیٰ قَلِیلاً وَ أَکْدیٰ (۳۴) أَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْغَیْبِ فَهُوَ یَریٰ (۳۵) أَمْ لَمْ یُنَبَّأْ بِمٰا فِی صُحُفِ مُوسیٰ (۳۶) وَ إِبْرٰاهِیمَ اَلَّذِی وَفّیٰ (۳۷) أَلاّٰ تَزِرُ وٰازِرَهٌ وِزْرَ أُخْریٰ (۳۸) وَ أَنْ لَیْسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلاّٰ مٰا سَعیٰ (۳۹) وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُریٰ (۴۰) ثُمَّ یُجْزٰاهُ اَلْجَزٰاءَ اَلْأَوْفیٰ (۴۱) وَ أَنَّ إِلیٰ رَبِّکَ اَلْمُنْتَهیٰ (۴۲) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَکَ وَ أَبْکیٰ (۴۳) وَ أَنَّهُ هُوَ أَمٰاتَ وَ أَحْیٰا (۴۴) وَ أَنَّهُ خَلَقَ اَلزَّوْجَیْنِ اَلذَّکَرَ وَ اَلْأُنْثیٰ (۴۵) مِنْ نُطْفَهٍ إِذٰا تُمْنیٰ (۴۶) وَ أَنَّ عَلَیْهِ اَلنَّشْأَهَ اَلْأُخْریٰ (۴۷) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنیٰ وَ أَقْنیٰ (۴۸) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ اَلشِّعْریٰ (۴۹) وَ أَنَّهُ أَهْلَکَ عٰاداً اَلْأُولیٰ (۵۰) وَ ثَمُودَ فَمٰا أَبْقیٰ (۵۱) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ کٰانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغیٰ (۵۲) وَ اَلْمُؤْتَفِکَهَ أَهْویٰ (۵۳) فَغَشّٰاهٰا مٰا غَشّیٰ (۵۴) فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکَ تَتَمٰارَیٰ (۵۵) هٰذٰا نَذِیرٌ مِنَ اَلنُّذُرِ اَلْأُولیٰ (۵۶) أَزِفَتِ اَلْآزِفَهُ (۵۷) لَیْسَ لَهٰا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ کٰاشِفَهٌ (۵۸) أَ فَمِنْ هٰذَا اَلْحَدِیثِ تَعْجَبُونَ (۵۹) وَ تَضْحَکُونَ وَ لاٰ تَبْکُونَ (۶۰) وَ أَنْتُمْ سٰامِدُونَ (۶۱) فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ وَ اُعْبُدُوا (۶۲)

اللغه

۳۲[إلاّ اللّمم]:أی الذی یلم بالإنسان،و یرد علیه مما لا علاج من وروده غالبا،و هی الصغائر مثل:کلمه نابیه،أو ضحکه غیر جائزه،أو نظره محرّمه،أو ما أشبه ذلک.

[أجنه]:جمع جنین،الإنسان حینما یکون فی رحم أمّه.

۳۴[و أکدی]:أی قطع العطاء،و اشتقاقه من کدیه الرکیه، و هی صلابه تمنع الماء إذا بلغ الحافر إلیها یئس من الماء،فیقال:

أکدی إذا بلغ الکدیه.

۴۹[الشّعری]:هو نجم فی السماء یطلع آخر اللیل،کان جماعه من العرب یعبدونه.

۵۳[و المؤتفکه]:و هی قری قوم لوط علیه السلام التی ائتفکت بأهلها أی انقلبت،و قیل للکذب إفکا لأنّه قلب للمعنی من جهته.

۵۷[أزفت الآزفه]:أی قربت القیامه و دنت.

ص:۱۷۴

۶۱[سامدون]:لاهون،و السمود اللهو،و السامد اللاهی.

ص:۱۷۵

وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى

هدى من الآيات:

بصراحه الحقيقه،و بقوه اليقين،يتقدم بنا السياق القرآنى شيئا فشيئا الى الفكره المركزيه فى هذه السوره،و هى فكره المسؤوليه التى نجدها فى تضاعيف أغلب آياتها و كأنها خافيه لكل فكره فيها و شاهد،الا انها تتجلى كصراحه الشمس عند قوله تعالى: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى الآيه(٣٩).

و لكنّ اللّه قبل ان يقذف بهذا الحق على باطل التبرير و اتباع الهوى و الظن، يذكرنا بلون من ألوان الشفاعه المقبوله عنده و هى شفاعه الأعمال الحسنه للإنسان عن اللمم من السيئات كما نجد تصريحا به فى الآيه الكريمه: «وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذّاكِرِينَ» (١)ان تقوى الإنسان التى تجنبه كبائر الإثم تشفع له فى الصغائر(اللمم)،و لعل

١- ١) هود١١۴/

تقديم هذه الفكره(الشفاعه)المشحونه بالرجاء و اللطف الالهى،على فكره المسؤوليه و ما فيها من الشده و الصرامه،يهدف اعطاءنا الأمل فى رحمه اللّه،لكى لا نيأس فنتوغل فى الجريمه و الذنب،أو نقعد عن عمل الصالحات،بناء على تصوراتنا البشريه المرتكزه فى القنوط و الجزع.كلا ان اللّه رحيم و يحاسبنا بفضله لا بعدله، و الا لما دخل الجنه أحد كما

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله :«و لا أنا إلّا أن يتغمدنى اللّه برحمه منه و فضل » (۱).

ثم يؤكد القرآن بخطاب فصل مسئوليه الإنسان عن سعيه،انه يجازى عليه ان خيرا فخير و ان شرا فشر،و هى تتعلق بنفى الشرك و برفض الأنداد و مدى عمق حقيقه التوحيد فى النفس فكلما زاد يقين الإنسان باللّه و انه المالك الحاكم الأحد لكل شىء،كلما كان أقرب من المسؤوليه ايمانا و عملا،و ابعد عن الحجب و التبريرات التى تمنعه من حملها.

ان التوحيد يجعله لا يتوسل بوشائج الشرك،التى هى بذاتها نوع من التبريرات التى يلجأ إليها الإنسان تهربا من المسؤوليه.انك تراه يقبل كل شىء،يقبل ان يكون عبدا للشجر و للحجر و للبقر لا فرق من أجل ذلك لكى يفر من ثقل المسؤوليه.

إذا فمتى ما طهرت نفسه من درن تلك الأصنام،القائمه على أساس الثقافه الجاهليه الضاله،القائمه بدورها على الظن و هوى النفس،فانه يومئذ مجرد ان يقف امام المسؤوليه بلا تبريرات يجد نفسه امام حجه بالغه تضطره الى التسليم لها عمليا.

بينات من الآيات:

[۳۲-۳۱]لقد دعا اللّه المؤمنين الى الاعراض عمن تولى،و لان البعض لا يعرض عن الكيان الجاهلى خشيه الضعف و الفقر،أكد القرآن بان اللّه هو الغنى

۱- ۱) بح/ج /۷ص ۱۱

الـذی یملک خزائن الکون،و القوی الذی یهیمن علی الحیاه.فلما ذا الخشـیه إذا من مقاومه الانحراف؟و رفض هیمنه المنحرفین؟ وَ لِلّهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ فهو وحده الذی وضع سنن الکائنات و یهیمن علیها و یجریها بقدرته و عدالته.

لِیَجْزِیَ الَّذِینَ أَسٰاؤُا بِمٰا عَمِلُوا عدلا السیئه بمثلها.

وَ یَجْزِیَ الَّذِینَ أَحْسَـنُوا بِالْحُسْـنَی فضـلا،فالحسـنه بعشر أمثالها،و تتضاعف «وَ لَدَیْنٰا مَزِیدٌ» (۱)و بالتـدبر فی شـطری الآیه الکریمه الشـطر الاـول الـذی ینطوی علی فکره التوحیـد (وَ لِلّهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ) ،و الشـطر الثانی الـذی ینطوی علی فکره المسؤولیه المنبثقه من حقیقه الجزاء (لِیَجْزِیَ..) فاننا نعرف العلاقه الوثیقه بینهما،و ذلک ان الـذین ینحرفون یحاولون التملص من مسـئولیاتهم بالشـرک.و الحق ان التوحیـد یعنی نفی الشـریک،و هذا بدوره ینفی التبریر،اذن فالموحد الحق هو الّذی یتهیأ لحمل المسؤولیه.ان هـذه الآـیه تنسف ثقـافه التـبریر المتجسـده فی عبـاده الأنـداد کالملاـئکه و الأصـنام و حتی العبـاد الصـالحین تمنیا للشـفاعه،و ذلک ببیان ان اللّه یجری عدالته فی الحیاه،و لا أحد یسـتطیع فرض إرادته علیه،لان الحیاه تکوینیا و تشـریعیا له وحده لاـ یشـارکه فیهـا أحـد،و إذا کـانت ثمـه هیمنـه ظـاهریه للملاـئکه فهی تنفیـذیه و بـإذن اللّـه،و تبقی الهیمنه الحقیقیه المطلقه للّه وحده،فلا مهرب منه إلّا الیه و لا شفاعه الا من بعد اذنه،و لا أنداد قادرین علی تغییر سنن اللّه فی الخلیقه حسب أهوائهم

۱- ۱) ق۳۵/

و بالذات سنه الجزاء العادل.

ثم ان تأكيد القرآن على بيان العداله الالهيه فى الجزاء فى أكثر سور القرآن انما هو ليزرع الاطمئنان العميق فى قلب البشر الى وقوع الجزاء.الأمر الذى يبعثه نحو عمل الخير و يزجره عن الشر الا ان العداله و بالتالى المسؤوليه فكره قاسيه لا يتحملها القلب البشرى الذى من طبيعته الانحراف.لذلك تأتى الآيه اللاحقه لتخفف وطأتها ببيان مدى رحمه اللّه و غفرانه.

اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ و الإثم هو عموم الذنب(بين العبد و ربه أو بينه و بين نفسه أو بينه و بين الناس)بينما الفواحش هى الذنوب الاجتماعيه.

قال الامام الصادق عليه السلام :

«الفواحش الزنا و السرقه » (۱)و هما ذنبان اجتماعيان.

و ذكر الفواحش من دون اضافه كلمه الكبائر بخلاف الإثم أضيف اليه لفظ الكبائر،لان الفواحش بذاتها من الكبائر فلا يقال للذنب الاجتماعى فاحشه، بينما الإثم فيه الصغائر(اللمم)و فيه الكبائر.و فيما يلى نذكر حديثا

فى كتاب الإثم مرويا عن الامام الرضا عليه السلام قال:سمعت أبى موسى بن جعفر عليه السلام يقول:

دخل عمرو بن عبيد البصرى على أبى عبد اللّه عليه السلام ،فلما سلم و جلس تلا هذه الآيه (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ) ثم أمسك فقال له أبو عبد اللّه عليه السلام :ما أمسكك؟فقال:أحب ان اعرف الكبائر من كتاب اللّه عز و جل فقال:يا عمرو!أكبر الكبائر الشرك باللّه.يقول اللّه تبارك و تعالى: (إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) و يقول عز و جل: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّهَ وَ مَأْواهُ النّارُ وَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ) ،و بعده اليأس من روح اللّه لان اللّه عز و جل يقول:

۱- ۱) نور الثقلين/ج /۵ص ۱۶۱

(وَ لاٰ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ،إِنَّهُ لاٰ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكٰافِرُونَ) و ثم الأمن من مكر اللّه.لان اللّه عز و جل يقول: فَلاٰ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخٰاسِرُونَ ،و منها عقوق الوالدين.لان اللّه عز و جل جعل العاق جبارا شقيا فى قوله تعالى: وَ بَرًّا بِوٰالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي /١٥ جَبّٰاراً شَقِيًّا ،و قتل النفس التى حرم اللّه الا بالحق.لان اللّه عز و جل يقول: وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزٰاؤُهُ جَهَنَّمُ خٰالِداً فِيهٰا... الى آخر الآيه)،و قذف المحصنات.لان اللّه عزّ و جلّ يقول: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنٰاتِ الْغٰافِلاٰتِ الْمُؤْمِنٰاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهِ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ ،و أكل مال اليتيم ظلما لقول اللّه عزّ و جلّ: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوٰالَ الْيَتٰامىٰ ظُلْماً إِنَّمٰا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نٰاراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ،و الفرار من الزحف لان اللّه عز و جل يقول: وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّٰ مُتَحَرِّفاً لِقِتٰالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلىٰ فِئَهٍ فَقَدْ بٰاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَ مَأْوٰاهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ ،و أكل الربا لان اللّه عزّ و جلّ يقول: اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰا لاٰ يَقُومُونَ إِلاّٰ كَمٰا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰانُ مِنَ الْمَسِّ و يقول اللّه عز و جل: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ذَرُوا مٰا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ،و السحر لان اللّه عزّ و جلّ يقول: وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرٰاهُ مٰا لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ خَلاٰقٍ ،و الزنا لان اللّه عزّ و جلّ يقول: وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثٰاماً يُضٰاعَفْ لَهُ الْعَذٰابُ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهٰاناً إِلاّٰ مَنْ تٰابَ الآيه،و اليمين الغموس لان اللّه عزّ و جلّ يقول: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَ أَيْمٰانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَهِ الآيه،و الغلول قال اللّه عزّ و جلّ: وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمٰا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ ،و منع الزكاه المفروضه لان اللّه عزّ و جلّ يقول: يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْهٰا فِي نٰارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوىٰ بِهٰا جِبٰاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هٰذٰا مٰا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ،و شهاده الزور و كتمان الشهاده لان اللّه عزّ و جلّ يقول وَ مَنْ يَكْتُمْهٰا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ،و شرب الخمر لان اللّه عزّ و جلّ عدل بها عباده الأوثان و ترك الصلوه متعمدا أو شيئا مما

فرض اللّه عز و جل لان رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:(من ترک الصلوه متعمدا فقد برىء من ذمه اللّه و ذمه رسوله صلى الله عليه و آله ،و نقض العهد،و قطيعه الرحم،لان اللّه عزّ و جلّ يقول: أُولٰئِکَ لَهُمُ اللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّارِ قال:فخرج عمرو بن عبيد و له صراخ من بكائه و هو يقول:هلك من قال برأيه و نازعكم فى الفضل و العلم (۱).

و فى حديث آخر :«و اليأس من روح اللّه،و الأمن من مكر اللّه تعالى،و القنوط من رحمه اللّه تعالى،و معونه الظالمين و الركون إليهم،و اليمين الغموس،و حبس الحقوق من غير عسر،و الكذب،و الكبر،و الإسراف،و التبذير،و الخيانه، و الاستخفاف بالحج،و المحاربه لأولياء اللّه،و الاشتغال بالمناهى،و الإصرار على الذنب » (۲).

و الى جانب هذه الكبائر هناك الذنوب الصغيره التى يقترفها الإنسان-بطبيعته الضعيفه-عن قصور أو من دون قصد مبارزه اللّه،فان حسناته و تجنبه للكبائر، الذى يدل على سلامه مجمل مسيرته يشفعانها له،و هذا من رحمه اللّه و سعه غفرانه، اما لو مارس الصغائر عن عناد و إصرار فانها تصير كبائر أيضا.

إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّکَ واسِعُ الْمَغْفِرَهِ

قال الامام الصادق عليه السلام «اللمام العبد الذى يلم بالذنب بعد الذنب،ليس من سليقته اى من طبعه » (۳)و كما ان الإصرار يصير الإثم الصغير من الكبائر، فان التوبه و الاستغفار يصيران الكبائر صغائرا،أو يمحو انها من كتاب السيئات.

لذلک نجد تفسيرا لكلمه اللمم غير صغائر الإثم،انما عموم الإلمام بالذنب بصوره

۱- ۱) المصدر ص ۱۶۰

۲- ۲) المصدر ص ۱۶۳

۳- ۳) المصدر ص ۱۶۲

طارئه و غير متعمده.و يؤكد الامام عليه السلام ان غفران اللّه يسع كل ذنب بشرط الاستغفار،

قال الامام الصادق عليه السلام «و اللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر اللّه منه»قال الراوى:بين الضلاله و الكفر منزله؟فقال:«ما أكثر عرى الايمان » (۱).

ان السبب الحقيقى للذنب بالاضافه الى هوى الإنسان هو الشيطان الرجيم، و هو قد يمر مرورا على قلبه فيجعله يلم بالمعصيه،و قد يسكن فيه و يفرخ فيجعله يقترف الخطيئه تلو الخطيئه،و بالنسبه للمؤمنين فانه لا يطيق السكون فى قلوبهم لأنهم يستعيذون باللّه منه،و يلعنونه قبل كل شىء و بعده،و لو افترض ان أصابهم بسهم منه فإنهم سرعان ما يرجعون الى الصواب «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» (۲).

و كلمه اخيره ان فى الإسلام نوعين من الذنوب،الصغائر و الكبائر،و لكن المعوّل الحقيقى فى تحديد نوع الذنب هو مدى وعى الإنسان به و موقفه من ممارسته له، فقد يندفع الإنسان نحو ذنب صغير،و لكن تحديا لسلطان اللّه،و عنادا و استكبارا عليه،فيكون كبيرا.

فقد جاء فى الحديث الشريف :«قد يرى اللّه العبد على ذنب فيقول له افعل ما شئت فانى لا اغفر لك أبدا.

و قد يأتى الإنسان بذنب كبير استرسالا و استجابه لضغوط هائله،و لكن سرعان ما يندم و يتراجع فان اللّه سبحانه يغفر له..قال تعالى:

۱- ۱) المصدر ص ۱۶۱

۲- ۲) الأعراف۲۰۱/

وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ،فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ،وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ* أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ،وَ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها،وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ» (۱).

و لكن من الذى يحدد الذنب الذى يقترفه الإنسان،هل هو من الصغائر أم من الكبائر على ضوء هذه القاعده؟ انه اللّه الذى يحيط علما بدقائق حياه الإنسان،و فى جميع مراحل نشأته.و لا يخدع اللّه عن جنته.نعم فهو الذى خلقنا و ربانا من يوم كنا فى بطون أمهاتنا حتى نموت.فحتى العوامل الوراثيه و التربويه التى تؤثر فى شخصيه الإنسان التى تنقل اليه و هو جنين يعلمها اللّه.

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ و يبدو ان كلمه الأرض هنا تشير الى القوى و العوامل السلبيه المؤثره فى شخصيه الإنسان،كالهوى و حب المال و الظهور و...و تشير الآيه الكريمه الى بصيرتين هما:

سبق رحمه اللّه الى الإنسان إذ والى نعمه عليه قبل ان يصير الى رحم امه فأنشأه من دون شىء سبق منه اليه تعالى،ثم لما صار جنينا انشأه و أسبغ عليه من نعمه حتى استوى،و هذه الآيه تؤكد سعه رحمه اللّه و مغفرته.

و قد تجلت هذه البصيره القرآنيه أيضا فى دعاء الامام الحسين فى يوم عرفه، حيث جاء فيه:«ابتدأتنى بنعمتك قبل ان أكون شيئا مذكورا.خلقتنى من التراب ثم اسكنتنى الأصلاب آمنا لريب المنون،و اختلاف الدهور و السنين.

فلم أزل ظاعنا من صلب الى رحم فى تقادم فى الأيام الماضيه،و القرون الخاليه، لم تخرجنى لرأفتك بى،و لطفك لى،و إحسانك الىّ فى دوله أئمه الكفر الذين

۱- ۱) آل عمران۱۳۵/-۱۳۶

نقضوا عهدک،و کذبوا رسلک و لکنک أخرجتنی للذی سبق لی من الهدی الذی له یسرتنی،و فیه انشأتنی،و من قبل ذلک رؤفت بی بجمیل صنعک،و سوابغ نعمک.فابتدعت خلقی من منیّ یمنی،و اسکنتنی فی ظلمات ثلاث بین لحم و دم و جلد،لم تشهدنی خلقی،و لم تجعل الیّ شیئا من أمری،ثم أخرجتنی للذی سبق لی من الهدی الی الدنیا تاما سویا،و حفظتنی فی المهد طفلا صبیا،و رزقتنی من الغذاء لبنا مریا،و عطفت علیّ قلوب الحواضن، و کفلتنی الأمهات الرواحم،و کلاتنی من طوارق الجان،و سلمتنی من الزیاده و النقصان.فتعالیت یا رحیم یا رحمان حتی إذا استهللت ناطقا بالکلام،أتممت علیّ سوابغ الانعام، و ربیتنی زایدا فی کل عام.حتی إذا اکتملت فطرتی،و اعتدلت مرّتی،أوجبت علیّ حجتک،بأن ألهمتنی معرفتک،و روّعتنی بعجائب حکمتک،و ایقظتنی لما ذرأت فی سمائک و أرضک من بدائع خلقک،و نبهتنی لشکرک و ذکرک،و أوجبت علیّ طاعتک و عبادتک.... » (۱)البصیره الثانیه:نفوذ علم اللّه الی جمیع جوانب حیاه الإنسان و دقائقها،اذن لا یفوته شیء عنه.

و فائده بیان هذه الحقیقه هی ان الإنسان قد یبتلی بالغرور و التبریر فیزکی نفسه،و یسمی کل ما یقترفه من الذنوب حتی الکبائر و الفواحش لمما،أو یصل الی حاله ذلک الإنسان الذی یشرب الخمر و یقول انه یتحول خلا بمجرد بلوغ فاه، و یبرر ذلک بأنه وصل الی درجه من الایمان حیث یتحول فی جسمه الخمر خلا،أو الاخر الذی امر اتباعه بالصلاه و قعد عنها لأنه عند نفسه بلغ مقاما فوق الصلاه.

فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى

۱- ۱) مفاتیح الجنان/دعاء یوم عرفه

لأنه إذا وصل الإنسان الى هذه المرحله،بدأ رحله الانتكاس ثم لا يتوقف بل ينحدر الى أسفل سافلين.

[۳۴-۳۳]ان عباده الأصنام(الشرک باللّه)و تزکیه النفس تبریرات یتشبث بها الإنسان،و هناک تبریرا آخر یتمثل فی محاوله الاعتماد علی البدائل فمثلا أصحاب المال یظنون انهم حینما یعطون مالا فی سبیل اللّه،فسوف یحررون أنفسهم من تطبیق القیم و الالتزام بالمسؤولیه،أو یرفعون عنها مسئولیه ممارسه الکبائر و الفواحش.کلا.

أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی تَوَلّی عن ذکر اللّه،و عن تطبیق الحق و تحمل الامانه،ثم اعطی بعض المال لیتهرب من المسؤولیه؟ وَ أَعْطی قَلِیلاً وَ أَکْدی ای اعطی شیئا قلیلا ثم توقف کلیا عن العطاء.

قال صاحب المجمع نزلت الآیات السبع فی عثمان ابن عفان کان یتصدق و ینفق،فقال له اخوه من الرضاعه عبد اللّه بن سعد بن أبی سرج:ما هذا الذی تصنع؟یوشک ان لا یبقی لک شیء فقال عثمان:ان لی ذنوبا و انی اطلب ما اصنع رضی اللّه و أرجو عفوه،فقال له عبد اللّه اعطنی ناقتک برحلها و انا أتحمل عنک ذنوبک کلها،فأعطاه و اشهد علیه و أمسک عن النفقه فنزلت: (أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی تَوَلّی) ای یوم أحد حین ترک المرکز و اعطی قلیلا ثم قطع النفقه الی قوله (وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُرَی) فعاد عثمان الی ما کان علیه عن ابن عباس و السدی و الکلبی و جماعه

من المفسرين (۱)و قیل نزلت فی الولید بن المغیره (۲) [۳۵-۳۸]بل ان أصحاب المال یظنون انهم علی حق و من أهل الجنه لمجرد کونهم من المترفین،و هذا التمنی عمیق لدیهم بدلیل آیات سوره الکهف: «وَ کانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ یُحاوِرُهُ أَنَا أَکْثَرُ مِنْکَ مالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً* وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِیدَ هذِهِ أَبَداً* وَ ما أَظُنُّ السّاعَهَ قائِمَهً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلی رَبِّی لَأَجِدَنَّ خَیْراً مِنْها مُنْقَلَباً» (۳).

و القرآن یستنکر علی المترفین هذا الظن قائلا:متی عرف هؤلاء ما فی الغیب حتی یحکمون بأنهم أفضل الناس عند ربهم؟! أَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَیْبِ فَهُوَ یَرَی کلا.انه لا یعرف شیئا عن الغیب،و هذه قضیه وجدانیه.فلا یملک أحد ان یدعی علما بالغیب.اذن فکیف یطلع علی الحقیقه و یتمنی خلاصه من النار بقیاس حاله فی الآخره بحاله فی الدنیا،و الاعتقاد بان اللّه لم یسبغ علیه نعمه فی الدنیا الا انه یحبه فینبغی ان یکون محبوبا عند اللّه فی الآخره أیضا.

بلی یمکنه ذلک لو اتبع هدی الأنبیاء و رسالاتهم التی تکشف عن جوانب منه.

أَمْ لَمْ یُنَبَّأْ بِما فِی صُحُفِ مُوسی* وَ إِبْراهِیمَ الَّذِی وَفّی لا یعلم الغیب و لا یتبع الرسالات الالهیه و لقد جاءت الرسالات کلها بالمسؤولیه،و لکن الإنسان و هو أکثر شیء جدلا،و یحاول التهرب منها بطبعه

۱- ۱) الفخر الرازی ص ۱۱ عند تفسیر الآیه.

۲- ۲) المجمع عند تفسیر الآیه.

۳- ۳) الکهف۳۴/-۳۶

الضعيف،و بحنينه الدائم نحو التراب.و يبرر ذلك بأنه ينتمى الى أنبياء اللّه، كما زعم اليهود بان انتماءهم الى موسى عليه السلام يرفع عنهم المسؤوليه.فقالوا: (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ) (۱).

و كما زعمت قريش بان انحدارها من صلب إبراهيم يعطيها الشرف و يمنع عنها العذاب الالهى..كلا «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَـذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا» (۲)،ان إبراهيم كان وفيا للّه،ضحى بماله و نفسه و قدم ابنه للّه قربانا، و أودع زوجته هاجر و ابنه الرضيع إسماعيل فى الصحراء.و الذى يريد ان يكون فى شيعته لا بد ان يتحمل من المسؤوليه كما تحمل عليه السلام،و لم يكن فى صحف موسى و إبراهيم التى أنزلت عليهما من عند اللّه اى كلمه تسمح للإنسان بالتحلل من مسئولياته بتبرير الانتماء إليها،و قد قرءوا تلك الصحف و عرفوا ما فيها.

ان ابرز ما جاءت به صحف موسى و إبراهيم هو المسؤوليه،فكل إنسان مسئول عن نفسه،و لا يمكنه بحال من الأحوال ان يلقى بتبعه اعماله على الآخرين.

أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى و الوزر هو الحمل الثقيل.و الوازره هى النفس التى تحمله.و لا تزر اى لا تحمل فكل نفس مثقله بحملها و لا تحمل حمل غيرها أبدا،و لو عرف الإنسان ماذا تعنى المسؤوليه و كيف تقف كل نفس امام ربها فى يوم القيامه ضعيفه متهاويه القوى لا تملك عذرا و لا قوه،لعرف مدى بطلان فكره إلقاء المسؤوليه على الآخرين بزعم انهم يتحملونها عنه.كلا انه موقف رهيب ترى فيه كل نفس تجادل عن نفسها،و لها من شأنها ما يغنيها عن الاهتمام بغيرها.

۱- ۱) المائده۱۸/

۲- ۲) آل عمران۶۸/

و هذا السياق من الآيات يضرب فكره الفداء التى ألصقها النصارى فى عيسى عليه السلام حيث قالوا انه قتل ففداهم بنفسه بالرغم من انه جاء ليقاوم مثل هذا الانحراف عند اتباع موسى.

[۴۱-۳۹]و كما ان أوزار الإنسان لا يتحملها أحد سواه،فان حسنات الآخرين لا تصير اليه،انما

«قيمه كل امرء ما يحسن» كما قال الامام على عليه السلام .

وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى و السعى هو ما يقوم به الإنسان بإرادته و وعيه،من قول و فعل و غيرهما.فالتحرك جزء من السعى و الوعى و الهدف و النيه جزء منه أيضا.و الإنسان هو الذى يصنع واقعه و مصيره الحقيقى بنفسه،و مهما كان السعى صغيرا أو كبيرا،و فى اى مكان قام به الإنسان فانه لا بد ان يعود عليه فى الدنيا أو فى الآخره.لان هناك سنه الهيه تحكم الحياه،و هى ان كل شىء يرجع الى أصله ضمن دوره حياتيه قد تطول و قد تقصر.لا بد ان تعود المياه التى تبخرت من البحار إليها بعد رحله متطاوله من ساعه تحولها الى البخار حتى نزولها كامطار ثم جريانها فوق الأرض ينتفع بها الإنسان.

هكذا عملك الذى ينبعث من جوانح قلبك أو جوارح بدنك لا يفنى.انه يتقلب فى صور شتى قد يتحول مالا فيعود إليك،أو تصبح حاله اجتماعيه تتأثر بها،أو يحفظ عند ربك يجازيك غدا به،و هكذا مهما هرب المجرمون من جزاء جرائمهم فانه ملاقيهم.

و من طريف ما قرأته فى هذا الحقل أنّ أحد الخلفاء اقام مأدبه غذاء و حضر عليها أحد كبار قادته العسكريين فرأى فيما رأى من صنوف الطعام طير القطى مشويا،فضحك مقهقها،فسأله الخليفه عن السبب.فحاول ان يكتم.فأصر

علیه.فأخذ یقص واقعه حدثت له قبل عشر سنوات مسترسلا قال:کنت فی رحله صید فی الصحراء،فلقیت رجلا معه بعض المال فسلبته قهرا،ثم أردت قتله فتوسل بی ان اترکه و لکن عزمت علی سفک دمه.فلما رفعت علیه السیف نظر حوله فلم یجد أحدا الا سربا من القطی صادف مرورها فی ذات اللحظه.فقال اشهدی باننی اقتل غریبا مظلوما فی هذه المفازه.فضحکت من قوله ثم قتلته.و الآن لما رأیت القطا فی السماط تذکرت ما قاله و سیفی یهوی علیه فلم أتمالک من الضحک علی ذلک الرجل المسکین الذی اشهد القطا علی قتله.فقال الخلیفه بلی لقد أدت القطا شهادتها و امر بجمع السماط،و قال للجلادین احضروا النطع و السیف فاحضروهما و ضرب عنقه.

وَ أَنَّ سَعْیَهُ سَوْفَ یُرَی و هناک فکره نجدها فی هذه الآیه و هی ان کل سعی یقوم به الإنسان یتحول الی کیان مادی،و ان الکلمه الطیبه،و الموقف الشجاع،و النشاط السلیم،کل ذلک یتحول الی شیء ملموس یراه الإنسان.کذلک الکلمه الخبیثه،و الموقف الجبان، و الفساد.

أ رأیت هذه الحرکات المبارکه،التی تشیع الفضیله و تزرع السلام و تبنی الحضارات،انها کانت فی الأصل دعوات صالحه و مساعی حمیده.أ رأیت هذه الویلات التی تصیب البشریه هنا و هناک،انها کانت فی الأصل کلمات خبیثه أو مساعی فاسده.

و ما معنی المسؤولیه فی الدنیا الا ارتداد صدی سعی البشر الیه،فمن قاوم الظالم،عاش فی ظل العداله دهرا،و من جبن عن مقاومته ساعه شمله خسفه و ضیمه.و أمه تنشط فی بناء حضاره تنعم فی ظلها طویلا و أختها التی تتکاسل

تعيش أبدا فى بؤر التخلف و الفساد.

و ان مرور الزمان على سعى الإنسان لا ينقصه انما يزيده نماء أو لا أقل يبقيه كاملا وافيا.

ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى [۴۲-۴۸]و ان هناك تسلسلا فى السنن و المسببات فى الحياه،و منها سنه الجزاء،و لكنها لا تتحرك فى الفراغ أو ما يسميه الفلاسفه بالدور،بل لها بدايه و نهايه،و هناك من يشرف عليها و هو اللّه،فالعالم اذن ليس بعيدا عن العقلانيه، و لا مجرد قوانين،و انما هناك تدبير الهى حكيم يهيمن عليه،كما قال اللّه تعالى:

إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّهِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ (۱)و ما دام الأمر بيد اللّه و ينتهى اليه فلتطمئن النفس الى الجزاء و تثق بنتائج سعيها،و فى القرآن تذكره بهذه البصيره فى مواضع شتى و بصيغ مختلفه.

وَ أَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى بلى ان الظاهر من الحياه هى النظم الدقيق و السنن الحاكمه.و لكن الجانب الخفى منها و لبّها هو هيمنه اللّه عليها.و المؤمنون مطمئنون الى هذه الحقيقه و موقنون بها،بينما الآخرون لا يعلمون الا الظاهر من الحياه.

و القرآن هنا يؤكد هذه الهيمنه و يمثل لها بلطائف الأمور.

۱- ۱) الأعراف۵۴/

وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكى ان الإنسان يضحك للجزاء الحسن،و يبكى من الجزاء السيء.سواء فى الدنيا أو الآخره.و اللّه سبحانه يقدرهما للإنسان،فيمنح له من السعاده النفسيه و الماديه ما يضحكه(جزاء لما قدمه من عمل صالح).أو ينتقم(لسوء عمله)فيسلب منه نعمه و يعصر قلبه بالهم حتى يبكيه.و القرآن لم يقل افرح و احزن لان الضحك و البكاء هما غايتا الفرح و الحزن،و اجلى مصاديقهما.و لان بينهما مسافه شاسعه لا بد من بيانها لنعرف عمق الهوه الفاصله بين الخير و الشر،و بين الجزاء الحسن و العقاب، و لعلنا نفقه بعض ابعاد مسئوليتنا تجاه أفعالنا.

وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا ربما يكون معنى الحياه هنا استمرارها و المحافظه عليها كقوله تعالى: وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النّاسَ جَمِيعاً (۱)،و امر الموت و الحياه بيده تعالى،مهما كانت أسبابهما الظاهره،لان اللّه يجرى الأمور بأسبابها،فقد يحفظ الحياه لا حد على يد الطبيب،أو يقدر له الموت بيد جلاد.

وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى* مِنْ نُطْفَهٍ إِذا تُمْنى و انما يؤكد ربنا على هذه الحقيقه(ان اليه المنتهى)ثم يضرب الامثله من أهم ما يتحكم فى كياننا لان الإنسان قد يكتشف القوانين التى تسير الحياه وفقها، فيفسر الظواهر و الحوادث تفسيرا ماديا مبنيا على أساس ان القانون هو كل شيء، فيرى ان الولاده تبدأ من الجماع حيث يقذف الرجل بالحيامن فى رحم المرأه،ثم ان الرحم المهيأ لتكوين الجنين يبدأ بدوره ضمن قوانين و معادلات معينه فتصير

۱- ۱) المائده۳۲/

(البويضه الحيمن)جنينا ذكرا إذا غلب ماء الرجل،و أنثى إذا غلب ماء المرأه.

ثم يقف عند هذا الحد دون البحث عن منتهى هذه الظواهر بينما إذا أمعنا النظر لبصرنا بالحلقات الفارغه الموجوده فى سلسله العلل و التى تفصل بين مشيئه الإنسان و تحقق العمل،فأنت تريد انجاب أولاد،و لكن هل تملك فى صلبك القدره على ذلك؟و هل توفق لزوجه مناسبه؟و هل تضمن ألا تكون عقيمه،أو تجهض حملها بسبب طارئ؟و عشرات الاسئله التى ترتسم فى ذهن أى واحد منا حين يريد أن يحقق إنجازا.و إذا فتشنا عن جذر هذه الاسئله لعرفنا ان الاهداف التى شئنا بلوغها و خابت مساعينا إليها بما لم نحسب لها حسابا خلفت فى عقولنا هذا الخوف الرهيب ألاّ نوفق-مره أخرى-الى ما نبتغيه.و

صدق الامام أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول :«عرفت اللّه بفسخ العزائم و نقض الهمم ».تعال و جرب للمره الالف اعقد عزم قلبك على خطه بعيدا عن التوكل على اللّه ثم انظر كيف تقفز أمامك العقبات غير المحسوبه.

من هنا اركزت فى فطره الناس هذه الحقيقه،ان أزمه الأمور ليست بأيديهم و ان هناك قدرا من الغيب فى كل عمل يساهم فى نجاحه أو فشله.و قدره اللّه على النشأه الاولى من حين النطفه حتى الموت تؤكد على بعثه إياه مره اخرى للجزاء.

وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرىٰ و كلمه عليه تشير الى ان البعث للحساب حق و عهد قطعه اللّه على نفسه.

وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنىٰ وَ أَقْنىٰ قد يتصور الإنسان بالنظر الى الأسباب الظاهره للغنى انه الذى يغنى نفسه، و لكنه حينما يتعمق يجد ان غناه من عند اللّه و بتوفيقه.اذن فلما ذا يغتر بماله

و يتكبر على الحق اعتمادا عليه؟! و يتساءل البعض:إذا كانت الأمور بيد اللّه و ان اليه منتهاها فلما ذا السعى إذا؟و كيف ان ربنا بيّن آنفا أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى ؟و ربما اتخذ البعض من آيات كهذه تبريرا لتقاعسهم أو دليلا على مذهب الجبر المرفوض عقلا و شرعا.

بيد ان النظر الشامل فى الآيات يجيب على هذه التساؤلات،كيف؟ ان الأمور بيد اللّه،و لكن اللّه يأمر بالحق و يجريه،فهو الذى يضمن العداله الجاريه فى الخلق،و هو الذى يعيد سعى الإنسان اليه،و يجازيه عليه الجزاء الأوفى.

و لو لا العقيده بان اللّه يضمن تنفيذ العداله لزعم البعض انه يستطيع ان يتهرب من مسئوليه سعيه.أو كان يخشى من ضياع سعيه.

اذن السعى هو محور الجزاء،و لكن الجزاء بيد اللّه فليس سعيك يوصلك إلى ما تريد مباشره،بل عبر اراده اللّه و جزاءه،فتكون المعادله كالتاليه:

سعى البشر أو عمله توفيق اللّه أو إرادته الجزاء.

[۴۹]ثم و فى سياق تأكيد انتهاء الأمور الى اللّه،ينسف القرآن الاعتقاد بألوهيه غيره تعالى،و يضرب مثلا من واقع الذين يعبدون النجوم اعتقادا بان حركتها تؤثر فى حياه الناس،فتجلب لهم الخير أو الشر،و عباده النجوم كانت منتشره عند قدماء المصريين كما فى بلاد الرافدين كما ان القرآن يلمح فى حديثه عن إبراهيم عليه السلام الى ان قومه كانوا يعبدونها.

و لعل من أشهر النجوم التى بقيت عبادتها رائجه حتى زمن الرسول صلى الله عليه و آله كانت نجمه الشعرى قال على ابن إبراهيم«نجم فى السماء كانت قريش و قوم من

العرب يعبدونه،و هو نجم يطلع فى آخر الليل» (۱)و القرآن هنا ينسف الاعتقاد بألوهيه هذا النجم،مبينا بأنه ليس إلّا خلقا من خلق اللّه،لا حول له و لا قوه.

وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرىٰ [۵۰]بعد ذلك تعرج بنا الآيات الى الحديث عن تاريخ الأمم السالفه،بما يؤكد هيمنه اللّه على الخلق و انه يقدر الجزاء حسب اعمال العباد،أ ترى ان هلاك الأمم حينما خالفت الحق و عصت الرسل،و عتت عن أمر ربها كان صدفه؟أذن لماذا تتكرر التجربه لاكثر من قوم و لنفس السبب؟ وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عٰاداً الْأُولىٰ و هم القوم الذين أرسل اللّه إليهم هودا عليه السلام و قال اللّه(الأولى)ربما لواحد من الأسباب التاليه:

آ-لأنهم أول الأقوام بعد هلاك البشريه بسبب الطوفان الذى ابتلع الأرض فى عهد نوح عليه السلام .

ب-لأنهم جيلان و لم يهلك إلّا الجيل الاول.

ج-ان اللّه أراد ان يسفه فكره التقديس للأولين،الذى سار عليه الجاهلون و من بينهم قريش.

[۵۱]و بعد عاد كانت ثمود،قوم صالح عليه السلام الذين كذبوه و عقروا الناقه و قد كانت آيه مبصره فأهلكهم اللّه.

۱- ۱) نور الثقلين ج ۵ ص ۱۷۴

وَ ثَمُودَ فَما أَبْقى هناک قال(الاولی)و هنا یقول(فما أبقی)و ذلک لان ثمود اهلکوا عن بکره أبیهم بریح صرصر جعلتهم کاعجاز نخل منقعر،فلم تبق و لم تذر،علی خلاف عاد الذین أهلک اللّه الأولین منهم فقط،کما تکشف لنا هذه الکلمه مدی تشبث ثمود بالحیاه،حیث سعوا للبقاء بکل ما أوتوا من القوه و لکنهم ما استطاعوا الی ذلک سبیلا حینما حل بهم غضب الرب.

[۵۲]و قبل هؤلاء و أولئک کان قوم نوح علیه السلام طعمه للهلاک.

وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ کانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغی لأنهم أول الأقوام کفرا باللّه و عصیانا للأنبیاء،و لأنهم أصروا علی ضلالهم و استکبروا علی الحق جیلا بعد جیل بالرغم من(۹۵۰)عاما من التبلیغ المبین و المستمر للرساله من قبل نوح علیه السلام .

و قد سبقوا الأقوام ظلما لأنهم تحرروا من کل القیم الدینیه و الانسانیه،و طغیانا لأنهم ملکوا من الامکانات الشیء الکثیر و استخدموا کل ذلک ضد الرساله و الرسول.و بالرغم من ذلک اهلکهم اللّه و لم یحجز العذاب عنهم شیء أبدا.

[۵۴-۵۳]و هناک قوم لوط علیه السلام الذین أسرفوا فی الشذوذ الجنسی،فحل بهم غضب اللّه،و ذلک بان حمل قراهم جبرئیل بطرف جناحه و رفعهم ثم أهوی بهم.

وَ الْمُؤْتَفِکَهَ أَهْوی قال العلامه الطبرسی فی مجمع البیان:و المؤتفکه المنقلبه و هی التی صار أعلاها أسفلها و أسفلها أعلاها،و منه أهوی بیده لیأخذ کذا و هوی یهوی نزل فی الهواء،

فاما إذا نزل فی سلم أو درج فلا یقال أهوی و لا هوی،و حیث حل أجلهم عمّهم العذاب المهول من کل صوب.

فَغَشّاها مٰا غَشّیٰ أ صحیح ان اللّه یعذبنا بنار جهنم تلک النقمه الکبری التی لا تحتملها السماوات و الأرض و الجبال.أو لیس ربنا الرحمن الذی تجلت فی کل شیء آیات رحمته الواسعه.یتساءل البعض و یقول لا..انا لا أصدق ان اللّه یعذبنی و لم أعهد منه فی الدنیا إلاّ کل نعمه؟بلی و هذه شواهد تعذیبه فی الدنیا للأمم التی ناهضت الحق و تحدت رسله.ان اللّه واسع الرحمه و لکنه أیضا شدید العذاب.

و لعله لذلک یذکرنا الرب،بین الفینه و الاخری-بعذابه العظیم الذی حل بالأمم السابقه حتی ینقض الشک بالیقین ان وعید اللّه العاصین بالعذاب لیس ضربا من الوهم و التخویف المجرد بل هو واقع و قد حدث فعلا یشهد بذلک التاریخ البشری و ما تقدم بعض شواهده.

[۵۵]إنّ عبر التاریخ المرعبه هی من الآیات الالهیه الجدیره بان ترفع حجب الشک و المراء عن قلب الإنسان الذی یتفکر فیها و یتبع هداها.

فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکَ تَتَمٰارىٰ الآلاء هی الآیات.یدل علی ذلک قوله فی سوره الرحمن «فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ» (۱).و التماری هو الشک المتوالی أو ترامی الشک من البعض الی الآخر، ذلک لان الشاک فی مثل هذه القضایا المصیریه و العامه لا یدع شکه فی قلبه بل یلقیه علی من هو مثله و یتلقی منه الشک أیضا،و ینبغی مواجهه کل ذلک بتلک الآیات

۱- ۱) سوره الرحمن۱۳/

المتواليه.

[۵۶]ان من أعمق مشاكل الإنسان انه يستبعد عن نفسه العذاب الالهى و هو يمارس الضلال،أما لشكه فى قدره اللّه كاليهود الذين قالوا يد اللّه مغلوله،أو لرجائه غير المنطقى فى رحمته،و القرآن يذكر عواقب الأمم الذين ضلوا و كذبوا بالحق و يضعها بين أيدينا نذرا لعلها ترد عنا عن الباطل.

هٰذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولىٰ و قيل ان المعنى بالنذير هنا هو الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله الذى يمثل امتدادا للأنبياء،فكما ان هودا و صالحا و نوحا و لوطا عليهم السلام انذروا اقوامهم،فان محمدا صلى الله عليه و آله هو الآخر نذير مثلهم،

قال الصادق عليه السلام و قد سئل عن معنى الآيه:

«يعنى محمدا صلى الله عليه و آله حيث دعاهم الى الإقرار باللّه فى الذر الأول » (۱).

و لقد أهلك اللّه الأقوام السابقه لأنهم كذبوا أنبياءهم و الحق الذى جاؤوا به، و يكفى بذلك نذيرا لنا ما دامت سنن اللّه فى الأولين هى سننه فينا و فى اللاحقين الى يوم القيامه.

[۵۷-۵۸]و تبقى القيامه أبلغ النذر و آخرها و أعظمها،و القرآن يؤكد حدوث القيامه فى المستقبل القريب جدا فحتى إذا بقيت من القيامه الكبرى ۵۰۰ مليون عام فانه يمثل واحدا من ثلاثين أو حوالى ۳٪من دوره واحده لهذا الكون التى تبلغ حسب بعض التقديرات العلميه ۱۵ الف مليون عام،كيف و لعله لم يبق حتى قيام الساعه ذلك اليوم الرهيب الذى أشفقت منه السماوات و الأرض إلّا بضعه ألوف من السنين و ربما أقل و من يدرى؟أو ليس علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلّا هو؟

۱- ۱) نور الثقلين ج ۵ ص ۱۷۳

فيقول:

أَزِفَتِ الْآزِفَةُ أى اقتربت،و التأكيد على اقتراب هذه الحقيقه الكبرى يجعلنا نعيش الساعه بوعينا فنستعد كما

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :«اتقوا اللّه عباد اللّه،و بادروا آجالكم بأعمالكم،و استعدوا للموت فقد أظلكم،و ترحلوا فقد جد بكم،و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا،و علموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا،فما بين أحدكم و بين الجنه و النار إلّا الموت أن ينزل به » (۱)و إذا مات ابن آدم قامت قيامته،و لا يستطيع أحد أن يدفع الموت عن نفسه.

لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللّهِ كاشِفَةٌ بلى قد يظن الإنسان أو يتمنى بان الأصنام التى يشرك بها تستطيع أن تصنع له شيئا،كلا..اللّه وحده القادر على جلب الخير و رفع الضر،و إذا اقترب العذاب و بانت أمارته فلا مفزع إلّا اليه، «فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ* وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» (۲).

[۵۹-۶۱]و هذا الحديث ليس ضربا من الوهم أو الظنون،بل هو حق يقين يجب على الإنسان أن يصدق به و يستعد له «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ* وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ» (۳).

أَ فَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ انهم لم يصدقوا و يستعدوا للساعه:

۱- ۱) نهج خ ۶۴

۲- ۲) الذاريات ۵۰/-۵۱

۳- ۳) الطارق۱۳/-۱۴

«بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْكافِرُونَ هذا شَيْءٌ عَجِيبٌ* أَ إِذا مِتْنا وَ كُنّا تُراباً ذلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ» (۱)هکذا یکون موقف الکفار من الحقائق الجاده،و القرآن یستنکر علیهم هذا الموقف الهازل.

وَ تَضْحَكُونَ وَ لا تَبْكُونَ* وَ أَنْتُمْ سامِدُونَ ان حدیث القیامه بما یتضمنه من حقائق حاسمه،و عظیمه،ینبغی أن یبعث العاقل علی البکاء و الخوف من غضب اللّه،و یثیر فیه طاقاته الکامنه لیفکر فی النجاه،و یستعد للقیامه،و السامد هو الغافل،و کما ان الغفله نتیجه للضحک و التعجب،فان الجد و السعی نتیجه طبیعیه للتصدیق و البکاء من أهوال الساعه.

[۶۲]و فی مقابل هذا الموقف الخاطئ من حدیث الساعه یهدینا القرآن إلی الموقف السلیم الذی یجب علینا اتخاذه تفاعلا مع النذر الالهیه و هو الفرار الی اللّه عز و جل،و التقرب إلی مقام عظمته بالسجود.

فَاسْجُدُوا لِلّهِ وَ اعْبُدُوا و السجود و هو مظهر الاتصال باللّه،بینما العباده جوهره و محتواه،فلا قیمه للسجود الذی لا یقربنا الی اللّه،و الی العمل بمناهجه فی الحیاه،ان ممارسه الطقوس و الشعائر الاسلامیه ممارسه بعیده عن أهدافها لا تنفع صاحبها شیئا،فما هو نفع الصلاه التی لا تنهی عن الفحشاء و المنکر؟و ما هی فائده الصوم الذی لا یزکی النفس؟ و کلمه أخیره:

اننا نجد السیاق القرآنی یختتم هذه السوره المبارکه،بدعوه إلی السجود حیث

۱- ۱) ق۲/-۳

يجب شرعا على من يقرأ هذه الآيه أو يستمع لها أن يسجد فورا مهما كانت الظروف، و ذلك لأنها تعرضت الى ذكر الأصنام التى أشرك بها الناس كاللات و العزى و مناه و الشعرى فهدف الآيه اذن تنزيه الناس عن عبادتها و توجيههم الى عباده اللّه وحده و السجود له.

ص:٢٠٠

سوره القمر

اشاره

ص:۲۰۱

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

قال الامام ابو عبد اللّه الصادق عليه السلام :«من قرأ سوره اقتربت الساعه أخرجه اللّه من قبره على ناقه من نوق الجنه».

تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۱۷۴

الإطار العام

تحيط آيات هذه السوره المباركه بثلاثه محاور رئيسيه،هى:

١-إعراض الكفّار عن الآيات الالهيه،سواء تمثّلت فى الرسالات النازله،أو المعاجز التى تظهر على أيدى الأنبياء،أو ما تتجلّى فى الكائنات أو السنن التى تتجلّى فى تاريخ الأمم الغابره،و نجد مرتكزا لهذا المحور فى قوله تعالى: وَ إِنْ يَرَوْا آيَهً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (الآيه ٢).

٢-التكذيب بالحق،و يبرز هذا المحور عند قوله تعالى: وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (الآيه ٣)،و هكذا شبيهاتها(الآيه ٩،١٨، ٢٣، ٣٣،٤٢).

٣-التذكره،و يظهر ذلك من تكرار قول اللّه تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ فى أربعه مواضع،بالاضافه إلى الآيتين(٥١/١٥).

و بالتدبّر العميق فی السوره نجد ارتباطا وثیقا بین المحاور الثلاث فیها، فالاعراض بالاضافه إلی کونه مظهرا للتکذیب هو سبب له أیضا،و هذا یبیّن لنا أنّ تکذیب الرسالات لیس منطلقا من قناعه المکذّبین بها،و إنّما من انحراف حقیقی فی أنفسهم،لأنّک تجدهم یعرضون عنها و بالتالی یکذّبونها قبل دراستها و التفکّر فیها.

و لکن ما هو علاج الاعراض و التکذیب عند البشر؟إنّه التذکره.و القرآن إنّما جاء لیحقق هذا الهدف الهام و الکبیر،لذلک نجده من حیث المحتوی و الأداء الأدبی و النفسی و الفکری حکمه بالغه،تنفذ إلی أعمق أغوار نفس الإنسان،و أبعد آفاق عقله،و لکن« لِمَنْ کٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِیدٌ »،فهو میسّر من قبل اللّه،و هذا التیسیر هو الذی جعل کلام الخالق الذی لا یتناهی عظمه و جلالا و علوّا بیّنا و واضحا عند خلقه..

قال الامام الصادق علیه السلام :«لولا تیسیره لما قدر أحد من خلقه أن یتلفّظ بحرف من القرآن،و أنّی لهم ذلک و هو کلام من لم یزل و لا یزال » (۱)، و لکنّ المعنی الذی یرتبط بعلاج الاعراض و التکذیب عند البشر هو أنّ القرآن یصوّر لنا الحقائق الکبری،کحقائق الغیب التی ینحسر عنها-لو لا تیسیر القرآن-وعی الإنسان،و منها الآخره،تصویرا بلیغا بحیث تصبح یسیره الفهم و الاستیعاب،الأمر الذی یحدث تعادلا فی عقل الإنسان بین ما غاب ممّا یحدث فی المستقبل و ما هو حاضر یحسه و یعایشه.إنّه یدعوه إلی التعایش مع الحاضر الذی تشتهیه نفسه علی أساس المستقبل،أو ینهاه عن استهلاک شیء حاضر لأنّه یوقعه فی مهالک المستقبل.

۱- ۱) تفسیر روح البیان/ج(۸)-ص(۴۳۳).

[سوره القمر (۵۴): الآیات ۱ الی ۲۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . اِقْتَرَبَتِ اَلسّٰاعَةُ وَ اِنْشَقَّ اَلْقَمَرُ (۱) وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (۲) وَ كَذَّبُوا وَ اِتَّبَعُوا أَهْوٰاءَهُمْ وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (۳) وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ اَلْأَنْبٰاءِ مٰا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (۴) حِكْمَةٌ بٰالِغَةٌ فَمٰا تُغْنِ اَلنُّذُرُ (۵) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ اَلدّٰاعِ إِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ (۶) خُشَّعاً أَبْصٰارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ اَلْأَجْدٰاثِ كَأَنَّهُمْ جَرٰادٌ مُنْتَشِرٌ (۷) مُهْطِعِينَ إِلَى اَلدّٰاعِ يَقُولُ اَلْكٰافِرُونَ هٰذٰا يَوْمٌ عَسِرٌ (۸) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنٰا وَ قٰالُوا مَجْنُونٌ وَ اُزْدُجِرَ (۹) فَدَعٰا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (۱۰) فَفَتَحْنٰا أَبْوٰابَ اَلسَّمٰاءِ بِمٰاءٍ مُنْهَمِرٍ (۱۱) وَ فَجَّرْنَا اَلْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى اَلْمٰاءُ عَلىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (۱۲) وَ حَمَلْنٰاهُ عَلىٰ ذٰاتِ أَلْوٰاحٍ وَ دُسُرٍ (۱۳) تَجْرِي بِأَعْيُنِنٰا جَزٰاءً لِمَنْ كٰانَ كُفِرَ (۱۴) وَ لَقَدْ تَرَكْنٰاهٰا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۱۵) فَكَيْفَ كٰانَ عَذٰابِي وَ نُذُرِ (۱۶) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۱۷) كَذَّبَتْ عٰادٌ فَكَيْفَ كٰانَ عَذٰابِي وَ نُذُرِ (۱۸) إِنّٰا أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (۱۹) تَنْزِعُ اَلنّٰاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجٰازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (۲۰) فَكَيْفَ كٰانَ عَذٰابِي وَ نُذُرِ (۲۱) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۲۲)

اللغه

۴[مزدجر]:متّعظ،و هو بمعنى المصدر،أى ازدجار عن الكفر،و تكذيب الرسل.

۷[الأجداث]:جمع جدث،بمعنى القبور.

۸[مهطعين]:الإهطاع هو الإسراع فى المشى.

۹[و ازدجر]:أی زجر بأنواع الأذیه عن تبلیغ الرساله.

۱۱[منهمر]:الهمر:هو صب الدمع و الماء بشده،و الانهمار:

الإنصاب،و انهمر:تساقط بکثره کأنّه أفواه القرب.

۱۳[و دسر]:الدسر هی المسامیر،و هو جمع:دسار.

۱۹[ریحا صرصرا]:بارده،شدیده البرد.

۲۰[أعجاز]:أصول.

[منقعر]:منقلع عن مغارسه،لأن قعر الشیء قراره،و تقعّر فی کلامه إذا تعمّق.

ص:۲۰۹

وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ

هدى من الآيات:

إذا كانت هدايه البشر هدف رسالات اللّه فإنّ الوسيله المثلى التى تتبعها هى تذكرته و إنذاره،لكى تتساقط حجب الغفله و الكبر عن قلبه.إنّ فى ضمير الإنسان خوف دفين من مستقبل مجهول،و يستثير القرآن هذا الخوف بتذكرته بالساعه، و ما الساعه؟إنّها أدهى و أمرّ.

و هذا النهج نجده أكثر تجلّيا فى السوره المكيه ذات المقاطع القصيره،و بالذات سوره القمر التى تتجلّى فيها هذه الوسيله بأظهر مصاديقها،و قد سمّيت بذلك بسبب إشارتها إلى آيه انشقاق القمر،الظاهره التى حدثت فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله بمكه المكرّمه،حسبما يقول أغلب المفسرين.

و يوصل القرآن بين هذه الظاهره المعجزه و بين اقتراب يوم القيامه لأنّه قريب من بعثته صلى الله عليه و آله ،و

هو القائل :«إنّنى بعثت و الساعه كهاتين،و جمع بين إصبعيه »

دلالـه على قربهمـا الزمنى،أى لاـ يلبث العالم بعـده أن يشـهد الساعه،و قال على بن إبراهيم(ر ض):«اقتربت القيامه فلا يكون بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلّا القيامه،و قد انقضت النبوّه و الرساله» (۱).

و سواء كـانت السـاعه بعـد آلاـف أو ملاـيين السـنين من بعثته صـلى الله عليه و آله فإنّها قريبه، إذ كلّ آت قريب،و لأنّ البعـد و القرب لاـ يقاسـان بحيـاه الإنسـان المحـدوده فى الـدنيا،بـل يقاسـان بما فى الكون من أرقام و أبعاد زمانيه كبيره،فقـد يكون عمر الشـمس عشـره ملايين سنه و لكنّها انقضى أكثرها،و أصبحت نهايتها قريبه جدا، ثمّ ما هى نسبه هذه المده إلى الزمن اللامتناهى الـذى يلى الحياه الـدنيا؟! إنّ الكفّار كـذّبوا هـذه الآيه المعجزه مع وضوحها،و أعرضوا عن دلالاتها، و لكنّهم لم يكونوا أوّل و لا آخر المكذّبين،فقد سبقهم إلى هذا الضلال قوم نوح و عاد،و كانت عاقبه أولئك الخزى و العذاب،فلا ينبغى للرسالى أن يصاب بهزيمه نفسيه إذا رفض البعض الاستجابه إلى دعوته،فإنّ دعوته منصوره،و إنّ المكذّبين فى ضلال بعيد.

بيّنات من الآيات:

[۱]يعيش الإنسان فى وجـدانه خوفا عميقا من شـىء مجهول،و القرآن يبيّن أنّه الساعه،فالموت الذى يعقبه مصـير مجهول بالنسـبه إليه أمر رهيب جـدّا،و الآيـات تؤكّـد بـأنّ خوف الإنسـان الحقيقى ليس من الموت،و إنّما من البعث بعـد الموت، و إنّما يخشـى الموت لأنّه بوّابه الحساب.

اِقْتَرَبَتِ السّاعَهُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۵)-ص(۱۷۵).

قال ابن عباس :«اجتمع المشركون إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقالوا:إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين،فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :إن فعلت تؤمنون؟قالوا:

نعم،و كانت ليله بدر فسأل رسول اللّه صلى الله عليه و آله ربّه أن يعطيه ما قالوا،فانشق القمر على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله فرقتين،و رسول اللّه صلى الله عليه و آله ينادى:يا فلان يا فلان! اشهدوا» (۱)حتى قال بعضهم:«إنّنى كنت أرى حراء بين فلقتى القمر. » و انشقاقه الذى حدث فى عصر الرسول أو الذى يحدث فيما بعد،من الظواهر الكونيه الدالّه على قرب الساعه،و لكنّ القرآن يقدّم الحديث عن الساعه على ظاهره انشقاق القمر،لأنّه محور الكلام و الغايه منه.و كم هى رهيبه ساعه القيامه، و كيف لا تكون كذلك و فيها تسير الجبال الشاهقه فتصير سرابا،و تنتثر الكواكب كخرزات العقد المنفرط،و تزلزل الأرض زلزالا عنيفا! إِنَّ زَلْزَلَهَ السَّاعَهِ شَیْءٌ عَظِیمٌ !إنّها مهوله جدّا!و تترك أثرا جذريّا لا نعرف نحن مداه،و لا يقتصر ذلك الأثر على تاريخ البشريه وحدها،كلّا..بل هو تغيير كونى حاسم،لأنّه اليوم الذى ينتهى فيه دور الإنسان على وجه الأرض،و قد خلق اللّه ما فى الأرض لأجله،إذا فذهابه منها يقتضى تغيرا حاسما فيها.و ربنا لم يقل(قربت)بل قال «اقْتَرَبَتِ» و هذه الزياده التى لحقت بالفعل سببها دخوله فى باب الافتعال الدال على بدل المزيد من القوه و الجهد، كما يدلّ قولنا اكتسب على استعمال القوه فى الحصول على الرزق،فالساعه تمرّ بمخاض عسير،لأنّ حدوثها يقترن بتغييرات هائله.

[۲]و انشقاق القمر ليس الآيه الوحيده التى تهدينا إلى الساعه و البعث،فهناك من الآيات الأخرى الكثير ممّا يكفى سلطانا مبينا،و حجه بالغه لنا على واقعيه الساعه،و لكنّ المشكله فى نفس الإنسان حينما يضل،و يتبع هواه.إنّه يرى الآيات و يعقلها،و لكنّه يعرض عن دلالاتها،و يصرّ على باطله،و لكى يتخلّص

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۵)-ص(۱۷۴).

من وخز الضمير و نداء العقل يبحث لضلاله عن تبرير،و للآيات عن تأويل،مهما كانا سخيفين و متناقضين مع أبده المسلّمات الوجدانيه و العقليه،كلّ ذلك تهرّبا من مسئوليه الاعتراف بالحق.

وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ لقد اعتذر المشركون عن الايمان بالرساله بأنّهم لا يؤمنون بشيء غيبى لا آيه محسوسه عليه،فألحّوا على الرسول صلى الله عليه و آله بنظرتهم الشيئيه أن يريهم من الآيات الماديه ما يصدّق نبوّته و رسالته،فسأل ربّه ذلك ليقيم الحجه عليهم و أعطاه،إلاّ أنّهم أعرضوا عن الايمان،

قال على بن إبراهيم(ر ض) :«فإنّ قريشا سألت رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن يريهم آيه،فدعا اللّه فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم،فقالوا:هذا سحر مستمر » (۱)أى دائم،و السحر لا يدوم،إنّما هو لحظات يخدع فيها الساحر أعين الناس ثم ينتهى،و المشركون يدركون هذه الحقيقه،و لكنّهم قبلوا أن يضيفوا إلى السحر نوعا جديدا لا عهد لهم و لا عهد لهم و لا للتاريخ به،و لم يقبلوا أنّ يكون القرآن رساله من اللّه،لأنّه يجعل من الايمان به و تطبيقه مسئوليه واجبه عليهم،فهو حينئذ رساله اللّه إلى أنفسهم أيضا،و الحال أنّهم يسعون بكل ما أوتوا من حيله و مكر إلى التهرّب من المسؤوليه،و يحتمل أن تنطوى كلمه المستمر على معنى القوى أيضا،و السحر لا قوه له لأنّه خيال لا واقع،و سواء هذا أو ذاك فإنّ القرآن يثبت أفكارهم و أقوالهم و مواقفهم المتناقضه فى ذاتها لبيان بطلانها و ضلاله أصحابها.

و قد سبق أن قلنا بأنّ فى قولهم بأنّ الرساله و آياتها سحر اعترافا بتأثيره البالغ عليهم،و بالعجز عن الإتيان بمثله،و بسلطانه على أفئده الناس كما السحر،

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۵)-ص(۱۷۵).

فيؤخذون بهذا الاعتراف،و ينبذ تفسيرهم لذلك بأنّه يشبه السحر،إذ مستحيل أن يستمرّ السحر الذى حقيقته التأثير الموقّت فى خيال الإنسان.

[۳]و الآيه التاليه تؤكّد على أنّ التبرير الباطل يساوى عند اللّه الكذب المحض،بل هو أشدّ،لأنّ أهداف التكذيب هى ذاتها أهداف التبرير،و أهمّها اتباع الأهواء و الشهوات،إذا فتبرير الإنسان لا يغيّر من واقعه شيئا،و لا من جزائه عند ربّه،لأنّه تعالى لا ينظر إلى المظاهر و لا يحاسب عليها،إنّما ينظر إلى الحقائق الواقعيه،و يجعلها ميزانا للجزاء،إنّه «يَعْلَمُ خائِنَهَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِى الصُّدُورُ» (۱).

وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ و اتباع الهوى هو سبب التكذيب،كما أنّه الهدف منه،و هذه الآيه دليل صريح على بطلان عذرهم،و رفض اللّه له كمبرّر مشروع لاعراضهم عن الحق،حيث اعتبرهم و المكذّبين سواء.

وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ إنّ سنن الحياه الدنيا و الآخره و مقاييسهما حقائق قائمه و ثابته لا تتغيّر (مستقرّه)،فلا يمكن تغييرها بهوى النفس أو بتمنّيات البشر،و تشير هذه الآيه إلى ما بيّنته الآيات الأخرى كقوله سبحانه: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (۲)، وَ الْعَاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ (۳)، وَ لا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أَتى (۴)، إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً (۵)،كما أنّ

حكمه الامام على عليه السلام :«الأمور مرهونه بأوقاتها »مستوحاه

۱- ۱) غافر/(۱۹).

۲- ۲) الرعد/(۳۸).

۳- ۳) الأعراف/(۱۲۸).

۴- ۴) طه/(۶۹).

۵- ۵) الإسراء/(۸۱).

من هذه الآيه الكريمه،و هذا التفسير يجمع بين آراء المفسرين القائله بأنّ الأمر المستقر هو العواقب،أى أنّ عاقبه الأمور مستقره على قيم ثابته،كما ترسى السفينه بالتالى عند الشاطئ،أو ما قالوا:بأنّ عاقبه الخير الحسنى و الشر السوئى،و قال بعضهم:

أنّها القيامه حيث تستقر عندها سفينه الدنيا،لأنّها تبرز كأمر واقعى محسوس، و يتميّز الحق من الباطل.

بلى.إنّ كلّ أمر واقعى حق سوف يستقرّ مكانه،و يتكرّس أكثر فأكثر رغم الظروف و العوامل المضادّه،و استقراره أعظم دلاله من ملايين الكلمات، فلو اجتمع الإنس و الجن على إنكار وجود الجبال،و جاؤوا بملايين الأدله،هل يتغيّر الواقع؟ كلّا..ذلك أنّ المحور الحقيقى هو الواقعيات الخارجيه الحقّه،و ليست الأهواء و التمنّيات و الظنون،و لعلّ معنى «حِكْمَةٌ بٰالِغَةٌ» التى تأتى لاحقا هو هذا الأمر، إذ أنّ الحكمه هى وضع الشىء موضعه،و لا يقدر على ذلك إلّا من عرف السنن الالهيه النافذه فى الخلق،و النظام العادل الحاكم فى كلّ شىء،و إنّما كانت رسالات اللّه حكمه بالغه لأنّها تهدى الإنسان إلى المستقرّات من الحقائق الواقعيه، و من ثمّ إلى منهج الحياه الأقوم و القائم على أساسها.

[۴]و إذا كانت القيم هى المستقره(لا الأهواء)فإنّ أعذار أولئك الكفّار تذهب باطلا.أو ليس قد توافرت الشواهد على صدق الرساله،فلم كفروا بها؟أو ليس قد تواترت الأنباء على أنّ من كفر بها أهلك،و كفى بذلك زاجرا؟ وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبٰاءِ مٰا فِيهِ مُزْدَجَرٌ و من تلك الأنباء آيه انشقاق القمر،و المزدجر هو التخويف و الترهيب،و ربّنا لم يكتف بإرسال الآيات،و بيان القوانين للإنسان،بل و أقام عليه الحجه البالغه حينما حذّره من مخالفتها،

«لئلّا يقول أحد لو لا أرسلت إلينا رسولا منذرا،

و أقمت لنا علما هاديا، فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزىٰ » (۱).

[۵]و ليس فى آيات اللّه تعالى نقص أبدا،بل فيها الحجه القاطعه،إذ جعلها اللّه من الوضوح و الكمال درجه لا عذر لأحد فى الاعراض عنها و عن دلالاتها،فهى كما يصفها تعالى:

حِكْمَةٌ بٰالِغَةٌ و البلوغ هنا بمعنى التمام و الكمال،و منه بلغ الرجل إذا اكتمل نفسيّا و عقليّا و عضويّا،و بلغت الثمره إذا نضجت و حان قطافها،و هناك معنى آخر تنطوى عليه الكلمه و هو الوصول،و الحكمه الالهيه كامله عمقا و شمولا،لا يعتريها نقص فى المحتوى و لا الأسلوب،ثم انّ اللّه أوصلها إلى الناس عبر أنبيائه المبلّغين،فلا عذر لهم بأنّه لم يرسل رسولا،و هذه الآيه تشبه قوله تعالى: فَلِلّٰهِ الْحُجَّهُ الْبٰالِغَهُ فَلَوْ شٰاءَ لَهَدٰاكُمْ أَجْمَعِينَ (۲).

إذن فالحياه ليست فوضى،بل و لها قوانينها و سننها المستقره الثابته،و الإنسان يحتاج إلى الحكمه البالغه المنطلقه من تلك الواقعيّات الحق،لكى يعيش فيها كما ينبغى،و هذه نجدها مبثوثه فى كتاب اللّه،الحكمه البالغه العظمى،و النعمه الكبرى،و الهديه الالهيه إلى الإنسان،و قد بلّغها رسوله صلى الله عليه و آله ،فلما ذا إذن هذا الضلال الذى تعيشه البشريه؟و الجواب:لأنّها لم تؤمن به،و لم تطبّق آياته.إنّها وضعت بينها و بين تلك الحكمه حجب الاعراض و التبرير و التكذيب و الهوى.

فَمٰا تُغْنِ النُّذُرُ

۱- ۱) مفاتيح الجنان/دعاء الندبه.

۲- ۲) الأنعام/(۱۴۹).

كـان يفترض أن تزجرهم عن الضـلال و الباطـل فـإذا بهـا تزيـدهم طغيانا و كفرا، و كان ينبغى أن تبكيهم فإذا بهم يضـحكون و يهزأون،و جـاءت لتـذكّرهم فـإذا بهـم يتوغّلـون فى الغفلـه،و القرآن يـبيّن هـذه الحقيقـه فى أواخر سـوره النجـم،و يسـتنكر على المكذّبين واقعهم: «أَ فَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ* وَ تَضْحَكُونَ وَ لٰا تَبْكُونَ* وَ أَنْتُمْ سٰامِدُونَ» ؟! (۱).

[۶]و إذا وصل الإنسان إلى حـدّ الاعراض عن الحكمه البالغه أو كله اللّه الى نفسه،فلا ترتجى له هـدايه بعـد ذلك،و صـرف عنه أولياءه،ليزداد إثما على إثم، و يتسافل دركا بعد درك،فيلقى جزاءه المريع الذى يقصر عنه خيال البشر.

و يأمر ربّنا مكرّرا أصحاب الرساله بترك المعرضين عنها،و نتساءل:لماذا؟إنّما لحكمه بالغه تتمثّل فى أنّ الاستمرار فى إنذارهم و محـاوله هـدايتهم سوف يتسبّب فى ضـياع وقت كثير منهم لا ـ بـد أن يوفّروه لمـا هو أنفع،فعليهم إذن أن يبلّغوا الرساله إلى الحدّ الـذى تقوم فيه الحجه على الآخرين،و يسـقط عنهم الواجب،فإذا تبيّن لهم عـدم نفعه وجب أن يتوجّهوا إلى هـدايه غيرهم،و إلى تطبيق الرسـاله على أنفسـهم، و تكوين الكيـان الرسـالى المتكامـل،أمّـا متى يتولّى الرسالى عن دعوه الآخرين؟فإنّ تحديـد ذلك يكون على ضوء البصائر الالهيه،و القياده الرساليه تعرف ذلك.

و هنـاك حكمه أخرى لواجب الاـعراض عمّن يجحـد آيـات اللّه هى أنّهم هم المحتـاجون إلى الرسـاله،و الرساله غنيه عنهم،فلا داعى للإلحاح الزائد عليهم،أو تغيير بعض القيم و تطويعها وفق أهوائهم ليقبلوها، كما فعل بعض علماء النصارى حيث أدخلوا فى دين اللّه مـا ليس فيه مجـاراه للسـلطان أو للعوام من النـاس حتى يسـتهويهم الـدّين،و كـذلك فعـل بعض الجهله من الـدعاه عند المسلمين حيث أضافوا

۱- ۱) النجم/(۵۹-۶۱).

إلى الدّين ما يستهوى الطغاه أو رعاع الناس ابتغاء كسبهم،و اللّه غنى عنهم و عمّن يدعونه بهذه السبل إلى دينه.

و لا ريب أنّ المؤمن حريص على هدايه الناس،و يريد الخير لهم،فمن الصعب عليه أن يتركهم حصبا لجهنم،

فهذا سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام تبتّل لحيته بالدمع،و حينما يراه رجل من الأعداء يخاطبه:يا ابن فاطمه!أ تبكى خوف القتل؟!فيقول:«لا و لكن لأنّنى أعلم أنّكم تدخلون النار بقتلى »،من أجل كلّ ذلك توالى الأمر بترك المعرضين فى القرآن.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ اتركهم و شأنهم،و انتظر،و تقدير هذا الفعل أقرب إلى السياق من قول بعض المفسّرين بأنّه:و اذكر يوم القيامه حيث يدع الداع إلى شىء مكروه،ذلك لأنّ انتظار يوم البعث لفضّ الخلافات مسأله معروفه فى آيات القرآن الكريم.

و قد لا يقتصر الأمر بالتولّى على الدنيا وحدها بل يشمل الآخره،حيث يأمر الربّ نبيّه بالاعراض عنهم و تركهم و هو صاحب الشفاعه الكبرى يوم القيامه، و حيث يلتمس الناس بأجمعهم حتى الرسل و الأنبياء الشفاعه منه صلى الله عليه و آله لأنّها الصراط الأقرب إلى الجنه.

جاء فى الحديث عن سماعه بن مهران قال:قال أبو الحسن عليه السلام :«إذا كانت لك حاجه إلى اللّه فقل:«اللهمّ إنّى أسئلك بحقّ محمّد و علىّ فإنّ لهما عندك شأنا من الشأن»فإنّه إذا كان يوم القيامه لم يبق ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل و لا مؤمن ممتحن إلّا و هو يحتاج إليهما فى ذلك اليوم » (۱)

و عن الامام الصادق عليه السلام :«ما من أحد من الأوّلين و الآخرين إلّا و هو يحتاج إلى

۱- ۱) بحار الأنوار/ج(۸)ص(۵۹).

شفاعه محمّد(صلّى اللّه عليه و آله)يوم القيامه » (۱)و كم تكون حاجه هؤلاء إلى الرسول فى ذلك اليوم عظيمه!و لكنّ اللّه يأمره بالتولّى عنهم جزاء لتولّيهم و إعراضهم فى الدنيا.

يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إِلىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ و عدم ذكر الداعى هنا(هل هو اللّه،أم إسرافيل،أم جبرئيل،أم الروح؟) يدلّ على أنّ المهم الدعوه و ما تنطوى عليه،و ليس شخص الداعى،لذلك أبهم،و فى ذلك من الترهيب الشىء العظيم،ثم انّه تعالى زاد الأمر رهبه حينما جعل المدعو إليه مجهولا،فقال «شَيْءٍ» و الشىء نكره،و الإنسان مجبول على الخوف من المجهول،و أخيرا جاءت صفه الشىء تفيض رهبه و زجرا و تخويفا بتأكيدها على أنّ الشىء منكر،و أصله أن يرد على الإنسان ما لا يتصوّره و يستسيغه،و قيل للذنوب و الخطايات منكرات لأنّها يمجّها عقل البشر و وجدانه و لا يستسيغانها.

[۸-۷]و إذا كان الإنسان فى دار الامتحان قادرا على الاعراض عن دعوه اللّه و عدم إجابه داعيه،فليس لأنّه يغلب اللّه بمعصيه أو يعجزه هربا من عقابه،كلّا..

«وَ مَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» (۲)،أمّا فى يوم القيامه فإنّه تسلب حرّيته،و يخلص الملك و الحكم للّه الواحد القهّار،فلا مجال لأحد أن يتمرّد على أمره أو يرفض دعوته، «يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً» (۳)، هنالك يبدّل تكبّر المعرضين و المكذّبين ذله و هوانا.

۱- ۱) المصدر/ص(۳۸).

۲- ۲) الأحقاف/(۳۲).

۳- ۳) طه/(۱۰۸).

خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ خشوع صغار و ندامه يعكس عمق المذلّه فى نفوسهم.

يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ و الأجداث هى القبور،و حيث تبعث البشريه بجميع أجيالها التى تعاقبت على الأرض يصير العدد عظيما،بحيث يركب بعضهم على بعض،

«فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا،و لنفسه متّسعا» (۱)كما يقول الامام على عليه السلام ،و القرآن يشبّه الناس فى حشرهم بالجراد حينما ينتشر،أى يتكاثر بأعداد هائله فى مثل حالات البلاء،فهو حينئذ كثير متراكم،و القرآن هنا يقدّم الحديث عن حالتهم «خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ» على خروجهم من القبور،لأنّ بيانها هو هدف السياق من ذكر القيامه،و هو يمضى يحدّثنا عن حال الذين أعرضوا و كذّبوا و اتبعوا أهواءهم بدل أن يتبعوا الدعاه إلى اللّه عزّ و جل.

مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ قال صاحب المجمع:الهطع المشى السريع بالإلجاء و الإكراه و الاذلال،و قال الزمخشرى:بمدّ الأعناق،أو ناظرين إليه (إِلَى الدّاعِ) لا يصرفون أبصارهم عنه إلى غيره،و قال الراغب:هطع بصره أى صوّبه،و بعير مهطع إذا صوّب عنقه،و الذى يبدو أنّ اللّه قطع الكلمه عن الاضافه،فلم يقل مهطعين رؤوسهم مثلا،و ذلك ليتسع معناها إلى مضمون أشمل هو تجميع كلّ جوارح البدن و جوانح القلب فى اتجاه الداعى،و هذا يدلّ على عمق طاعتهم لداعى اللّه.

۱- ۱) نهج البلاغه/خطبه(۱۰۲).

يَقُولُ الْكافِرُونَ هٰذا يَوْمٌ عَسِرٌ لأنّه يوم الدّين و الحق،و قد أعرضوا عن الدّين،و اتبعوا الأهواء و الظنون،أمّا المؤمنون الذين آمنوا بالآيات الربّانيه،و صدّقوا بالحسنى،و اتبعوا داعى اللّه فى الدنيا،فذلك يوم سعادتهم،و أىّ سعاده أسمى من لقاء العبد بربّه،و بلوغه الوعد الذى طالما تاقت إليه نفسه؟! «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ* لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهٰا وَ هُمْ فِى مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خٰالِدُونَ* لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقّاهُمُ الْمَلاٰئِكَهُ هٰذا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» (۱)، «وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ» (۲).

قال الامام على عليه السلام يحدّث الناس عن أحداث المحشر :«إذا كان يوم القيامه بعث[بعثهم]اللّه تبارك و تعالى من حفرهم عزلا بهما جردا مردا فى صعيد واحد، يسوقهم النور،و تجمعهم الظلمه،حتى يقفوا على عقبه المحشر،فيركب بعضهم بعضا،و يزدحمون دونها،فيمنعون من المضى فتشتدّ أنفاسهم،و يكثر عرقهم، و تضيق بهم أمورهم،و يشتدّ ضجيجهم،و ترفع أصواتهم»،قال:«و هو أوّل هول من أهوال يوم القيامه»قال:«فيشرف الجبّار تبارك و تعالى عليهم من فوق عرشه فى ظلال من الملائكه،فيأمر ملكا من الملائكه فينادى فيهم:يا معشر الخلائق!أنصتوا و اسمعوا منادى الجبّار»قال:«فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم»قال:«فتنكسر أصواتهم عند ذلك،و تخشع أبصارهم،و تضطرب فرائصهم،و تفزع قلوبهم،و يرفعون رؤوسهم إلى ناحيه الصوت، مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ» ،قال:«فعند ذلك يقول الكافر هذا يوم عسر » (۳).

۱- ۱) الأنبياء/(۱۰۱-۱۰۲).

۲- ۲) النمل/(۸۹).

۳- ۳) نور الثقلين/ج(۵)-ص(۱۷۵).

[۱۲-۹]ثم انّ التكذيب بالرساله أمر طبيعى واجهه كلّ الأنبياء السابقين.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا التكذيب الأوّل بالآيات و الرساله،و التكذيب الثانى بنبوّته عليه السلام ،و لم يقفوا عند حدّ التكذيب و حسب بل سعوا إلى النيل من سمعته.

وَ قالُوا مَجْنُونٌ لإصراره على الحق،و استبساله فى الدعوه،بالرغم من تكذيبهم،فهو فى نظرهم يطلب المستحيل اللّامعقول،و حيث وجدوا فيه الشجاعه التى تحدّى بها ثقافاتهم و عاداتهم و لم يريدوا الاعتراف له بهذه الايجابيه،حوّروها إلى الجنون حتى يصنعوا بينه و بين الناس حجابا يمنعهم من التأثّر به،و هذه من طبيعه الطغاه،فهم اليوم يسمّون الأصاله تطرّفا،و الجهاد فى سبيل اللّه إرهابا،و على المؤمنين أن لا يهزمهم الاعلام المضاد فهم امتداد لخط الأنبياء،و هم على حق،و عليهم أن يتحمّلوا ما تحمّل الرسل من أذى فى سبيله،فهذا شيخ الأنبياء نوح عليه السلام يزجره قومه قصد ثنيه عن رسالته و الاساءه إليه.

وَ ازْدُجِرَ و هذه الكلمه هى تلخيص لمجمل ما تعرّض له نوح-عليه السلام-من البلاء و الإيذاء،و هى ليست معطوفه على «مَجْنُونٌ» ممّا يجعلها داخله فى جمله القول،بل معطوفه على «فَكَذَّبُوا» كما يبدو،فهم كذّبوه نفسيّا،وسعوا فى تشويه سمعته بألسنتهم و ما أمكنهم من وسائل الاعلام،و آذوه فعلا،و إنّما استفتح السياق بذكر نوح بين الأنبياء لأنّه أشدّهم ابتلاء بسبب الاعراض عنه فقد لبث فى قومه ألف سنه إلّا خمسين عاما يدعوهم فيعرضون عنه.

فَدَعا رَبَّهُ أَنِّی مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ و هذه الآیه تدلّ علی المعنی المتقدم لکلمه«ازدجر»،إذ لو لا دعاؤه لتأثّر بزجرهم نفسیّا،أو صار ضحیه له،کما تدل علی أنّ نوحا-علیه السلام-وصل إلی حدّ الیأس من قومه،قال الرازی:إنّ الرسول لا یدعو هذا الدعاء ما دام فیه نفس احتمال،و ما دام الایمان منهم محتملا،و استجاب ربنا دعاء نبیه،ففتح السماء ماء منهمرا،و فجّر الأرض عیونا،فنصره و أهلک الکافرین.

و بنظره شامله و دقیقه إلی القصه التی یعرضها القرآن فی ثلاثه فصول،یحدّثنا فی الأوّل عن معاناه نوح مع قومه،و فی الثانی عن دعائه الذی یلخّص موقفه منها،و فی الثالث عن عذاب اللّه لقومه الکافرین،نکتشف حقیقه هامّه هی أنّ دعاء المؤمنین بالنصر لا یستجاب إلّا إذا تحرّکوا فی سبیل اللّه،و إلی تحقیق النصر بأقصی ما یمکنهم معنویّا و ماديّا.إنّ اللّه کان قادرا علی نصر نوح من أوّل لحظه کذّبوه فیها،و لکنّه ترکه یدعوهم جیلا بعد جیل(۹۵۰ عاما)حملت فی أحشائها ألوان الأذی و الابتلاء،فکان یعده ثمّ یؤخّر عنه النصر مره بعد أخری إتماما للحجّه علی الناس.

و فی سوره نوح استشهاد مفصّل بدعاء نوح علیه السلام یکشف عن عمق المعاناه التی واجهها،و یسلّط الضوء علی کثیر من الأفکار المتقدّمه،و لکنّه هنا یختصر الحدیث اعتمادا علی تفصیله فی مواضع أخری،و یقول:

فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ* وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُیُوناً

قال الامام الصادق علیه السلام :«لمّا أراد اللّه عزّ و جلّ هلاک قوم نوح(و ذکر حدیثا طویلا،ثمّ قال:)فصاحت امرأته لمّا فار التّنور،فجاء نوح إلی التّنور فوضع علیها طینا و ختمه حتی أدخل جمیع الحیوان فی السفینه،ثم جاء إلی التنور ففضّ

الخاتم،و رفع الطين،و انكسفت الشمس،و جاء من السماء ماء منهمر صبّا بلا قطر،و تفجّرت الأرض عيونا » (۱)و التاريخ يؤكّد أنّ الأرض قد غطّاها الماء فى يوم من الأيّام،و يستدل الباحثون على ذلك بآثار الحيوانات البحريه،كالأصداف و هياكل السمك الموجوده فى كلّ مكان حتى على الجبال،إلاّ أنّ التحليل التاريخى يختلف عن القرآن بأنّه يبقى تحليلا ماديّا بحتا،و بغضّ النظر عن عدم مطابقته للواقع فى اعتقادنا فإنّه يبقى القضيه علما مجرّدا عن الموعظه و العبره،فأصحاب النظريات فى هذا المجال يفسّرون الطوفان-مثلا-بأنّه نتج صدفه،حيث مرّت بالأرض عواصف بارده تسبّبت فى تكوّن جبال جليديه ضخمه،ثم حدث انفجار فى الشمس أخذت الثلوج على أثرها بالذوبان،فتكوّنت السيول التى أغرقت اليابسه،و القرآن يقول:كلاّ.إنّه لم يكن صدفه،بل بتقدير إلهى حكيم نقرأ لمساته على هذه الظاهره الكونيه الخارقه للعاده،حيث سبق إخبار نوح به،و حيث لم يغرق فيه و لا مؤمن واحد،و لم ينج منه و لا كافر واحد،فهل هذا مجرّد صدفه؟! فَالْتَقَى الْمَاءُ المنهمر من السماء،و المنفجر من الأرض.

عَلىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ و نجد إشاره إلى هذا الأمر الالهى فى قوله تعالى: حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا وَ فٰارَ التَّنُّورُ (۲)،و كان الأمر حكيما فى جميع دقائقه،فهو مقدّر من حيث الزمن بدء و نهايه،و من حيث العوامل و طريقه تنفيذه،فلو تقدّم مثلا عن زمنه المحدود لربما كان يغرق نوح عليه السلام و من معه لعدم الاستعداد،و لو تأخّر أمر اللّه بإنهائه ربما لم تكن

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۵)-ص(۱۷۸).

۲- ۲) هود/(۴۰).

الأرض بعدها صالحه للحياه عليها.

[۱۶-۱۳] وَ حَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَ دُسُرٍ و هى السفينه التى تتكوّن من الجذوع المقطّعه شرائحا،و لا يقال لوح إلّا للصفائح،أمّا الدسر فهو ما يشدّ الألواح إلى بعضها،سواء كان ذلك المسمار أو الحبل أو غيرها،و إذ يتعرّض القرآن إلى المواد الأوّليّه التى تتألّف منها سفينه نوح فلكى يؤكّد بأنّ الأمر لم يكن صدفه،بل هو مقدّر تقديرا حكيما من قبل اللّه،و إلّا كيف ينجو راكب سفينه هذه طبيعتها من الغرق بطوفان هائل أمواجه كالجبال؟!! و يؤكّد القرآن على هذه الحقيقه مره أخرى،حينما يبيّن بأنّ سير الفلك فى غضب الطوفان و بالتالى نجاه ركّابها كان برعايه مباشره من اللّه،و فى ظلّ رحمته.

تَجْرِى بِأَعْيُنِنا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ و عين اللّه لطفه و رحمته و رعايته لنبيّه عليه السلام إذ نجّاه و من معه جزاء معاناته و إيمانهم، فقد لبث فى قومه مدّه طويله يدعوهم إلى اللّه بإلحاح رغم كفرهم به و أذاهم له،و لم تكن نجاته صدفه،و لا لعنصره،و لا لركوبه فى السفينه و حسب، بل لعمله و سعيه،إذ أكّد ربّنا أنّه كان جزاء لنوح الذى كان قد كفر من لدن أولئك الكافرين،و هذا رأى فى التفسير،و هناك آراء أخرى لا أراها تنسجم مع ظاهر السياق.

و فى الوقت الذى دمّر اللّه أولئك و نجّى هؤلاء،أبقى قصصهم-و ربما السفينه أيضا-علامه تهدينا إلى الحق،و لكن لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد.

وَ لَقَدْ تَرَكْناها آيَهً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ

إنّها واقع مر لفريق،و نعمه لفريق آخر فى وقتها،و لكن دورها لا ينتهى عند هذا الحدّ،بل تبقى موعظه للّاحقين،لذلك يسجّلها اللّه فى كتابه لكى لا تنساها البشريه و يفوتها نفعها،و أن يتذكّر الإنسان بغيره خير من أن تدور رحى التجارب عليه فيصير عبره للآخرين،و كما

فى الخبر :«السعيد من اتّعظ بتجارب غيره »، من هنا ينبغى أن ندرك مدى أهميه القرآن للبشريه،و دوره فى حفظ تاريخها و تجاربها التى تطاولت عليها السنون،و كانت لولاه تبيد و تنسى أو تنتزع منها عبرتها و لبابها، و تضحى قشره باليه لا تكسب الناس حكمه،و لا تهديهم سبيلا كما نجد فى التواريخ التى تمجّد قصص الغابرين لا تحكى سوى ظواهرها،أمّا ما ينفع الأجيال المتلاحقه فإنّه ينسى.حقّا:إنّها سمه مميّزه لمنهج الرساله فى بيان قصص الأوّلين، حيث تحوّلها إلى حقائق معاشه بيننا،و ذلك بالتركيز على بيان عبرها الدائمه و الخطوط المشتركه بيننا و بينهم.

و هكذا أشار ربّنا سبحانه فى آيات أخر إلى جانب من ذلك بعد بيان قصه نوح فقال: «قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنّا وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِيمٌ* تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَهَ لِلْمُتَّقِينَ» (۱).أ ترى كيف وصل الحدث الموغل فى التاريخ بالحدث الراهن المتمثّل فى الصراع المستمر بين المتقين و غيرهم و أنّ العاقبه لهم؟و هذه من أبرز العبر فى قصه نوح عليه السلام ،و لكنّ السفينه ذاتها آيه أيضا،ذلك أنّها حافظت على النوع البشرى من الانقراض،و من الآيات التى تجلّت فى القصه آيه العذاب الالهى المهول الذى تشير إليه الآيه الكريمه التاليه بهدف إصلاح النفسيه البشريه القائمه على الظنون و التمنّيات،حيث يستبعد البعض العذاب من قبل اللّه بناء على تصوّر خاطئ بأنّه رحيم و رؤف و قد

۱- ۱) هود/(۴۸-۴۹).

خلق الخلق ليرحمهم لا ليعذبهم،و يتخذ البعض من هذا التصوّر مبرّرا للذنوب التى يمارسها،كلّا..يقول تعالى:

فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ بلى.إنّ الغضب الالهى عذاب للأقوام التى يحلّ بها،و لكنّه فى ذات الوقت نذير للّاحقين،فلا يعتمدوا إذن على التمنّيات،ليتفكّروا فى التاريخ،و ليذكّروا آياته الواعظه المنذره،و الاستفهام الوارد فى الآيه يفيد التعظيم،و يستهدف استثاره العقل نحو الموعظه بوقعه الخاص،ذلك أنّ الاستفهام بحاجه إلى وقفه تفكّر و تدبّر.

[۱۷]و تلك الآيه و آيه العذاب،و ما تنطوى عليه قصه نوح مع قومه من نذر، تلتقى مع القرآن فى هدف واحد هو التذكره،إذن فهى الهدف الأسمى للقرآن، و إليها تهدى كلّ سوره و آياته و مفرداته،و لكن كيف يحقّق القرآن هذا الهدف؟ و كيف ينفذ إلى أعماق ضمير الإنسان و عقله،و يخترق حجب الهوى و الغفله و الجهل التى تلوث فطرته،و تستر عقله عن الحق؟لا بدّ أن يكون ميسّرا بعيدا عن العسر و التعقيد للأسباب التاليه:

أوّلا:لأنّه كلام الخالق العليم القدير إلى المخلوق الجاهل الضعيف،و ليست ثمّه نسبه بينهما فى علم و لا منطق.

ثانيا:لأنّه يحدّث الإنسان عن حقائق كبرى فى الحياه و فوق الحياه،بعضها يحسها و يراها و البعض الآخر يغيب عنه.

ثالثا:لأنّ اللّه أراد لهذا الكتاب الصغير فى حجمه الكبير فى محتواه أن يكون تبيانا لكلّ شىء يهمّ الإنسان فى حاضره و مستقبله،و فى دنياه و آخرته،و يرسم له مناهج الحياه فى أبعادها المختلفه،فى الشؤون الشخصيه و الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه و العلميه و الثقافيه..و لقد يسّر ربّنا القرآن إذ

جعله عربيّ ا مبينا،و أنزله فى أرفع الأساليب البلاغيه و النفسيه و العقليه فإذا به الحكمه البالغه،و القصص القرآنى التى تبلغ(۴۰٪)من عموم آياته تقريبا هى من أبرز معالم منهجه فى تيسير التذكره،لذلك نجد الآيه الكريمه: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ تتكرّر فى هذه السوره بعد كلّ قصّه مباشره،و هى قصص واقعيه بتفاصيلها التى تعرّض لها القرآن.

إذن لا نقص فى كتاب ربّنا سبحانه،و لا غموض،و لا يكلّف الإنسان أكثر من وسعه،بل هو ميسّر،و إذا كانت ثمّه تزمّت أو تعقيد عند بعض المؤمنين به فهو من عند أنفسهم،و لأنّ قلوبهم قد ملئت بثقافات دخيله،بأساطير الشعوب البدائيه،بأفكار الجاهليه الوافده،بالاسرائيليّات المتلصلصه إلى كتبهم،و بالعقد المتراكمه من جرّاء التخلّف،و إذا لم يتذكّر البشر به فلا حجّه له.

وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ و السعيد من صدّق بالقرآن و تذكّر به فتجنب العذاب.

[۲۰-۱۸]إنّ اللّه ضرب للبشر مثلا من واقع المكذّبين و عاقبتهم بقوم نوح عليه السلام ،و لكنّ الأهم بيانه مصير أولئك الذين لم ينتفعوا بتجارب السابقين من الأقوام،تحذيرا للناس من تكذيب القرآن و عصيان الرسول.

إنّ اللّه ترك قصص قوم نوح آيه للاّحقين،و كان بإمكان من بعدهم أن يتجنّبوا غضب اللّه لو اعتبروا بها،و لكنّهم كذّبوا فحلّ بهم العذاب.

كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ و عاد هم القوم الذين أرسل إليهم النبىّ هود عليه السلام فلمّا كذّبوه أهلكهم اللّه

بالريح،و هذا نذير آخر لنا يسوقنا إلى التصديق بالرساله.

إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً و هى الريح شديده البرد،و ذات الصوت الرهيب،عن علىّ بن إبراهيم (۱)، و أصله الصرير،و

عن أبى بصير قال:قال أبو جعفر عليه السلام :إذا أراد اللّه عزّ ذكره أن يعذّب قوما بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح التى يريد أن يعذّبهم بها،قال:فيأمرها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب، قال:و لكل ريح منهم اسم (۲)و الذى يجعل الريح ذات أثر أعمق أنّها أرسلت فى يوم رفع اللّه عنه الرحمه.

فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ دائم،بدأ فى الدنيا بثمانيه أيّام حسوما،و لكنّه يمتدّ إلى الآخره حيث العذاب المقيم،و إنّما أرسل اللّه عليهم الريح تقتلعهم من الأرض لأنّهم تكبّروا على الحق، و تحدّوا هودا و ربّه،و جحدوا بالآيات،فكانوا يتصوّرون أنّهم باقون و أنّه لا غالب لهم،قال تعالى: فَأَمّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ قالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّهً أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّهً وَ كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ* فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى أَيّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَخْزى وَ هُمْ لا يُنْصَرُونَ (۳)،و يشير هذا النص القرآنى إلى الفكرتين المتقدّمين و بالربط مع قوله تعالى: سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَهَ أَيّامٍ حُسُوماً (۴)نفهم أنّ «مُسْتَمِرٍّ» صفه للنحس و ليس لليوم،لأنّ اليوم ينقضى

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۵)ص(۴۰۱).

۲- ۲) المصدر/ص(۱۸۱).

۳- ۳) فصلت/(۱۵-۱۶).

۴- ۴) الحاقه/(۷).

و يأتى آخر غيره،بينما بقى النحس عاملا مشتركا مستمرا.

أمّا ما قيل من أنّ النحس مختص ببعض الأيّام كالأربعاء أو الثالث عشر من كلّ شهر فإنّه بعيد،لأنّ الأقدار ليست مرهونه بالأيّام،بل بعمل الإنسان فردا و مجتمعا،فاليوم الذى يطيع اللّه فيه و يعمل صالحا هو يوم خير و بركه و يمن،سواء فى الدنيا حيث الشعور بلذه فراغ الذمه و أداء الواجب،و جلب التوفيق،أو فى الآخره حيث يرقى به درجه من الرضى و الجنه،و هكذا اليوم الذى تتنزّل فيه رحمه اللّه و آلاؤه مبارك و سعيد،كيوم أنزل المائده على بنى إسرائيل و حوارى عيسى عليه السلام ،و ليله أنزل القرآن على نبيّه التى هى خير من ألف شهر،و فى المقابل يكون يوم المعصيه يوم نحس،يقطع عن صاحبه التوفيق،و يجعله عرضه لسخط ربّه فى الدنيا و الآخره.

أ ترى كيف صار عقر الناقه سببا لدمار أمّه برمّتها؟

قال سويد بن غفله :دخلت عليه(يعنى الامام على عليه السلام فإذا عنده فاثور (خوان)عليه خبز السمراء(الحنطه)و صفحه فيها خطيفه(اللبن يختطف بالملاعق)و ملبنه(ملعقه)فقلت:يا أمير المؤمنين يوم عيد و خطيفه؟!فقال:«إنّما هذا عيد من غفر له » (۱)

و عنه أيضا :«إنّما هو عيد لمن قبل اللّه صيامه،و شكر قيامه،و كلّ يوم لا تعصى اللّه فيه فهو يوم عيد » (۲).

و تتصل الآيات تحدّثنا عن عاقبه المكذّبين من قوم هود عليه السلام لتضع أمام أعيننا لقطات رهيبه من العذاب،و ما فعلته الريح بهم إنّها من الشده بحيث تنتزع الإنسان من الأرض،كما تنزع أعجاز النخل المسنّه اليابسه المنخوره من جذوعها لتلقى بها أرضا من أساسها! تَنْزِعُ النّاسَ

۱- ۱) بح/ج-ص(۷۳).

۲- ۲) نهج/حكمه(۴۲۸).

و كلمه «تَنْزِعُ» تـدل بوضوح على مـدى تشـبّثهم بالحياه،و اعتمادهم على أسـباب القوه و البقاء الظاهريه،بالرغم من أنّهم يعيشون فى داخلهم الضـعف و الانهيـار، كسـائر الأـنظمه الطـاغوتيه التى يشـبّهها اللّه ببيت العنكبوت مع أنّ ظاهرها القوه و المتانه،و هـذا الضـعف ناتج من اتباعهم الباطل،و مخالفتهم سنن الحياه،ذلك أنّ أسباب القوه الحقيقيه تكمن فى اتباع الحق و التسليم للّه،و قد اعتمد قوم عاد على ذاتهم كما بيّنا ذلك فى الآيتين(۱۶/۱۵)من سوره فصّلت.

يقول تعـالى: مَثَـلُ الَّذِينَ اتَّخَـذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْلِيـاءَ كَمَثَـلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَـذَتْ بَيْتـاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كـانُوا يَعْلَمُونَ (۱)،و هنا يشبّههم بشىء آخر فيقول عزّ من قائل:

كَـأَنَّهُمْ أَعْجـازُ نَخْـلٍ مُنْقَعِرٍ اهـترأ و تجوّف بمرور الزمن و تعرّضه للعوامـل الطبيعيه المتلفه،و تقطّعت عروقه، فهو لاـ يحتـاج حتى يهوى إلى الأـرض من أصوله فيتحطّم إلاّـ لأدنى دفع،و قـد شـبّههم اللّه بالنخل الـذى اجتثّ من قعره(و إنّما أراد تعالى أنّ هؤلاء اجتثوا كمـا اجتثت النخـل الـذاهب فى قعر الأـرض فلم يبق لهم رسم و لا أثر) (۲)، «فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهـا صَـرْعىـ كَأَنَّهُمْ أَعْجـازُ نَخْلٍ خـاوِيَهٍ» (۳)تهاوت على بعضها و متفرقه هنا و هناك.

[۲۲-۲۱]و مع ما تحمل هـذه الآيات الكريمه من بلاغه و أسـلوب أدبى رفيع، إلاّ أنّها ما جاءت لكى يظهر ربنا إعجازه البلاغى و الأدبى للناس و حسب،أو لتكون ميدانا للصراع بين علماء البلاغه و اللغه أو بين المفسّرين،بل جاءت موعظه

۱- ۱) العنكبوت/(۴۱).

۲- ۲) مفردات الراغب/ص(۴۰۹).

۳- ۳) الحاقه/(۷).

و نذيرا للبشريه.

فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ أ ترى هيّنا أن يحلّ غضب اللّه القوى العزيز على الإنسان الضعيف الذى خلقه أساسا للرحمه؟!لنتفكر فى تضاعيف الآيات الماضيه،و نقف على آثار الماضين و قصصهم نتعظ من قبل أن نذلّ و نخزى،فهذه الآيات إنّما جاءت لتحملنا إلى التذكره،و تيسّر علينا حقائق القرآن.

وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ نحن لا نرى جهنّم بأعيننا لأنّها من الغيب الذى حجب عنّا علمه،و لكن لننظر إليها بقلوبنا و من خلال بصائر القرآن الحكيم،ليهدينا عذاب اللّه فى الأقوام السالفه إلى شديد عذابه فى الآخره،و ليزجرنا قبل ذلك عن التكذيب بالحق..فهل يكون ذلك منّا،أم نكون أنفسنا عبره لمن بعدنا؟إنّ الحجّه بليغه و بالغه،و السبل مشرعه،و الأعلام واضحه،و الآيات ميسّره،و بأيدينا القرار،و به نرسم مصيرنا و مستقبلنا،بتوفيق اللّه سبحانه.

[سوره القمر (۵۴): الآیات ۲۳ الی ۴۰]

اشاره

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (۲۳) فَقالُوا أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَ سُعُرٍ (۲۴) أَ أُلْقِيَ اَلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُوَ كَذّابٌ أَشِرٌ (۲۵) سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ اَلْكَذّابُ اَلْأَشِرُ (۲۶) إِنّا مُرْسِلُوا اَلنّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اِصْطَبِرْ (۲۷) وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ اَلْماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (۲۸) فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطى فَعَقَرَ (۲۹) فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ (۳۰) إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً فَكانُوا كَهَشِيمِ اَلْمُحْتَظِرِ (۳۱) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۳۲) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (۳۳) إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً إِلاّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ (۳۴) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (۳۵) وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ (۳۶) وَ لَقَدْ راوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ (۳۷) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ (۳۸) فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ (۳۹) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا اَلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۴۰)

اللغه

۲۵[أشر]:أی بطر متکبر،یرید أن یترفّع و یتعظّم.

۲۸[محتضر]:یحضره صاحبه،و لا حق لأحدهما فی الماء فی الیوم الآخر.

۳۱[کهشیم المحتظر]:الهشیم هو حطام الشجر المنقطع بالکسر و الرض،الذی یجمعه صاحب الحظیره، یتخذه لغنمه حظیره،تمنعها من برد الریح،و المعنی:أنهم بادوا و هلکوا فصاروا کیبس الشجر المفتّت إذا تحطم،و قیل:معناه صاروا کالتراب الذی یتناثر من الحائط فتصیبه الریاح فیتحظّر مستدیرا.

۳۴[حاصبا]:ریحا ترمیهم بالحجاره،یقال:حصبه أی رماه بالحجاره.

۳۶[فتماروا]:أی تدافعوا بالإنذار علی وجه الجدال بالباطل،و قیل:معناه فشکّوا فیه،و لم یصدّقوه،و قالوا:

کیف یهلکنا و هو واحد منّا؟!

٣٧[راودوه]:المراوده:الرواح و المجىء،فقد جاء لوط عليه السلام ضيوف فأراد قومه أن يلوطوا بهم،فكانوا يراودونه من أجل ذلك.

[فطمسنا أعينهم]:أى محوناها،و مسحناها،و سوّيناها بسائر الوجه حتى عميت عيونهم،و شوّهت خلقتهم.

٣٨[بكره]:البكره أول الصبح.

ص:٢٣٥

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ

هدى من الآيات:

إنّه لأسلوب جديد فى القرآن الكريم فى هذه السوره و التى تليها:أن تتكرّر الآيه الواحده مرّه بعد الأخرى،ممّا يهدى المتدبر-و من أوّل وهله-إلى كونها محورا أساسيّا بين أخواتها فى السوره الواحده،ففى سوره الرحمن تتكرّر الآيه الكريمه:

«فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» ،و هنا قوله تعالى: «وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» ،و يطرح الذكر الحكيم هذا الاستفهام مدويّا فى أفق الزمان و المكان و فى قلب كلّ بشر:هل هناك من يتذكّر بالقرآن الذى يسّر الذكر بقصص الماضين؟ الإنسان من جهته لا يعلم بعواقب الأمور،و بسنن الحياه الفرديه و الاجتماعيه من حوله،إلّا عبر منهجين:

١/تجارب الآخرين.علما بأنّ الإنسان لا يعاد إلى الحياه مره أخرى بعد الموت

حتی یجرّب فی الأولی و یتعظ فی الثانیه.

/۲الوحی الالهی.

و قد یکشف القرآن السنن الالهیه فی الخلیقه بصوره مباشره،و قد یبیّنها عبر قصص الغابرین،فهو إذا یجمع بین المنهجین و من أراد أن یتذکّر(یتبّه ضمیره و عقله)فعلیه بالقرآن،کمکمل و هاد لفطرته و عقله،فإن لم ینتفع به فلیس ینفعه شیء أبدا.

بینات من الآیات:

[۲۳]قصه ثمود(قوم صالح علیه السلام)من النذر التی تکشف لنا عن عاقبه التکذیب بالحق،و لکنّ ربنا لا یقول أنّهم کذّبوا بالحق،بل قال کذّبوا بآیاته و نذره،و ذلک لیکشف لنا عمق الضلال و الانحراف فی نفوسهم،فالإنسان یکذّب بالحق تاره ثم یزعم أنّه لا یجد آیه تدلّه علیه،و تاره یکذّب به بالرغم من الآیات الهادیه إلیه.قوم صالح دعاهم نبیّهم إلی اللّه،و حذّرهم من التکذیب،و أظهر لهم أکثر من آیه منذره بیّنه،و لکنّهم أصرّوا علی باطلهم،و کذّبوا بکلّ شیء.

کَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ قال بعض المفسرین أنّها نذر العذاب المباشره حیث اصفرّت وجوههم فی الیوم الأوّل،و احمرّت فی الثانی،و اسودّت فی الثالث..و الذی یظهر من سیاق القرآن أنّ النذر هو کلّ ما یحذّر الإنسان و یخوّفه من غضب اللّه و عذابه،و قد کذّبت ثمود بالرسول،و رسالته،و بآیاته العذاب،و بالناقه،و کلّها من نذر اللّه.

[۲۴]و حیث یحتاج الإنسان إلی تبریر مواقفه و تصرّفاته مهما کانت،فقد لجأوا بعد رفض الحق إلی الأفکار و الضلالات الجاهلیه،التی تناقض أبسط المعاییر

المنطقیه عند البشر.إنّهم حاولوا تقییم الرساله و قیاده الرسول صلی الله علیه و آله من خلال مصلحتهم و واقعهم المادی المنحرف،فما داما لا یلتقیان معهما فلیسا بحق.هم أرادوا الرساله رساله هوی و تبریر فجاءت بالحق و المسؤولیه،و أرادوا الرسول مثلهم فی قیادته و مظهره فوجدوه قدوه الخیر و الصلاح.

فَقالُوا و یبدو أنّ القائلین هم الملأ المستکبرون الذین کانت قیاده صالح علیه السلام مناقضه لمصالحهم،لذلک سعوا جهدهم إلی محاربته،و یدلّ علی ذلک قوله تعالی: قالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ (۱)،و أرادوا بذلک تشکیکهم فی شرعیه قیادته،و هنا أرادوا نفس الغایه،و حیث لم یجدوا سبیلا لمواجهه الرساله نفسها سعوا إلی النیل من شخصیه الرسول،فقالوا:إنّه لیس مرسلا من قبل اللّه لأنّ اللّه لا یرسل بشرا،و بالتالی فاتباعه لیس واجبا،و هذه الفکره تشبه إلی حدّ بعید قول البعض عن الرسول صلی الله علیه و آله أنّه عبقری و حسب لیثبتوا عدم لزوم طاعته،و قد أضاف قوم صالح إلی ذلک أنّه مثلنا و من محیطنا و لا شیء یمیّزه عنا یدعونا إلی اتباعه،ثم انه واحد لا مال له و لا أعوان، فهو مجرّد عن عوامل القوه التی تبعثنا إلی طاعته و الخضوع له،و قد یکون معنی «واحِداً» أنّه جاء بنظام سیاسی یدعو إلی قیاده موحده،و نبذ النظم النظم القبلیه و العشائریه القائمه علی أساس تعدّد القیادات،و التی تفسح المجال لکلّ مترف و مستکبر لممارسه شهوه الرئاسه،و هذا لا یتفق مع أهوائهم،کما قال کفّار قریش:

أَ جَعَلَ الْآلِهَهَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَیْءٌ عُجابٌ (۲) أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ

۱- ۱) الأعراف/(۷۵).

۲- ۲) ص۵/

و اعتبروا اتباعه مع هذه الصفات ضربا من التيه،بل الجنون،و اعترافا صريحا منهم بخطإ سيرتهم الماضيه،إضافه إلى كونه يجرّدهم من الرئاسه،و لذلک رفضوا قيادته و اتباعه.

إِنّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ السعر هو الجنون الشامل المستمر،و الحق أنّ هذه كلّها مقاييس باطله لا تصلح لتشخيص القياده الحقيقيه فی المجتمع،إنّما الكفاءه الاداريه و العمليه و السياسيه، و مدى الالتزام بالحق(التقوى)،و التصدى الفعلى للقياده،ثم إذن اللّه و إعطاؤه الشرعيه هی المقاييس الصادقه للرئاسه.

[۲۵]بلى.إنّهم اعتبروا الوجاهه الاجتماعيه،و كثره المال و الأتباع،هی المقاييس،و لو تجرّد صاحبها عن الكفاءه و التقوى،و هذه متوفّره لديهم،و هذا منطق المترفين و المستكبرين على مرّ التاريخ و مع كلّ الأنبياء و المرسلين، «وَ قالُوا» لرسولنا الأعظم «لَوْ لا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» . (۱)

و هكذا قال مترفو بنی إسرائيل من قبل،قال اللّه عزّ و جلّ: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرٰائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ إِذْ قالُوا لِنَبِیٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِی سَبِيلِ اللّٰهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتٰالُ أَلاّٰ تُقاتِلُوا قالُوا وَ مٰا لَنا أَلاّٰ نُقاتِلَ فِی سَبِيلِ اللّٰهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيٰارِنا وَ أَبْنٰائِنا فَلَمّٰا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتٰالُ تَوَلَّوْا إِلاّٰ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ* وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّٰهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طٰالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنّٰى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَهً مِنَ الْمٰالِ . (۲)

و هذه بالضبط هی كانت مقاييس قوم صالح،لذلک استنكروا أن يصطفيه اللّه

۱- ۱) الزخرف ۳۱/

۲- ۲) البقره ۲۴۶/-۲۴۷

من بينهم و هو لا يضاهيهم مالا و لا أتباعا،بل اتهموه بأرذل أنواع الكذب.

أَ أُلْقِيَ الـذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُوَ كَذّابٌ أَشِرٌ قال البعض:الأشر الذى يتجاوز الحد فى الكذب، و يبدو أنّه الطمع فى الرئاسه بلا استحقاق لها،و لعلّ معنى

كلام سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام :

«إنّى لم أخرج(أشرا)و لا- بطرا و لا- ظالما و لا- مفسدا »أنّنى حيث نهضت و طالبت بالامامه فهى من حقّى،و لست أدّعى ما هو للغير،و ظاهر كلمه «مِنْ بَيْنِنا» فى هذه الآيه يؤيد هذه الفكره،لأنّ المعنى بها يكون:إنّه طلب يصلح و يحق لنا دونه،و ربما دلّت هذه التهمه الباطله على أنّ خشيه أولئك الكافرين من تحويل الرئاسه عنهم كانت وراء تكذيبهم برساله صالح،حيث أنّهم اتهموه بأنّه طالب رئاسه بالباطل قياسا على أنفسهم الذين تسلّطوا على الناس بغير حق.

[۲۶]و أمام هذا المنطق المتوغّل فى التكبر على الحق،و الاستهزاء بولىّ اللّه و رسوله صالح عليه السلام ،و الإعراض عن الآيات و النذر،و من ثمّ مبارزه الحق تعالى، يتوعّدهم ربّنا بالعذاب.

سَيَعْلَمُونَ غَداً فى المستقبل الدنيوى و الأخروى إذا نزل بساحتهم العذاب.

مَنِ الْكَذّابُ الْأَشِرُ و حينئذ سيكتشفون مدى ضلالتهم و هوانهم على اللّه،كما يوقنون عين اليقين صدق النذر،و لكن دون جدوى،لأنّ العلم و الايمان ينفعان ما بقيت فرصه للتغيير و العمل،و الآيه تهدينا إلى أنّ حبل الكذب قصير ينقطع بصاحبه سريعا،و عاقبته

الخسران،لأنّه يخالف سنن اللّه فى الحياه.

[۲۹-۲۷]و منـذ أوحى اللّه إلى نبيّه بذلك الوعيد كان عالما بعاقبتهم،قادرا على إبادتهم،و لكنّه-و قد كتب على نفسه الرحمه-لا يأخذهم بالعذاب قبل النذر،لأنّ حكمته اقتضت أن يجعل لنفسه الحجه البالغه، لئلّا يقول الناس:

لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۱)،لذلك شاء و قضى أن يظهر لهم آيات العذاب أوّلا.

إِنّا مُرْسِلُوا النّاقَهِ فِتْنَهً لَهُمْ نبتليهم و نمتحنهم بها،و حينما يتعرّض المجتمع للفتنه فإنّ مسئوليه القياده الرساليه و كـذلك المؤمنين أن يكونوا شـهداء للّه عليه،بالـدعوه إلى الحق،و بيـان البصائر و المواقف المطلوبه أثنائها،و التصـدّى لقيادته،و أن يسـتعدوا لهـذه المسؤوليه الحسّاسه،و يتحمّلوا من أجلها الضغوط المختلفه،و يستقيموا صامدين حتى يحكم اللّه تعالى.

فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ* وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ الْماءَ قِسْمَهٌ بَيْنَهُمْ و بين الناقه التى أخرجها اللّه من الجبل «قالَ هذِهِ ناقَهٌ لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (۲)و كانت القسمه واضحه مقبوله لأنّها تمّت بحضورهم و رضاهم، فكلّ صاحب يوم يحضر شربه فى يومه.

كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ

۱- ۱) القصص۴۷/

۲- ۲) الشعراء۱۵۵/

و حينما يرسل اللّه الآيات الماديه الواضحه إلى قوم أو أمّه من الأمم فإنّ ذلك دليل على أنّه يريد حسم الموقف بعذاب الاستئصال إذا كذّبوا بها، و لقد كانت الناقه آيه مبصره إلّا أنّها فى نفس الوقت كانت صعبه على نفوسهم المنحرفه،و من طبيعه الإنسان أنّه حينما يواجه أمرا صعبا يفرز حاله نفسيه يضخّم بسببها ذاته و يستهين بذلك الأمر،فإذا بالقيم الساميه و الدين يستحيلان إلى شىء حقير عنده، بلى.قد يكون الأمر ذاته ليس عظيما إلّا أنّ عظمته الحقيقيه تكمن فى القيم التى يتصل بها،

جاء رجل إلى الامام الباقر عليه السلام يسأله عن حكم دهن سائل وقعت فيه فأره ميته،فقال له الامام:أرقه،فقال:الفأره أهون علىّ من ذلك،فما ذا كان جواب الامام؟قال له(بما معناه):إنّك لم تستخف بالفأره،و إنّما استخففت بدينك ،و فى الواقع الاجتماعى أيضا نجد شواهد لهذا الانحراف الخطر عند الإنسان،فإذا بك تراه لا يحترم العالم و لا يقدّره لا لقلّه علمه،أو ضعف شخصيته،و إنّما لأنّ شكله لا يدعوه للاحترام،و لا يعلم أنّه بذلك يستهين بقيمه العلم لا بالعالم نفسه،و علاج هذه الحاله بإيجاد توازن داخل الإنسان بين نفسه و بين القيم،و ذلك بتصوّر العاقبه التى ينتهى إليها هذا الانحراف.

إنّ قوم صالح احتقروا الناقه،و ظنّوا أنّهم أكبر من أن يقدّروها،و يلتزموا بعهدهم مع النبى عليه السلام لشأنها،و بالرغم من تحذيره لهم تآمروا و رضوا بعقرها.

فَنادَوْا صاحِبَهُمْ قدّار أو أحيمر،بعد تخطيطهم للمؤامره،و كان أشقى القوم و أجرأهم على الحق،و لعلّ معنى المناداه ليس التنادى بالكلام فقط،و إنّما أيضا بالرضا و عدم تحمّل مسئوليه الدفاع عن الحق،بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،و مقاومه أهل البغى و الطغيان.

قال الامام على عليه السلام :

«أيّها الناس!إنّما يجمع الناس الرضى و السخط،و إنّما عقر ناقه ثمود رجل واحد فعمّهم اللّه بالعذاب لمّا عمّوه بالرضى،فقال سبحانه و تعالى: فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفه خوار السكّه المحماه فى الأرض الخوّاره » (۱).

و كان هذا الفرد يعكس الشخصيه الحقيقيه لذلك المجتمع،إذ كان يعبّر -بعمله-عن ضميرهم الفاسد،و عزمهم الخائر،و إرادتهم المشلوله،و فكرهم الضال،و غياب المؤسسات الاصلاحيه بينهم،و هكذا حينما تحكم أىّ مجتمع أفكار سلبيه فإنّها تتجسّد فى قياده ضاله طاغيه،و نظام سياسى منحرف،و عاقبه سوأى لا تخص الظالمين أنفسهم بل تطال كلّ أبناءه،و ربما أقدم الشقى على عقر الناقه للوصول إلى حاجه فى نفسه هى الرئاسه،و قد دخل بعمله هذا فى صفقه مع المترفين و المستكبرين مباشره،و مع المجتمع بصوره غير مباشره حيث رضوا عنه و لم يمنعوه.

فَتَعاطى لعلّ معناه أنّه استعد للقيام بجريمته،و أخذ يتعاطى و سائلها،و يهىء الأجواء لها،و نستوحى من هذه الكلمه أنّ الجريمه لم تمر بسرعه،و إنّما احتاجت إلى التآمر، و هذه طبيعه أكثر الجرائم أنّها تسبقها إرهاصات تمهيديه تعطى الفرصه لأهل الحق بالتصدى لها،و لقد كان مجتمع ثمود قادرا على مقاومه قدّار بعد أن شاهدوا إرهاصات الجريمه عنده،و لكنّهم تركوه،فبدأ عدّهم التنازلى نحو النهايه و العذاب، و وجد هو الفرصه سانحه لتنفيذ جريمته،و القرآن فى موضع آخر يصوّر طبيعه المجرم

۱- ۱) نهج/خ ۲۰۱

و موقف المجتمع فيقول: «إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها» (۱)و لا ينبعث الإنسان إلّا إذا كان نفسه متحفّزا نحو ما ينبعث إليه،و لا يجد ما يمنعه من نفسه و لا من خارجها،و هذا حال الأشقى الذى ضرب عرقوب الناقه و قتلها.

فَعَقَرَ [۳۰-۳۱]و لم ينتبه هو و لا من حوله بأنّه يبارز اللّه بعمله،فنزل العذاب بساحتهم،و الإنسان لا يتصوّر أنّه ينتهى إلى عاقبه كهذه لسبب يبدو تافها فى نظره، إذ قدره الإنسان على استيعاب كل ظواهر الخليقه و عواملها قدره محدوده،لذلك جاء القرآن ليرفع الإنسان من حاله الشيئيه و اللهو إلى القيمه و الجدّ.

فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ بقدر ما كانت النذر مبينه بالغه كان العذاب مهولا و رهيبا.و يبيّن الوحى واقع ذلك العذاب فيقول:إنّه لم يكن صدفه،بل كان مرسلا من عند اللّه،بلى.قد يأتى العذاب ضمن سنن الحياه الطبيعيه و الاجتماعيه،و لكنّ السنن لا يمكن أن تتحرك فى الفراغ،و بعيدا عن تدبير الخالق و هيمنته،و هذا البلاغ الالهى يضع حدّا لمشكله عميقه هى تفسير ظواهر الخلق تفسيرا ماديّا محضا دون التوغّل إلى خلفيّاتها المتصله بسلوك البشر،الأمر الذى يصرفه عن العبره و التذكره.

إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَهً واحِدَهً صوتا هائلا صاعقا،ربما يشبه انفجار القنبله الذريه فى العصر الحاضر أو أعظم،

فعن أبى بصير عن الامام الصادق عليه السلام قال :«فلمّا كان نصف الليل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخه،خرقت تلك الصرخه أسماعهم،و فلقت قلوبهم،

۱- ۱) الشمس۱۲/

و صدّعت أكبادهم،و قد كانوا فى تلك الثلاثه أيّام(التى سبقت الصيحه بالنذر) قد تحنّطوا و تكفّنوا و علموا أنّ العذاب نازل بهم،فماتوا أجمعين فى طرفه عين، صغيرهم و كبيرهم،فلم يبق لهم ناعقه و لا راغيه،و لا شىء إلاّ أهلكه اللّه، فأصبحوا فى ديارهم و مضاجعهم موتى أجمعين،ثم أرسل اللّه عليهم مع الصيحه النار من السماء فأحرقتهم أجمعين » (۱)لكى لا يبقى لهم أثر فى الحياه،و تحدث اللّه بضمير الجمع «إِنّا» الدال على التعظيم و التكبر لأنّ المقام مقام عزّه اللّه و سلطانه.

فَكانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ و هو بقايا العلف و الحشائش و الأعواد اليابسه التى تتراكم فى حظيره الماشيه، و تبقى و تهشّمها بأظلافها و حوافرها،و حيث لا تجد طريقا للخروج منها تظل تدوسها بكثافه و قد ذكر معانى أخر للهشيم الا ان ما ذكرنا يبدو أقرب منها.

[۳۲]هكذا كان مصيرهم و عذابهم،و ما تصوّره الآيات لنا عنه مجرّد لقطات يحفظها القرآن لإنذار البشريه و تذكيرها عبر الزمن،و نحن لا نستطيع تصوّر الصيحه التى عبّر بها الربّ يومئذ عن غضبه بعقولنا المحدوده،و لا نستطيع أن نتخيّل ثمود و قد تعرّضوا لها،بالذات لو كنّا فى مجتمع القرآن الأوّل أيّام الرسول صلى الله عليه و آله حيث لم يصنع الإنسان الأسلحه التدميريه المعاصره،لذلك نجد القرآن يقرّب لنا الصوره بتشبيه واقعى تستوعبه عقولنا،و يفهمه حتى ذلك البدوى الذى يقطن الصحراء، و هذا من منهج اللّه فى تيسير كتابه المجيد.

قال الإمام الصادق عليه السلام يحكى قصتهم:

«هذا كان بما كذّبوا صالحا،و ما أهلك اللّه عزّ و جلّ قوما قط حتى يبعث إليهم قبل ذلك الرسل فيحتجوا عليهم،فبعث اللّه إليهم صالحا فدعاهم فلم يجيبوه،و عتوا

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۱۸۴

علیه عتوّا و قالوا:لن نؤمن لک حتی تخرج لنا من هذه الصخره الصمّاء ناقه عشراء، و کانت الصخره یعظّمونها،و یعبدونها،و یذبحون عندها فی رأس کلّ سنه، و یجتمعون عندها،فقالوا له:إن کنت کما تزعم نبیّا رسولا فادع لنا إلهک حتی یخرج لنا من هذه الصخره الصمّاء ناقه عشراء،فأخرجها اللّه کما طلبوا منه،ثم أوحی اللّه تبارک و تعالی إلیه،یا صالح قل لهم:إنّ اللّه قد جعل لهذه الناقه شرب یوم و لکم شرب یوم،فکانت الناقه إذا کان یوم شربها شربت الماء ذلک الیوم فیحلبونها،فلا یبقی صغیر و لا کبیر إلاّ شرب من لبنها یومهم ذلک،فإذا کان اللیل و أصبحوا غدوا إلی مائهم فشربوا منه ذلک الیوم و لم تشرب الناقه ذلک الیوم،فمکثوا بذلک ما شاء اللّه،ثم إنّهم عتوا علی اللّه،و مشی بعضهم إلی بعض،و قالوا:اعقروا هذه الناقه و استریحوا منها،لا نرضی أن یکون لنا شرب یوم و لها شرب یوم،ثم قالوا:من ذا الذی یلی قتلها،و نجعل له جعلا ما أحب؟،فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد زنا لا یعرف له أب،یقال له قدّار،شقیّ من الأشقیاء،مشؤوم علیهم، فجعلوا له جعلا،فلمّا توجهت الناقه إلی الماء الذی کانت ترده ترکها حتی شربت الماء و أقبلت راجعه،فقعد لها فی طریقه فضربها بالسیف ضربه فلم یعمل شیئا، فضربها ضربه أخری فقتلها،فخرّت إلی الأرض علی حینها،و هربت فصیلها، حتی صعد إلی الجبل فرغا ثلاث مرات إلی السماء،و أقبل قوم صالح فلم یبق أحد إلاّ شرکه فی ضربته،و اقتسموا لحمها فیما بینهم،فلم یبق صغیر و لا کبیر إلاّ أکل منها،فلمّا رأی ذلک صالح أقبل إلیهم فقال:یا قوم ما دعاکم إلی ما صنعتم أ عصیتم ربکم؟فأوحی اللّه تبارک و تعالی إلی صالح علیه السلام :إنّ قومک قد طغوا و بغوا و قتلوا ناقه بعثها اللّه إلیهم حجه علیهم،و لم یکن علیهم منها ضرر،و کان لهم أعظم المنفعه،فقل لهم:إنّی مرسل إلیکم عذابی إلی ثلاثه أیّام،فإن هم تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و صددت عنهم،و إن هم لم یتوبوا و لم یرجعوا بعثت إلیهم عذابی فی الیوم الثالث،فأتاهم صالح(صلّی اللّه علیه)فقال لهم:یا قوم إنّی

رسول ربکم إلیکم،و هو یقول لکم:إن أنتم تبتم و رجعتم و استغفرتم غفرت لکم و تبت علیکم،فلمّا قال لهم ذلک کانوا أعتا ما کانوا و أخبث،و قالوا:«یا صالح ائتنا بما تعدنا إن کنت من الصادقین» قال:یا قوم إنّکم تصبحون غدا و وجوهکم مصفرّه،و الیوم الثانی و وجوهکم محمرّه،و الیوم الثالث و وجوهکم مسودّه،فلمّا کان أوّل یوم أصبحوا و وجوههم مصفرّه،فمشی بعضهم إلی بعض و قالوا:قد جاءکم ما قال لکم صالح،فقال العتاه منهم:لا نسمع قول صالح،و لا نقبل قوله و إن کان عظیما،فلمّا کان الیوم الثانی أصبحت وجوههم محمرّه،فمشی بعضهم إلی بعض فقالوا:یا قوم قد جاءکم ما قال لکم صالح،فقال العتاه منهم:لو أهلکنا جمیعا ما سمعنا قول صالح،و لا ترکنا آلهتنا التی کان آباؤنا یعبدونها،و لم یتوبوا و لم یرجعوا،فلمّا کان الیوم الثالث أصبحوا و وجوههم مسودّه،فمشی بعضهم إلی بعض و قال:یا قوم أتاکم ما قال لکم صالح،فقال العتاه منهم:قد أتانا ما قال لنا صالح،فلمّا کان نصف اللیل أتاهم جبرئیل فصرخ بهم صرخه،خرقت تلک الصرخه أسماعهم،و فلقت قلوبهم،و صدّعت أکبادهم،و قد کانوا فی تلک الثلاثه أیّام قد تحنّطوا و تکفّنوا و علموا أنّ العذاب نازل بهم،فماتوا أجمعین فی طرفه عین، صغیرهم و کبیرهم،فلم یبق لهم ناعقه و لا راغیه و لا شیء إلاّ أهلکه اللّه،فأصبحوا فی دیارهم و مضاجعهم موتی أجمعین،ثم أرسل اللّه علیهم مع الصیحه النار من السماء فأحرقهم أجمعین،و کانت هذه قصتهم » (۱)و هی و سابقاتها و ما یلیها من القصص و إن تضمّنت الکثیر من الأفکار إلاّ أنّها تدور حول فکره محوریّه بهدف تیسیرها و تقریبنا منها.

وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ

۱- ۱) المصدر/ص ۱۸۵

هکذا یکرّر الذکر الحکیم آیاته و عبره،و لعلّنا نتنبّه من الجهل و الضلال و الغفله،و لکنّه بالرغم من ذلک لا زال غریبا مهجورا فی واقعنا بجمیع أبعاده، فنحن لا زلنا بعیدین عن دعوته للوحده و العمل،و الاستقامه علی الحق،و محاربه الجبت و الطاغوت،و الاتعاظ بالنذر السالفه.

[۳۳]و مع ذلک ما یبرح یتابع إلینا سوره فسوره،و آیه فآیه،و مثلا فمثلا،فهذه آیاته و قد انتهت من عرض قصه ثمود،تضرب لنا مثلا آخر عن عاقبه التکذیب بقصه قوم لوط،الذین تورّطوا أخلاقیّا فی الشذوذ الجنسی،و صاروا یأتون الرجال شهوه من دون النساء،فحذّرهم نبیهم علیه السلام من هذا الانحراف عن طاعه اللّه و سنن الحیاه،و لکنّهم لم یعتبروا بمصیر الماضین و لا بنصح لوط علیه السلام ،بل راحوا یکذّبونه، و یریدون به الشرّ و الأذی،رغم النذر الظاهره.

کَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ قیل أنّه من النذر الذین أرادوا الفاحشه بضیف لوط من الملائکه

«فأشار إلیهم جبرئیل بیده فرجعوا عمیانا یلتمسون الجدار بأیدیهم» (۱).

إلاّ أنّ القوم لم یتعظوا بهم،بل أصرّوا علی فسادهم،و تمادوا فی التکذیب، و لعلّ بعضهم راح یؤوّل عماهم إلی أسباب أخری،فهم کما وصفهم فی أوّل السوره: وَ إِنْ یَرَوْا آیَهً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (۲).

[۳۵-۳۴]بلی.إنّهم کذّبوا فما أهملهم اللّه،بل أرسل علیهم ریحا محشوّه بالحجاره الصغیره فی بادئ الأمر،لتکون آخر النذر و علامه إلی لوط و المؤمنین معه بقرب العذاب،و ربما کان ذلک أواخر اللیل،أمّا العذاب الحقیقی فقد أخّره إلی

۱- ۱) بحار الأنوار/ج(۱۸)/ص(۳۴۸).

۲- ۲) القمر۲/

الصباح ريثما يخرجون.

إِنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً و لكن بقيت العنايه الالهيه تحفظ المؤمنين و ترعاهم،حيث أمر اللّه لوطا عليه السلام و المؤمنين بالخروج من القريه الظالم أهلها ليكونوا فى مأمن من العذاب: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (۱)،فارتحلوا منها،و هذا يدل على أنّ العمليه كانت تجرى بإشراف إلهى مباشر لا صدفه،فحتى خروجهم لم يكن بسبب الارهاصات الطبيعيه للعذاب،بل كان بأمر نزل من اللّه،و لولاه لربما كانوا يبقون،لذلك يؤكّد القرآن بأنّ اللّه هو الذى أنجاهم و أنقذهم.

إِلاّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ يعنى نهايات الليل و بدايات الصباح،و لا يكتفى الوحى بذلك بل يضيف بأن النجاه كانت نعمه إلهيه،و ليست نتيجه حاله بشريه أو صدفه.

نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا و لكنّها مرتبطه بواقع بشرى هو الشكر.إنّها مرّت بدوره متكامله:إيمان عمل و شكر صاعد من قبل الإنسان الاراده الالهيه بالتوفيق النعمه النازله من اللّه للإنسان،و ربنا لا يخصص هذه الدوره بشخص لوط عليه السلام بل يخلص من ذكر الخاص إلى العام و من الشاهد إلى السنه.

كَذلِكَ نَجْزِى مَنْ شَكَرَ

۱- ۱) هود۸۱/

أيّا كان،و فی أیّ مکان و زمان.

[۳۷-۳۶]و یعود القرآن إلی التأکید علی أنّ العذاب مرّ بدوره متکامله:

انحراف بشری نذر إلهیه تکذیب بشری و إصرار علی الانحراف العذاب من عند اللّه(النقمه فی مقابل النعمه)،إنّ لوطا شخّص الانحراف الاجتماعی، و سعی جاهدا إلی التغییر و الإصلاح،فأنذر قومه من عواقب ضلالهم و أنّه یؤدی بهم إلی الانتقام الشدید الذی لا قبل لهم به من عند ربّهم.

وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا و بدل أن یفکّروا فی النذر و یتعظوا بها صاروا یتمارون،و التماری کما یبدو هو الشک الذی یتحوّل إلی تشکیک اجتماعی،و قوم لوط لم یکتفوا بتکذیبهم،بل صار الواحد یدخل الشک إلی الآخر لکی یمعنه من الایمان بالنذر البالغه، و سمّی الجدال مراء لأنّ أطرافه یشکل الواحد علی الآخر بقصد ردّ حجته و إبطالها.

فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ فکانوا یدافعون عن ضلالهم و باطلهم فی مقابل الحق،استهزاء و جمودا، و یسعون إلی تغلّب أفکارهم و باطلهم علی الحق المبین فی أذهان بعضهم،و ذلک بصرف الآیات و تأویلها إلی غیر مضامینها،و هذا منهج المکذّبین عبر التاریخ، فها هم قوم عاد یدعوهم هود إلی الایمان،فإذا بهم یصرّون علی باطلهم إلی آخر لحظه: «فَلَمّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِیَتِهِمْ قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِیحٌ فِیها عَذابٌ أَلِیمٌ* تُدَمِّرُ کُلَّ شَیْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحُوا لا یُرَی إِلّا مَساکِنُهُمْ کَذلِکَ نَجْزِی الْقَوْمَ الْمُجْرِمِینَ» (۱)،و إلی مثل هذا انتهی انحراف قوم لوط

۱- ۱) الأحقاف۲۴/-۲۵

و تكذيبهم و مراءوهم،فلقد أرسل اللّه إلى نبيّه الملائكه و من بينهم جبرئيل عليه السلام ، و لكنّه أنزلهم فى صوره جميله لتبدأ البطشه من محاوله الاعتداء عليهم فيتأكّد للقوم بأنّ هلاكهم كان نتيجه لذلك الانحراف الذى حذّرهم من عواقبه لوط عليه السلام ،و يؤخذوا بالجرم المشهود.

وَ لَقَدْ رٰاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ يريدون بهم الفاحشه، «قٰالَ يٰا قَوْمِ هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ لاٰ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ* قٰالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا لَنٰا فِي بَنٰاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مٰا نُرِيدُ* قٰالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّهً أَوْ آوِي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ» (۱)إنّه حاول إصلاحهم فى بادئ الأمر بتوجيههم إلى الجنس الآخر علاجا لانحرافهم،و رفعا للحرج مع الضيوف،ثم هدّدهم باستخدام القوه«فصاح به جبرئيل فقال:

يا لوط!دعهم يدخلون،فلمّا دخلوا أهوى جبرئيل عليه السلام بإصبعه نحوهم فذهبت أعينهم» (۲)فَطَمَسْنٰا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذٰابِي وَ نُذُرِ قيل أنّ الطمس هو حجب البصر مع وجود العين على طبيعتها،و قيل أنّه القلع و المسح،و الذى يبدو أنّه ذهاب الرؤيه مع ضمور المعالم الظاهريه للعين،و عند ما أنزل اللّه بهم العذاب ربما رفع قدرتهم على الاحساس إلى أقصاها تفاعلا و وعيا زياده فى العذاب،إذ لا قيمه لعذاب لا يتذوّقه صاحبه.

[۴۰-۳۸]كان ذلك(طمس الأعين)عذابا مؤقتا،أمّا العذاب الأوهى و المستمر،الذى يتصل بالعذاب المقيم فى الآخره،فقد ابتدرهم أوّل الصباح.

۱- ۱) هود۷۸/-۸۰

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۵ ص ۱۸۵

وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ لقد كان عذابا مستقرا لا يجدون منه فكاكا لا فى دنياهم و لا فى الآخره.

و يبدو أنّ كلمه «مُسْتَقِرٌّ» تفسير لقوله سبحانه فى فاتحه السوره: «وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ» ،و معناها أنّ عذاب أولئك القوم كان من السنن الثابته و المستقرّه فى الحياه،و نجد تفصيلا للعذاب،و بيانا لهذه الفكره،فى موضع آخر من القرآن،إذ يقول تعالى: فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ* مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ ما هِيَ مِنَ الظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (۱)،لأنّ العذاب لم يكن خارقا لسنن الحياه،و لا عرضا طرأ عليها،بل هو جزء منها و مظهر لها،و هى مستقره لا تحويل لها و لا تبديل إلى يوم القيامه،و قد أذاقهم اللّه هذا العذاب كما أذاقهم عذاب الطمس.

فَذُوقُوا عَذابِي وَ نُذُرِ* وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ هكذا يصرخ فينا القرآن يدعونا إلى مأدبه اللّه،و يعيد هذه الدعوه بصيغه أخرى فيقول: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها (۲). إنّ القرآن ذاته ميسّر للذكر و التدبّر،و لكن قلوبنا هى المعقدّه،إنّه يفتح لنا يفتح أبواب العلم و الايمان،و نغلق قلوبنا عنه بالذنوب و الأفكار المتخلّفه.أ رأيت كيف يرفع البعض دعوه تضاد دعوه اللّه،و تصد عن كتابه؟!إنّهم يقولون:لا يجوز لأحد أن يتدبّر فى القرآن،و لا يفسّره،و يبرّرون ذلك بالحساسيات المفرطه المتزمته،و بأنّه معقّد لا يفهمه إلّا المجتهدون و الفقهاء،و لكنّ القرآن جاء ليردّ هذه الفكره و يهدينا للتى هى أقوم بنصّ قرآنى ظاهر لا يقبل التأويل و لا الاجتهاد.

۱- ۱) هود۸۲/-۸۳

۲- ۲) محمّد۲۴/

[سوره القمر (۵۴): الآیات ۴۱ الی ۵۵]

اشاره

وَ لَقَدْ جٰاءَ آلَ فِرْعَوْنَ اَلنُّذُرُ (۴۱) كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا كُلِّهٰا فَأَخَذْنٰاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (۴۲) أَ كُفّٰارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرٰاءَةٌ فِي اَلزُّبُرِ (۴۳) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (۴۴) سَيُهْزَمُ اَلْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ اَلدُّبُرَ (۴۵) بَلِ اَلسّٰاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ اَلسّٰاعَةُ أَدْهىٰ وَ أَمَرُّ (۴۶) إِنَّ اَلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاٰلٍ وَ سُعُرٍ (۴۷) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي اَلنّٰارِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (۴۸) إِنّٰا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ (۴۹) وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (۵۰) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنٰا أَشْيٰاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (۵۱) وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي اَلزُّبُرِ (۵۲) وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (۵۳) إِنَّ اَلْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَ نَهَرٍ (۵۴) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (۵۵)

اللغه

۴۳[براءه]:أی براءه من العذاب.

۴۶[أدهی]:الأدهی الأعظم فی الدهاء،و الدهاء عظم یسبب الضرر مع شدّه انزعاج النفس،و هو من الداهیه أی البلیه التی لیس فی إزالتها حیله.

۴۸[سقر]:جهنم،و قیل:علم علی جهنم،و أصل السقر التلویح،یقال:سقرته الشمس و صقرته إذا لوحته.

۵۲[الزّبر]:أی الکتب التی کتبها الحفظه.

۵۳[مستطر]:مسطور مکتوب.

ص:۲۵۴

إِنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ

هدى من الآيات:

فى الـدرس الأخير يذكّرنا الوحى بأهمّ عبره فيها،و التى يسّرها اللّه بقصـص واقعيه من تاريخ البشـريه،ابتداء من قوم نوح و انتهاء بـآل فرعون،و هى عـاقبه السوء للـذين يعرضون عن آيات اللّه و نـذره،و يكـذّبون برسالته و رسـله،لأنّهم حينئـذ يسـيرون بعكس آلاف القوانين و السنن فى الحياه،و لأنّهم-و هو الأهم-يخالفون الحق،و يعصون ربّ العزه سبحانه،مؤكّدا بأنّ ما لحق أولئك من شديد العذاب فى الدنيا بتكذيبهم ليس إلّا شـمّه و ضغثا بالنسبه إلى العذاب الأدهى و الأمرّ الذى ينتظرهم فى الآخره،حيث تدقّ أجراس بدئه ساعه البعث و الحساب.

و بعـد أن يضع الذكر الحكيم لوحه من مشاهد الآخره و العذاب أمام قلوبنا و أعيننا يؤكّد لنا حقيقه هامه،هى أنّ الدنيا بنيت بكلّ مفرداتهـا من الـذرّه حتى المجرّه و أصـغر من ذلـك و أكبر على أساس من السـنن و المقاييس و القوانين الحكيمه إِنّا كُلَّ شَـيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ الآيه(۴۹)،و بالتالى يجب على الإنسان أن يكيف

نفسه و حياته و علاقاته بكلّ شيء فيها على هذا الأساس،أمّا إذا انتظر أو سعى لتسير الحياه من حوله بسننها و مقاديرها و خلقها وفق هواه فلن يستطيع الى ذلك سبيلا، لأنّها ثابته و أقوى منه،بل و سيخسر إلى الأبد.

فلا يظن الإنسان إذا أنّه يتحرّك فى الفراغ،كلّا..إنّ حوله ملايين الأنظمه التى تحصى عليه أخطاءه و أفعاله و أقواله،و حتى نيّاته مسجّله عليه تسجيلا دقيقا، و لهذا يقول اللّه عزّ و جلّ مبيّنا حال المجرمين حين يرون كتبهم فى يوم القيامه:

فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا مالِ هذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (۱)و بعد الحساب يلقون جزاءهم إذ يسحبون فى النار على الوجوه،أمّا المتقون فيعطون كتابهم بيمينهم،أمّا جزاؤهم جنات و نهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

بينات من الآيات:

[۴۲-۴۱]كما جعل اللّه للساعه علامات و نذرا تؤذن باقترابها كانشقاق القمر،فإنّه تعالى أخذ على نفسه أن لا يعذّب أمّه و لا شخصا قبل إقامه الحجه البالغه عليه،و قبل أن يقدّم له من الأنبياء و نذر البطش ما فيه مزدجر له و هدايه لمن أراد وَ ما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً (۲).

و يضع القرآن شاهدا لهذه الحقيقه أمام ضمائرنا و عقولنا هذه المرّه من واقع فرعون و قومه الذين أغرقوا فى اليمّ.إنّهم ضلّوا عن الحقّ ضلالا بعيدا،إذ اعتمدوا نظاما سياسيّا ينطلق من عباده شخص فرعون،و ينتهج الإفساد و الإرهاب و القتل و التضليل،و كانت هذه الأسباب كافيه لأن يمحقهم اللّه،أ ترى أعظم جرم عند اللّه

۱- ۱) الكهف/(۴۹).

۲- ۲) الإسراء(۱۵).

من بشر يقول أنا ربّكم الأعلى؟!كلّا..و لكنّه أمهلهم،و أراد لهم الرحمه التى خلقهم من أجلها،فتابع عليهم الآيات و النذر بلسان موسى و على يديه و من خلال الطبيعه،بما أبطل به سحرهم و معتقداتهم الواهيه،و أقام عليهم الحجه البالغه.

وَ لَقَدْ جٰاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ إنّ اللّه لم يتركهم حتى يؤمنوا بأنفسهم،بل ابتدرهم بالهدى الذى بلغ فردا فردا منهم يوم الزينه،و لم يكتف اللّه بنذير واحد و هو يكفى حجه عليهم،إنّما جاءهم بنذر كثيره بيّنه،كان من بينها تسع آيات إلى فرعون و قومه،و لكنّهم كما يصفهم القرآن:

كَذَّبُوا بِآيٰاتِنا كُلِّهٰا لا لغموض فيها فقد كانت مبصره،بل لمرض فى قلوبهم،و لو أنّك بحثت فى أعماق نفوسهم لرأيت سلطان الآيات مهيمنا عليها،و يعلم اللّه كم تجرّعوا من وخز الضمير الذى يدعوهم للإيمان و هم يصدّون عن الحقّ المبين.إنّهم ما كانوا يقدرون على التكذيب مجرّدا أمام ذلك الوخز لذلك لجأوا إلى التبرير،و هذه من طبيعه الإنسان حينما يخالف الحق بالرغم من استيقانه به، «قٰالُوا هٰذٰا سِحْرٌ مُبِينٌ* وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا» (۱)،فكانوا عند اللّه يستحقّون أشدّ العذاب،و كذلك فعل بهم.

فَأَخَذْنٰاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ لا يقبل الجور على الحق.

۱- ۱) النمل/(۱۳-۱۴).

مُقْتَدِرٍ لا يشكو ضعفا و لا قصورا،و هذا ما جعل عذابهم قاسيا،فمره يكون العزيز غير مقتدر فهو لا يستطيع أن يحيل عزّته فعلا،و مرّه يكون المقتدر غير عزيز فهو لا يغضب لحرمه قيمه،و إذا أخذ المخالف له فإنّ أخذه يكون محدودا.

هكذا و بهاتين الآيتين القصيرتين فى كلماتهما العميقتين فى معناهما يوجز ربّنا قصه قوم لا زالت آثارهم ظاهره و مثيره للعجب،بينما يحتاج الحديث فيها إلى مئات أو آلاف الصفحات،بل القرآن نفسه تناولها فى صفحات و آيات عديده فى مواضع أخرى،و السبب أنّ القرآن أراد من ذلك التأكيد على السنّه الواحده التى أجراها على كلّ الأمم و فى مختلف الأمصار بصور شتى،لكى نعتبر بها،و نبصر عواقب التكذيب بالحقّ أنّى كان،و قد اكتفى السياق بإيجاز قصه فرعون التى فصّلها فى مختلف السور،و التى من المفروض أن يعرفها من يتلوا الذكر،و ذلك عبر آيتين تعكسان إعجاز القرآن البلاغى.

[۴۵-۴۳]و من شواهد عاقبه المكذّبين فى أغوار التاريخ،ينتقل بنا السياق إلى الحديث عن المجتمع المعاصر للرساله الاسلاميه و موقفهم من الرساله،بما هو تأويل لقوله تعالى: وَ مٰا هِيَ مِنَ الظّٰالِمِينَ بِبَعِيدٍ (۱)،و قوله بلسان رسوله شعيب عليه السلام : وَ يٰا قَوْمِ لاٰ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقٰاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مٰا أَصٰابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صٰالِحٍ وَ مٰا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (۲). إنّ القصه القرآنيه لا تأت للتسليه،إنّما لتكشف للإنسان عن سنن الحياه من حوله،فتعطيه تاره إشاره خضراء ترغّبه و تشوّقه،و تضع بين يديه إشاره حمراء تنذره و ترهبه تاره أخرى،و هو

۱- ۱) هود/(۸۳).

۲- ۲) هود/(۸۹).

بين هذه و تلك يجب أن يشقّ طريقه نحو الحقّ و السعاده،أمّا إذا تفرّج على وقائع التاريخ و مواعظه،أو استبعد عن نفسه الجزاء بفكره تبريريه كالعنصريه و الفداء،أو بالاعتماد على غرور النفس و ظنونها و أهوائها،فسوف يجد نفسه وجها لوجه أمام مصير الماضين ممّن سبقوه بالتكذيب فى الدنيا و الآخره،و لن تغيّر تمنّياته و ظنونه من الواقع شيئا، «ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ» (۱).

كيف يكذّب الآخرون بالرساله و هم يبصرون ما نزل بالغابرين عند ما كذّبوا بها؟!إنّهم يستبعدون حلول العذاب بهم اعتمادا على واحد من أمرين:

أوّلا:الثقافه التبريريه،و أبرز مفرداتها على صعيد التكذيب بالرسالات العنصريه و نظريه الفداء،ذلك أنّ الإنسان حينما يكذّب حقّا ما و يرفضه يبحث داخليّا أمام ضميره،و خارجيّا أمام الآخرين،عن عذر يبرّر له موقفه،و يستمد منه الشرعيه لممارسه الخطأ أو الإصرار عليه.

و ربّنا ينسف هذه الثقافه فيقول-مخاطبا المعاصرين للإسلام-:لما ذا تستثنون أنفسكم من العذاب الذى حلّ بتلك الأقوام؟ أَ كُفّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولٰئِكُمْ بعنصرهم و أعمالهم حتى لا ينالهم العذاب؟! أَمْ لَكُمْ بَرٰاءَهٌ فِى الزُّبُرِ أم هم يملكون كتابا من عند اللّه يبرّئهم من سوء أعمالهم؟! كلّا..فالتكذيب هو التكذيب سواء صدر من أولئك أم منكم،و السنن الالهيه

۱- ۱) ص/(۲۷).

واحده على مرّ الزمن لا تتحوّل و لا تتبدّل،و ليس عند اللّه قرابه مع خلقه،و لو كان نبيّا مرسلا أو ملكا مقرّبا،و لا ينفع إلّا العمل الصالح،كما لم تسبق منه كلمه على لسان نبى و لا رسول و فى كتاب من كتبه المنزله بزكاه أحد أبدا،حتى يتحصّن بها ضدّ العذاب،و الضلال الذى عليه كفّار المجتمع أيّام رسول اللّه صلى الله عليه و آله ليس بأقلّ من ضلال أولئك،بل هو أسوء و أبعد.

و إذا كانت ثمّه براءه لأحد فى كتب اللّه فهو و رسوله أعلم بها،و الحال أنّهما ينفيانها.

بلى.حاول النصارى تبرير انحرافهم بفكره الفداء،و لكنّهم أضافوا انحرافا جديدا إلى مسيرتهم الضاله إذ أصبحوا بها كفّارا عند اللّه،و هكذا زعموا هم و اليهود بأنّهم لا يعذّبون مهما ما رسوا من الذنوب،لأنّ عنصرهم يتصل باللّه و ينتمى إليه، و لكنّ القرآن ردّ عليهم هذه المزاعم ردا عنيفا و حازما،فقال تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ لِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللّهِ وَ أَحِبّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ لِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (۱)و انطلاقا من هذه الثقافه الضالّه صاروا يبرّرون لأنفسهم الخيانه و الغدر و مختلف الذنوب،فإذا بهم لا يقيمون وزنا لعهودهم و إيمانهم مع الشعوب الأخرى على أساس أنّهم أميّون،و لا حرج عليهم إذا نكثوا بهم أو خانوهم: قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ (۲)،و لكن اللّه أبطل هذا التبرير فقال: بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (۳).

۱- ۱) المائده/(۱۷-۱۸).

۲- ۲) آل عمران/(۷۵).

۳- ۳) آل عمران/(۷۶).

ثانيا:الاغترار بالقوه.

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ هل يعرضون عن الآيات،و يكذّبون الحق،و يتبعون أهواءهم،ثمّ يتحدّون سنن الحياه،اعتمادا على جمعهم و قوّتهم؟!او ما عسى أن تكون قوّتهم و جمعهم بالنسبه إلى الأمم السابقه؟! «أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ (كلّ واحد منهم) أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّهً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً» (۱)، وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (۲)،ثمّ أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَ جَعَلْنَا الْأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (۳).

و يؤكّد اللّه لأولئك الذين اعتمدوا على عدّتهم و عددهم أنّ المستقبل كفيل بالكشف عن مدى ضلالتهم فى الاعتماد عليهما،حيث يهزمون،و تبطل تبريراتهم و مزاعمهم بأنّ العذاب لا يطالهم.

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ و قد رأينا كيف أنزل اللّه عذابه بهم على أيدى المؤمنين فى مواطن كثيره،و أظهر رسوله و دينه عليهم بالرغم منهم،و بالرغم من أنّهم كانوا فى موقعه كبدر أكثر جمعا و عدّه من المسلمين بثلاثه أضعاف أو أكثر!

۱- ۱) القصص/(۸۷).

۲- ۲) ق/(۳۶)

۳- ۳) الأنعام/(۶).

[۴۶]و مع ذلک فإنّ الأدهی من هزیمتهم و عذابهم فی الدنیا ما ینالهم من العذاب فی الآخره.

بَلِ السّاعَهُ مَوْعِدُهُمْ وَ السّاعَهُ أَدْهی وَ أَمَرُّ إنّها أکثر رعبا فی مظهر عذابها و أسالیبه،و أعمق ألما و مراره علی أبدانهم و نفوسهم.

و نستلهم من هذه الآیه أنّه حتی إذا کان عذاب الاستئصال مرفوعا عن أمّه محمّد صلی الله علیه و آله ببرکته و دعائه،فإنّه لا ینبغی أن نجعل هذه الفکره مبرّرا لنا لاقتحام الذنوب،فإنّ من ورائنا الساعه فی الآخره،و تهدّدنا فی الدنیا ألوان من العذاب التی لا تقل ألما عن الاستئصال،کالتخلّف،و التفرقه،و تسلّط الظلمه، و الصراعات الداخلیه،و..و..أ تری هزیمه الأمّه أمام أعدائها فی الدنیا أمرا هیّنا؟!کلّا..لأنّها تفقد بذلک الکثیر الکثیر.

[۴۸-۴۷]و یعود القرآن مؤکّدا بأنّ تلک المزاعم:الأفضلیّه علی الآخرین، و البراءه من العذاب،و الاغترار بالنفس،باطل،و إنّما تدلّ علی مدی ضلال أصحابها و عذابهم.

إِنَّ الْمُجْرِمِینَ فِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ و قد سمّاهم اللّه بالمجرمین لأنّ تلک المزاعم لا شک سوف تقودهم إلی التوغّل فی الجریمه،و السعر قد یکون الجنون أو النار،و هما من ألوان العذاب التی یؤدی إلیها الضلال فی الدنیا و الآخره.

یَوْمَ یُسْحَبُونَ فِی النّارِ عَلی وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ

و هنا إشاره إلى نوعين من العـذاب:أحـدهما المادى حيث يسـحبون نكايه بهم، و السـحب وحده يعتبر عذابا للإنسان،فكيف إذا كان على الوجوه أكرم مناطق الجسم،و أكثرها حسّاسيه،و فى أعظم أوديه جهنّم عذاب و هو سقر؟!الذى

قال الامام الصادق عليه السـلام عنه :«إنّ فى جهنّم لواديا للمتكبّرين يقال له سـقر،شـكا إلى اللّه شدّه حرّه،و سأله أن يتنفّس،فأذن له فأحرق جهنّم » (۱)

«إن فى سقر لجبّا يقال له هبهب،كلّما كشف غطاء ذلك الجبّ ضجّ أهل النار من حرّه،و ذلك منازل الجبّارين » (۲).

و الآخر العـذاب المعنوى الـذى يفوق فى بعض حالاته عذاب الجسم،فهناك تتلقّاهم زبانيه جهنّم قائله: «ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ» ، «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ إِنَّ هٰذا مٰا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ» (۳).

و لعلّنـا نفهم من المس أنّ النـار لاـ تحرق كـلّ أبـدانهم،بـل تحرق جلودهم التى فيها تتركّز أعصاب الإحساس عنـد الإنسان،ممّا يجعل العذاب أكثر ألما،و هذا ما تؤكّده الآيه الكريمه: كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا لِيَذُوقُوا الْعَذٰابَ (۴).

[۴۹]و هـذا العذاب لا شك ليس اعتباطيّا و بلا حكمه،كلاّ..فهو كسائر مفردات الوجود مقنّن مقدّر من قبل اللّه،فلو أنّنا كشف لنا الغطاء لرأينا أنّ العمل السيء الذى نقوم به هو نفسه الجزاء الذى نلقاه.

إِنّٰا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ

۱- ۱) بح/ج(۱)ص(۲۹۴).

۲- ۲) المصدر/ص(۲۹۷).

۳- ۳) الدخان/(۴۹-۵۰).

۴- ۴) النساء/(۵۶).

حینما یسأل الامام علی علیه السلام عن هذه الآیه یجیب:یقول عز و جل:إنا کل شیء خلقناه لأهل النار بقدر أعمالهم (۱)و

قال الامام الصادق علیه السلام :«انّها ردّ علی القدریه الذین نفوا تقدیرات اللّه،و فیهم نزلت هذه الآیه » (۲)و قد استدلّ البعض بهذه الآیه علی أنّ أعمال الإنسان هی الأخری مقدّره فزعم أنّها تدل علی الجبر،بینما الصحیح أنّ کلّ شیء مقدّر من قبل اللّه،و من تقدیراته الاختیار الذی وهبه للإنسان.

و الذی یظهر أنّ الآیه تثبت أکثر من أیّ فکره أخری حکمه اللّه فی الحیاه،التی تهدینا معرفتها إلی الایمان بالمسؤولیه،و الدار الآخره أعظم تجلّیاتها،حیث یحاسب الناس علی سعیهم،و یلقون جزاءهم الأوفی خیرا أو شرّا،جنه أو نارا،یقول السید قطب فی تفسیره(فی ظلال القرآن):(و إنّ هذا النص القرآنی الیسیر لیشیر إلی حقیقه ضخمه هائله شامله،مصداقها هذا الوجود کلّه،حقیقه یدرکها القلب جمله و هو یواجه هذا الوجود،و یتجاوب معه،و یتلقّی عنه،و یحس أنّه خلیقه متناسقه تناسقا دقیقا،کلّ شیء فیه بقدر یحقّق هذا التناسق المطلق،الذی ینطبع ظلّه فی القلب جمله و هو یواجه هذا الوجود)،و یضرب أمثله للحکمه الالهیه فی الخلق فیقول نقلا عن کتاب«اللّه و العلم الحدیث»للاستاذ عبد الرزّاق نوفل:(إنّ الجوارح التی تتغذی بصغار الطیور قلیله العدد،لأنّها قلیله البیض،قلیله التفریخ، فضلا علی أنّها لا تعیش إلاّ فی مواطن خاصه محدوده،و هی فی مقابل هذا طویله الأعمار،و لو کانت مع عمرها الطویل کثیره الفراخ مستطیعه الحیاه فی کلّ موطن لقضت علی صغار الطیور،و أفنتها علی کثرتها و کثره تفریخها،أو قلّلت من أعدادها الکبیره اللازمه بدورها لطعام هذه الجوارح و سواها من بنی الإنسان،و للقیام بأدوارها الأخری و وظائفها الکثیره فی هذه الأرض.

۱- ۱) نور الثقلین/ج(۵)ص(۱۸۶).

۲- ۲) المصدر/ص(۱۸۵).

بغاث الطير أكثرها فراخا و أمّ الصقر مقلات نزور

و ذلك للحكمه التى قدّرها اللّه كما رأينا،كى تتعادل عوامل البقاء و عوامل الفناء بين الجوارح و البغاث!).

و يستطرد قائلا:(و الذبابه تبيض ملايين البويضات،و لكنّها لا تعيش إلّا أسبوعين،و لو كانت تعيش بضعه أعوام تبيض فيها بهذه النسبه لغطّى الذباب وجه الأرض بنتاجه،و لغدت حياه كثير من الأجناس و أوّلها الإنسان مستحيله على وجه هذه الأرض،و لكن عجله التوازن التى لا تختل فى يد القدره التى تدبّر هذا الكون أوزنت بين كثره النسل و قصر العمر فكان هذا الذى نراه! و الميكروبات-و هى أكثر الأحياء عددا،و أسرعها تكاثرا،و أشدها فتكا- هى كذلك أضعف الأحياء مقاومه،و أقصرها عمرا،تموت بملايين الملايين من البرد و من الحر،و من الضوء،و من أحماض المعدات،و من أمصال الدم،و من عوامل أخرى كثيره،و لا تتغلّب إلّا على عدد محدود من الحيوان و الإنسان،و لو كانت قويه المقاومه أو طويله العمر لدمّرت الحياه و الأحياء!).

و يستعرض مثلا من واقع الإنسان فيقول:(و الثدى يفرز فى نهايه الحمل و بدء الوضع سائلا أبيض مائلا إلى الاصفرار،و من عجيب صنع اللّه أنّ هذا السائل عباره عن مواد كيميائيه ذائبه تقى الطفل من عدوى الأمراض،و فى اليوم الثانى للميلاد يبدأ اللبن فى التكوين،و من تدبير المدبّر الأعظم أن يزداد مقدار اللبن الذى يفرزه الثدى يوما بعد يوم،حتى يصل الى حوالى لتر و نصف فى اليوم بعد سنه،بينما لا تزيد كميته فى الأيّام الأولى على بضع أوقيات،و لا يقف الاعجاز عند كمّيه اللبن التى تزيد حسب زياده الطفل،بل إنّ تركيب اللبن كذلك تتغير مكوّناته،

و تترکّز مواده،فهو یکاد یکون ماء به القلیل من النشویات و السکریات فی أوّل الأمر،ثم تترکّز مکوّناته فتزید نسبته النشویه و السکریه و الدهنیه فتره بعد أخری، بل یوما بعد یوم،بما یوافق أنسجه و أجهزه الطفل المستمر النمو).

هکذا قدّر اللّه شؤون الحیاه و الخلق،و هکذا تتجلّی حکمته فی کلّ شیء،و نحن یجب أن نهتدی إلی ما غاب عنّا بما نراه و نشاهده،کما نستدل علی وجود التیار الکهربائی بالمصباح و المروحه،ینبغی أن نهتدی إلی الآخره بالحکمه الربّانیه الظاهره فی الدنیا،و حتی فی الدنیا نفسها یجب أن نؤمن بالسنن الحاکمه فیها، و نکیف أنفسنا وفقها،فالذی یصلّی من دون خشوع و إخلاص لا تقبل صلاته، و الذی یتصدّق من دون تقوی تبطل صدقته،و هکذا الذی یعرض عن آیات اللّه و یکذّب برسالاته و یتبع الهوی فإنّه یلقی العذاب فی الدنیا و الآخره،مهما زعم و تمنّی بأنّه لا یعذّب أو أنّه قادر علی الانتصار علی سنن اللّه فی الحیاه.

[۵۱-۵۰]و فوق تلک الأقدار و السنن تبقی للّه المشیئه العلیا و الاراده المطلقه یهیمن بها علی کلّ شیء،و یخرق بها القدر أو ینفذه متی شاء فی أسرع من طرفه العین و لمح البصر،فلا یجوز للإنسان إذن أن یعبد السنن،إنّما یجب علیه عباده ربّها.

وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَهٌ سواء کان هذا الأمر ممّا یختص بشؤون الدنیا أو الآخره،و الأشیاء کلّها تستجیب لأمر اللّه بمجرد نزوله من عنده دون تردّد أو إقناع،فلا یحتاج تعالی إلی تکرار الأمر أبدا،و لعلّ «وٰاحِدَهٌ» إشاره إلی وحده زمنیه،کما نقول نحن لحظه أو جزء من الثانیه،بل فوق الزمن إذا نسب الأمر إلی اللّه،و حیث لا نستوعب نحن المسافه بین أمر اللّه و نفاذه،و لا حتی أضخم الکومبیوترات الحدیثه،فإنّه تعالی قرّب

لنا المعنى مشبّها بقوله:

كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ أى كما لو أغمض بشر عينه ثم فتحها ليلمح شيئا ما،و اللمح هو النظره السريعه الخاطفه،و لعلّ تقدير الزمن إنّما هو من جانب المخلوق،فهو بحاجه الى زمن حتى يتحقّق فيه أمر اللّه،أمّا جانب الخالق فلا يتصوّر زمن مديد أو قصير تعالى ربنا عن أوصاف المخلوقين.

نعم فى مثل هذا الزمن المحدود ينفذ أمر اللّه لو أراد إهلاككم أيّها الكافرون المكذّبون،دون أن يمنعه مانع،و التاريخ شاهد على هذه الحقيقه،و قد قدّم القرآن فى آياته السابقه قوم نوح و عاد و ثمود و لوط مثلا لها،و لا زال يؤكّد ذلك للكافرين فيقول:

وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ نظائركم و أشباهكم،و ربما أراد القرآن بذلك الذين عاصروهم ممّن أهلكوا لا الذين من قبلهم و حسب،و ربّنا قادر على أن يفعل بهم ذلك،و لكنّه برحمته و لطفه يقدّم النذر على العذاب و التذكره على الجزاء،و يدعوهم إلى الايمان،لأنّه خلق البشر ليرحمهم و ليربحوا عليه لا للشقاء و النقمه،لذلك يهتف بهم كتابه الكريم:

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ و قد كرّر ربّنا هذا المقطع بعد قوله: «وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» ،فكما يجب على الإنسان أن يتعظ بالقرآن و يتذكّر بآياته كذلك يجب عليه أن يستنصح التاريخ،و يعتبر بأمثاله و قصصه،فإذا وجد نظائره و قد أهلكوا فلا يمنّى نفسه

بالنجاه.أ ترى لو ذهب شخص إلى الطبيب،و شخّص فيه مرضا مات به آخرون قبله،أ يمنّ نفسه بالحياه؟! [۵۲-۵۳]و حينما أهلك أولئك لم ينته حسابهم و جزاؤهم،بل سجّلت أعمالهم ليلاقوا جزاءهم الأوفى فى الآخره.

وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ أى الكتب وَ كُلَّ إِنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً* اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (۱).

و قد فسّر البعض هذه الآيه بما يخدم مذهبه الجبرى زاعما أنّ كلّ أفعال الإنسان مكتوبه سلفا عليه فى الزبر،و هذا التفسير لا يتناسب و السياق،كما لا يتناسب و ما نعرفه من حريه الإنسان فى حدود قدر اللّه و قضائه.

و يؤكّد القرآن أنّه لا يُغادِرُ صَغِيرَهً وَ لا كَبِيرَهً إِلاّ أَحْصاها .

وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ يجدونه فى سطور ذلك الكتاب.

و هاتان الآيتان تهديانا إلى فكره المسؤوليه،و أن الإنسان هو الذى يرسم مستقبله بنفسه من خلال أفعاله صغيرها و كبيرها،و ما دامت الأعمال لا تذهب إلى الفراغ،بل تكتب له أو عليه عند اللّه،و ما دام مستقبله الأخروى الأبدى مرتكز على حياته هنا،فحرى به إذن أن يتحمّل الأمانه بصدق و قوه.

۱- ۱) الإسراء/(۱۳-۱۴)).

[۵۵-۵۴]و يختم اللّه هذه السوره التى تلاحقت فيها النذر المخوّفه بالترغيب، لكى لا ينتهى التخويف إلى اليأس،بل يبقى الإنسان متوازنا يتحرك باتجاه الحق بين الخوف من العذاب و رجاء الرضى و الاثابه، فيحدّثنا عن عاقبه المتقين فى مقابل عاقبه المكذّبين فيقول:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنّاتٍ وَ نَهَرٍ أى الأنهار،و قال بعض المفسّرين أنّه المكان الواسع،و هو بعيد،و قوله «فِى» يدلّ على دوام النعيم و خلودهم فيه،و ذلك ممّا يميّز نعيم الآخره عن الدنيا المحدوده.

و إلى جانب النعم الماديه هناك النعم المعنويه،و أعظمها و أهمّها رضى اللّه عزّ و جلّ الذى ينالها المتقون.

فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ و يدل المقعد على الدوام و الثبات،فهم لا يزحزحون عن النعيم، «لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَ لا يُنْزِفُونَ» (۱)،كما تدل كلمه «صِدْقٍ» أنّهم استحقّوا الجلوس فى ذلك المقعد بعملهم و إيمانهم بعد توفيق اللّه،فلأنّ عملهم كان صادقا مخلصا استحقوا مقعد الصدق،و لكن عند من؟ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ حيث النظر إلى نور الربّ،و هذا بدوره يكمّل النعيم،بل هو النعمه الكبرى! و ما الجنان و النهر و سائر النعم الأخرى إلّا مظهر لمقعد الصدق،و هذان النوعان من

۱- ۱) الواقعه/(۱۹).

النعم(الجنات و النهر،و حبّ اللّه و جواره)يلبّيان تطلّعات المؤمن الماديه و المعنويه إلى أقصاهما.

و المليک هو مالک الأشياء المهيمن عليها،و لكن قد يوجد من هو أقوى منه،إلّا أنّ ذلک ينتفى بإضافه «مُقْتَدِرٍ» ،و فى هاتين الصفتين ضمان للمؤمنين بأنّ ما يوعدون واقع حاصل،لأنّ الذى يعدهم يملک ما وعدهم،و يقدر على تحقيقه فهو لا يمنعه مانع،كقدرته على إنزال العذاب بالمكذّبين،بلى.إنّ المؤمنين يتطلّعون إلى نعيم الآخره،و لكن طموحهم الأكبر يبقى هو جوار اللّه و رضاه،فهذا

زين العابدين و سيّد الساجدين يناجى ربه :«فقد انقطعت إليک همّتى،و انصرفت نحوک رغبتى،فأنت لا غيرک مرادى،و لک لا لسواک سهرى و سهادى،و لقاؤک قرّه عينى،و وصلک منى نفسى،و إليک شوقى،و فى محبّتک ولهى،و إلى هواک صبابتى،و رضاک بغيتى،و رؤيتک حاجتى،و جوارک طلبى،و قربک غايه سؤلى، و فى مناجاتک روحى و راحتى،و عندک دواء علّتى،و شفاء غلّتى،و برد لوعتى، و كشف كربتى،فكن أنيسى فى وحشتى،و مقيل عثرتى،و غافر زلّتى،و قابل توبتى،و مجيب دعوتى،و وليّ عصمتى،و مغنى فاقتى،و لا تقطعنى عنک،و لا تبعدنى منک،يا نعيمى و جنّتى،و يا دنياى و آخرتى،يا أرحم الراحمين » (۱).

و نقرأ

فى دعاء كميل :«يا وليّ المؤمنين،يا غايه آمال العارفين،يا غياث المستغيثين،يا حبيب قلوب الصادقين ».

۱- ۱) مفاتيح الجنان/مناجاه المريدين.

سوره الرّحمن

اشاره

ص:۲۷۱

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

۱-

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال :

لا- تـدعوا قراءه سوره«الرحمن»و القیـام بهـا،فإنهـا لا- تقرّ فی قلوب المنافقین، و یؤتی بها یوم القیامه فی صوره آدمی،فی أحسـن صوره،و أطیب ریـح،حتی تقف من اللّه موقفا لا یکون أحـد أقرب إلی اللّه منها،فیقول لها:من ذا الـذی کان یقوم بک فی الحیاه الدنیا،و یدمن قراءتک؟فتقول:فلان و فلان فتبیض وجوههم،فیقول لهم:اشفعوا فیمن أحببتم،فیشفعون،حتی لا یبقی لهم غایه،

و لا أحد يشفعون له،فيقول لهم:ادخلوا الجنه،و اسكنوا فيها حيث شئتم.

تفسير نور الثقلين/ج /۵ص ۱۸۷ ۲-

و بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال :من قرأ سوره«الرحمن»فقال عند كل «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» :لا بشىء من آلائك ربّ اكذّب،فإن قرأ ليلا ثم مات مات شهيدا،و إن قرأها نهارا ثم مات مات شهيدا.

المصدر ۳-

و عن الصادق-عليه السلام-أنه قال :من قرأ سوره«الرحمن» ليلا،يقول عند كلّ «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» :لا بشىء من آلائك يا رب أكذب،و كل اللّه به ملكا إن قرأها من أول الليل يحفظه حتى يصبح،و إن قرأها حين يصبح و كلّ اللّه به ملكا يحفظه حتى يمسى.

المصدر ۴-

عن جابر بن عبد اللّه(ر ض)قال :لما قرأ رسول اللّه صلى الله عليه و آله سوره«الرحمن» على الناس سكتوا،فلم يقولوا شيئا،فقال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله):الجنّ كانوا أحسن جوابا منكم،لما قرأت عليهم «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» قالوا:لا و لا بشىء من آلاء ربنا نكذّب.

المصدر

ص:۲۷۴

الإطار العام

لما ذا خلق ربّنا الغنى العزيز هذه الكائنات؟أو ليس لأنّه سبحانه الرحمن؟ آيات رحمته الواسعه تجلّت فى كلّ شىء:فى هذا الكتاب الذى يهدينا إلى نوره و لولاه لما عرفناه.فى هذا الإنسان الذى أحسن خلقه و أكرمه و علّمه البيان ليفضله على كثير ممّن خلق.فى الشمس المضيئه،و القمر المنير.فى النجم المسخّر برحمته، و فى الشجر الساجد لعظمته.فى السماء التى رفع سمكها و جعلها سقفا محفوظا.فى النظام المحسوب الذى قدّره،و فى الميزان الذى وضعه للناس حتى يحكّموا العدل بينهم و لا يطغون...

بلى.سبحات وجهه الكريم تتجلّى فى آياته.أ فلا تتجلّى فى قلوب عباده ليعرفوه و ليسكنوا إلى رحمته فلا يبتغوا عنه بدلا؟ما أعظم خيبه من عاش على شاطئ رحمه اللّه ظامئا لأنّه لم يهتد إليها؟ هكذا تتواصل آيات سوره الرحمن مذكّره بهذا الاسم المبارك الذى لو انعكس

نوره فی أفئدتنا غمرها بالسکینه و الأمل،بالتطلع و التوکّل،بالعطاء و الکرامه.

لماذا الیأس و ربّنا الرحمن؟ لماذا الانغلاق و خالقنا الرحمن؟ أ فلم یجعل الأرض للأنام،فیها فاکهه و النخل ذات الأکمام،فلما ذا التکذیب بآلاء ربّنا و الکفر بنعمه؟(و من التکذیب:تحریم الطیبات علی أنفسنا بعد أن خلقها لنا،و من الکفر:القنوط من روحه،و الانطواء علی أنفسنا یائسین).

خلق اللّه الإنسان هذا العالم الکبیر ابتداء من صلصال کالفخّار(أو لیس بقادر علی أن یبعثه مقاما محمودا لیکون أکرم من خلقه،فلما ذا الیأس و التکذیب؟).

و خلق الجان من مارج من نار فبأیّ آلاء الربّ یکذّب الجن و الإنس؟ و یبصّرنا السیاق بتجلّیات رحمه اللّه فی اختلاف الفصول بحساب دقیق، و بحرکه المیاه عبر نظام قاهر یفصل بین الفرات و الأجاج،و إذا باللؤلؤ و المرجان یستخرجان منهما،و أجری فیهما السفن الکبیره بتقدیر حکیم، فأنّی یکذّبون بآیاته؟ و بعد أن یشیر إلی أنّ الثقه لیست بنظام الخلیقه لأنّها فانیه،بل بخالقها لأنّ وجهه الکریم باق لا یفنی،یعود و یذکّرنا بأنّ خزائن رحمته لا تنفذ،و منها یسأل من فی السموات و الأرض فلنسأله أیضا.لماذا نکذّب و نخسر عطاءه؟ إنّ التکذیب بآیات اللّه و نعمائه لیس فقط خیبه أمل فی الدنیا،بل خساره عظمی فی الآخره،و هکذا تنذرنا الآیات من عاقبه التکذیب یوم الحساب العظیم فأنّی یمکن أن نهرب من حکومته؟هب أنّنا نفذنا من أقطار السموات و الأرض

فهل ننفذ إلاّ بسلطان منه؟أ فلا نحسب حساب شواظ النار و النحاس،فهل نقدر على مقاومتها؟فلما ذا إذا التكذيب بآلاء ربّنا الغنى العزيز؟فيوم تنشق السماء و تتحوّل حمراء كأنّها ورده أنى يمكن التكذيب بآلاء الرحمن؟ يومئذ لا داعى للسؤال عن المجرمين.أو ليسوا معروفين بسيماهم؟فيؤخذ بالنواصى و الأقدام و يلقى بهم فى نار جهنّم التى كذّبوا بها(حينما كذّبوا بالحساب و كذّبوا بآلاء اللّه).

تعالوا نؤمن بربّنا المقتدر الجبّار و نخشاه حتى يرزقنا الجنّه،فلمن خاف مقام ربّه جنتان ذواتا ظلال وارفه،و عيون جاريه،و فواكه متنوّعه،و أسره موضونه عليها الحرير و الإستبرق...هنالك تجد قاصرات الطرف من الحور الطاهرات كأنّهن الياقوت و المرجان،بلى. ذلك جزاء إحسانهم،و أقل منهم بدرجه جنتان ملتفّه الأغصان،تتفجّر فيهما عينان،فيهما من أنواع الثمار،كما فيهما الخيرات الحسان من النساء حور محفوظات فى الخيام لم تصل إليهنّ يد إنس و لا جان..

هنالك يستريح الصالحون على رفرف خضر و عبقرىّ حسان..كلّ هذه النعم التى يبشّر بها القرآن لماذا التكذيب بها بعدم السعى إليها؟ تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ .

ص:٢٧٧

سوره الرّحمن

[سوره الرحمن (۵۵): الآیات ۱ الی ۱۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . اَلرَّحْمٰنُ (۱) عَلَّمَ اَلْقُرْآنَ (۲) خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ (۳) عَلَّمَهُ اَلْبَيٰانَ (۴) اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ (۵) وَ اَلنَّجْمُ وَ اَلشَّجَرُ يَسْجُدٰانِ (۶) وَ اَلسَّمٰاءَ رَفَعَهٰا وَ وَضَعَ اَلْمِيزٰانَ (۷) أَلاّٰ تَطْغَوْا فِي اَلْمِيزٰانِ (۸) وَ أَقِيمُوا اَلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ تُخْسِرُوا اَلْمِيزٰانَ (۹) وَ اَلْأَرْضَ وَضَعَهٰا لِلْأَنٰامِ (۱۰) فِيهٰا فٰاكِهَةٌ وَ اَلنَّخْلُ ذٰاتُ اَلْأَكْمٰامِ (۱۱) وَ اَلْحَبُّ ذُو اَلْعَصْفِ وَ اَلرَّيْحٰانُ (۱۲) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۱۳) خَلَقَ اَلْإِنْسٰانَ مِنْ صَلْصٰالٍ كَالْفَخّٰارِ (۱۴) وَ خَلَقَ اَلْجَانَّ مِنْ مٰارِجٍ مِنْ نٰارٍ (۱۵) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۱۶) رَبُّ اَلْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ اَلْمَغْرِبَيْنِ (۱۷) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۱۸)

اللغه

۵[بحسبان]:یجریان بحساب معلوم مقدّر،بلا زیاده و لا نقصان.

۶[و النجم]:هو نبت الأرض الذی لیس له ساق،و قیل:

أراد بالنجم نجم السماء،فهو ینجم أی یظهر من الأفق.

۱۰[للأنام]:للنّاس.

١١[الأكمام]:الأوعيه و الغلف،و ثمر النخل يكون فى غلف ما لم ينشق.

١۴[صلصال]:هو الطين اليابس،الذى له صلصله أى صوت.

[كالفخار]:الفخّار هو الطين الذى طبخ بالنار حتى صار خزفا.

١۵[مارج]:اللهب الذى يتداخل بعضه فى بعض.

ص:٢٨٠

اَلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ

هدى من الآيات:

إنّ أهمّ حكمه وراء خلق الإنسان و الكائنات أن يتعرف الرب لخلقه فى كل شىء حتى لا يجهلوه فى شىء فيعبدونه حق عبادته،و لا ينظرون إلى شىء إلا و يرونه قبله و معه و بعده.لقد كان سبحانه و تعالى كنزا مخفيا فأراد أن يعرف فخلق الخلق (۱)،لا لحاجه منه إليهم،بل لحاجه منهم إليه،و لا ليربح عليهم،بل ليربحوا عليه.

و هكذا فان السمه البارزه فى الخليقه هى رحمه اللّه،و إن طبيعه الخلق الأولى للإنسان قبل أن تدنّس من المخلوقين أنفسهم لهى طبيعه إيجابيه حميده،و إنّ فطرته ليست نابيه و لا معاديه.إنّه يتفكّر فى نفسه فيراها غارقه فى محيط من النعم و الآلاء، خلقه رحمه،و تعليمه و بيانه نعمه أيضا،ثم يجول بفكره فى العالم من حوله فيرى

۱- ۱) محتوى حديث قدسى معروف.

الشمس و القمر،و النجوم و الشجر،و السماء،و الميزان،و هكذا الأرض و ما تحتويه كلّها نعم،و كلّها خلقت و لا زالت تؤدى دورها ضمن نظام محكم فى صالحه..

لذلك تجد سلوكه تجاه الخلق سلوكا وديعا نابعا من حبّه له،فهو يأبى أن يسلب نمله جلب شعيره،و إذا مشى على الأرض وطأها برفق و هون.

بينات من الآيات:

[١][اَلرَّحْمـٰنُ] هكذا تأتى هذه الكلمه وحدها آيه قرآنيه،و لعلّها أقصر آيه بعد الحروف المقطّعه،و لكنّها من حيث المعنى تشكّل محورا فى السوره بتمامها،يتصل بآيه آيه فيها،و يعكس ظلّه على كلماتها،و حينما تنطلق من هذه السوره المباركه إلى العالم الواسع تجد هذا الاسم الالهى منبسطا على كلّ مفرده فيه،لأنّه تعالى كتب الحياه بلغه الرحمه و اللطف،و لك أن تتصور كم ينبغى أن يكون الإنسان ضالا- و مجرّدا عن أى إحساس حتى يكون جاهلا- بربّه و برحمته،بل جاحدا بآلائه،حتى يتساءل بصلافه: «وَ مَا الرَّحْمـٰنُ» ؟! (١)إنّه لا شك أقلّ قدرا و وعيا من البهيمه،لأنّها تعى رحمه ربّها،و تؤمن به بقدر شعورها،بينما الإنسان و قد أعطاه اللّه العقل و لكنّه لا ينتفع به!و صدق عزّ و جلّ حين قال عنهم: «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» (٢).

[٢]إذا تعال معا نستمع الوحى و هو يعرّفنا جانبا من رحمه اللّه،و يهدينا إلى تجلّيات اسم الرحمن فى الخلق و فى أنفسنا قبل ذلك.

عَلَّمَ الْقُرْآنَ

١- ١) الفرقان ٦٠/

٢- ٢) الفرقان ٤٤/

إنّ للرحمه الالهيه درجات،و لكنّ أعظمها بالنسبه للإنسان الهدى المتمثّل فى القرآن،فالخلق بحدّ ذاته رحمه و هى تسبق تعليم القرآن،إلّا أنّ ذكره يأتى متأخرا، ذلك أن الهدى هو الهدف من الخلق،و لو لم يهد اللّه عباده إليه تكون الحكمه من وجودهم و إيجادهم قد انعدمت.أو لم يقل ربنا سبحانه: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ» ؟.

و القرآن يهدى البشر إلى معرفه ربّه،و لأنّه لا يمكنه ذلك إذا كانت بينه و بين اللّه حجب الغفله و الجهل و الذنوب،فانّ القرآن يزكّيه حتى يتجاوز تلك الحجب، و حتى شرائع الدين تهدف فى النهايه تمهيد السبيل إلى معرفه الرب.كيف؟لأنّه لا يقدر الإنسان على معرفه الرب ما دام يعيش فى مجتمع فاسد منحرف عن سنن الحق لا- ينى يعتصره حتى يكون متوافقا معه،فكيف يتخلّص من ضغوطه،و يتحدّى فساده؟هذا ما تضمنه تعاليم الدين،و كيف يبنى مجتمعا فاضلا بديلا عنه؟هذا ما تفصّله أحكامه القيّمه،و بالتالى كيف يتجنّب عوامل الخطيئه حتى يعرف اللّه؟ هذا ما يتكفّل به القرآن بهداه و بيّناته،ببصائره و مفصّلاته،بأحكامه و شرائعه.إنّه يحقّق بكلّ ذلك الحكمه من خلق الإنسان ألاّ و هى معرفه اللّه،التى هى بدورها تجلّ لرحمانيّته تعالى.أ ليست معرفته عين الكمال،و محض النعمه،و وسيله الزلفى، و سبب تسخير الخليقه؟ و السؤال:كيف علّم اللّه القرآن للإنسان؟ أولا:بأن علّمه رسوله صلى الله عليه و آله و هو علّمه للبشريه تبليغا و بيانا.

ثانيا:بأنّ القرآن تعبير صريح عن الحقائق التى أودعها اللّه فى فطره كلّ بشر، ممّا يجعل إيداعها بمثابه تعليم القرآن نفسه،ممّا يجعل دوره بالنسبه للحقائق دور المذكّر بما ينطوى عليه وجدان الإنسان.

و يبدو أنّ حذف:مفعول التعليم الثانى فلم يفصح عمن علّم القرآن كان لحكمه بالغه هى:إن جعل القرآن علما بحيث ينتفع به كلّ من شاء هو المناسب لرحمانيه اللّه،كما قال ربنا سبحانه: «وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» .

[۴-۳]و حينما نوجّه نظرنا صوب الإنسان نفسه نراه بكلّه مظهرا لرحمه اللّه.

إنّه لم يكن شيئا،فأوجده اللّه من غير استحقاق منه،و من دون أىّ جبر أو اضطرار،إلّا رحمه منه عزّ و جلّ.

خَلَقَ الْإِنْسانَ و كفى بخلق الإنسان دليلا على رحمته.ألا تراه عالما كبيرا بذاته،تماوجت فى كيانه بلايين النعم التى لو فقد واحده منها انتقصت الرحمه؟ بيد أن أعظم ما فى الإنسان قلبه(مخّه و عقله)،ذلك أنّ اللّه خلق الإنسان فى أحسن تقويم،و فضّله على كثير من خلقه،ثم أكمل خلقه بالعقل،و أكمل العقل بالقرآن،و أكمل كلّ ذلك بنعمه البيان،الذى يقوم بدور تواصل المعلومات و تناقل الخبرات من إنسان لآخر،و من أمه لأخرى،و من جيل إلى جيل،و لو لا هذه الميزه لما كانت حضاره،و كان البشر و سائر الأحياء سواء،فحياه الهرّه قبل مليون سنه هى حياتها الآن،لأنّ كلّ فرد من هذا الجنس يعيش فى حدود غرائزه أو تجاربه الذاتيه،بينما تنمو حضاره البشر بتواصل التجارب و المعلومات و تراكمها،و هذا كلّه مرتكز على البيان،و ما كان قادرا عليه لو لا فضل اللّه و رحمته إذ تلطّف عليه به.

عَلَّمَهُ الْبَيانَ و هذه النعمه هى الأخرى مظهر لاسم الرحمن،و آيه هاديه إليه،و ما يجب على الإنسان هو الاعتراف بهذه الآلاء،و أداء شكرها،و لكنّك تراه بدل ذلك يمارس

الخطيئه بتلك النعم،فاذا به يسخّر البيان من أجل الباطل.

[۶-۵]و من الحديث عن آثار رحمه اللّه فى كيان الإنسان تنقلنا الآيات إلى آفاق العالم لعلّنا نرى فيها تجلّيات اسم الرحمن،هكذا يوصل القرآن الحديث عن الإنسان و الكون لكى يخرجنا من قوقعه الذات الى الآفاق الواسعه،لكى يؤكد لنا بأن الكائنات جميعا خاضعه للّه،حيث يؤدى كلّ شىء دوره و هدفه من الخلق بالتزامه بالنظام الذى رسمه اللّه له.أنظر الى الشمس تجدها تتحرّك بدقه متناهيه جدا،و بتناسق رائع مع حركه القمر، لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (۱). إذن فأى خروج من قبل الإنسان عن حدود اللّه هو شذوذ و شقاق و ضلال و تيه.

اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ لقد خلق اللّه الخلق متناسقا يكمل بعضه بعضا،فلو لا الإنسان ما خلق اللّه الشمس و القمر و النجوم،و الشجر،و السماء و الأرض و ما فيهما،و لو لا هذه الأشياء ما كان للإنسان أن يجد سبيلا للحياه..و الشمس و القمر لهما آثار مباشره فى حياه الإنسان،بل فى الحياه على كوكبنا كلّه،فالشمس توفّر لنا الضوء،و لها صله ماسّه بالنباتات على الأرض،و هكذا يؤثر القمر فى بحار الأرض و محيطاتها،و فوائد أخرى لهما لا يزال العلم الحديث يحث الخطى لاكتشافها،و لكن تبقى أعظم فائده لهما و لكلّ شىء أنّهما آيتان تهديانا إلى اللّه،و نلمس هذا الهدى بصوره أجلى و أفضل بالاطلاع على دقّه النظام الذى يتحكّم فيهما.

فلو أنّ الشمس اقتربت إلى الأرض أو ابتعدت عنها أكثر،أو تبدّل نظامها فى الغروب و الشروق،أو تصاعدت حرارتها أو انخفضت،لأصبحت الحياه صعبه أو

۱- ۱) يس ۴۰/

مستحيله..و كذلك القمر فاذا رأيناه يحمل ملايين الأطنان من مياه البحر فانّه لا شك يؤثّر فى مخّ الإنسان الذى يشكّل الماء حوالى ٧٠٪منه.

وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ قال بعض المفسرين:إنّ النجم هو النباتات الصغيره، و الشجر هى النباتات الكبيره ذات الساق،و ذلك ليوجدوا ارتباطا بين الإثنين،و الذى يبدو من ظاهر الآيه أنّها لا تحتاج إلى هكذا تأويل،فالنجم هو الذى فى السماء،و الشجر هو الشجر الذى نعرفه،و ربما الهدف من ذكرهما معا بيان العلاقه بين أبعد الأشياء عنّا و أقربها إلينا فى الطبيعه،فهى و إن كانت فى نظرنا جوامد إلّا أنّها تملك قدرا من الوعى و الإحساس يدعوها لعباده ربّها «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» (١).

و حيث يدل السجود على غايه الخضوع و العبوديه،فإنّ سجود النجوم و الشجر يتجلّى فى خضوعها لسنن اللّه المرتبطه بها،فإنّك لا تجد نجمه تنحرف عن مسارها، و لا شجره تنبت غير ثمرها.

و لا ريب أنّهما مظهر لرحمه اللّه بالإنسان،فللنجوم علاقه وثيقه بتنظيم هيكليه الجاذبيه فى هذا الفضاء الرحب،ثمّ أنّها تؤثّر بأشعتها على الأرض و على الكائنات فيها،حتى قيل بأنّ كلّ مادّه فى جسم الإنسان تستمد قدرا من وجودها و كيانها -بلطف اللّه-من الأشعه المبثوثه فى الفضاء،و العلاقه بين النجوم و الشجر ليست علاقه علميه و حسب،بل انّ الزرّاع و الفلّاحين يستدلّون بها على ميعاد زراعه الأنواع المختلفه من النبات،و أوقات اللقاح و التشذيب و ما إلى ذلك.إذن فلا ينبغى أن

١- ١) الإسراء۴۴/

نتصوّر بأنّ تلك النجوم التى تفصلنا عنها ملايين السنين الضوئيه لا علاقه لها بنا، كلّا..و هذا يفسّر

الحديث القدسى :«خلقت الأشياء لأجلك و خلقتك لأجلى » الذى يشير إلى العلاقه بين كلّ شىء و بين الإنسان،و قد قدّم ربّنا الإشاره إلى خلق الإنسان على الحديث عن الكون لأنّه الهدف.

[۹-۷]ثم أنّ السوره المباركه تذكّرنا بتجلّ آخر لاسم الرحمن فى نعمه السلام و الأمن،سواء كان أمن وجود الإنسان أو أمن حقوقه،فالسماء رفعت كى تحافظ بطبقاتها على وجوده،فهى تمنع عنّا النيازك و الشهب الساقطه،كما يمتص الغلاف الجوى الأشعه الضارّه أنّ تصل إلينا،و يخفّف من الأشعه الأخرى التى من شأنها لو وصلت إلينا بصوره مركّزه الإضرار بنا أيضا،و هكذا..و كما ضمن اللّه حياتنا بالسماء ضمن برحمته الحقوق للإنسان عند ما وضع الميزان.

وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ الحياه كلّها من النبته الصغيره حتى الشجره الكبيره،و من الذره المتناهيه فى الصغر حتى المجرّه المتناهيه فى السعه و الضخامه،و فيما بينها الإنسان و الشمس و القمر،كلّ ذلك يتجلّى فيه التدبير اللطيف و النظام الدقيق،حتى قالوا أنّ الحياه كتبت بلغه رياضيه،و لذلك فإنّها تنعكس فى ضمير الإنسان و فى رسالات اللّه بصوره موازين و قيم.أليس الفكر مرآه صافيه؟أو لا تعكس هذه المرآه ذلك النظم الدقيق،و التدبير الحسن؟بلى.و كذلك الوحى يذكّرنا بالعقل،و يفصح عن تلك الموازين الحق التى انبثّت فى الخليقه.

فالإنسان يعرف الخير من الشر،و الحسن من القبيح،بل و يزن أيضا أىّ الشرّين أهون و أىّ الحسنيين أفضل،كما أنّه يتمتع بحسّ جمالى.ألا تراه كيف يميّز بين لوحه و أخرى، و وجه و آخر،كما أنّه بحواسه يفرّق بين الأحجام،و الألوان،

و المسافات،و الأصوات.هل فكّرت كيف يميّز الإنسان بأذنه بين الأصوات المختلفه،يقيس-مثلا-صوتين متقاربين لأخوين،بل صوت الإنسان الواحد فى حالتين أو مرحلتين،حينما يستيقظ من نومه،و حينما يكون مريضا..و لو أنّك قارنت بين أكثر المسجّلات تطوّرا و بين الأذن،أو بين المصوّرات المتقدمه و بين العين،لوجدت حواس الإنسان تتميّز بدقه الموازين،و هذه الموازين عكسها الإنسان فى صور محسوسه،فصنع للثقل ما يسمّى بالميزان،و للمسافات المتر و الذراع و ما إلى ذلك،و للزمن الساعه،و للحراره و الرطوبه مقياسا آخر،كما وضع قوانين و أنظمه تجسّد موازين العدل و الأخلاق و القيم و الأعراف.إذن ربّنا هو الذى خلق الموازين فى الطبيعه،إذ خلق كلّ شىء بحسبان و قدر،ضمن زمن،و حجم،و لون،و شدّه، و ضعف،و عدد من الموازين الأخرى،و عكس ذلك فى ضمير الإنسان و حواسه و عقله.

و هناك علاقه بين رفع السماء و وضع الميزان فى الآيه الكريمه،فالسماء رفعت بالميزان و من أجل الميزان(القوانين و الأنظمه الطبيعيه الخاصه بها)،و لولاها لكانت تقع على الأرض،و هكذا كلّ شىء فى الحياه،فحياه الإنسان تستحيل عذابا لو لم يلتزم بالميزان،لذلك يؤكّد ربّنا مباشره بعد هذه الآيه و بآيه أخرى على ضروره احترامه و إقامته.

إنّ اللّه وضع الميزان فى الطبيعه،و لكنّ رحمته لا تتجلّى فيها فقط بل على يد الإنسان أيضا،فهو بحكم حريته قد ينغّض صفو الأمن على نفسه و يفسد السلام، كما أنّه يستطيع أن يساهم فى جلب السلام و السعاده إليها لتتجلّى رحمانيه اللّه على يديه،و ذلك إذا لم يطغ فى الميزان و أقامه بحق،فلم يسرف فى الأكل و الشرب، و لم يبذّر فى الصرف،و لم يستهلك أكثر ممّا ينتج،و لم ينم أكثر من حاجته،بل أقام الوزن فى جوانب حياته الشخصيه و الاجتماعيه.

أَلاّ تَطْغَوْا فِی الْمِیزانِ و الطغیان هو إخسار المیزان بصوره فظیعه ظاهره،و ربّنا ینهانا عن ذلک، و یلحق بالنهی دعوه إلی إقامه الوزن باحترامه و الالتزام الدقیق به،و بأفضل صور العدل و هو القسط.

وَ أَقِیمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ و هو أقرب الی التقوی حتی من العدل،ذلک أنّ القسط لیس مجرّد العدل،بل العدل بإضافه الاحتیاط الذی یضمن حصوله بالفعل،فمثلا إذا کنت صاحب محل تزن للناس تعادل ما تبیع بالوزن المطلوب ثم تضیف إلیه شیئا،و إذا کنت تشتری تنقص ما تشتریه عن الوزن المتفق بینک و بین البائع،و ذلک للتأکّد من فراغ الذّمّه فی الحالتین.هذا هو القسط،و کم تکون البشریه سعیده لو عملت بهذه القاعده.

و الإقامه هی الالتزام بالشیء و أداؤه علی أحسن وجه،و إقامه الوزن تکون فی أفضل صورها عند العمل بالقسط.

و ربّنا لا ینهی عن إخسار المیزان بصوره ظاهره و فظیعه،بل و ینهی حتی عن مخالفته بصوره بسیطه،أو خفیه باستغلال غفله الناس و ثقتهم،أو بالاحتیال علی القانون،فیقول:

وَ لا تُخْسِرُوا الْمِیزانَ و العمل بالقسط یضمن من جانب تحقّق العداله،و من جانب آخر یجنّب الإنسان مخالفه الحق و النظام،و السؤال:کیف یخسر الإنسان المیزان؟ من المفاهیم الحضاریه بل من الإنجازات الهامه فی عالمنا الیوم وحده الموازین

(الكيلوغرام،الكيلومتر مثلا،و كذلك المقاييس و الأوزان الأخرى)و هذه يتفق عليها الناس،و يعتمدونها فى معاملاتهم،و لعل هذا من أبرز معانى إقامه الميزان و احترامه و عدم التلاعب به،بأن يعتبر البعض الكيلوغراما ۹۰۰،و البعض الآخر ۱۰۰ غراما،فذلك يفقد البشريه إنجازا حضاريّا،و يفسح المجال للمزيد من الظلم و التلاعب بالحقوق،بل إنّ إقامه الوزن(الهدف)لا يتحقّق إلا بالميزان،و إخساره تضييع لهذا الهدف.

و كلمه «الْمِيزانَ» واسعه تشتمل على كثير من المضامين،فالعقل ميزان، و القرآن ميزان،و العهد ميزان،و ما تتفق عليه التنظيمات فى اجتماعها إلى بعضها ميزان،و لا يصح لأحد أن يخرج عليه مهما كان مخالفا لمصالحه الشخصيه،و لكنّ أظهر معانى الميزان هو القياده الرساليه،بأقوالها و أفعالها و آرائها باعتبار قربها من القيم فهما و تطبيقا،

قال الإمام الرضا عليه السلام :«و الميزان أمير المؤمنين (صلوات اللّه عليه)نصبه لخلقه،قال الراوى:قلت: أَلاّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ ؟قال:

لا تعصوا الإمام،قلت: وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ؟قال:و أقيموا الإمام بالعدل، قلت: وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ ؟قال:لا تبخسوا الإمام حقّه و لا تظلموه » (۱)و القرآن يضرب لنا مثلا لإخسار الميزان فى الحقل الاجتماعى و الاقتصادى فيقول متوعّدا:

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (۲)و التطفيف كما يظهر من الآيه يناقض بالضبط إقامه الوزن بالقسط.

[۱۰]و الأرض هى الأخرى تجلّ لرحمه اللّه الشامله،حيث خلقها و وفّر فيها عوامل الحياه التى من شأنها أن تجعل عيش الإنسان عليها ممكنا بل طيّبا، كالجاذبيه و الأكسجين و الماء و مختلف أنواع الأكل،و كذلك وفّر فيها الضوء و الحراره

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵-ص ۱۸۸

۲- ۲) المطففين ۱/-۳

بقدر حاجه البشر.

وَ الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنامِ و القرآن يشير إلى معنى الوضع هنا فى آيه أخرى إذ يقول: اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱)و لو لا رحمه اللّه و تمهيده الأرض لنا لاستحال عيشنا على هذا الكوكب كما هو مستحيل على الأجرام الأخرى كالشمس و الزهره و غيرهما،و فى الآيه فكرتان حضاريه و شرعيه نستفيدهما من كلمه «وَضَعَهَا» :

الأولى:أنّ اللّه سخّر الأرض عمليّا للإنسان،و أعطاه الوسائل و القدرات العلميه و الماديه يسمّيها القرآن«سبلا»للانتفاع بها و الهيمنه عليها من قمم الجبال الشاهقه إلى قعر المحيطات،فعليه أن يسعى لتسخيرها فى مصلحته،و أى بقعه لم يسخّرها الإنسان من الأرض أو أىّ فرصه أو طاقه فإنّما ظلم نفسه،و ألحق بها خساره و غراما،و التبصّر بهذه الحقيقه يزيل عن البشر الانطواء و التردّد و الخشيه من التقدّم،و هكذا تحرّض هذه الحقيقه الإنسان نحو المزيد من التقدم،و تفتح له آفاقا واسعه.

الثانيه:ثم انّ الآيه تهدينا شرعا إلى أنّ الإباحه هى الأصل فى النعم حتى يدل الدليل على الحرمه،كما قال اللّه عزّ و جلّ: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياهِ الدُّنْيا خالِصَهً يَوْمَ الْقِيامَهِ (۲).

و لعل النصوص الشرعيه لا تدلّ فقط على إباحه كلّ شىء للإنسان(إلّا ما أقيمت الحجه على حرمته)،بل و أيضا على ضروره الانتفاع بما فى الأرض،ممّا

۱- ۱) الزخرف ۱۰/

۲- ۲) الأعراف ۳۲/

يدلّ على أنّ تحريم الطيبات و الجمود و الانغلاق نوع من السفه بل من الظلم للنفس.

قال تعالى: هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها (۱)و

قال الإمام على عليه السلام :اتقوا الله فى عباده و بلاده،فإنكم مسئولون حتى عن البقاع و البهائم (۲)

و فى احتجاجه على عاصم بن زياد حين لبس العباء،و ترك الملاء (أى تصوّف فتخلّى عن الدنيا و اعتزل الناس)و شكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قد غمّ أهله،و أحزن ولده بذلك،فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«علىّ بعاصم بن زياد»،فجىء به فلمّا رآه عبس فى وجهه فقال له:«أما استحيت من أهلك؟أما رحمت ولدك؟»ثم دعاه إلى عماره الأرض و الانتفاع بالطيبات فيها قائلا:أ ترى اللّه أحلّ لك الطيبات و هو يكره أخذك منها؟! أنت أهون على اللّه من ذلك.أو ليس اللّه يقول: «وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ فِيها فاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمامِ» ؟!إلى أن قال:فباللّه لابتذال نعم اللّه بالفعال أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال،و قد قال عزّ و جلّ: «وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» فقال عاصم:يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت فى مطعمك على الجشوبه،و فى ملبسك على الخشونه؟!فقال:«ويحك!إنّ اللّه عزّ و جلّ فرض على أئمه العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفه النّاس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره » (۳).

إذن ليست النعم و الإمكانات فى الأرض مباحه للإنسان فقط،بل ينبغى له أن يسعى لتسخيرها و الانتفاع بها أيضا.

[۱۲-۱۱]ثمّ إنّ القرآن يذكّرنا ببعض النعم التى مهّد اللّه بها العيش على الأرض،و التى هى مظهر لاسم الرحمن أيضا،و يبدأها بالفاكهه و هى ذات فائده

۱- ۱) هود۶۱/

۲- ۲) نهج/خ ۱۶۷

۳- ۳) نور الثقلين/ج ۵-ص ۱۸۹ و تتمته ص ۱۹۱

و نفع للجسم بما تحتويه من فيتامينات و مواد أخرى.

فِيهٰا فٰاكِهَةٌ و يبدو أنّ تقديم ذكرها على النخل النعمه الوسط،و على الحبّ المأكول الرئيسى للإنسان،لأنّها كمال نعمه الخلق و كمال نعم المائده،و هذا يتناسب مع سياق هذه السوره التى جاءت لبيان تجلّيات رحمه اللّه أن تشير إلى النعمه ابتداء من أكمل النعم،و لا شك أنّ رحمه اللّه أكثر تجلّيا فى المائده ذات الفاكهه من الأخرى التى لا فاكهه فيها.

وَ النَّخْلُ ذٰاتُ الْأَكْمٰامِ و هى كذلك مظهر لرحمه اللّه،و لعلّنا نقترب أكثر إلى مهمّ هذه الحقيقه إذا رجعنا إلى الوراء فى التاريخ بذاكرتنا،و تعرّفنا على أهميه النخل و دورها بالنسبه للإنسان آنذاك،إنّه يستفيد منها حتى النخاع،من النواه التى يقدّمها مع العلف للحيوان، إلى جذعها و خوصها و كلّ شىء فيها،فبكر بها يوقد النار للطبخ و التدفئه،و بسعفها و جذوعها يبنى بيته،و من ثمرها يأكل طيله السنه.

و لكنّ القرآن يلفت انتباهنا إلى أكمام النخل،لأنّ ما تحتويه من الثمر هو أهمّ النعم بالنسبه للإنسان.إنّه يستطيع العيش من دون بيت السعف،و من دون التدفئه بالنار أيضا،و لكنه لا يعيش من دون الأكل،و الأكمام هى التى تحفظ الثمر من الآفات و السموم،بل و تقوم بدور أساسى جدّا فى تكوينه،لأنّها تشبه الرحم الذى يتكوّن فيه الجنين،و القرآن فى آيه منه يوجّهنا إلى هذا الدور عند ما يلحق ذكر الأكمام التى تحمل بالثمر ثم تلده بانشقاقها بذكر المرأه حينما تحمل و تلد،قال تعالى: «وَ مٰا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرٰاتٍ مِنْ أَكْمٰامِهٰا وَ مٰا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثىٰ وَ لاٰ تَضَعُ

إِلاّ بِعِلْمِهِ» (۱)،و لولاها لانعدم الثمر،و انقرض النخل بمرور الزمن حين تتوقّف دورته الحياتيه.إذا فهى أظهر لرحمه اللّه من كلّ شىء فى النخل.

و كما النخل كذلك مختلف الحبوب كالحنطه و الأرز و الشعير حيث يتجلّى فيها اسم الرحمن،فهى ذاتها ينتفع بها الإنسان غذاء يحتوى على ما يحتاجه،كما يستفيد من حطامها كالأعواد و القشره و الورق بعد الحصاد و قبله فى أغراض عديده كالبناء،كما يقدّمها علفا للحيوان،و هو عصف الحب.

وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ قال الراغب:(العصف و العصيفه الذى يعصف من الزرع،و يقال لحطام النبت المتكسّر عصف،قال: «وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ، كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ،ريح عاصف»). (۲)

وَ الرَّيْحانُ الرائحه الطيبه الزكيه،و سمّى به نوع من الورد،و يقال لكلّ نبات طيّب الرائحه (۳)،فتلك نعمه تلبّى الحاجات الماديه للإنسان،و هذه تلبّى حاجه معنويه بشمّها،و إضافه طيبها إلى الأكل و الشراب ليضفى عليهما نكهه خاصه.

[۱۳]هكذا تحيط نعم اللّه و آياته بنا،و أخرى كثيره يتعرّض السياق لذكرها فيما بعد،و لكنّه قبل ذلك يستوقفنا بآيه محوريه فى السوره ليطرح علينا من خلالها أهمّ سؤال يجب طرحه على أنفسنا و نحن نرى آلاء اللّه.

۱- ۱) فصّلت۴۷/

۲- ۲) مفردات الراغب الاصفهانى/ماده:(عصف).

۳- ۳) المنجد.

فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ إنّها من الکثره و الوضوح بما لا یجد أحد سبیلا لإنکارها،لنقف ساعه تفکّر.

کم هی نعم اللّه علینا؟کلّ ذرّه فی کیاننا و فی المحیط من حولنا هی نعمه من اللّه، و کلّ لحظه نمارس فیها الحیاه هی الأخری نعمه.و لو أنّنا صیّرنا أغصان الشجر أقلاما و الورق کتبا،و البحار مدادا،فإنّنا لا نزال عاجزین عن إحصائها،و ربّنا إذ یکرّر هذه الآیه الکریمه بعد کلّ مقطع یشتمل علی ذکر لشیء من آلائه،فإنّما لیؤکّد لنا بأنّ ما ذکر هو شیء بسیط من النعم الکثیره،کما فی قوله عزّ و جلّ: اَللّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْفُلْکَ لِتَجْرِیَ فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْأَنْهارَ* وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَیْنِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ* وَ آتاکُمْ مِنْ کُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ کَفّارٌ (۱).

بلی.إنّ نعم اللّه جاءت لکی تلبّی حاجات الإنسان المادیه و المعنویه،و لکنّ هدفها الأعظم أن یهتدی بها إلی المزید من المعرفه بربّه،و ربّنا فی سوره النحل یقول و قد تعرّض لذکر جانب من نعمه فی(۱۵)آیه: وَ أَلْقیٰ فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ وَ أَنْهاراً وَ سُبُلاً لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ* وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ* أَ فَمَنْ یَخْلُقُ کَمَنْ لا یَخْلُقُ أَ فَلا تَذَکَّرُونَ* وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَهَ اللّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ .

إذا فالأهمّ من الاهتداء بالسبل فی الأرض و بالنجوم إلی معرفه الطرق و الوصول إلی الأهداف المحدوده،و الأهمّ من معرفه عدد النعم،أن یهتدی الإنسان بذلک کلّه إلی ربّه عزّ و جلّ.و کم یکون البشر ظلوما و جهولا إذا أشرک بربّه أو کفر به و هو

۱- ۱) إبراهیم۳۲/-۳۴

فی هذه البحبوحه من النعم؟!!و لک أن تدرک مدی ضلال أولئک الذین أنکروا علی اللّه أظهر أسمائه إذ «قالُوا وَ مَا الرَّحْمٰنُ» ؟!!و أنا و أنت قد لا نقول ذلک،و لا نکذّب بآلاء اللّه بألسنتنا،و لکنّنا کثیرا ما نکذّب بها بأعمالنا و سلوکنا،و بغفلتنا عن الشکر.

الخلیقه کلّها تجلّیات لرحمه اللّه،فهی وجهه «وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَیْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ وٰاسِعٌ عَلِیمٌ» (۱)،و لکنّ الإنسان حینما یضل لیس فقط لا یهتدی بالآثار إلی معرفه رحمه ربّه و شکره،بل و یتخذ النعم مطیّه للمزید من التکذیب،فإذا أصبح غنیّا و وجب علیه الشکر تراه یبطر معیشته،و یزداد ترفا و فسادا فی الأرض،أو حین یمنّ علیه بالملک تراه یستعلی علی الناس و یطغی و یستبد،و لعلّنا نجد إشاره إلی ذلک عند قوله «فَبِأَیِّ آلاٰءِ» إذا اعتبرنا الباء سببیه.

إنّ الحیاه و هی وجه اللّه بکلّ مفرداتها السلبیه و الإیجابیه تدعونا إلی الإیمان باللّه،و التصدیق بآیاته،و التسلیم بالطاعه لأوامره،فما هو تبریرنا و نحن نکذّب بآلائه؟!لماذا ندخل فی سجن ذواتنا أکثر فأکثر عند کلّ نعمه،بدل أن ننطلق منها إلی آفاق الإیمان بربّنا و ربّها عزّ و جل؟!إنّنا عوض ذلک یجب أن نقول کلّما تذکّرنا النعمه،و کلّما انتفعنا بها،بل و کلّما قرأنا آیه تذکّرنا بآلاء ربّنا،و من بینها و أهمّها الآیه الکریمه «فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ» ،یجب أن نقول:

لا بشیء من آلائک ربّنا نکذّب ،و ذلک زیاده فی الهدی و الشکر و الفضل من اللّه،و لا ریب أن هدف الإمام الصادق علیه السلام من هذه العباره لیس مجرّد الکلام،فالأهمّ من تصدیق اللسان بالنعمه هو تصدیق القلب و الجوارح،فالذی یصدّق بآلاء اللّه هو الذی یؤدّی واجب الشکر له عزّ و جلّ،

«و لا یعرف النعمه إلّا الشاکر،و لا یشکر النعمه إلّا

۱- ۱) النحل۱۶/-۱۸

العارف» كما قال الإمام العسكرى عليه السلام .

و الشاكر كما يقول الإمام الهادى عليه السلام :

«أسعد بالشكر منه بالنعمه التى أوجبت الشكر،لأنّ النعم متاع،و الشكر نعم و عقبى » (۱)،

«و شكر المؤمن يظهر فى عمله،و شكر المنافق لا يتجاوز لسانه » (۲)

و جاء فى الصحيفه السجاديه :الحمد للّه الذى لو حبس عن عباده معرفه حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعه،و أسبغ عليهم من نعمه المتظاهره،لتصرّفوا فى مننه فلم يحمدوه،و توسّعوا فى رزقه فلم يشكروه،و لو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الإنسانيه إلى حدّ البهيميه،فكانوا كما وصف فى محكم كتابه: «إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً» (۳).

و الذى يلاحظ سوره الرحمن يجد آياتها تنصبّ فى منهج محدّد،فمقاطعها ترتكز على اسم الرحمن الذى جاءت السوره لتعرّفنا به من خلال تجلّياته فى جوانب الحياه المختلفه،و من هذا المنطلق يذكّرنا كلّ مقطع فيها ببعض آلاء اللّه ثم يضع أمامنا التساؤل الذى تكرّر(۳۱)مرّه،و هكذا تتوالى المقاطع بنفس الصيغه حتى الأخير.

إذن فالسوره تستهدف تعريفنا بربّنا،كخطوه أولى تنقلنا بها إلى الهدف الأسمى من المعرفه ألاّ و هو العباده بتمام المعنى.أ ترى هذه النعم كلّها جاءت لهدف و دور محدّد هو مصلحه الإنسان،فما هو هدف الإنسان نفسه،و ما هو الدور الذى يقوم به لتحقيق ذلك الهدف؟إنّه معرفه اللّه من خلال آياته و نعمه،و القيام بها كما يريدها عزّ و جلّ خلال عبادته.

[۱۶-۱۴]و هنا يوجّه القرآن أنظارنا و عقولنا إلى تجلّ آخر لرحمه اللّه متمثّلا فى خلقه الإنس و الجن.

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵-ص ۱۸۷.

۲- ۲) بح/ج ۷۸-ص ۳۷۸

۳- ۳) الدعاء الأول.

خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخّارِ قيل أنّ الصلصال هو المنتن من الطين،من قولهم صلّ اللحم (۱)إذا تعفّن و تغيّر،و قال علىّ ابن إبراهيم:هو«الماء المتصلّل بالطين» (۲).إذن خلق اللّه الإنسان من هذه المادّه الوضيعه فى نظرنا ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (۳)،و لكنّه بقدرته صيّره خلقا محكما،فيه الأذن التى تلتقط بمثلثاتها أدقّ الأصوات و تميّز بينها،و الكبد التى تقوم بأكثر من(۷۰۰)عمليه،و المخّ الذى هو أكثر الأشياء إعجازا فى الإنسان،و النخاع الذى هو امتداد لخلايا المخ،و الذى لو حاولنا استبدال سانتيمتر مربّع منه لاحتجنا إلى جهاز كمبيوتر ضخم بحجم الغرفه الكبيره،يستطيع أن يستوعب حسابات الدنيا كلّها! إنّنا لا نستطيع أن نتصوّر العدم المحض حيث خلقنا اللّه و لم نكن شيئا،و لكنّنا قد نستطيع تصوّر المسافه الهائله بين صلصال من طين و بين إنسان سوى لنعرف جانبا من عظمه الخلق.هذا فى الجانب المادى،أمّا إذا تجاوزناه إلى عالم الروح حيث نفخ اللّه فى آدم من روحه فهنالك التجلّى الأعظم،و سبحان اللّه أحسن الخالقين.

وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ أى النار المختلطه فهى إذا قويت التهبت،و دخل بعضها فى بعض،كما يتداخل ماء البحر فى بعضه،و أساس الخلق نعمه ينبغى على الجن شكرها،فكيف و قد منّ اللّه عليه من القوه ما يستطيع بها نقل عرش عظيم كعرش بلقيس من اليمن حتى فلسطين قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من مقامه!و إذا نظر كلّ منهما إلى أصله،

۱- ۱) مفردات الراغب.

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۲-ص ۷

۳- ۳) السجده۸/

و إلى نعم اللّه المسبغه عليه،علم أنّه ما نال من الشرف إلاّ بفضل اللّه تعالى،فكيف يكذّبان بآلائه؟! (۱)فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ و من آلاء اللّه عليهما أن خلقهما من مادّه تتناسب مع تطلّعات و دور كلّ منهما فى الحياه،فخلق الإنسان من صلصال نتن ضعيف،و لكنّه قوّمه و قوّاه بالعقل و العلم،بحيث يستطيع أن يسخّر حتى الجن،و خلق الجن من النار،و جعل تفوّقه فى بعض جوانب القدره و القوّه الماديه،و لكنّ هذا الاختلاف فى الخلقه لا يعنى تمايزا لعنصر على عنصر،لأنّ القيمه للعمل الصالح،سواء صدر من الصلصال أو من مارج النار،و لا يعنى أنّ أحدهما رب و الآخر مربوب حتى يعبده و يشرك به،بل هما مخلوقان و ربّهما واحد و هو اللّه.

[۱۸-۱۷]و جانب آخر من الرحمه الإلهيه يطالعنا كلّ يوم فى حركه الشمس و الأرض.

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ الآيه الكريمه تلفت انتباهنا إلى حركه الأرض حول الشمس و التى تكتمل فى كلّ عام مرّه،و تتسبب فى تغير الفصول الأربعه و خلالها تتبدل يوميا منازل الشمس بالنسبه الى الأرض شروقا و غروبا،فهى تشرق فى أول يوم من أول منزله لتبلغ الأقصى فى اليوم الأخير،و فى المقابل تجد ذات الحركه و بذات النسبه غروبا،

و فى الاحتجاج للطبرسى رحمه اللّه،قال أمير المؤمنين عليه السلام : «و أما قوله تعالى:(الآيه)فان مشرق الشتاء على حده،و مشرق الصيف على حده.أما تعرف ذلك من غروب الشمس و بعدها»؟و يفصل فى بيان حركه الشمس قائلا:«و أما قوله:

۱- ۱) التفسير الكبير للفخر الرازى(بتصرّف).

«بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ» فان لها ثلاثه و ستين برجا تطلع كل يوم من برج،و تغيب فى آخر،فلا تعود اليه إلّا من قابل فى ذلك اليوم » (۱)و لا شك ان الفصول الأربعه نعمه إلهيه تدخل رقما أساسيا فى تكامل الحياه و نموها.و لولاها لكانت تنتفى الكثير من صفات التنوع و التكامل عند الإنسان و فى الطبيعه و الأحياء و من حوله،و قد قال بعض العلماء ان أكثر الحضارات نشأت فى البلاد ذات الفصول القاسيه،فمن أجل مواجهه الحر الشديد دأب الإنسان على اكتشاف وسائل التكيّف فى لباسه و منزله و الوسائل التى يستخدمها،و بذات الروح تحدى قسوه البرد،و لا شك أيضا ان تنوع الفصول يكمل الوجود النفسى و الروحى و الجسمى للإنسان و يخدم مصلحته،و يفسح المجال أكثر فأكثر لتفجير طاقاته و استغلال الطبيعه و تسخيرها.

و تذكرنا الآيه أيضا بحركه الأرض حول نفسها مره واحده فى كل يوم،و ما ينتج من تعاقب الليل و النهار،الذى يكمل هو الآخر مسيره الإنسان و يخدم مصالحه و تطلعاته فى الحياه،فسباته بالليل و نشاطه و سعيه بالنهار،و قوله تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ لا- يحتاج إلى تفصيل و بيان،لأنه و قد تقدم بنا العلم أصبح الكل يعى هذه الحقيقه و هى انقسام الأرض الى شطرين،فاذا كان النصف الأول يستقبل الشمس بالشروق فانها لا ريب تودع الآخرين غروبا،و العكس صحيح،إذا فهناك مشرقان و مغربان يتعاقبان على الكره الأرضيه.

و كلتا الحركتين نعمه تعكس لنا اسم الرحمن،و لكنك ترانا و نحن نعيش بكل ذره فى وجودنا محاطين بآلاء اللّه نكذب بها.أ فلا يحق لربنا إذا أن يكرر معاتبتنا و تذكيرنا؟!! فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۱۹۰

الإنسان حينما يكون عارفا برحمانيه ربه،و انه تعالى سخر الوجود لمصلحته،فانه يعيش متفائلا و نشيطا لأنه سيكون مطمئنا الى سعيه،انطلاقا من إحساسه بأنه خلق ليرحم لا ليعذب،و من جانب آخر انه سوف يتعايش مع الحياه من حوله تعايشا ايجابيا.يعتمد السعى من أجل الاستفاده القصوى مما خلق من أجله.و هذا لا يتحقق إلاّ إذا صدق بأنه فعلا من نعم ربه و آلائه عليه،اما إذا كذب بذلك شل سعيه،و خارت إرادته،و قنطت نفسه من امكانيه تسخير الحياه،و كم عاش الإنسان على هذا الكوكب دون أن يسعى للتعرف على حركه الشمس،و الاستفاده من ذلك فى حياته،و تحقيق أهدافه الشخصيه و الحضاريه،لأنه لا يؤمن بعلاقته بها، أو كان يعتقد بسبب بعدها انها لا يمكن تسخيرها بل لم تخلق من أجله؟!و الآن جاء العلم الحديث ليؤكد بأنها نعمه إلهيه عظيمه،و انما خلقت لصالح الإنسان، و انطلاقا من ذلك عكس حركتها على حساباته الزمنيه،و لا يزال العلماء يقومون بمختلف الدراسات التى من شأنها تسخير الشمس الى أقصى حد ممكن فى خدمه الأهداف و التطلعات الحضاريه للبشر.

ص:٣٠١

[سوره الرحمن (۵۵): الآیات ۱۹ الی ۳۶]

اشاره

مَرَجَ اَلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (۱۹) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ (۲۰) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۲۱) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اَللُّؤْلُؤُ وَ اَلْمَرْجانُ (۲۲) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۲۳) وَ لَهُ اَلْجَوارِ اَلْمُنْشَآتُ فِي اَلْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ (۲۴) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۲۵) كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ (۲۶) وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو اَلْجَلالِ وَ اَلْإِكْرامِ (۲۷) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۲۸) يَسْئَلُهُ مَنْ فِي اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (۲۹) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۳۰) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ اَلثَّقَلانِ (۳۱) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۳۲) يا مَعْشَرَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ إِنِ اِسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطانٍ (۳۳) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۳۴) يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ (۳۵) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۳۶)

اللغه

۱۹[مرج]:خلط.

۲۰[برزخ]:حاجز.

۲۴[الجوار المنشئات]:جمع جاريه أى السفينه،و المنشئات المرفوعات،و هى التى رفع خشبها بعضها على بعض،و ركّب حتى ارتفعت و طالت.

[كالأعلام]:جمع علم و هو الجبل العالى.

۳۱[الثقلان]:أصله من الثقل،و كلّ شيء له وزن و قدر فهو ثقل،و إنّما سمّيت الإنس و الجن ثقلين لعظم خطرهما و جلاله شأنهما.

۳۳[أقطار]:جمع القطر،و هو الناحيه و الجانب.

۳۵[شواظ]:اللهب الخالص أو القطع الناريه المتطايره

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ

هدى من الآيات:

«لا بشيء من آلائك ربّ أكذّب»إنّها العباره التى ينبغى أن نكرّرها كلّما تساءل السياق القرآنى «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ» ،و لكن هل يكفى أن نكرّر ذلك كشعار دون معرفه و تطبيق؟كلّا..فما ذا يعنى إذا التكذيب بآلاء اللّه، و كيف نصدّق بها؟ هناك فريقان من الناس يكذبون بآلاء اللّه.الاول الذين لا يعتقدون بالنعمه، لأنهم ينظرون الى الحياه من خلال رؤيه مشؤومه،و نفسيه معقده فاذا بكل شيء عندهم نقمه، وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً (۱)و الفريق الآخر هم الذين يعترفون بالنعمه،و لكنهم ينكرون عمليا انها من اللّه فتراهم يتوجهون بالشكر الى غيره و من آياته الليل و النهار و الشمس و القمر،لا تسجدوا للشمس و لا للقمر و اسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم

۱- ۱) الفرقان ۶۰/.

إِيّاهُ تَعْبُدُونَ (۱)و هـذا نوع من التكذيب أيضا فالذى لا يؤمن برب النعمه أو يشـرك به لا يشـكره عليها،و من لا يشـكر النعمه لا يعمـل على ضـمان اسـتمرارها و نموّهـا، و الاسـتفاده منهـا فى مواردهـا السـليمه،أليس ذلـك كلـه مرهـون بالشـكر على وجهه الصـحيح؟جهـاز الهضم عنـد الإنسـان مثلا-(الفم،المرىء،المعـده،الأمعـاء)ينبغى أن نسـتفيد من هـذه النعمه،فالـذى يعلم بأنها من اللّه،سوف يبحث عن برنامـج الرسـاله فى الاكـل و الشـرب،نوع الطعام و الشـراب المطلوب،و مقـداره،و طريقه اسـتهلاكه(آداب الاكل و الشرب)أما الآخر المكذب باللّه فلن يلتزم بحد فى ذلك، سيسرف فيهما و لن يمتنع عما يضرّه كالخمر و لحم الخنزير،و هذا نوع من التكذيب أيضا،و كذلك يكذب بالنعمه الذى يسـتخدم الثروه من أجل استغلال الآخرين و استبدادهم،و الإسراف و التبذير على النفس،كما ان الذى يتخذ السلطه وسيله للقهر و الاستعلاء هو الآخر يكذب بآلاء ربه.

و الـذى لا- يسـتخدم النعمه فى الخير لنفسه و للبشـريه،و بالتالى لا يعمل على ضـمان اسـتمرارها باسـتمرار عواملها،فانه ليس فقط يحرم من نموها،بل و يجعلها عرضه للزوال وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِى لَشَدِيدٌ (۲) إذا فتطبيق قولنـا«لا بشـىء من آلائك ربّ أكـذب»يكون بالتزام شـكر النعمه دائما،و ذلك يعنى أن نعترف بأنها نعمه فعلا،و ثانيا أن نعرف بأنها من اللّه فنشكره قولا،و نطبق منهجه عملا،و هذا هو التصديق بآلاء اللّه.

بينات من الآيات:

[۲۱-۱۹]و من حركه الشـروق و الغروب فى آفـاق السـماء،يأخـذنا القرآن الى ميـاه البحار التى تلتقى مختلفه مع بعضـها دون أن تبغى أو تطغى.

۱- ۱) فصّلت۳۷/

۲- ۲) إبراهيم۷/.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ* بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيانِ و فی الآیه إشاره الی عده ظواهر طبیعیه،الاولی التقاء میاه البحار المالحه بالمیاه الاخری العذبه،کمیاه الشط و الأنهار،فانها و ان کانت تلتقی مع بعضها و لکنها تبقی علی طبیعتها لا تتغیر لفتره من الوقت.و صوره أخری من حکمه الربّ انه جعل الأنهار فی کل العالم مرتفعه عن البحار،قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هٰذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً (۱)و الظاهره الثانیه هی التقاء البحار حتی المالحه مع بعضها.إن ثلاثه أرباع کوکبنا یتکون من ماء البحار و المحیطات،و هی متصله مع بعضها،و الأرض فی حرکه دائمه حول نفسها و حول الشمس إلّا ان منسوب المیاه فیها کلها یبقی ثابتا،و لم نجد یوما انها انسکبت فی بحر واحد لیطغی ماؤه مثلا.

و حینما نبحث فی الطبیعه من حولنا نجد شواهد أخری لهذه الآیه الکریمه،فان شطری البیضه(الصفار و البیاض)مهما رجحتها لا یمتزجان،و کذلک بحار النور و الظلمه فی حرکه اللیل و النهار فإنهما یتحرکان حرکه ذاتیه و بینهما نقطه التقاء دائمه و لکنهما لا یختلطان یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ (۲)و حینما نعود من رحله التفکر فی الآفاق الی شوط آخر من التفکر فی أنفسنا نجد مظهرا لهذه الحقیقه فی حیاه الإنسان،حیث یلتقی ماء الرجل بماء المرأه و یکونان النطفه التی تنمو حتی تصیر خلقا سویا ذکرا أو أنثی،و تظل خصائص المرأه و خصائص الرجل هی هی لا تتغیر،بل ان المیاه العذبه التی نستخرجها من باطن الأرض لشربنا تلتقی أحواضها مع میاه البحر التی تتشبع بها الأرض حتی الأعماق و لکن «هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هٰذا مِلْحٌ أُجاجٌ» (۳)و فی الواقع

۱- ۱) الفرقان۵۳/

۲- ۲) فاطر۱۳/

۳- ۳) المصدر

الاجتماعی یلتقی المؤمنون بالکافرین و تبقی بینهما الفواصل.

اما البرزخ الذی یقف حائلا بین البحرین فقد یکون جسما ماديا کالیابسه تفصل بین بحر و آخر،و لو طغت البحار علیها لانعدمت حیاه الإنسان فوقها،أو الغشاء الذی یمنع صفار البیض من الاختلاط ببیاضها لو کانا یختلطان لما صلحت البیضه ان تکون فرخا و لانقرضت الطیور بأنواعها.و قد یکون البرزخ هو السنن و القوانین الطبیعیه کالجاذبیه و الکثافه و الخصائص المختلفه للخلیطین،و قد یکون القیم و الثقافه التی یؤمن بها کلا التجمعین الکافر و المؤمن،و کلها لا شک من صنع اللّه،و مظهر لهیمنته علی الحیاه،و رحمته بالإنسان إذ جعل التنوع و الحدود قائمین فی ذات الوقت،ألیس ذلک یدل علی حسن النظم،و دقه التدبیر،و متانه الصنع،و عزه الخالق و حکمته؟ و حینما ندقق النظر و نرکز الفکر فی هاتین الآیتین نجدهما بکل کلمه وردت فیهما تعبیر عن رحمه اللّه و إشاره إلیها،أ تری لو طغت البحار علی الیابسه أو علی بعضها و انعدمت الفوارق هل ذلک فی صلاح الإنسان؟کلا..ثم ان القرآن یقول «مَرَجَ» و هو الحرکه الذاتیه فی کلا البحرین بفعل التموجات کما یقول «یَلْتَقِیانِ» إشاره الی الحرکه الثنائیه،و هما معا رحمه إلهیه ظاهره،فلو جعل اللّه البحار راکده لأسن ماؤها و تعفن و بالتالی استحال عیش الأسماک و الکثیر من الأحیاء الاخری فیها،و ما کان الإنسان یستخرج منها حلیه و لا لحما طریا.ثم انه جعل البحار متصله تلتقی ببعضها لیسهل علی الأحیاء البحریه الانتقال مهاجره عبرها،و یسهل السفر الی أکثر نقاط العالم.و لو لم تکن الأنهار-و بالذات الکبیره منها-تلتقی بالبحار لتصب فیها فائض میاهها لکانت تطغی و تهلک الحرث و النسل.

فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ

[۲۲]و یذکرنا السیاق بنعمه الزینه التی أودعها اللّه فی البحار،و هی من الحاجات الکمالیه لا الأساسیه عند الإنسان، انسجاما مع سیاق السوره الذی یهدف بیان تجلیات رحمه اللّه(اسم الرحمن)فی الحیاه،لأن الزینه أقصی النعمه و أرفعها.

یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ إن اللّه لم یودع فی البحار حاجاتنا الضروریه و حسب،بل الکمالیه أیضا، وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِیًّا،وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْیَهً تَلْبَسُونَها، وَ تَرَی الْفُلْکَ مَواخِرَ فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۱)و القرآن بهذه الآیه من سوره الرحمن یفند المزاعم القدیمه بأن الأنهار لا تربی اللؤلؤ و المرجان،و قد جاء العلم الحدیث فأثبت خلاف ذلک،و هکذا یبقی کتاب اللّه سابقا للحضاره.

و لعل الآیه تشیر إلی إباحه استخراج الزینه و التحلی بها أو لم یقل ربنا سبحانه:

«قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَهَ اللّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ،قُلْ هِیَ لِلَّذِینَ آمَنُوا..» کما قال «خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ» .

[۲۵-۲۳]تلک کانت مظهر من آلاء اللّه التی تتجلّی للإنسان کلما رکب البحر،و کلما غاص فی أعماقه،و هکذا کلما دار البصر فی آفاق الخلیقه و نظر الی الشمس و القمر و النجوم و الأرض و البحار و الأنهار،ثم غار فی أعماق النفس و ما فیها من أبعاد و آماد،کلّما وجد آلاء ربه تنهمر علیه من کل حدب و صوب أو لا تکفیه دلیلا الی ربه،و هادیا الی معرفته،و باعثا له الی شکره؟لکنک تری أکثر الناس یکذبون بالنعم و یقصرون فی الشکر بل یشکرون أبدا،و حتی أولئک الذین یقضون سحابه أعمارهم فی خوض لجج العلم أو متابعه قوانین الطبیعه عبر البحوث

۱- ۱) الکهف۱۰۷/

الميدانيه و الاكتشافات الجديده،لا ينطلقون من اكتشافاتهم الى خلفياتها،حيث الايمان برب العزه و الرحمه،بل تراهم ينظرون الى الحياه نظره سطحيه فلا يزدادون إلّا ضلالا و تكذيبا بالحق،انهم يقفون عند ذلك الحد و يظنون انها التى تحرك الحياه و لا يتساءلون من الذى وضع القوانين و الانظمه و السنن؟!و من الذى يسيرها و يهيمن عليها؟!بلى.ان العلم الذى لا يتأسس بالايمان و المعرفه باللّه،قد يضر الإنسان أكثر مما ينفعه،لأنه قد يصبح وسيله للكفر و التكذيب بالرب و إرادته.

فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ و من آلائه السفن التى تحملنا الى الأقطار المتباعده فى أسفارنا و تجارتنا و مظان الصيد،أ ترى لولاها هل استطعنا أن نركب البحر.أو وصلت أيدينا الى كنوزه لحما و زينه؟كلا..و لهذا كان من البديهه فى هذه السوره الرحمانيه أن يحدثنا القرآن عن السفينه فور حديثه عن البحر.

وَ لَهُ الْجَوٰارِ الْمُنْشَـآتُ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلاٰمِ و الجرى هو المشى السريع و لا يقال للسفينه سارت،قال تعالى: وَ هِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبٰالِ (۱).

و المنشآت من الإنشاء و الصناعه،و شبهها اللّه بالأعلام(الجبال)لارتفاعها كالعلم فى البحر.و هذا المعنى يكون أكثر ظهورا فى السفن الشراعيه.

و السؤال لماذا لم يقل ربنا عند حديثه عن النعم الاخرى كالشمس و القمر، و النجم و الشجر انها له،بينما قال هنا «وَ لَهُ الْجَوٰارِ» ؟و الجواب لأن الإنسان لا يستطيع أن يدعى ملكيه تلك النعم،و لم تصل يده إليها فى شىء،و لكنه قد يظن

۱- ۱) هود۴۲/

بأنه مالك السفينه و خالقها،لأنه الذى خطط لصناعتها و نشر ألواحها و جمعها الى بعضها بالدسر و المسامير فهنا يحتاج الى من يذكره ان صانع السفينه بذاته مخلوق الرب،و انه لم ينشئها إلّا بحوله و قوته و بما أودع اللّه فيه من عقل،و حكمه،و أعطاه من علم و معرفه،و هيأ له من فرص العمل..فالسفينه للّه،و هو الذى يجريها بقدرته فى البحار.و البحاره يعرفون كم هى الاخطار العظيمه التى تحيط بهم،و هم يعتركون الأمواج الهادره فى أعالى البحار.

ثم ان ربنا هو الذى علّم نبيه نوحا عليه السلام صناعه السفن و هو بدوره علمها للبشريه،كما علم عباده الكثير من الشؤون و الأمور عبر أنبيائه و رسله كالميزان،

و قد روى الطبرسى فى جوامع الجامع :«ان جبرئيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح و قال:مر قومك يزنوا به » (1)و السفينه الى الآن أفضل وسائل للنقل التى اكتشفها البشر،فهى إذا نعمه إلهيه،و القرآن يطرح بعد التذكره بها هذا السؤال:

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ أو يكفى العقل دليلا على ضروره شكر من أسبغ علينا هذه النعم الجسيمه؟ بلى.و لكن ربنا الرحمن يزيد بلطفه على هدى العقل التذكره بالوحى بالرغم من أنّ العقل حجته علينا بالغه،بل يبصرنا بنعمه من خلال الوحى و يستثير عقولنا و يشد أسرها فى مواجهه هوى النفس و طباعها،فلا يقول أحد و قد كذب بآلاء اللّه انها مجهوله لديه.و بعد هذا البيان و التأكيد لن يكون قصور الإنسان عن الشكر،و معرفته ربه،بغفله و قد سبق اليه منه الذكر بفضله،و لا بجهل و قد تقدم منه إليه العلم برحمته.

[٢٨-٢٦]و بعد مخاطبه العقل بلغه الحقائق العلميه التى يراها البشر بعينه

١- ١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٢٥٠

فتنفذ الى ضميره يخاطب الوحى وجدان الإنسان مباشره،و يهزه بأعظم الحقائق وطأه فى نفسه.إنها حقيقه الموت و الفناء التى يحاول دائما الفرار منها،فيعطى ماله أو يضحى بأعز الناس اليه و أقربهم منه لعله يفتدى نفسه منه أو يؤخره عنها و لو لسنه اضافيه أو حتى بضعه أيام.و كما فناء الإنسان كذلك فناء الأشياء من حوله دليل وحدانيه اللّه و ربنا يذكرنا بذلك كأعظم آيه تهدينا الى معرفته و توحيده.

بلى.لقد دعانا اللّه الى النظر فى ظواهر الطبيعه،و التفكر فيها،و لكن من دون الانبهار بها،لأنها مجرد نعم و آيات يجب ان نؤدّى شكرها و نهتدى بها الى دلالاتها.إنها محدثه فلا بد لها من خالق، و هى تفنى أو تموت فهى ليست إلها، لان الإله لا يموت.

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ اى كل ما فى الأرض بكله لا بعضه،و لكن اللّه لا يقول ميت،لأنّ الموت يجرى فى الأحياء فقط،بل يقول فان،لأن الفناء يشمل كل شىء مخلوق.

و فى دعاء إدريس النبى عليه السلام :«يا بديع البدائع،و معيدها بعد فنائها بقدرته » (۱).

وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ فما هو وجه اللّه الذى يبقى بينما يفنى كل شىء؟إن الألفاظ تفقد ظواهرها التجسيديه لتبقى حقائقها عند الحديث عن ربنا القدوس سبحانه فليست يده سوى قدرته،و عينه إلا احاطته علما و شهادته على كل شىء و هكذا وجهه،فانه ما يتجلى به فى الخليقه،حتى يعرفه بها من اراده،و يرى نوره من خلالها من أحبه،أو لسنا نحن البشر نرى نظراءنا من خلال أوجههم الظاهره،و تعالى اللّه عن الأمثال،

۱- ۱) المصدر/ص ۱۹۳

كذلك الوجه الظاهر لربنا دينه المشتمل على سننه و شرائعه و الحقائق التى تدل عليه،كذلك

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام :«و أما قوله: «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ» ،فالمراد كل شيء هالك إلاّ دينه،لأن من المحال أن يهلك اللّه كل شيء و يبقى الوجه،هو أجل و أعظم من ذلك،و إنما يهلك من ليس منه أ لا ترى انه قال: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ* وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ففصل بين خلقه و وجهه » (۱).

و يتجلى الدين بدوره فيمن يمثله كالأنبياء و الأئمه الهداه الى اللّه و هكذا

يفسّر الامام الرضا عليه السلام الوجه حينما يسأله أبو الصلت قال:يا ابن رسول اللّه!فما معنى الخبر الذى رووه أن ثواب لا إله إلا اللّه النظر الى وجه اللّه تعالى؟!فقال:

«يا أبا الصلت من وصف اللّه عزّ و جلّ بوجه كالوجوه فقد كفر،و لكن وجه اللّه أنبياؤه و حججه صلوات اللّه عليهم،الذين بهم يتوجه الى اللّه عزّ و جلّ و الى دينه و معرفته » (۲).

و قال الصادق عليه السلام :«نحن وجه اللّه » (۳).

إذا وجه اللّه هو الحق المتمثل فى سننه و شرائعه و دينه و أوليائه،و يفنى كل شيء دونها،فعلينا التمسك بها دون أن تؤثر فينا المتغيرات فاذا كان أحدنا يعمل الصالحات فليعملها لوجهه،إذا كان يبحث عن الجزاء،أ ترى لو عمل صالحا رياء أو شركا هل ينفعه شيء؟ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فلا يمكن مع آيه الفناء أن يدعى أحد الألوهيه أو تدعى له،أو يدعى بأنه جاهل

۱- ۱) المصدر/ص ۱۹۲ نقلا عن الاحتجاج.

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) المصدر

بربه،و إذا كان لا بد له من ذلك فليدفع أولا الموت عن نفسه،أو يدفعه الآخرون عنه.

[۳۰-۲۹]ثم يذكرنا القرآن بصفه أخرى لربنا عزّ و جلّ تجعلنا أكثر طاعه له و تبتلا إليه،و تلك هى صفه البداء التى تعنى الهيمنه الشامله و الدائمه له على الوجود،فليس الكون شعله أبديه كانت و لا تزال كما تدعى الماركسيه الضاله.إن الطبيعه ليست هى التى تميت و تحيى،و السنن و الأنظمه و القوانين ليست بذلك الثبات المطلق،إنما الذى يتصرف فى الخلق هو اللّه،و كل شىء يستمد ثباته و استقراره منه،فهو يغيره متى شاء و كيف أراد.و لو أننا أمعنا النظر فى الحياه لوجدنا هذه الحقيقه بوضوح فإلى جانب الثوابت هناك متغيرات غير معروفه عند الإنسان.الدكتور يقدم وصفته للمريض بعد الفحص،و لكنه يعترف بأنه لا يعرف كل الأمراض(۱۰۰٪)و لا يعطى ضمانه للعلاج مائه بالمئه لماذا؟لانّ هناك هامشا مجهولا فى المرض و العلاج،فالامراض تتداخل اعراضها،كما انه قد لا يستقبل الجسم الدواء،لذا يقول هذا مرضك حسب الظاهر،و هذا دواؤك إن شاء اللّه.و من الطب الى كل جانب و ميدان فى الحياه هناك دائما فراغ فى القوانين الطبيعيه لا يقدر علم الإنسان و قدرته أن تملأه إنما هو خاص بمشيئه اللّه سبحانه.من هنا لا يثق أحد كل الثقه بما أوتى من علم و قوه،بل يظل فى ريب من أن المستقبل قد يحمل إليه ما لم يحتسبه.بلى.لقد علمته تجارب لا تحصى انه ليس مليك الكائنات،بل و لا يملك نفسه،فكم قد خطط لمستقبله فقلبت المتغيرات خططه،و كم قد عقد عزائم قلبه على شىء ففسخت المفاجئات عزائمه.و هكذا ينطوى ضمير كل إنسان بأن يد الغيب تهيمن على الخليقه لا يده،و يمثل هذا حجه بالغه تهدينا الى ربنا سبحانه.

و صدق أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال :«عرفت اللّه سبحانه بفسخ العزائم و حل العقود،و نقض الهمم » (۱).

۱- ۱) نهج/حكمه ۲۵۰

الامريكيون يصنعون ما أسموه(بالتحدى)الكوكب الفضائى(تشالنجر)، و يصرفون عليه مئات الملايين من الدولارات،صناعه و دعايه،و قبل إطلاقه يقومون بالحسابات الدقيقه عبر العقول الألكترونيه،و إذا به ينفجر فى الفضاء و يتحول تحديا مضادا،و نكسه لا- زالت آثارها قائمه فى نفوسهم و حيره فى عقولهم،و كذلك تتجلى الاراده الالهيه المطلقه فى عملياتهم العسكريه ضد الإسلام فى صحراء طبس.

يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لأنه وحده الإله و القادر على قضاء حوائجهم و تحقيق طموحاتهم.و السؤال ليس مقتصرا على الانس و الجن و الملائكه،بل يشمل كل الخلق العاقل و البهيم،و الجامد و المتحرك،لأنه ما من شىء إلا و يفتقر الى اللّه،و ما من شىء إلا و له لغه مع اللّه تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ،وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ،إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (۱)و ليس من طريق للإنسان لكى يبلغ طموحاته بفضل اللّه،و يرفع عن نفسه كل عقبه و أذى بتوفيقه،قبل العمل و بعده إلا الدعاء،قال تعالى: قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لا دُعاؤُكُمْ (۲) وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ (۳)و

قال أمير المؤمنين عليه السلام :«من قرع باب اللّه سبحانه فتح له » (۴)و

قال الامام الصادق عليه السلام :«أكثر من الدعاء،فانه مفتاح كل رحمه، و نجاح كل حاجه،و لا ينال ما عند اللّه إلّا بالدعاء،و ليس باب يكثر قرعه إلا و يوشك ان يفتح لصاحبه » (۵).و لكن ينبغى للعبد أن يرعى آداب الدعاء و

۱- ۱) الإسراء

۲- ۲) الفرقان۷۷/

۳- ۳) غافر ۶۰/

۴- ۴) غرر الحكم

۵- ۵) بح/ج ۹۳ ص ۲۹۵

«کل دعاء لا یکون قبله تمجید فهو أبتر » (۱)،و

قال الرسول صلی الله علیه و آله :«صلاتکم علی إجابه لدعائکم و زکاه لأعمالکم » (۲)

«و لا یزال الدعاء محجوبا حتی یصلی علی محمد و آل محمد » (۳)و

قال الصادق علیه السلام :«إنما هی المدحه،ثم الإقرار بالذنب ثم المسأله » (۴)و الخلق کله فی وجوده و توفیقاته یحتاج الی السؤال من اللّه لحظه بلحظه،و حیث لا یستطیع العبد أن یعرف ربّه و لا یتصل به مباشره لذلک جعل أسماءه،و عرفنا علیها رحمه بنا،فنحن نسأله بأسمائه و

فی الدعاء :«أسألک باسمک الذی أشرقت به السماوات و الأرض،و صلح به أمر الأولین و الآخرین ».

بلی.قد یضل الإنسان و یکفر باللّه فلا یسأله أو یدعوه بلسانه،و مع ذلک فانه لا یستطیع أن ینکر ربه فی نفسه،بل و یظهر فیه الاعتراف به تعالی،و الاستکانه و الحاجه ساعه الضیق و الجرح، وَ إِذا غَشِیَهُمْ مَوْجٌ کَالظُّلَلِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ (۵).

لقد تسربت بعض الفلسفات الجاهلیه القدیمه الی الأدیان فزعموا ان السؤال لا ینفع شیئا،و حکی اللّه عنهم ذلک فی کتابه إذ قال: وَ قالَتِ الْیَهُودُ یَدُ اللّهِ مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَیْدِیهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ یَداهُ مَبْسُوطَتانِ یُنْفِقُ کَیْفَ یَشاءُ (۶)و هکذا تسربت هذه الفلسفه الموغله فی الضلال الی أذهان البعض من المسلمین تحت عناوین مختلفه،کالجبریه و القدریه،فاعتقدوا ان اللّه کتب أقدار الخلق،و أنه لا

۱- ۱) المصدر/ص ۳۲۱

۲- ۲) بح/ج ۹۴ ص ۵۴

۳- ۳) بح/ج ۹۳ ص ۳۱۱

۴- ۴) المصدر/ص ۳۸۱

۵- ۵) لقمان۳۲/

۶- ۶) المائده۶۴/

يقع إلا ما كتب عليهم،و قد جف القلم و طوى الكتاب،و انطلاقا من هذه النظره السلبيه أنكروا أثر الاستغفار و الدعاء.و كم تقف هذه الفلسفه حجابا بين العبد و ربه،أ تراه سوف ينطلق نحوه،أو يسأله حوائجه،أو يتوسل اليه و قد غل يديه و لسانه و قلبه بالقنوط و اليأس؟و لماذا يتعب نفسه بالسؤال من رب لا إراده عنده؟ فالأقدار هى هى لا تتغير،و ما عسى أن يكون ينفع الدعاء إذا؟و بهذا نعرف الفرق الكبير بين المعارف الالهيه و الفلسفات البشريه،فبينما تزرع الفلسفات البشريه اليأس فى نفس الإنسان، و تقل فاعلياته و تجمد طاقته بالحتميات التى تزعم انها تحيط بالقدره البشريه كما جران السجن بالمجرم،نجد النهج الالهى الحنيف يفتح آفاق الرجاء أمامه،و يعطيه الثقه بربه القادر على إنجاح طلباته،و تغيير المعادلات و الواقع الى صالحه،و يفند الأفكار الجبريه و القدريه بفكره الدعاء الذى ينطلق من العبد الى ربه(السؤال)و انه فوق الحتميات و الأقدار و فوق القضاء،

قال الامام الباقر عليه السلام يخاطب زراره(ر ض) :«ألا أدلك على شىء لم يستثن فيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله ؟قلت:بلى قال:الدعاء يرد القضاء و قد أبرم إبراما» (۱)و ضم أصابعه

و قال الامام الكاظم عليه السلام :«عليكم بالدعاء فان الدعاء للّه و الطلب الى اللّه يرد البلاء و قد قدره و قضى و لم يبق إلا إمضاءه،فاذا دعى اللّه عزّ و جلّ و سئل صرف البلاء صرفه » (۲).

و لعل الآيه التاليه تدل على صفه البداء التى هى مفتاح بصيره الدعاء فلو لا ان اللّه قادر على تغيير الخليقه و دفع البلاء و رفع القضاء إذا لم يبق أثر للدعاء و من لا يعتقد بالبداء و لا يؤمن بسلطه اللّه المطلقه التى لا يقيدها أى شىء مما سواه،و من نفسه سبحانه فانه لا يعتقد بإلاهيه،كيف و انه يجعله تعالى أقل قدرا و قدره حتى من الملوك إذ تجرد عنه أهم صفاته و هى السلطه مٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ

۱- ۱) أصول الكافى/ج ۲ ص ۴۶۹

۲- ۲) بح/ج ۹۳ ص ۲۹۵

عَزِيزٌ (۱) سبحانه و تعالى عما يصفون علوا كبيرا.

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ

قال النبى صلى الله عليه و آله :«من شأنه أن يغفر ذنبا و يفرج كربا،و يرفع قوما و يضع آخرين » (۲).

و قال على بن إبراهيم(ر ض):«يحى و يميت،و يرزق و يزيد و ينقص» (۳)فلا ثبات بعد الدعاء و استجابه اللّه،أو بعد بدائه عزّ و جلّ،حتى فى ليله القدر التى تكتب فيها أقدار الخلائق الى مثلها من قابل فانّ الكتاب ليس أبديا إذ اشترط ربنا لنفسه البداء فيما كتب سبحانه فيها-كما جاء فى الحديث-و كما قال ربنا سبحانه يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (۴).

و لعلنا نفهم من هذه الآيه ان اللّه يخلق كل يوم خلقا جديدا لا نعلمه،و نجد إشاره الى هذه الحقيقه فى

قول أمير المؤمنين عليه السلام :«الحمد للّه الذى لا يموت و لا تنقضى عجائبه،لأنه كل يوم هو فى شأن من إحداث بديع لم يكن » (۵).

و قد أشارت البحوث الفضائيه الى وجود أدله على ان هناك حاله تكون لمجرات جديده فى أعماق الفضاء الرحيب.إذا فلندع اليأس و لنطلق العنان لطموحاتنا تصل الى أقصاها انطلاقا من توكلنا على رب واسع الرحمه مطلق الاراده يجيب المضطر إذا دعاه و هو منتهى الآمال،ثم نسعى لتحقيقها نستمد منه العون و التوفيق،و نسأله الاجابه.لا ندع سقفا و لا حدا لطموحاتنا،فهذا نبينا الأكرم صلى الله عليه و آله و هو أعلم الخلق

۱- ۱) الحج۷۴/

۲- ۲) مجمع البيان/ج ۹ ص ۱۰

۳- ۳) نور الثقلين/ج ۵ ص ۱۹۳

۴- ۴) الرعد۳۹/

۵- ۵) نور الثقلين/ج ۵ ص ۱۹۳

یدعو ربه زِدْنِی عِلْماً (۱)و هو أرفع الناس درجه و أقربهم منزله الی اللّه،و لکن الوحی یأمره بان یتطلع الی المزید من الشأن و الرفعه وَ مِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَکَ عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً (۲)و یأمرنا بأن نصلی علیه فی کل شارق و غارب حتی یزیده اللّه من فضله فنقول اللهم آت محمدا أفضل ما سأل و أفضل ما سئل له و أفضل ما أنت مسئول له الی یوم القیامه لماذا؟لان نعمه اللّه لا تنتهی، و هکذا لا بد أن یکون طموح المخلوق.و إنها دعوه الی التفکیر فی طموح أکبر، و العروج الی منزله أرفع عند اللّه.

و من وصایا الامام علی علیه السلام لابنه الحسن علیه السلام :

«اعلم ان الذی بیده خزائن ملکوت الدنیا و الآخره قد أذن لدعائک،و تکفل لإجابتک و أمرک أن تسأله فیعطیک،و هو رحیم کریم لم یجعل بینک و بینه من یحجبک عنه،و لم یلجئک الی من یشفع لک الیه،..ثم جعل فی یدک مفاتیح خزائنه بما أذن فیه من مسألته،فمتی شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه » (۳)و الذی أعطی السؤال لا یحرم الاجابه،فالسؤال و البداء مظهران جلیان لاسم الرحمن،و نعمتان عظیمتان للخلق من اللّه.

فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ إنها من الظهور و الکثره بما لا یمکن إنکارها،و لکن الخلق یکذبون،و من أبرز عوامل التکذیب لدی البشر الشرک باللّه،فاذا به یعبد البقر لأنها تدر علیه الحلیب،و یعبد النار لأنها تدفئه و ینتفع بها فی الطهی،بینما اللّه هو ربه و ربهما، و الیه ینبغی الاعتراف بالفضل،و صرف الشکر.و السؤال کیف یکذب الإنسان بنعمتی الدعاء،و البداء؟إن ذلک یکون حینما ینکر حقیقه البداء،أو نعمه الدعاء فیحرم نفسه من معطیاتهما.

۱- ۱) طه۱۱۴/

۲- ۲) الإسراء۷۹/

۳- ۳) نهج/کتاب ۳۱

[۳۲-۳۱]و إذا ما كذب المخلوق بنعم اللّه و آياته(آلائه)فانه سيعرض نفسه لسخط اللّه و عذابه،بالذات عند ما يحين موعد الحساب.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ يعنى الانس و الجن.ذهب المفسرون مذاهب شتى عند بيان معنى الفراغ،بيد ان إبهام المعنى يتضح جليا إذا عرفنا منهج القرآن فيما يتصل بأفعال ربنا القدوس حيث تؤخذ الغايات و تترك المبادئ،و ترمز الكلمات الى نتائج المعانى و نهايات الحقائق..لا الى كيفيه وقوعها و طريقه تحققها،فمثلا إذا قال ربنا سبحانه «وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» فان غايه المجيء و هو الحضور و الشهاده قد تحققت اما الكيفيه التى نعرفها من مجيء البشر بالانتقال من مكان لمكان،فانها لا تتصور فى اللّه الذى وسعت رحمته كل شيء،و هو الشاهد على كل شيء،كذلك إذا قال سبحانه: «رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ» ،فان نتيجه الرضا تتحقق،و هى الرحمه و العطاء لا ما يحدث عندنا من مقدماته كالانفعال الايجابى فى النفس،و هكذا الغضب الالهى معناه ما ينتهى إليه الغضب من الانتقام لا مقدماته و مبادئه من جيشان الدم و توتر الأعصاب،و مثل ذلك الحب و العطف و الحنان و الكره و البغض و..و..

فربنا السبحان متعال عن الكيف و الأين و التحول و..و..و فى الآيه لا يعنى سنفرغ لكم ان ربنا كان مشغولا عنهم بحيث لم يتسع لهم وقته،و لم تحتمل قدرته بما عنده من الشؤون كلّا..سبحانه لا يشغله شأن عن شأن،إنما الغايه من الفراغ تمام التدبير و القدره و الجزاء،و منه قولنا تفرغ فلان للعمل اى انصب عليه بكامل قدرته و وعيه و إرادته،و الآيه تشير الى ان اللّه أعطى الثقلين حريه نسبيه فى الدنيا، أما فى الآخره فالأمر للّه وحده يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ (۱).

۱- ۱) غافر۱۶/

و لک أن تتصور شیئا من الرهبه التی تحملها إلینا کلمه سنفرغ،إذا علمت انه تهدید من رب العزه و القدره المطلقه،الی مخلوق ضعیف محدود کالإنسان الذی تؤلمه البقه و تقتله الشرقه و تنتنه العرقه،کما یصفه الامام علی بن أبی طالب علیه السلام، و یکفی هذا الوعید العاقل الذی یلقی سمعه شهیدا أن یتورع عن التکذیب بآیات ربه و نعمه، لأن ذلک مما یوجب عذابه،و إن اللّه یوم القیامه یوقف عباده للسؤال عن النعیم ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ (۱)وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (۲).

فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ و من صور التکذیب بذل النعمه فی غیر موقعها،أو أخذها من الحرام، و الاستعانه بها فی مخالفه الحق،کالعین ینظر بها الی أعراض الناس،و الأذن یستمع بها الغیبه و النمیمه و الغناء و اللغو،و الرجل یمشی بها الی المعصیه،

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله :«لا یجاوز قدما عبد حتی یسأل عن أربع عن شبابه فیما أبلاه و عمره فیما أفناه،و عن ماله من أین جمعه و فیما أنفقه،و عن حبنا أهل البیت » (۳).

[۳۶-۳۳]و یفتح اللّه آفاق الطموح أمام الإنسان بعیدا عن الأساطیر البشریه لیسجل سبقا علی العلم الحدیث بأکثر من(۱۳)قرنا من الزمن،و لا غرابه فهو کتاب اللّه.إن الفلسفات البشریه کانت دائما تکبل عقل الإنسان،و تغل طموحاته،و تضع إصرا علی نفسه تمنعه من الثقه بها و التوکل علی ربه و ذلک عند ما کرست الجهل و وضعت مجموعه نظریات بدائیه عن الإنسان و العالم و اعتبرتها غایه العلم و نهایه المعرفه،فتحولت الی سقف للفکر و سجن للعقل،و عقبه اجتماعیه کأداء امام التقدم.

۱- ۱) التکاثر۸/

۲- ۲) الصافات۲۴/

۳- ۳) نور الثقلین/ج ۴ ص ۴۰۲

و کانت من أهداف رسالات اللّه کسر هذه الحدود الوهمیه،و بعث الإنسان نحو آفاق العلم و اثاره تطلعاته الکامنه.هکذا یقول ربنا سبحانه عن رساله النبی محمد صلی الله علیه و آله ، یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ (۱).

لقد کانت السیاره فی ذلک العصر أمرا مستحیلا لا یداعب مجرد خیال الناس، فاذا بالقرآن یأخذهم بعیدا جدا لیحدثهم بما یتضمن التشجیع علی الوصول الی أقطار الأرض و آفاق السماء.و کم ینمی مثل هذا الحدیث من اللّه المقتدر الثقه فی الإنسان بنفسه،و یوسع من حدود طموحاته حینما یسمعه مصدقا به مؤمنا بقوله.

لقد اختلف المفسرون و هم یبحثون عن مضمون الآیه(۳۳)مع انها واضحه.

لما ذا؟لأنّ فکر الإنسان یتحدد بالجو العلمی المحیط،فبعد أن اتصل فکر المسلمین بالفکر الاغریقی و بالذات فی مجال الهیئه البطلیموسیه التی کانت تتصور السماء من الجواهر غیر القابله للرتق و الفتق لذلک نجد بعض المفسرین طرح آراء بعیده، فقالوا بما انه یستحیل علی الانس و الجن أن یصعد الی الآفاق فان «إِنِ اسْتَطَعْتُمْ» فی الآیه ظاهر فی التحدی،أی إنکم لا تستطیعون أن تنفذوا من أقطار السموات و الأرض بینما الآیه ظاهره فی خلاف ذلک حیث نقرأ فی نهایتها «لا تَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطانٍ» ،فهم ینفذون و لکن بسلطان.و هکذا القرآن لم تنعکس علی آیاته النظریات العلمیه الشائعه فی عهد نزوله،و لو کان من صنع البشر لکان یستحیل أن یبقی معتصما عن آثارها علیه ألیس الإنسان یکون أفکاره من الجو العلمی المحیط به؟ألا تری کیف ان تفاسیر الناس للقرآن تأثرت بالأجواء العلمیه لعصر کتابتها، مع انها کانت تحوم حول الکتاب المتعالی عن النقص،و لا نجد کتابا ألفه البشر عبر التاریخ إلا و کان مرآه للمستوی العلمی الذی بلغه الناس یومئذ إلا القرآن.أو

۱- ۱) الأعراف۱۵۷/

لا- يهدينا ذلك الى انه كتاب ربنا الذى لا- يأتيه الباطل من بين يديه و لا- من خلفه؟ و هكذا القرآن لا- يزال هو المقياس للحضاره،و إذا عارض نظريه علميه ما فاننا لا ريب سنجد قوله هو الثابت،و اما تلك النظريه فتذهب هباء.

يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا هكذا يستثير القرآن التطلع الكامن داخل نفس الإنسان نحو العلم و المعرفه و التقدم،فهو يحدثه عن بساط الريح الذى كان لدى سليمان عليه السلام ،و كيف انه سخر الحياه من حوله(الجبال و الجن و الطير و..)و جعلها فى خدمه الحضاره البشريه،ليؤكد له بان الطريق سألك أمامه للوصول الى هذه القمه السامقه من التحضر.و بالطبع إنه لا يرسم خريطه عن المركبه الفضائيه حينما يستثيرنا فى هذه الآيه عن إمكانيه اختراق الفضاء،و لم تتنزل فيه سوره تحدثنا عن لغه الطير لماذا؟ لأنه ليس كتابا تكنلوجيا و إن كان يشير الى بعض الحقائق إشاره مباشره،إنما هو كتاب حياه يستثيرنا نحو العلم،و يعطينا الثقه بأنفسنا،و يوجه عقولنا و قدراتنا فى قنواتها الاستراتيجيه الصحيحه،أما التقدم العلمى أو تحول التطلعات و الحقائق التى يبينها الى واقع فذلك من وظائف العقل البشرى،و لو فعل ذلك لكان يشكل سقفا للفكر وحدا للعقل و عقبه أمام التطور،بينما المطلوب أن يكون منهجا للفكر و محرضا للعقل و باعثا نحو التطور.

و القرآن هنا و هو يريد ان يستثيرنا نحو تطلع حضارى كبير،هو اختراق الآفاق و تسخير رقعه أوسع فى هذا الكون الرحيب الذى خلق من أجلنا،فى خدمه الحضاره البشريه،فانه يدخل الى ذلك بكلمه عميقه تحتمل من الأفكار الحضاريه الشىء الكثير إذ يخاطبنا «يا مَعْشَرَ» و المعشر هو من العشره و التعاشر و هو التجمع الذى تربط

ببعضه و وشائج محدّده،بل إن الكلمه تفيض بأوسع معانى التعاون الاجتماعى بين الإفراد،و بذلك يضع القرآن فكره هامه أمام أبصارنا و بصائرنا،و هى ان المنجزات الحضاريه الكبيره كالنفاذ من الآفاق لا يمكن أن تنتقل من التطلع الى الواقع العلمى و العملى،إلا بجهد جمعى تتعاون فيه القدرات،و تتلاقح فيه الأفكار،و تتكامل فيه المعارف،و تتظافر فيه الإرادات،و لم يكتف بذكر الانس وحدهم،بل قال الجن و الانس بينما القرآن قدم الانس على الجن حينما تحدث عن الخلق فى الآيه (١٤،١٥)و هنا حدث العكس،و ذلك لأن السياق فى تلك الآيتين يتناول الأفضليه فتقدم الإنسان لأنه الأفضل،بينما الحديث فى هذه الآيه عن الأكثريه «يا مَعْشَرَ» لذلك تقدم الجن و هم الأكثر،و يبدو ان سبب ذكر الجن فى هذا السياق هو:

١-إن القرآن رساله كونيه شامله،و هى موجهه للجن كما هى موجهه الى الانس،فهما قد خلقا لهدف واحد هو العباده وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ (١)كما خلقت النار لمن عصى منهما، وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّاسِ أَجْمَعِينَ (٢)كذلك نزل القرآن لهما معا.و هناك إشارات واضحه و ظاهره الى هذه الحقيقه قال تعالى: قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً* يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً.. وَ أَنّا مِنَّا الصّالِحُونَ وَ مِنّا دُونَ ذلِكَ كُنّا طَرائِقَ قِدَداً.. وَ أَنّا لَمّا سَمِعْنَا الْهُدى آمَنّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً.. (٣)و نداء كونى كهذا الذى يوجه القرآن لا يليق إلا برب العزه،و حتى الإنسان مهما بلغ من التطلع العالمى لا يجد طريقا لمخاطبه الجن و لعل البشر يتقدم يوما حتى يصل الى مستوى التعاون مع الجن كما حدث للنبى سليمان حسب القرآن:

١- ١) الذاريات/٥٦

٢- ٢) السجده/١٣

٣- ٣) راجع سوره الجن.

قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ (۱).

۲-و أراد الوحی من ذلک أن ینسف إحدی النظریات الخاطئه التی تقف عقبه فی طریق خوض الإنسان لعلم الفضاء و اکتشافه کنوز الأرض و مساحاتها، و هی ان الإنسان عاجز عن النفوذ من أقطار السماء و ان ما بعد البحر و الصحراء لیس إلاّ بحار الظلمات و عوالم غریبه مخیفه لا سبیل للبشر إلیها،و ان الجن وحدهم یستطیعون ذلک،فجاءت هذه الآیه لتعید للإنسان الثقه بنفسه،و تؤکد له قدره متساویه لا أقل مع قدرات الجن بالرغم من ان الجن خلق من مارج من نار فهو بطبعه-حسب نظره البشر- ضعیف قابل للنفاذ بینما الإنسان خلق من صلصال من طین فهو بطبعه-حسب رؤیه البشر-لیس قابلا للنفاذ.

۳-و لعل فی الآیه معنی حضاریا یستهدف إثارتنا و الجن نحو التسابق الی تحقیق التطلع الحضاری الذی تطرحه الآیه بالنفاذ فی أقطار السماوات و الأرض ثم ان الآیه تقول إن استطعتم و لا تقول لو استطعتم لأنها للامتناع،بینما إن للشرط،و ربنا یعبر عن هذا الشرط بالاستطاعه أی القدره بتمام المعنی و شموله و هذا یشبه قوله تعالی: وَ لِلّهِ عَلَی النّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلاً (۲)و لکن الاستطاعه فی النفاذ من أقطار السماء و الأرض لا تتحقق إلا بدراسه التحدیات الموجوده فی الطریق الی ذلک التطلع و تجاوزها و اهمّها اثنان:

الأول:الأخطار المحتمله کالأجرام السماویه الحارقه و هذا ما سیأتی الحدیث عنه عند الآیه(۳۵).

الثانی:تحدی طبقات السماء و الأرض،و هو التحدی الأساسی و الثابت،فاذا

۱- ۱) النمل۲۷/

۲- ۲) آل عمران۹۷/

ما أراد الإنسان أن يصل الى كنوز الأرض عمقا فلا بد أن يتحدى و هو يقطع المسافه من السطح الى المعدن الطبقات المختلفه.

و هكذا إذا أراد اختراق الآفاق باتجاه القمر أو أى هدف آخر فى السماء،فانه سوف يواجه تحديات أكبر إذ لا بد أن يصل إليه بالعلم أولا- من قبل وصوله المادى إليه فربما يتحطم كما حدث فى التجارب الأوليه للإنسان فى هذا الحقل،فهناك تحدى الجاذبيات،و الطبقات التى يختلف بعضها عن بعض،حيث تنعدم الجاذبيه فى بعضها،و يرتفع الضغط فى أخرى،و ينعدم الأوكسجين فى أكثرها، بل يحتوى بعضها على غازات مضره بالإنسان،و لعل معنى النفاذ و هو لا يكون إلا من المانع يدل على هذه التحديات و قد كشف العلم الحديث و لا يزال عن جانب من تلك التحديات،و خبراء المحطات الفضائيه الآن لا يرسلون الأقمار و الخبراء إلّا بعد الدراسات المفصله لطبقات الجو،لكى يختاروا المكان الأضعف و المناسب للنفاذ منه.

و إذا ما استطاع الانس و الجن الانتصار على تلك التحديات فإنهم ينفذون من الأقطار حيث يقول ربنا سبحانه:«فانفذوا».

و هذا الفعل ليس فقط يفيد الإمكان،بل ينطوى حسب الظاهر على الدعوه و التحريض الى النفاذ،فهى كقوله سبحانه: فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ،و قوله: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا ،و قوله: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ،و هكذا ينبغى للإنسان أن يستفيد من قدراته فى تسخير أكبر مساحه من هذه الكائنات التى خلقت من أجله،فربما وجد بالاضافه الى المعرفه شفاء لكثير من أمراضه و حلا لمشاكله و أزماته فى الآفاق.

هكذا يسعى الإسلام من أجل رفع الأغلال التى تضعها الفلسفات البشريه على

النفس و العقل عن الإنسان لينطلق نحو تطلعاته و أهدافه الكبرى.و لكن الإسلام الى جانب ذلك لا يطلق الثقه هكذا بلا حد لكى لا تصبح تمنيات و أحلاما،إنما يؤكد ان الثقه وحدها لا تصل بالإنسان الى طموحاته،و لا تحقق أهدافه،بلى.هى الوقود الدافع له من داخله،و حتى ينطلق فى الواقع العملى،لا بد أن يحصل على سلطان،و هو العلم الذى يتحول الى برنامج،فقدره فعليه.

لا تَنْفُذُونَ إِلّا بِسُلْطانٍ اللام هنا ليست للنهى و إلّا جاء الفعل بعدها مجزوما بحذف النون،إنما هى للنفى،و هذا يعارض قول من قال ان ظاهر الآيه هو التحدى.نعم ربنا يتحدى الجن و الانس إذا حاولوا النفاذ من دون سلطان،لان فى الطبيعه قوانين و واقعيات، و الهيمنه عليها و تسخيرها ممكن و لكن بما هو فوق ذلك كله من السلطان.

إن الإنسان البسيط الذى يعيش على ساحل البحر،و يأكل و يسترزق من صيده نهارا ثم يعود الى بيته ليلا كل يوم،يطبق من القوانين و السنن الحياتيه الشىء القليل،أما الذى يعيش الحياه العلميه المعقده،كرائد الفضاء الذى يريد الصعود الى القمر،أو الى كوكب آخر أرفع منه،فانه لا ريب سيواجه عشرات الآلاف من القوانين،فهو بحاجه الى معرفتها بدقه ليتسنى له القدره على تسخيرها لأن أعظم وسيله لتسلط الإنسان على الطبيعه هى العلم،و قد أنعم اللّه علينا بذلك كما أودع الطبيعه حاله الاستجابه لنا.

ثم ان التكذيب بواحد من القوانين أو الحقائق الواقعيه من قبلنا كفيل بأن يقطع الطريق علينا فلا نصل الى ما نريد.

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

إن من نعم اللّه علينا أن جعل نفاذنا من أقطار السماوات و الأرض ممكنا، و جعل فى ذلك خيرا كثيرا للبشريه،و لكننا قد نكذب بهذه النعمه إذا كفرنا بهذه المقدره رأسا كما فعل آباؤنا أو حققنا ذلك ثم سخرناه فى الأمور الضاره كالتكبر فى الأرض،أو إذا عصينا ربنا بدل شكره على هذه النعمه الكبرى،و هو حينئذ سوف يعذبنا و لن نجد لنا وليا و لا نصيرا،حيث تحببها نار بلا دخان شديده اللهب، عظيمه الحر.

يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ و لعل الآيه هذه تشير هنا إضافه الى الفكره الآنفه الى حقيقه علميه،و هى الأخطار التى تعترض طريق الإنسان فى الفضاء،و تمنعه من الوصول الى النقطه التى يريد كالقمر،و منها كما يصرح القرآن و يؤكده العلم الحديث الغازات المشتعله، و الكتل المعدنيه الملتهبه التى تسمى بالنيازك و الشهب،و هذه هى الأخرى بالاضافه الى القوانين و الموانع الأخرى التى تمنع النفاذ ينبغى للإنسان أن يتسلط عليها، فيقاومها و ينتصر عليها أو يتجنبها،فاذا كفرنا بهذه السنه و حاولنا النفاذ بلا سلطان اعترضتنا هذه العقبه،كذلك حين يكفر الإنسان بواحده من سنن اللّه فى المجتمع و النفس فانه يكتوى بنار لاهبه.أجارنا اللّه من نقماته فى الدنيا و عذابه فى الآخره.

[سوره الرحمن (۵۵): الآیات ۳۷ الی ۷۸]

اشاره

فَإِذَا انْشَقَّتِ اَلسَّمٰاءُ فَكٰانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهٰانِ (۳۷) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۳۸) فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لاٰ جَانٌّ (۳۹) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۴۰) يُعْرَفُ اَلْمُجْرِمُونَ بِسِيمٰاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوٰاصِي وَ اَلْأَقْدٰامِ (۴۱) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۴۲) هٰذِهِ جَهَنَّمُ اَلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا اَلْمُجْرِمُونَ (۴۳) يَطُوفُونَ بَيْنَهٰا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (۴۴) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۴۵) وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ (۴۶) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۴۷) ذَوٰاتٰا أَفْنٰانٍ (۴۸) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۴۹) فِيهِمٰا عَيْنٰانِ تَجْرِيٰانِ (۵۰) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۱) فِيهِمٰا مِنْ كُلِّ فٰاكِهَةٍ زَوْجٰانِ (۵۲) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۳) مُتَّكِئِينَ عَلىٰ فُرُشٍ بَطٰائِنُهٰا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى اَلْجَنَّتَيْنِ دٰانٍ (۵۴) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۵) فِيهِنَّ قٰاصِرٰاتُ اَلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ (۵۶) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۷) كَأَنَّهُنَّ اَلْيٰاقُوتُ وَ اَلْمَرْجٰانُ (۵۸) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۵۹) هَلْ جَزٰاءُ اَلْإِحْسٰانِ إِلاَّ اَلْإِحْسٰانُ (۶۰) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۱) وَ مِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ (۶۲) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۳) مُدْهٰامَّتٰانِ (۶۴) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۵) فِيهِمٰا عَيْنٰانِ نَضّٰاخَتٰانِ (۶۶) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۷) فِيهِمٰا فٰاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمّٰانٌ (۶۸) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۶۹) فِيهِنَّ خَيْرٰاتٌ حِسٰانٌ (۷۰) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۷۱) حُورٌ مَقْصُورٰاتٌ فِي اَلْخِيٰامِ (۷۲) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۷۳) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ (۷۴) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۷۵) مُتَّكِئِينَ عَلىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسٰانٍ (۷۶) فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ (۷۷) تَبٰارَكَ اِسْمُ رَبِّكَ ذِي اَلْجَلاٰلِ وَ اَلْإِكْرٰامِ (۷۸)

اللغه

۳۷[كالدهان]:كالدهن،أى عذاب سيّال كالدّهن،أحمر كالنّار.

۴۱[بسيماهم]:أى بعلاماتهم،و هى سواد الوجوه،و زرقه العيون.

[النواصى]:الناصيه شعر مقدّم الرأس،و أصله الاتصال،فالناصيه متصله بالرأس.

۴۴[آن]:فى شدّه الحراره،قد انتهى حرّه إلى آخر درجه، و الآنىّ الذى بلغ نهايه حرّه،و قيل:الآنىّ الحاضر.

۴۸[ذواتا أفنان]:الأفنان جمع فنن و هو الغصن الغضّ الورق،و منه قولهم:هذا فنّ آخر أی نوع آخر.و یجوز أن یکون جمع فنّ.

۵۴[إستبرق]:دیباج ثخین و غلیظ یسبّب الراحه.

[و جنا الجنّتین دان]:أی الذی یجنی منها و هو الثمر متهدّل علی رؤوسهم یتمکّن القاعد و النائم أن یناله بسهوله.

۵۶[قاصرات الطرف]:مقصوره أبصارهن علی أزواجهنّ، لا یردن غیرهم.

[لم یطمثهنّ]:أی لم یفتضهنّ أحد،و الافتضاض:

النکاح بالتسمیه،و المعنی لم یطأهن و لم یغشهن أحد،و فی قول آخر:لم یمسّنّ لا بالجماع و لا بغیر الجماع.

۶۴[مدهامّتان]:من دهم بمعنی السواد،أی أنّه الجنتین خضراوتان،تضربان الی السواد من شدّه الخضره،فلا یبس لهما.

۶۶[نضّاختان]:فوّارتان،و النضّاخه:الفوّاره،التی ترمی بالماء صعودا.

۷۲[مقصورات]:محفوظات مخدّرات.

ص:۳۳۰

۷۶[رفرف خضر]:هی الفرس المرتفعه،و قیل:الوسائد.

[و عبقری حسان]:کل ثوب موشّی یقال له عبقری، و لعل الثوب الموشّی هو الثوب المطرز و المزخرف.

ص:۳۳۱

وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ

هدی من الآیات:

بعد ان یذکرنا القرآن بانشقاق السماء یوم القیامه،و یعرض لنا فی بضع آیات منه حال المجرمین و عذابهم(۴۷/۳۵)(ربما لان الإسهاب فی ذلک لا ینسجم مع سیاق السوره التی تکشف لنا عن تجلیات اسم الرحمن فی الخلیقه)بعدئذ یستعرض بشیء من التفصیل التجلیات الأعظم لرحمه اللّه،و ذلک من خلال الحدیث عن ثواب أهل الجنه و الذی یقع فی(۳۳)آیه کریمه تمتد الی آخر السوره.

ان ربنا رحیم و آلاء رحمته ظاهره فی الدنیا و الآخره،و لکن النظره السلبیه الناتجه من امراض النفس و عقدها و من الفلسفات الضاله هی التی تعمینا عن هذه الحقیقه الجلیه،فاذا بنا ندس بناتنا فی التراب خوف العیله،و نقتل أولادنا و نغل أیدینا عن العطاء،و لا نوفی الکیل و المیزان،و انما نبخس الناس أشیاءهم کل ذلک خشیه الفقر و نأکل اموال الیتامی ظلما،کل ذلک لاننا لا نطمئن الی رحمه اللّه الذی

يبسط الرزق لمن يشاء،و الذى نعمه لا تعد و لا تحصى،و يعلم اللّه كم تسبب هذه النظره الموغله فى السلبيه فى العقد و الانحرافات النفسيه و الاجتماعيه عند الإنسان، فهى التى تغل فاعلياته و تمنعه من السعى،و لماذا يسعى و هو يائس من التوفيق و النجاح؟ بينما النظره الايجابيه الى أسماء اللّه،بالتعرف عليها و الايمان بها،تملأ القلب أملا و رجاء و تبعث بالإنسان نحو السعى و النشاط،و تفجر الطاقات الكامنه فى شخصيته،انه حينئذ ينفق و يضحى فى سبيل اللّه و من أجل مبادئه،راضيا بما يفعل،مطمئنا الى رحمه ربه،

و فى الخبر «من أيقن بالخلف جاد بالعطيه » (۱)و كيف يوقن أحد بالخلف فيعطى أو يقلع من ذنوبه و اخطائه و هو لا يعرف ربه بالرحمه و الغفران؟!الا ريب انه لن ينفق و لن يتوب.

و لذلك يسعى القرآن بمنهجيته الحكيمه التى يلمسها المتدبر فى آياته مواجهه النظره السلبيه المقيته،و بث البصيره الإيجابيه فى ردع البشر تجاه ربه و حيث تدعونا هذه السوره الى التعرف على اسم(الرحمن)،و تذكرنا بمظاهر هذا الاسم فى الخليقه، و الآيات الهاديه اليه فانها تحذرنا من التكذيب بها،بذكر جانب من عذاب المجرمين الذين صاروا الى الجريمه بسبب تكذيبهم كما ترغّبنا فى التصديق بها،من خلال التفصيل فى بيان جزاء الذين عرفوا الرحمن حق معرفته،و قدروه حقّ قدره فخافوا مقامه.

بينات من الآيات:

[۳۸-۳۷]يمكن للإنسان فى الدنيا أن يكذب بآلاء ربه(نعمه و آياته)أو يتملص من تطبيق الحق،و يبرر ذلك بمختلف الحجج الواهيه،لأن اللّه أمهله فيها

۱- ۱) بح/ج ۶ ص ۱۳۳

و سمح له أن يفعل ما يشاء،أما فى الآخره حيث يخلص الحكم للّه،فلا يملك إلّا التسليم للحق،قال تعالى: وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَهُ تَنْزِيلاً* الْمُلْكُ يَوْمَئِذِ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ وَ كانَ يَوْماً عَلَى الْكافِرِينَ عَسِيراً (۱)فمنظر القيامه بما فيه من تحولات كونيه هائله يعرى الإنسان من كل لبس فى شخصيته الفقيره المحتاجه.

ان السماء هذا السقف العظيم الذى يحفظ الناس و يظلهم تفقد تماسكها يوم القيامه،و يتبدل لونها من الزرقه الى الحمره تشبه فى ذلك الورده الحمراء، وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَهٌ (۲)ثم تذوب و تسيل «يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ» (۳)حتى تضحى دهانا،و هو ما يستخرج من الورد بعد غليه و عصره.

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَهً كَالدِّهانِ لعل سبب تشبيهها بالورده لأنها ليست قطعه واحده،بل عده قطع منشقه عن بعضها،ذات صبغه حمراء،يجمعها الأصل،و لان السماء(السقف المرفوع)هى رمز الأمن و السلام،فان انشقاقها يؤذن بالأخطار و الخوف،و لهذه الآيه اتصال وثيق بالآيه(۳۵) «يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ» ذلك ان الغلاف الجوى-أحد طبقات السماء-هو الذى يمنع عنا النيازك و الغازات الحارقه،و لو حدث-لا سمح اللّه-أن انشق فان الأرض ستكون عرضه لتلك الاخطار،و يقول العلماء:لو فتحت ثغره فى الغلاف الواقى-لنفترض مثلا بمساحه كيلومتر مربع واحد-فان الأرض تحته لا تصلح للحياه أبدا..لما تنهال عليها من خلال تلك الثغره من اشعه ضاره أو نيازك حارقه مدمره.

و هل لنا ان نفهم من هذه الحقيقه العلميه شيئا بسيطا عن طبيعه الحياه حينما

۱- ۱) الفرقان۲۵/-۲۶

۲- ۲) الحاقه۱۶/

۳- ۳) المعارج۸/

تتفطر السماوات السبع و تستحيل لهبا و مهلا-؟! ان أحدا لا- يملك يومئذ أن يكذب بهذه الآيه من آيات اللّه،و التى تظهر هيمنته،و ضروره التسليم له-و هو لو شاء لجعلنا نصدق بآلائه و آياته بالقوه-و هو القائل: طسم* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ* لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ* إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَهً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (۱).

و لكن رحمته تأبى ذلك كما أنّ حكمته من خلقنا فى الحياه الدنيا و التى صرّح بها بقوله: اَلَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاهَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (۲)لا تتفق مع هذا النهج.

فَبِأَىِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [۳۹-۴۰]بلى.ان أحدا لن يجرأ حينها على التكذيب أبدا،بل يخضع الجميع خضوعا مطلقا للحق فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إِلىَ شَىْءٍ نُكُرٍ* خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ* مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ يَقُولُ الْكافِرُونَ هَذا يَوْمٌ عَسِرٌ (۳)و لا- يجرأ أحد حتى على الكلام،إلاّ- بعد اذن سبق من اللّه يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ (۴)فكيف يستطيع أحد ان يكذب ربه ذلك اليوم؟!بلى.قد يؤخر العذاب عنهم فى الدنيا فيجدون فرصه للتكذيب،و التبرير،و إخفاء ذنوبهم.أما يوم القيامه فهو-سبحانه-محيط بهم من كل جانب.

۱- ۱) الشعراء ۱/-۴

۲- ۲) الملك ۲/

۳- ۳) القمر ۶/-۸

۴- ۴) هود ۱۰۵/

فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لاٰ جَانٌّ و يكفى بهذا رادعا لنا عن المعاصى،و التكذيب بالنعم و الآيات،الذى هو من أكبر الذنوب.

فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ [۴۱-۴۲]ان المحاكم فى الدنيا تقام من أجل معرفه المجرم،اما فى الآخره فهى تقام لغرض آخر،و هو إثبات العداله الإلهيه اثباتا عمليّا للخلق،فليس معنى «لاٰ يُسْئَلُ» انهم لا يحاكمون البتّه،لان اللّه يقول: وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ قٰالَ أَ لَيْسَ هٰذا بِالْحَقِّ قٰالُوا بَلىٰ وَ رَبِّنٰا قٰالَ فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۱)و قال: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوٰاجَهُمْ وَ مٰا كٰانُوا يَعْبُدُونَ* مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَاهْدُوهُمْ إِلىٰ صِرٰاطِ الْجَحِيمِ* وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (۲).

عن الذنوب هل هى من قبلهم أم لا.فهم معروفون عند اللّه.و لكن هذا الايقاف ليس لسؤالهم و انما السؤال للتبكيت و التقريع.إذا لا ينبغى أن نختفى وراء جدر التبرير و الأعذار لاننا لن نجد مجالا يومئذ لبيانها حتى تقبل أو ترد.

و قيل:ان فريقا من المجرمين و هم أئمه الاجرام و الكفر و الموغلين فى الانحراف لا يسألون حتى مجرد السؤال و انما يؤمر بهم الى جهنم مباشره حيث العذاب،و لا يعطون فرصه لسؤالهم إمعانا فى تحقيرهم و إهانتهم و عذابهم،

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

«ان اللّه عزّ و جلّ يحاسب كل خلق إلاّ من أشرك باللّه عزّ و جلّ فانه لا يحاسب، و يؤمر به الى النار » (۳)

و قال :«سته يدخلون النار بغير حساب منهم الأمراء

۱- ۱) الانعام ۳۰/

۲- ۲) الصافات ۳۲/-۳۴

۳- ۳) بح/ج ۷ ص ۲۶۰

بالجور » (۱)

و قال الصادق علیه السلام :«ثلاثه یدخلهم اللّه النار بغیر حساب،امام جائر،و تاجر کذوب،و شیخ زان » (۲).

و السؤال کیف یعرف المجرمون یوم القیامه؟! ان اللّه یعرفهم بعلمه الذی أحاط بکل شیء،و من خلال کتب أعمالهم،ثم ان یوم القیامه هو التجلی الأعظم للحقائق،فالذی یأکل أموال الیتیم بالباطل انما یأکل فی بطنه نارا و هذه الحقیقه تتجلی یومئذ لکل الناس،حیث یشاهده العالمون و النار تشتعل فی بطنه اشتعالا.

کما ان الذی یمارس الجریمه-أیّه جریمه-فانها تترک أثرا علی شخصیته،بید ان الحقیقه خافیه علی الناس فی الدنیا،أما فی الآخره حیث تبلی السرائر فانها تظهر علی الملاء لا تخفی منه خافیه،فإذا به یأتی مسودا وجهه کقطعه من لیل دامس الظلام،و فی المقابل تری المؤمنین و المؤمنات مبیضه وجوههم یَسْعیٰ نُورُهُمْ بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ بِأَیْمٰانِهِمْ (۳)یَوْمَ تَبْیَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِینَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ کَفَرْتُمْ بَعْدَ إِیمٰانِکُمْ فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ (۴) هذه عاقبه الکفر.و قد ثبت علمیا ان الجریمه تترک أثرها علی فاعلها،کالارتباک،و التلعثم فی الکلام أثناء الاستجواب مما یعکس حاله نفسیه معینه تخلقها الجریمه عنده،و لعل العلم إذا تطور و تقدم یلحظ اثارا ماديه علی شخصیه الإنسان کألوان لا تلحظ بالعین المجرده تعلو الوجه..

۱- ۱) میزان الحکمه/ج ۲ ص ۴۱۹ عن کنز العمال ح(۴۴۰۳۰)

۲- ۲) بح/ج ۷۵ ص ۳۳۷

۳- ۳) الحدید۱۲/.

۴- ۴) آل عمران۱۰۶/

ان ذلک حقیقه واقعیه فی الدنیا و الآخره،و لکن الفرق بینهما اننا فی الدنیا محجوبون عن رؤیه تلک الآثار بوضوح کاف،أمّا فی الآخره فیکشف عنا الغطاء فاذا ببصرنا حدید،و حتی فی الدنیا لو تطور علمنا باتجاه الیقین لتکشف لنا الکثیر من الحقائق المغیبه.

یُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِیمٰاهُمْ فَیُؤْخَذُ بِالنَّوٰاصِی وَ الْأَقْدٰامِ و یجرون الی النار حیث یعذبهم ملائکه شداد غلاظ و الناصیه هی مقدمه الرأس،و هذا العذاب جزاء تکذیبهم بالحقائق الربانیه و الآیات الداله علیها و من بینها النار،فلم یحتسبوا انهم مواقعوها فیستعدوا،و یعملوا للخلاص من حرّها، فوقعوا فیها،و ربنا یحذرنا من التکذیب بها.

فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ [۴۳-۴۵]و الآیات السابقه تشیر الی امکانیه تعاون الجن و الانس فی المعصیه و التکذیب،و هذا امر واقعی،لأن أبالسه الجن من المکذبین باللّه هم الذین یوسوسون فی صدور الناس،و یثیرون فی البشر عوامل المعصیه و الانحراف،لذلک أمرنا اللّه بالاستعاذه مِنْ شَرِّ الْوَسْوٰاسِ الْخَنّٰاسِ* الَّذِی یُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النّٰاسِ* مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّٰاسِ (۱)،بل قد یصل التعاضد بینهما علی التکذیب الی الحد المادی،قال تعالی حاکیا عن الجن: وَ أَنّٰا ظَنَنّٰا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَی اللّٰهِ کَذِباً* وَ أَنَّهُ کٰانَ رِجٰالٌ مِنَ الْإِنْسِ یَعُوذُونَ بِرِجٰالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزٰادُوهُمْ رَهَقاً* وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا کَمٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ یَبْعَثَ اللّٰهُ أَحَداً (۲)و الشعوذه و السحر القائمان علی التکذیب باللّه و بآیاته هما من صور التعاون بین الاثنین.

۱- ۱) الناس۴/-۵

۲- ۲) الجن۵/-۷

و لكن مهما كذب الفريقان بالحقائق الواقعيه كالنار و تعاونا على ذلك،فانها لن تتبدل و لن تنتفى أبدا،فالنار موجوده و ان كذبنا بها،كما ان تكذيب بعض السوفسطائيين بواقعيه الخلق لا يحيله خيالا،بل ان التكذيب بالنار يجعلها أقرب و أشد على المكذب بها،و يوم القيامه يؤتى بالمجرمين مأخوذين من نواصيهم و أقدامهم الى جهنم،و يقال لهم:

هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ فيرونها عين اليقين،و يصدقون بها بعد طول تكذيب،و لكن ماذا ينفعهم الاعتراف حينئذ،بلى.إذا عرف الإنسان بالخطر قبل وقوعه فيه،و كانت ثمه فرصه يستغلها للنجاه ينفعه علمه.بيد ان هؤلاء كذبوا فعلا بآيات اللّه الداله الى هذا الحق،فصاروا من حطب جهنم و وقودها،فتراهم ينتقلون بين النار و الحميم.

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ أى بالغ الحده:حراره و غليانا،و منه آنت الثمره:إذا نضجت و أينعت، و المجرمون فى طواف دائم،تسوقهم الملائكه بين جهنم النيران(أشدها حراره) و بين السوائل المغليه الى درجات عاليه من الحراره،و ان المجرم يحترق بالنار، و يفقد سوائل جسمه،فيسعى لشرب الماء فيجده حميما،و هذا هو حال النعمه حينما يفرط فيها الإنسان،فيكذب بها،و ينسبها الى غيره شركا،أو يستخدمها فى المعصيه و لا يؤدى حق شكرها،و حرىّ بنا أن نصدق بآلاء الرحمن،و نؤدى واجبنا تجاهها.انها رحمه من اللّه فأما أن نصيّرها نقمه أو نجعلها رحمه أكبر و أوسع،تنمو فى الدنيا و نتلقاها أضعافا مضاعفه فى الآخره.

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

[۴۷-۴۶]و ینتهی السیاق یحدثنا عن جزاء أولئک الذین عرفوا ربهم حق معرفته،عرفوه بأنه الرحمن فصدقوا بآلائه،و رغبوا فی رحمته قلبا،وسعوا إلیها عملا ففتحت لهم أبوابها فی جنه عرضها کعرض السماوات و الأرض.

و هکذا یطبع السیاق صفه ثنائیه علی آیات هذه السوره(اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ ، وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ ،و السماء و المیزان،و الفاکهه و النخل،و الحب و الریحان،و الانس و الجان،و الصلصال و النار،و البحرین،و اَللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ)الی ان یحدثنا عن صنفین من الناس فی سلوکهم و جزاء اللّه لهم،و هم المجرمون الذین انتزعوا من قلوبهم خشیه الخالق،فصاروا لا یتناهون عن منکر،و یحدثنا فی مقابلهم عن الخائفین، الذین براهم خوف اللّه بری القداح.

و هذا منهج وسائد فی کتاب ربنا حیث یذکرنا بالفارق بین المتقین و الفجار عبر بیان الفوارق بین الأشیاء المختلفه لنزداد وعیا بهذه المفارقه،و تصدیقا بآثارها فی الآخره.

و للثنائیه التی صبغت بها آی سوره الرحمن فائده اخری تلک هی العلم بالفوارق الممتده بین الأشیاء،فعند ما یکون المرء جاهلا یری الأشیاء المختلفه بلون واحد، و لکنه کلما تقرب الی العلم کلما بدت له الفوارق أکثر وضوحا و عددا،فالغازات کلها عند الإنسان تنضوی تحت اسم عریض هو الهواء،و إذا به الآن و قد تقدم به العلم تزید علی مئات الأنواع،کما ان هذه الثنائیه تدلنا علی الحاجه أیضا،حیث یحتاج کل اثنین الی من یدبر أمرهما اذن فهذه الثنائیه بین المخلوقین تهدینا الی الثنائیه المطلقه بین المخلوق و الخالق.

وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ

هؤلاء لا يعبدون اللّه خوفا من النار فقط و لا طمعا فى الجنه فحسب-و ان كان ذلك بعض تطلعاتهم-و لكن دافعهم الأساس للعباده هى المعرفه اليقينيه العميقه بربهم-عزّ و جلّ-إذ انهم وجدوه أهلا للعباده فعبدوه،

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«فتلك عباده الأحرار،و هى أفضل العباده »

و قال زين العابدين عليه السلام :«انى أكره أن أعبد اللّه و لا غرض لى إلّا ثوابه،فأكون كالعبد الطمع المطمّع،ان طمع عمل و الألم يعمل[و]اكره أن[لا]أعبده إلّا لخوف عقابه،فأكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل»..قيل:فلم تعبده؟!قال:«لما هو أهله بأياديه على و انعامه » (۱)

و يبين الامام الرضا عليه السلام خلفيه هذا النهج فى العباده إذ يقول عليه السلام :«لو لم يخوف اللّه الناس بجنه و نار لكان الواجب عليهم أن يطيعوه و لا يعصوه،لتفضله عليهم،و إحسانه إليهم،و ما بدأهم به من انعامه الذى ما استحقوه » (۲).

و الامام الصادق عليه السلام يشير إلى الدوافع الحقيقيه لسلوك هذا الفريق الا و هو العلم و المعرفه،فيقول:«من علم انّ اللّه عزّ و جلّ يراه،و يسمع ما يقوله و يفعله من خير أو شر،فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال،فذلك الذى خافَ مَقامَ رَبِّهِ، وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ» (۳).

و حتى لو خشى هؤلاء النار،أو طمعوا فى الجنه فليس لذاتيهما،بل لان الأولى تبعدهم عن اللّه،و الثانيه تقربهم الى مقامه تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر،

و الامام على عليه السلام يقول فى مضمون حديث: لو علمت ان رضا اللّه فى ان ألقى بنفسى فى النار لفعلت،و لو علمت ان رضى اللّه فى أن ألقى بنفسى من على شاهق لفعلت.

۱- ۱) بح/ج ۷۱ ص ۱۷۴

۲- ۲) المصدر/ص ۲۱۰

۳- ۳) أصول الكافى ج /۳ص ۱۲۶

و لان هذا الفريق من العباد خافوا ربهم فی الدنیا استحقوا أمنه و جناته فی الآخره.

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله :«قال اللّه تبارک و تعالی:و عزتی و جلالی لا أجمع علی عبدی خوفین و لا أجمع له أمنین،فاذا أمننی فی الدنیا أخفته فی الآخره یوم القیامه،و إذا خافنی فی الدنیا آمنته یوم القیامه » (۱)و هؤلاء یستحون من ربهم،و یخافون شهوده فی السر و العلانیه،و الجنتان التی یعطیها اللّه لهم هی فی مقابل العذابین(جهنم و الحمیم)اللذین یطوف بینهما المجرمون.

قال البعض:ان هؤلاء هم أرفع المؤمنین درجه و مقاما،حیث لا یرقی الأدنی الی منزله الأرفع فان اللّه أعطاهم جنتین،جنه تخصهم و أزواجهم،و جنه یستقبلون فیها المؤمنین کدار للضیافه،و قال قائل:الجنه الأولی داخل بیته و الثانیه خارجه،و قال آخرون:ان الأولی جزاء أعمالهم و الاخری زیاده و فضلا من عند اللّه،و قیل:ان الأولی جزاء أعمالهم و سلوکیاتهم،و الثانیه جزاء ما انطوت علیه قلوبهم من العلم و المعرفه،و نفوسهم من الإیمان و التصدیق،و الذی یظهر من عموم القرآن ان للمؤمنین أکثر من جنتین قال تعالی: وَ مَنْ یُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ یُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ (۲).

و قوله: «جَنَّتانِ» یخص بالذکر اثنتین تتمیزان عن سائر الجنات،و هما جنه عدن و جنه الفردوس،أو جنه عدن و النعیم،أو هی الخلد و المأوی.

فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۱۹۶

۲- ۲) النساء۱۳/

بعد بيان مقام الخائفين من مقام ربهم يطرح القرآن هذا التساؤل،ربما ليقول لنا بان السبل مشرعه للجميع لو أرادوا الوصول الى هذه المنزله الرفيعه،لأن اللّه لم يجعلها حكرا على أحد،و لكن يشترط أن لا يكذب بآلاء ربه،فذلك يحرمه منها.

[۴۹-۴۸]و يشوقنا الوحى الى تلك الجنتين،إذ يرينا صورا رائعه عنهما و يكتسب التشويق أهميته من كونه إذا تفاعل معه السامع،و صدق به،يتحول الى ما يشبه الوقود فى داخل الإنسان،يدفعه بفاعليه قويه و عميقه الى العمل على تحقيق الغايه المطلوبه منه.

و البشر يخشى الاجرام و يتجنبه مرّه لأنه يؤدى الى جهنم،و مره لأنه يخسر الإنسان قربه من ربه و ثوابه الجزيل.

ذَواتا أَفْنانٍ اشاره الى صفتين لتينك الجنتين،إحداهما:كثره الأغصان،و العرب تقول للغصن فنن و جمعه أفنان،و هى لا شك تدخل على النفس البهجه و السرور،بالنظر الى خضرتها و كثافتها،و كثره الأغصان تدل على نوع معين من الأشجار غير ذات السوق كالنخل،و الشجر تلك تكون أكثر استيعابا للثمر،كما انها تلقى بظلها على أ لأرض ليجد المؤمنون لذه الجلوس فى الظلال، «مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً* وَ دانِيَهً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا» (۱)«هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِى ظِلالٍ عَلَى الْأَرائِكِ مُتَّكِؤُنَ» (۲)و الصفه الثانيه:التنوع،قال صاحب المنجد:أفنان،و فنون،و أفانين:الضرب من الشىء أو النوع (۳).

۱- ۱) الإنسان۱۲/-۱۴

۲- ۲) يس۵۶/

۳- ۳) راجع معنى(فنن)المنجد.

و يعود السياق هنا-و بعد ذكر كل نعمه فى الجنه-ليشفى قلوبنا من داء التكذيب بآلاء اللّه،و هذا هو طبيعه منهج القرآن:انه لا يجعل الحديث عن المستقبل الغائب مجردا و بعيدا عن واقعنا،بل يوصله بنا،و يسعى من خلال ذكره الى علاج مشاكلنا،و دفعنا باتجاه ايمان و معرفه أكثر و أعمق،و هو فى هذا المورد يريد القول بان ذلك النعيم نتيجه شكر نعيم الدنيا.

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ و يصرح القرآن بهذه الحقيقه بعد حديث مفصل عن الجنه فى سوره الإنسان قائلا: إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (۱)بل هى التجلّى الأعظم لقول اللّه: وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِى لَشَدِيدٌ (۲) إذا لندع التكذيب بآلاء اللّه.

[۵۱-۵۰]و تطمع نفوسنا المجبوله على حب الاستطلاع فى معرفه المزيد من الجنتين،فيقول ربنا:

فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ العين فى الدنيا تتصل بمخازن الماء فى الأرض و كلما استنزفت ملأتها المخازن، و لكن اللّه لا يقول«عينان»و حسب،بل يضيف«تجريان»و توحى هذه الجمله بان الماء هناك فى حركه دائمه مما تزيد المنظر روعه و جمالا.

و لا يذكر القرآن ما فى العينين:هل هو الماء،أم اللبن،أم الخمر،أم العسل، أم هو شىء آخر؟و الإبهام يزيد النفس شوقا،و اللّه يبهم قاصدا و هو القائل:

۱- ۱) الإنسان۳۲/

۲- ۲) إبراهيم۷/

«فَلٰا»تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱).

فيا حسره على العباد يتحبب لهم ربهم فيتبغضون اليه،و يتقرب منهم فيبتعدون عنه،و يفتح لهم أبواب رحمته ثم يدعوهم إليها فيعرضون،و يكذبون،و هو لا يزال يتلطف بهم،لا يسخط من تكذيبهم،و لا يعرض عنهم بانحرافهم عن آلائه بل يكرر عتابه.

فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ و له العتبى حتى يرضى،انه لا يحتاج الى تصديقنا به،و شكرنا لآلائه فذلك لا يزيده شيئا،كما لا ينقص كفرنا و تكذيبنا من مقامه تعالى شيئا،انما نحن المحتاجون اليه.

[۵۳-۵۲]و جانب آخر من نعيم الجنتين الأكل،و القرآن لا يحدثنا عن أوليات النعمه(الأشياء الضروريه)انما يحدثنا عن تمامها(الكماليات)و هى الفواكه،مؤكدا بأنها الأخرى موجوده و فى غايه الكمال،كثره و تنوعا.

فِيهِمٰا مِنْ كُلِّ فٰاكِهَهٍ زَوْجٰانِ فليس ثمه فاكهه إلّا و هى موجوده،و الفاكهه بالإضافه الى فائدتها الماديه للجسم،فهى لها نكهه و لذه خاصه يجدها الإنسان فى منظرها على المائده أو فى الشجر،حيث الأشكال و الألوان البديعه،و فى روائحها الطيبه و مذاقها اللذيذ، و لعل اسمها مشتق من الفاكهه و التفكّه و هو حديث ذوى الأنس و السرور.

و السؤال:ما معنى «زَوْجٰانِ» ؟

۱- ۱) السجده۱۷/

قیل:من کل نوع صنفان،أحدهما یشبه الذی فی الدنیا،و الآخر یختلف عنه فی حجمه و مذاقه و ألوانه،مما یختص بالآخره و هو الأفضل،قال تعالی: وَ بَشِّرِ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ کُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَهٍ رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِی رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً (۱)و قد یکون المعنی من الزوجین:أی ان ما فی الجنه الأول موجود فی الثانیه،فیکون المقصود المقابله و أو یکون المعنی:نوعین من الفاکهه الواحده،و یحتمل معنی التکامل،بحیث تجد لکل فاکهه اخری تکملها شکلا و فائده،و کما نعیم الجنه یکمل بعضه بعضا، کذلک عذاب النار،فجهنم یکملها الحمیم الآن.

و هذا النعیم لا یحصل علیه إلّا من عرف الرحمن،و قدّره حق قدره،فصدق آلاءه،و خاف مقامه.

فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ و هذه الآیات تؤکّد أن الحدیث عن الجنه و النار حق و لیس مجرد إثاره لحاله الطمع و الخوف عند البشر-کما یزعم البعض-ذلک ان ربنا غنیّ عن مخالفه وعده،أو بیان ما لیس بحق،و ان قدرته فی موضع الرحمه،أو فی موضع النکال و النقمه مطلقه لا یحدها شیء، إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۲)و لکن مشکله الإنسان أنه یقیس الأمور علی قدره،و حسب قدراته و فهمه المحدودین،فلأنّه لا یستطیع إحیاء الموتی یشکک فی البعث،و لأنه محجوب عن علم المستقبل و ما لا یراه،تراه یرتاب فی الغیب أو یکفر به،و هذا نوع من الشرک الفکری،قال تعالی: وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِیعاً قَبْضَتُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ

۱- ۱) البقره۲۵/

۲- ۲) یس۸۲/

وَ السَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ (۱).

و حتى يتجاوز الإنسان هذا الشرك الذى يقوده الى التكذيب بآيات اللّه،يجب أن ينظر الى الأمور،و بالذات الحقائق الكبيره من خلال الايمان بقدره اللّه المطلقه، مٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (۲).

[۵۵-۵۴]بلى.ان الجنه حق،كما الوجود حق،و كما الموت حق،و الذين يدركون هذه الحقيقه ببصائرهم،و ينفذ نور الايمان باللّه الى كل ابعاد قلوبهم، فإنهم لا يعرفون وقفه عن العمل الصالح،و الكلم الطيب حتى الرمق الأخير،انهم صيح بهم فانتبهوا،و علموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا،و ما تركوا لحظه تمر عليهم من ليل و لا نهار،إلّا ازدادوا فيها ايمانا و عملا فى سبيل اللّه،لأنهم أدركوا بان الحياه الدنيا فرصه محدوده يخسرها من يغفل عنها.

و إليك برنامجهم فى الحياه عن لسان أميرهم و سيدهم

الامام على عليه السلام :

«أما الليل فصافون أقدامهم،تالين لأجزاء القرآن،يرتلونها ترتيلا،يحزنون به أنفسهم،و يستثيرون به دواء دائهم،فاذا مرّوا بآيه فيها تشويق ركنوا إليها طمعا،و تطلعت نفوسهم إليها شوقا،و ظنوا انها نصب أعينهم،و إذا مرّوا بآيه فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم،و ظنوا أن زفير جهنم و شهيقها فى أصول آذانهم،فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم و أكفهم و ركبهم، و أطراف أقدامهم،يطلبون الى اللّه تعالى فى فكاك رقابهم،و أما النهار فحلماء علماء،أبرار أتقياء،قد براهم الخوف برى القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى،و ما بالقوم من مرض و يقول:لقد خولطوا!

۱- ۱) الزمر۶۸/

۲- ۲) الحج۷۴/

و لقد خالطهم أمر عظيم!لا يرضون من أعمالهم القليل،و لا يستكثرون الكثير،فهم لأنفسهم متهمون،و من أعمالهم مشفقون.إذا زكّى أحد منهم خاف مما يقال له،فيقول:أنا أعلم بنفسى من غيرى،و ربى أعلم بى منّى بنفسى! اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون،و اجعلنى أفضل مما يظنون،و اغفر لى ما لا يعلمون.

فمن علامه أحدهم أنک ترى له قوه فى دين،و حزما فى لين،و أيمانا فى يقين، و حرصا فى علم،و علما فى حلم،و قصدا فى غنى،و خشوعا فى عباده،و تجمّلا فى فاقه،و صبرا فى شده،و طلبا فى حلال،و نشاطا فى هدى،و تحرجا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحه و هو على وجل،و يمسى و همه الشكر،و يصبح وهمه الذكر، و يبيت حذرا،و يصبح فرحا،حذرا لما حذّر من الغفله،و فرحا بما أصاب من الفضل و الرحمه،ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب، قره عينه فيما لا يزول،و زهادته فيما لا يبقى.يمزج الحلم بالعلم،و القول بالعمل.

تراه قريبا أمله،قليلا زلله،خاشعا قلبه،قانعه نفسه،منزورا أكله،سهلا أمره، حريزا دينه، ميّته شهوته،مكظوما غيظه.الخير منه مأمول،و الشر منه مأمون.ان كان فى الغافلين كتب فى الذاكرين،و ان كان فى الذاكرين لم يكتب من الغافلين.يعفو عمن ظلمه،و يعطى من حرمه،و يصل من قطعه.بعيدا فحشه، ليّنا قوله،غائبا منكره،حاضرا معروفه،مقبلا خيره،مدبرا شره،فى الزلازل و قور،و فى المكاره صبور،و فى الرخاء شكور.لا يحيف على من يبغض،و لا ينسى ما ذكّر،و لا ينابز بالألقاب،و لا يضار بالجار،و لا يشمت بالمصائب،و لا يدخل فى الباطل،و لا يخرج من الحق.ان صمت لم يغمّه صمته،و ان ضحک لم يعل صوته،و إن بغى عليه صبر حتى يكون اللّه هو الذى ينتقم له.نفسه منه فى عناء، و الناس منه فى راحه.أتعب نفسه لآخرته،و أراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد و نزاهه،و دنوه ممن دنا منه لين و رحمه.ليس تباعده بكبر و عظمه،

و لا دنوه بمكر و خديعه » (۱).

هـذا فی الـدنيا،أما فی الآخره فإنهم ينوون مواصـله التعب شـكرا للّه،و لكنهم فور ما يسـجدون يخاطبهم الجليل الأعلی ليس هذا يوم تعب و عباده،انها دار الراحه و الحصاد بعد تعب الدنيا و عملها.

مُتَّكِئِينَ عَلیٰ فُرُشٍ بَطٰائِنُهٰا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ أی داخل المتكأ و حشوه من الـديباج الغليظ،و الإسـتبرق كما قالوا:كلمه معربه من قولهم: (ستبرك)و هو مصغر(ستبر)بمعنی الثخين الغليظ،و قالوا:ان ما كان حشوه حريرا خالصا فظاهره يكون كذلك بالأحری (۲).

و الآيه بكل مفرداتها و ايحاءاتها تعبير بليغ عن أقصی غايات الراحه،فهم متكئون و علی فرش الحرير الناعم البارد و المريح،و من حولهم كل صنوف الفواكه، و من تحتهم الأنهار بأنواعها،و تظلهم الأغصان النضره الخضراء النديه.

وَ جَنَی الْجَنَّتَيْنِ دٰانٍ الإنسان فی الـدنيا لا يحصل علی شـیء إلّا بالتعب و بذل الجهد،و الفلاح لا شك انه يلقی تعبا فی الحصاد و قطف الثمار،لان بعضها بعيد عن متناول يده،فلا بد أن يتمطی لقطفها أو يركب الشجره أو يستخدم وسيله لذلك أی انه لا بد ان يبـذل جهـدا اما فی الآخره فان ثمر الجنه متـدل قريب متی ما اشـتهی المؤمن شـيئا منه تناوله بيـده عن قرب و دنو،أو يتـدلی اليه الغصن بقدره اللّه،فهو لا يتعب من أجل ذلك، و فی الكلمه ايحاء بأن الثمر فی غايه النضج،و علی الدوام و لا يتلف،يقال دنت

۱- ۱) نهج/خ ۱۹۳ ص ۳۰۳

۲- ۲) تفسير الرازی/ص ۲۶ ج ۲۹

الثمره إذا نضجت و اقترب قطافها.

و السؤال الذى يطرح نفسه هو:لما ذا حدّثنا ربنا بصيغه المضارعه عن الاتكاء، و الحال كما نفهم ان الصيغه يجب ان تكون للمستقبل(سيتكئون)؟ الجواب:لان المتكلم هو اللّه،و ما يريده اللّه و يعد به يحدث لا محاله،و سواء عنده تحدث بصيغه الماضى أو الحاضر أو المستقبل،لأنه قادر فعلا على تحقيقه،مثل قوله على صيغه الماضى: وَ أَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا إِنَّهُمْ مِنَ الصّالِحِينَ (۱)أو بصيغه المستقبل كقوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ (۲)أو بكليهما: أَتى أَمْرُ اللّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ (۳)فقد أكد وقوع امره بصيغه الماضى «أَتى» حتى لكان أمره وقع فعلا،و لكنه استدرك قائلا: «فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ» دلاله عدم تحقق وقوعه.

نعم.بالنسبه للمخلوق لا يصح منه القول:فعلت أو سأفعل إذا كان يريد شيئا في المستقبل،لان إرادته محدوده باطار مشيئه اللّه،و قد تعجزها الظروف و العقبات وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً (۴).

و بعد ان يشير القرآن الى اتكاء المتقين الخائفين مقام ربهم على فرش الحرير، بين صنوف الفواكه الدّانيه يوجه خطابه الى الثقلين:بما ذا تكذّبان من هذه الآلاء الربانيه؟

۱- ۱) الأنبياء۸۶/

۲- ۲) النساء۵۷/

۳- ۳) النحل۱/

۴- ۴) فاطر۴۴/

هکذا بعد ذکر کل نعمه من نعیم الآخره یأتی هذا التساؤل لیهدینا الی ضروره حمد اللّه و شکره علی آلائه فی الدنیا عند کل خیر و نعمه.

فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ [۵۶-۵۷] فِیهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ لَمْ یَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاَ جَانٌّ جاء فی المنجد:«الطمث:مصدر الدنس و الفساد» (۱)و سمی دم الحیض طمثا لفساده،و حیث ان البکاره عنوان الطهر و العفه عند المرأه،فان افتضاض بکارتها،و خروج الدم دلیل فساد المرأه أو فساد بکارتها التی تذهب بذلک،و لا ریب ان الواحد یأنس بالبکر و یرغب إلیها أکثر من الثیب،و حور کل جنه انما خلقن لصاحبها لا یسبقه إلیهن أحد من الخلق،و حیث یأتیهن یری علامه ذلک فهن طاهرات.

و لکن لماذا یقول اللّه «وَ لاَ جَانٌّ» ؟ربما لان الجنه للمؤمنین من الإنس و الجن، فأراد التأکید علی عدم سبق أحد إلیهن،و التأکید علی الطهاره الشامله،ذلک أن الشیطان یوسوس للمرأه،و یثیر غلمتها عبر الخیال،و بالذات حین بلوغها،و قد تنتهی بها تلک الوساوس حتی تفض بکارتها بصوره أو بأخری،و لذلک جاء فی القرآن الأمر بالتعوذ منه.

و یسبق تأکیده تعالی علی طهارتهن(المادیه)بعدم الطمث،بیان لطهارتهن المعنویه،فهن قد قصرن طرفهنّ(العینی و النفسی)من غیر أزواجهن،قال أبو ذر رضی اللّه عنه:«انها تقول لزوجها:و عزه ربی ما أری فی الجنه أخیر منک،فالحمد للّه الذی جعلنی زوجک و جعلک زوجی» (۲)و هکذا حال الطاهرات العفیفات من

۱- ۱) راجع ماده طمث

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵ ص ۱۹۸

النساء،و حال الأزكياء من الرجال انهم يمنعهم خوف مقام ربهم ان يمدوا عيونهم الى ما حرم اللّه عليهم،و إذا كان الأمن فى الآخره جزاء خوفهم فى الدنيا،و الراحه (اتكاؤهم على الفرش)جزاء تبعهم و عملهم الدؤوب فيها،فان تلكم الحور جزاء لطهارتهم فى الدنيا،بغضهم من أبصارهم،و ترفعهم عما حرم اللّه،استجابه لدعوته،و التزاما برساله قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ (۱)و لعلنا نهتدى من علاقه قصر الطرف بالطمث،ان النظره المحرمه قد تنتهى الى الزنا،و ذلك مضمون روايات كثيره، منها

قول نبى اللّه عيسى عليه السلام :«لا تكونن حديد النظر الى ما ليس لك فانه لن يزنى فرجك ما حفظت عينك،فإن قدرت أن لا تنظر إلى ثوب المرأه التى تحل لك فافعل » (۲)و ربما نهتدى بذلك الى ان الجنتين ليستا منزلا لمن خاف ربه من الرجال فحسب،بل حتى للمؤمنات العفيفات،اللواتى منعهن خوف اللّه حتى من مجرد النظر الحرام فهن من السابقات الطاهرات،و ربنا يجعلهن يوم القيامه سيدات نسائها،و أعظم جمالا جزاء تقواهن و طهارتهن،حيث يجعلهن كالياقوت و المرجان،و لا ريب ان ذلك مما تتطلع اليه كل أنثى.

جاء فى تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۲۰۱ نقلا عن كتاب من لا يحضره الفقيه عن الامام الصادق عليه السلام :«الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا،و هن أجمل من الحور العين ».

و معنى قوله: «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ» انهن فى الجنه يرجعن أبكارا على الدوام،بحيث إذا جاءهن أترابهن من المتقين وجدوهن أبكارا،لم يسبقهم أحد إليهن،أو ان المعنى،بالطمث المحرم،فهن بعيدات عن ذلك،و لم يتورطن

۱- ۱) النور ۳۰/

۲- ۲) تنبيه الخواطر،و نزهه النواظر(مجموعه و رام)ج ۱ ص ۶۲

فیه مادیا و لا معنویا،فهن من الزوجات التی وعد المتقون: وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ (۱)کما تشمل الآیه قاصرات الطرف من الحور اللواتی یخلقهن اللّه للمتقین خصوصا،و لکن المعنی قد یکون:أنهن قصرن أنظارهن عن غیر أزواجهن،و ان عدم الطمث یکون مطلقا،فهن أبکار فی الجنه و لم یفضّ بکارتهن أحد قبلهم.

و بالعوده الی أول الآیه،و مقارنتها بالآیات السابقه(۴۸-۵۰-۵۲)نجد الخطاب بالتثنیه«ذواتا،فیهما»عطفا علی الجنتین،و لکنه هنا جاء بصیغه الجمع «فِیهِنَّ» و ذلک اما وصلا بالحدیث عن الفرش و هو قریب،حیث یجلس المؤمنون معهن علیها،قال تعالی: مُتَّکِئِینَ عَلی سُرُرٍ مَصْفُوفَهٍ وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِینٍ (۲)و قال: هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِی ظِلالٍ عَلَی الْأَرائِکِ مُتَّکِؤُنَ* لَهُمْ فِیها فاکِهَهٌ وَ لَهُمْ ما یَدَّعُونَ (۳)و هذا العطف یشبه وصله الآیه(۵۸)بالآیه(۵۶)،و اما یکون المعنی:

ان فی الجنتین المذکورتین-و هما الأساس-جنات کثیره فی کل واحده قصورها و حورها الخاصه بها،و قال بعض المفسرین:ان ذلک متصل بالآیه السابقه «فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ» باعتبار الحور شیئا من تلک الآلاء،و ان رحمه اللّه تحیط بالإنسان من کل جانب،و هی تمتد الی الآخره و تتسع هناک-فی الجنه- للمؤمنین،بما لا یقاس بالدنیا،ففی الجنه التجلی الأعظم لاسم الرحمن،حیث النعم المتمیزه کمّا و نوعا و تنوّعا،و إذا کانت رحمته تعالی تشمل المحسن و المسیء فی الدنیا فهی هناک للمؤمنین وحدهم،لأن الآخره دار الفصل.

فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ بلی.أنتم یا معشر الجن و الإنس قد تکذبون بآیات اللّه، و تکفرون بنعمه،

۱- ۱) آل عمران۱۵/

۲- ۲) الطور۲۰/

۳- ۳) یس۵۶/-۵۷

و لكنها تظل تتوالى عليكم،و ربما زادها اللّه ليزداد المكذب إثما،فلا يبقى ثمه حظ له فى الآخره،و لا نصيب من رحمه اللّه،و رحمه ربك خير مما يجمعون وَ لَوْ لاٰ أَنْ يَكُونَ النّٰاسُ أُمَّهً وٰاحِدَهً لَجَعَلْنٰا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّهٍ وَ مَعٰارِجَ عَلَيْهٰا يَظْهَرُونَ* وَ لِبُيُوتِهِمْ أَبْوٰاباً وَ سُرُراً عَلَيْهٰا يَتَّكِؤُنَ* وَ زُخْرُفاً وَ إِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمّٰا مَتٰاعُ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (۱)و ما قيمه حطام الدنيا حتى يغتر به الإنسان،فيعتبره خيرا كلما زاده اللّه منه،و يتخذه وسيله للتمادى فى الكفر، و التكذيب بالرحمن-عزّ و جلّ-إنه سوف يحرم نفسه من رحمته العظمى فى الآخره من العيون،و الأنهار،و الفواكه،و فرش الإستبرق،و الحور العين،فلما ذا يحيل رحمه ربه له فى الدنيا خساره لذلك النعيم،و غضبا عليه بسبب التكذيب؟! و لاننا لا نستوعب حقيقه نعيم الاخره،فانه تعالى يشير اليه إشاره تقريبيّه،من خلال التشبيه،ففى الجنه ما لا عين رأت،و لا أذن سمعت،و لا خطر على قلب بشر،

و فى الأخبار لو حدث اللّه الناس عن الجنه كما هى لما صدقوا ، و لعلنا نهتدى الى هذا المعنى من الآيه الكريمه: فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْيُنٍ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۲)إذ ينفى ظاهرها امكانيه العلم أصلا.

و لكى نقترب من هذه الفكره دعنا نتصور قاصرات الطرف:هل هن يشبهن نساء الدنيا؟و ما مدى جمالهن؟ قد نجيب على تلك الأسئله،و لكن بأى دليل،و على أى مقياس؟!لعل عقولنا بل خيالاتنا تتمكن من استيعاب أقصى حد للجمال،بأجمل امرأه فى العالم،و لكن هل يمكنها ان تتصور جمالا يفوق ذلك مليون مره؟!كلا..لذلك يقول ربنا و هو

۱- ۱) الزخرف۳۲/-۳۵

۲- ۲) السجده۱۷/

يحدثنا عن قاصرات الطرف مشبها:

كَأَنَّهُنَّ الْياقُوتُ وَ الْمَرْجانُ قيل يشبهن الياقوت صفاء،فبشرتهنّ لا يشوبها عيب،و تشبه المرجان حمره،أو هى ناصعه البياض مشرّبه بحمره الياقوت،و ربما نستوحى من الآيه معنى آخر فكما ان الياقوت ليس كأىّ حجر يحصل عليه الإنسان بسهوله،بل لا بد له من البحث عنه و الاجتهاد،و كما ان اليد لا تصل الى المرجان إلاّ بالغوص الى أعماق البحار و تحمل المشقه،فان للجنه ثمنا لا يحصل عليها صاحبها الا به،قال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللّهِ (۱).

و لعل شكر نعم اللّه الماديه و المعنويه من أهم مفاتيح الجنه،فإن شكر الآلاء بارك له و زاده،ليس فى الدنيا و حسب،بل فى الآخره أيضا،لأنها امتداد للأولى،و مصيره فيها يحدده موقفه من نعم اللّه.

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ و للعبد أن يعرف حجم تكذيبه بآلاء ربه،من خلال العذاب الذى سوف يلقاه فى الآخره،و من الحسره و الندامه التى تحل به جزاء خسارته الأبديه الكبرى لنعيم الجنه و ثوابها.

[۶۰]كل أبعاد الخليقه نعمه و هى-بالتالى-من آلاء ربنا الرحمن،

۱- ۱) البقره۲۱۴/

و أصحاب الجنه هم الذين تحسّسوا شهود ربهم عبر آلائه،و عرفوه فآمنوا برسالاته، و اتبعوا رسله،و اتقوه حق تقاته،فأحسنوا بذلك فى الدنيا..لقد أحسنوا التصرف فى نعم اللّه و آلائه كلها،فكان من إحسانهم بذلهم إيّاها للآخرين.إنهم أدركوا بعمق معنى الخوف من مقام ربهم،فلم يجعلوه محدودا بقلوبهم،بل جعلوه برنامجا متكاملا لحياتهم،و إذا بهم يفيضون فاعليه و عطاء و تضحيه،فتراهم يبذلون كل ما يملكون، اتقاء غضب اللّه،و طمعا فى رضاه و ثوابه،و لن تذهب أعمالهم سدى، و لو كان بمقدار حبه من خردل خيرا يأتى به اللّه ليجزى عليه صاحبه إِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (۱)انما يحفظه و ينميه و ينمى به خير فاعله،و يرده عليه فى الدنيا و الآخره، يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبَا وَ يُرْبِى الصَّدَقَاتِ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ أَثِيمٍ (۲)،و لقد فطر اللّه الحياه بهذه السنه،ان الإنسان يحصد ما يزرع،فان زرع خيرا حصد الخير،و ان زرع الشر لا يحصد إلّا الشر.

هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ انها حقيقه فطريه يشهد بها الجميع:ان الإحسان لا يكافئ إلّا بالإحسان و تتجلى هذه الحقيقه فى أبهى صورها فى الجنه،و هكذا القرآن يستثير فى البشر ركائز فطرتهم ليستشهد بها على أنفسهم بما جبلوا عليه،و تعارفوا فيما بينهم به.

يروى عن على بن سالم انه قال:سمعت أبا عبد اللّه الصادق(عليه السلام) يقول: «آيه فى كتاب اللّه مسجله»قلت:و ما هى؟قال:«قول اللّه عزّ و جلّ:

«هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ» جرت فى الكافر و المؤمن،و البر و الفاجر، و من صنع اليه معروف فعليه أن يكافئ به،و ليس المكافأه أن يصنع كما صنع

۱- ۱) التوبه ۱۲۰/

۲- ۲) البقره۲۷۶/

حتی یربی،فان صنعت کما صنع کان له الفضل بالابتداء » (۱).

و جاء فی حدیث مأثور عن النبی -فی تأویل الآیه-«هل جزاء من أنعمنا علیه بالتوحید إلّا الجنه » (۲).

[۶۱]و تنعکس هذه الآیه علی سلوک المؤمن فیتخذ آلاء ربه المسبغه علیه سلّما الی الکمال الروحی،و بناء المجتمع،و سببا الی نیل رضوان اللّه،و لیست وسیله الی التکذیب به تعالی کما یفعل الکثیر من الجن و الإنس.

فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ أو لیس قد أحسن اللّه إلیهم و أسبغ علیهم نعمه ظاهره و باطنه،فکذبوا بآلائه؟!و لماذا نبخل علی الآخرین؟!و ما یدریک لعل اللّه یقطع إحسانه عنا إذا ترکنا الإحسان الی الناس،أو لیس للّه ملکین ینادیان کل لیله جمعه:

«اللهم أعط کل منفق خلفا،و کل ممسک تلفا » (۳)فعلی م البخل اذن؟!کما ان فی داخلهم إحساس عمیق بأنهم لا یملکون النعم،و انما هی أمانات اللّه استخلفهم فیها،فلما ذا یخرجون عن امره بإنفاقها؟!یقول سبحانه: وَ أَنْفِقُوا مِمّا جَعَلَکُمْ مُسْتَخْلَفِینَ فِیهِ (۴)وَ ابْتَغِ فِیما آتاکَ اللّهُ الدّارَ الْآخِرَهَ وَ لا تَنْسَ نَصِیبَکَ مِنَ الدُّنْیا،وَ أَحْسِنْ کَما أَحْسَنَ اللّهُ إِلَیْکَ وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِی الْأَرْضِ إِنَّ اللّهَ لا یُحِبُّ الْمُفْسِدِینَ (۵).

و کما ان الإحسان یجلب الإحسان و الزیاده فی النعم،فان الاساءه و الفساد فی الأرض یسلب النعمه،بل و یجعلها نقمه،قال ربنا سبحانه:

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۱۹۹

۲- ۲) المصدر/ص ۱۹۸

۳- ۳) بحار الأنوار/ج ۹۶ ص ۱۱۷

۴- ۴) الحدید۷/

۵- ۵) القصص۷۷/

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها (۱).

[۶۲]ثم يمضى السياق يحدثنا عن جنتين أخريين،تختلفان فى نعيمهما عن الأوليتين:

وَ مِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ يبدو من المقارنه بين الجنان الأربع و سائر النصوص ان درجات الجنه عديده و الناس فيها متفاضلون،فبالرغم من أن أهل الجنه جميعهم منعّمون و راضون بما قسم اللّه لهم من الفضل،و لكنهم كما تفاوتوا فى الايمان و العمل فى الدنيا فإنهم يتفاوتون و يتفاضلون فى درجات الجنه،قال تعالى: هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللّهِ وَ اللّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (۲)و حتى الأنبياء يتفاضلون فيما بينهم،قال اللّه: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ (۳)و هذا التفاضل الذى يقرّه اللّه ليس اعتباطيا،انما يعتمد الحكمه و العلم قال تعالى: نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۴).

و قال النبى صلى الله عليه و آله :«جنتان من فضه،أبنيتهما و ما فيهما،و جنتان من ذهب،أبنيتهما و ما فيهما » (۵)،

و قال الامام الصادق عليه السلام يخاطب أحدا:لا تقولن الجنه واحده،ان اللّه يقول: «وَ مِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ» و لا تقولن درجه واحده،ان اللّه يقول:«درجات بعضها فوق بعض»-ثم أضاف-«انما تفاضل القوم بالأعمال » (۶).و لكن اختلاف الدرجات و التفاضل لا يخلف أثرا

۱- ۱) الإسراء۷/

۲- ۲) آل عمران۱۶۳/

۳- ۳) البقره۲۵۳/

۴- ۴) الأعراف۸۳/

۵- ۵) مجمع البيان/ج ۹-۱۰/عند تفسير الآيه

۶- ۶) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۰۰

من حسد أو بغضاء بين المؤمنين هناك بعكس حال أهل الدنيا حيث يتعالى الغنى على الفقير،أو العالم على الجاهل،أو الحاكم على المحكوم،قال ربنا: «وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ» (۱)فهم راضون قانعون بما قسم اللّه لهم،إذ يعلمون بحكمته و انهم الذين وضعوا أنفسهم حيث هم،

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى وصيته لابى ذر(ر ض):«يا أبا ذر!الدرجه فى الجنه كما بين السماء و الأرض!و ان العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره،فيفزع لذلك،فيقول ما هذا؟!فيقال:هذا نور أخيك،فيقول أخى فلان!كنا نعمل جميعا فى الدنيا، و قد فضل علىّ هكذا؟فيقال له:إنه كان أفضل منك عملا ثم يجعل فى قلبه الرضا حتى يرضى » (۲)و لعل أعظم مقاييس التفاضل:التطوع فى سبيل اللّه فهناك فريق من المؤمنين ينذرون أنفسهم فى سبيل اللّه،و هم مفضلون على من سواهم،و سواء كان هؤلاء ربانيين أو أحبارا أو مجاهدين فإنهم السابقون بالخيرات على عامه المؤمنين،الذين يلتزمون بالواجبات،و يتجنبون المحرمات، و يعملون الحسنات،و لكنهم لا يتطوعون كليّا للّه،بل تراهم يمارسون حياتهم العاديه ضمن ما شرع لهم ربهم،و هم القاعدون الذين وعدهم اللّه الحسنى أيضا، و لكن فضل عليهم المجاهدين أجرا عظيما.

و القاعدون من المؤمنين أمثال العمال و الفلاحين و الحرفيين و التجار و الموظفين، و سائر أبناء الأمه،بينما المجاهدون هم المتصدون لقضايا الأمه،كالعلماء العاملين و المجاهدين فى سبيل اللّه،ان هؤلاء يسهرون على مصالح الأمه،و يبادرون للدفاع عنها،و يتصدون لقيادتها نحو الخير و الحق،متحملين فى ذلك الصعاب،انهم يستقرون فى منازلهم و درجاتهم الرفيعه فى الجنه،يقول من دونهم إذا نظروا إليهم:

۱- ۱) الحجر۴۷/

۲- ۲) بح/ج ۷۷ ص ۷۸

«ربنا إخواننا كنا معهم فی الدنیا فبم فضلتهم علینا؟!فیقال:هیهات هیهات! انهم کانوا یجوعون حین تشبعون،و یظمأون حین تروون،و یقومون حین تنامون و یشخصون حین تحفظون» (۱) هکذا قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله ،و لعلنا نلمس فی النصوص المأثوره عن النبی و الأئمه علیه السلام أبعاد هذا التمایز،فمثلا أکثر وصایاهم و کلماتهم موجهه الی عامه الناس،بینما نجد فی کلماتهم وصایا تخص الطلائع و القاده من أمثال کمیل،و أبی ذر،و سلمان،و ابن مسعود،و ابن جندب.

و انما یؤکد اللّه هذا التفاضل-کما هو الحال فی حدیثه هنا عن الجنات الأربع- لکی یتسابق الناس الی الخیر،و قد صرح القرآن بهذا الهدف إذ قال: سابِقُوا إِلیٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهٰا کَعَرْضِ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ (۲)بل اعتبر القرآن التسابق فی إتقان العمل هدفا للخلق: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ وَ کٰانَ عَرْشُهُ عَلَی الْمٰاءِ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (۳)و قال: اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیٰاهَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (۴).

و نخلص الی القول بان الدونیه فی الآیه بمعنی الأقل فی الفضل،کقولنا فلان دون فلان فی العلم،فهو أقل منه علما،و علیه فان الجنتین الأخریین اما تکونان لصاحب الجنتین الاولیتین المذکور فی قوله تعالی: «وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ» یستقبل فیهما من هو أقل منه فضلا و درجه عند اللّه،و هما بذلک دار ضیافته لإخوانه من المؤمنین،الذین یتزاورون فی الجنه،أما الأولیتین فتخصه و یستقبل فیهما أو فی إحداهما انداده،أو تکونان(الأخریین)منزلا لمن هم أقل درجه ممن یخافون مقام ربهم.

۱- ۱) بح/ج ۷۷ ص ۷۷

۲- ۲) الحدید۲۱/

۳- ۳) هود۷/.

۴- ۴) الملک۲/

و قد تكون الجنتان الدانيتان هما فى الدنيا معدّتان لمن خاف مقام ربه قبل دخول جنه الخلد،و بذلك جاءت

روايه عن الامام الصادق عليه السلام،قال عنهما:

«خضراوتان فى الدنيا يأكل المؤمنون منها حتى تفرغ(يفرغون)من الحساب » (۱).

[۶۳]و مما يحدد درجه العبد ابتداء من أعلى درجه فى الجنه و انتهاء بأسفل درك فى النار موقفه من آلاء ربه،و ذلك بمدى تصديقه أو تكذيبه بها،و مدى انتفاعه منها،و مدى حسن تصرفه فيها.

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ما هو مدى التكذيب بها،فقد يكون مستوى التكذيب هو الكفر و الجحود،و قد يكون عدم استغلال النعمه كما ينبغى،فهو الآخر نوع من التكذيب بالنعمه قد لا يقصده الإنسان،و لكنه ينعكس على مستقبله فى الآخره،و ربما يؤدى أحدنا شكر نعمه دون اخرى،فيودى شكر نعمه العلم،و يقصر فى نعمه المال،أو بطبق آيه من القرآن و يترك اخرى،أو يعصى بعينه من خلال النظر الى ما حرم اللّه،بينما لا يستمع الى الغيبه و النميمه، فيكون قد ادى شكر نعمه الاذن دون نعمه العين.

[۶۵-۶۴]و يضع الوحى أمامنا صورا عن ذات النعم التى ذكرها فيما يتعلق بالجنتين الاوليتين للمقارنه بينهما،لنختار الأفضل بينهما و نجعلهما هدفا نسعى نحو تحقيقه،بأقصى ما يمكن من السعى.

مُدْهامَّتانِ و الدهمه سواد الليل،و قولنا:ليل أدهم يعنى شديد الظلام،و يعبر بها عن

۱- ۱) تفسير نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۰۰

سواد الفرس (۱)و الخضره الشديده الغليظه المتواصله لأنها تضرب الى السواد،

و يقرب الإمام الصادق عليه السلام صورتهما حين يقول:«يتّصل ما بين مكه و المدينه نخلا » (۲)و حينما نعقد مقارنه بين كلمه «مُدْهامَّتانِ» و ما يقابلها فى وصف الجنتين الاولیتین «ذَواتا أَفْنانٍ» نعرف ان الاولیتین خضراوتان أيضا و لكن أشجارها ذوات أغصان كأشجار الفاكهه،و لعل أغلبها منها،بينما الجنتان اللتان دونهما ليستا كذلك،و هذه الأشجار إذا انضمت الى بعضها و اتصلت تضرب الى الخضره،و تكون جميله ذات السوق الطويله،و لكن جمال ذوات الأفنان و فوائدها أكثر،و لعل أحد أبرز أسباب التفاضل بين النوعين من الجنان هو مدى الشكر آلاء اللّه أو التقصير فيها.

جاء فى الأثر عن العلاء بن سيابه عن أبى عبد اللّه عليه السلام قلت له:

ان الناس يتعجبون منا إذا قلنا:يخرج قوم من النار فيدخلون الجنه! فيقولون لنا:

فيكونون مع أولياء اللّه فى الجنه؟!فقال عليه السلام :يا على ان اللّه يقول: «وَ مِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ» ما يكونون مع أولياء اللّه (۳)فاذا كنا نرغب فى درجات الأولياء،يجب أن نستجيب لنداء القرآن المتكرر:

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ قائلين كما قال المؤمنون من الجن،و كما

امر الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله :«لا و لا بشیء من آلاء ربنا نكذب » (۴).

[۶۷-۶۶]و يأخذنا القرآن الى داخل الجنتين،و يقف بنا هذه المره على مقربه من عينين تنبعان بالماء و حيث نقارن بينهما و بين العينين اللتين مر ذكرهما

۱- ۱) مفردات الراغب

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۰۰

۳- ۳) المصدر

۴- ۴) المصدر/ص ۱۸۸

نجدهما أقل منهما لأنهما لا تجريان.

فِيهِما عَيْنانِ نَضّاخَتانِ جاء فی المنجد:نضخ الماء اشتد فورانه من ینبوعه،و عین نضاخه فواره غزیره (۱)و فی تفسیر الدرّ المنثور:اخرج عبد الحمید و ابن المنذر و ابن أبی حاتم،عن البراء بن عازب قال:العینان اللتان تجریان خیر من النضاختین و لفظ عبد قال:ما النضاختان بأفضل من اللتین تجریان (۲).و هذا لا یعنی ان لیس فی هاتین الجنتین أنهار تجری من تحتها،و لکن اللّه یضیف الی أصحاب الجنتین الاولیتین سواقی و أنهارا تجری من العیون حیث لا توجد هذه المیزه فی اللتین دونهما.

و هذا بالطبع لا یقلل من شأنهما أبدا،ذلک ان مجرد النجاه من النار فوز عظیم.

قال تعالی: کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَکُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَ مَا الْحَیاةُ الدُّنْیا إِلاّ مَتاعُ الْغُرُورِ (۳).

فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ و هذه الآیه یجب ان تکون لنا شعارا،فأی نعمه من نعم ربنا التی لا تعد و لا تحصی-و التی هی آیه علی رحمانیته-یمکننا أن ننکرها و نکذب بها؟!ثم لماذا نکذب بآلاء الرحمن؟!و انه یکشف لنا عن غیب رحمته،و یفتح لنا أبوابها،ثم یدعونا بلطفه لکی لا تفوتنا،بلی.قد تفوتنا الجنتان الأولیتان و لکن دعنا نتقیه ما استطعنا لندخل الجنتین الأخریین،أو لیست هذه نعمه و آیه تدلنا الی رحمته؟

۱- ۱) المنجد/ماده نضخ

۲- ۲) تفسیر الدر المنثور/ج ۶ ص ۱۵۰

۳- ۳) آل عمران۱۸۵/

[۶۹-۶۸]ثم لننظر الی آیاته و نعمه فی الطبیعه من حولنا،و لنستمع الی کتابه و هو یحدثنا عن جنتین هما دون الدرجات العلی،و لکنهما مظهر لرحمته تفوقان خیر الدنیا و نعیمها.

فِیهِما فٰاکِهَهٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمّٰانٌ و قد اختلف المفسرون فی تحدید العلاقه بین الثلاثه(الفاکهه و النخل و الرمان) فقال بعضهم:ان الفاکهه اسم الجنس العام و ما یلیها تفریع و تخصیص،و اعتبر البعض الثلاثه أجناسا مختلفه،و لیس ثمر النخل أو الرمان من الفاکهه،و قال آخرون:انه ذکر الجنس(الفاکهه)و أشار الی أفضلها و أحسنها(ثمر النخل، و الرمان)

لقول الامام الصادق علیه السلام :«الفاکهه مائه و عشرون لونا سیدها الرمان » (۱)

و لقوله :«خمس من فواکه الجنه:(منها)الرمان و الرطب » (۲).

و الذی یهمنا ان اللّه ضرب الثلاثه مثلا مما فی الجنتین للإشاره لا للحصر.و مع ذلک تبقیان دون الأولیتین علوا و سعه و نعیما،فهناک قال اللّه فیهما «مِنْ کُلِّ فٰاکِهَهٍ» لیس واحده،بل «زَوْجٰانِ» .و هنا قال «فِیهِما فٰاکِهَهٌ» فقط،و ربما قصرت الکلمه عن استیعاب الجنس بکل مفرداته و أنواعه،و هذه المفارقه تشبه الی حد بعید قوله فی سوره الواقعه یصف ما فی جنات السابقین المقربین: وَ فٰاکِهَهٍ مِمّٰا یَتَخَیَّرُونَ (۳)، و قوله یصف جنات أصحاب الیمین الأقل منهم درجه: وَ فٰاکِهَهٍ کَثِیرَهٍ* لا مَقْطُوعَهٍ وَ لا مَمْنُوعَهٍ (۴).فأولئک ما یتخیرون و یشتهون حتی و لو لم یکن موجودا قبل التخیر و الشهوه،و دون ذلک هؤلاء،و لا غرابه فربنا یقول و هو الصادق:

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۰۱

۲- ۲) المصدر/ص ۲۰۰

۳- ۳) الواقعه ۲۰/

۴- ۴) الواقعه ۳۲/

لٰا يَسْتَوِى مِنْكَمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قٰاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قٰاتَلُوا وَ كُلًّا وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنىٰ (۱).

ان الجنتين إذا نظرنا الى نعيمهما و ان كانتا دون الأوليتين فهما حقا مظهر لاسم الرحمن،انه غنى أن يخلقنا و لكنه بلطفه و حكمته خلقنا،ثم لم يدعنا هكذا انما فطرنا على الحق و المعرفه به،فهدانا الى النجدين،و علمنا،ثم أعطانا العقل، و أمرنا بالطاعه له،و فتح لنا باب التوبه حتى تبلغ النفس التراقى،و هو قادر بعد الموت أن لا يبعثنا،و ان بعثنا عذبنا،و لكنه خلق الجنه ليكرمنا لا بعملنا،فنحن لا نستطيع أن نؤدى شكر نعمه واحده من نعمه،بل بفضله الذى لولاه ما دخل أحد الجنه حتى

رسوله الأكرم صلى الله عليه و آله و هو القائل :«و الذى نفسى بيده،ما من الناس أحد يدخل الجنه بعمله»قالوا:و لا أنت يا رسول اللّه؟قال:«و لا أنا إلّا أن يتغمدنى اللّه برحمه منه و فضل»و قد وضع يده على رأسه و طوّل بها صوته (۲).

فَبِأَىِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ و ليس لنا امام هذه النعمه إلّا القول:

«لا بشىء من آلاء ربنا نكذب ».

[۷۰-۷۱]ثم يقول وصفا لنعيم الجنتين:

فِيهِنَّ خَيْرٰاتٌ حِسٰانٌ فلما ذا خرج عن التثنيه الى الجمع فلم يقل فيهما؟!هناك وجوه:

الأول:ان ذلك يدل على تعظيم شأن هاتين الجنتين بالرغم من انهما دون ما سبق الحديث عنه فى وصف الجنتين الأوليتين.

۱- ۱) الحديد ۱۰/

۲- ۲) بح/ج ۷ ص ۱۱

الثانی:ان الکلام متصل بالآلاء فی الآیه السابقه،باعتبار الخیرات الحسان من الآلاء.

الثالث:ان الحدیث هنا لیس فقط عن الجنتین الأخریین بل عن کل الجنان بما فیها الجنتان الاولیان.و هذا أقرب الی السیاق،بالذات حینما نقول بأن معنی الخیرات الحسان هن النساء المؤمنات باعتبارهن الأفضل و الأجمل،و هکذا

قال الامام الصادق علیه السلام :«الخیرات الحسان من نساء أهل الدنیا،و هن أجمل من الحور العین » (۱)،

و بقوله :«هن صوالح المؤمنات العارفات » (۲).

و فی الخبر حدث الرسول صلی الله علیه و آله عن نعیم الجنه،ثم ذکر الحور العین فقالت أم سلمه:بأبی أنت و أمی یا رسول اللّه أ ما لنا فضل علیهن؟قال:«بلی بصلاتکن و صیامکن و عبادتکن للّه،بمنزله الظاهره علی الباطنه » (۳).

و من معانی الآیه ما

قاله رسول اللّه صلی الله علیه و آله :«یعنی خیرات الأخلاق،حسان الوجوه » (۴)و انما تسمی ذوات الأخلاق بالخیرات،لأن صلاح المرأه یعود علی زوجها و علی المجتمع بالخیر الکثیر،کما ان فسادها یؤدی الی شر کبیر.

و حینما یسأل النبی صلی الله علیه و آله عن خیر الخیر و شر الشر یقول:«خیر الخیر المرأه إذا صلحت، و شر الشر المرأه إذا فسدت ».

و تتجلی هذه النعمه أکثر فأکثر فی الجنه

فقد جاء فی الحدیث المأثور عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و هو الصادق المصدق یصف لنا جانبا من نعمه الخیرات الحسان فی الجنه:

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۰۱

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) بح/ج ۸ ص ۲۱۳

۴- ۴) المصدر

و ان فی الجنه لنهرا حافّتاه الجواری قال:فیوحی إلیهن الرب تبارک و تعالی:

اسمعن عبادی تمجیدی و تسبیحی و تحمیدی،فیرفعن أصواتهن بألحان و ترجیع لم یسمع الخلائق مثلها قط،فتطرب أهل الجنه،و انه لتشرف علی ولی اللّه المرأه لیست من نسائه من السجف فملأت قصوره و منازله ضوءا و نورا،فیظن ولی اللّه أنّ ربه أشرف علیه،أو ملک من ملائکته،فیرفع رأسه فاذا هو بزوجه قد کادت یذهب نورها نور عینیه،قال:فتنادیه:قد آن لنا أن تکون لنا منک دوله،قال:

فیقول لها:و من أنت؟قال:فتقول:أنا ممن ذکر اللّه فی القرآن: «لَهُمْ مٰا یَشٰاؤُنَ فِیهٰا وَ لَدَیْنٰا مَزِیدٌ» فیجامعها فی قوه مائه شاب و یعانقها سبعین سنه من أعمار الأولین،و ما یدری أ ینظر الی وجهها أم الی خلفها أم الی ساقها؟!فما من شیء ینظر الیه منها إلّا رأی وجهه من ذلک المکان من شده نورها و صفائها،ثم تشرف علیه أخری أحسن وجها و أطیب ریحا من الأولی،فتنادیه فتقول:قد آن لنا أن یکون لنا منک دوله،قال:فیقول لها و من أنت؟فتقول:أنا من ذکر اللّه فی القرآن: «فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ جَزٰاءً بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ» .

قال:و ما من أحد یدخل الجنه إلّا کان له من الأزواج خمسمائه حوراء،مع کل حوراء سبعون غلاما و سبعون جاریه کأنهن اللؤلؤ المنثور،کأنهن اللؤلؤ المکنون (۱).

هذا نزر قلیل من آلاء اللّه و رحمته،التی تنتظرنا لو آمنا و خفنا مقامه تعالی فلم نعصه و نتجاوز حدوده.

فَبِأَیِّ آلاٰءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ أیها الانس و الجن.

۱- ۱) بح/ج ۸ ص ۲۱۴

[۷۵-۷۲]انهن یقلن-الحور-:

«نحن الخالدات فلا نموت،و نحن الناعمات فلا نیأس،أزواج رجال کرام» (۱)،لو أشرفت إحداهن علی أهل الدنیا لماتوا رغبه فیها.

حُورٌ مَقْصُورٰاتٌ فِی الْخِیٰامِ قال علی بن إبراهیم:یقصر الطرف عنها،و تابعه صاحب المجمع،و قیل:

قصر طرفهن علی أزواجهن فهو شبه بقوله «قٰاصِرٰاتُ الطَّرْفِ» و استلطف الفخر الرازی التعبیر فقال:ان المؤمن فی الجنه لا یحتاج الی التحرک لشیء،و انما الأشیاء تتحرک الیه،فالمأکول و المشروب یصل الیه من غیر حرکه منه،و یطاف علیهم ما یشتهون،فالحور یکنّ فی بیوت،و عند الانتقال الی المؤمنین فی وقت إرادتهم،تسیر بهم للارتحال الی المؤمنین خیام،و للمؤمنین قصور تنزل الحور من الخیام الی القصور (۲)فهن یقصرن.

و فی حدیث الامام الصادق علیه السلام یشیر الی هذا المعنی قال:«الحور هی البیض المضمومات،المخدرات فی خیام الدرّ و الیاقوت و المرجان،لکل خیمه أربعه أبواب،علی کل باب سبعون کاعبا(الجاریه حین یبدو ثدیها)حجابا لهن، و یأتیهن فی کل یوم کرامه من اللّه عز ذکره،یبشر اللّه عزّ و جلّ بهن المؤمنین » (۳)

و قال النبی صلی الله علیه و آله :«الخیمه دره واحده طولها فی السماء ستون میلا » (۴)فهن ملکات الجنه و حولهن الوصائف.

و هذا مما یعد اللّه الخائفین مقامه،و لا ریب أن الوعد الالهی یلتقی بعمق و شمول

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۰۲

۲- ۲) التفسیر الکبیر/ج ۲۹ ص ۱۳۵

۳- ۳) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۰۲

۴- ۴) المصدر

مع تطلعات الإنسان،و ان الجنه هى الصوره الفضلى التى يصيغها الإنسان بعمله فى الدنيا،و ان المؤمن لا يتطلع الى أى زوجه،و انما يبحث فى شريكه حياته عن صفات معينه،و أهمها العفه و الطهر،لأنهما عنوان الاسره الصالحه،و ما هى قيمه العيش مع شريكه يمتد طرفها،و تبيع طهرها و نفسها الى كل من هب و دبّ؟!أم كيف تكون الأسره مصنعا للأجيال الفاضله،و تأخذ موقعها و دورها فى بناء المجتمع إذا كانت الأم لا تعرف العفاف؟! ان وعد اللّه للمؤمنين ان ينعم عليهم بالحور الباكرات،ليس فقط إرضاء للتطلعات الجنسيه عند الإنسان،بل و قبل ذلك يحقق تطلعاته المعنويه إذ ان الفتاه العذراء أشد حبا لزوجها و إخلاصا من المرأه التى أعطت بكارتها لغيره.

و كلمه أخيره:لعلنا نستفيد من ذكر القرآن لصفات الحور هنا و هى الأخلاق الطيبه«خيرات»،و الجمال«حسان»،و العفه و الطهر «مَقْصُورٰاتٌ فِي الْخِيٰامِ * و لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ» ،ان هذه الصفات هى غايه ما ينبغى للمؤمن التطلع إليها فى زوجته،لتكون حياته معها سعيده فاضله.

فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ* لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جَانٌّ نعم..هذا وعد اللّه،و ان المؤمن لتواجهه مختلف الضغوط باتجاه الانحراف عن الحق،استجابه لشهواته،و ربما لعبت شهوه البطن،و الجنس،و حب الراحه دورا فى تخلفه عن مقام الخائفين من مقام ربهم،و لكنه إذا ما تذكر الآخره و ما وعد اللّه المطيعين له الخائفين منه من النعيم،فسوف يقاوم الضغوط و يميت فيه الشهوه الحرام،و يستجيب لنداء ربه:

فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ

يقول:لا بشيء من آلائك رب أكذب،و يعمل على تحقيق ذلك في حياته،ثم لما ذا يكذب بها و هو يعلم ان ذلك النعيم لا ينال إلّا بالتصديق؟! [۷۶]لان المؤمن يشترى راحه الآخره بتعب الدنيا لعلمه بان الذى يتخلف عن الحق هنا للراحه لا يجدها فى الآخره،أما المؤمنون و قد رهنوا أنفسهم للحق، و أجهدوها من أجله فإنهم يجلسون فى غايه الراحه.

مُتَّكِئِينَ عَلىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسٰانٍ جاء فى المنجد:الرف:ما تهدل من الشجر و النبات،و كل ما فضل فثنى، و الرقيق من ثياب الديباج،و هى خرقه تحاط فى أسفل الفسطاط(و الخيمه)و العرب تقول:ضربت الريح رفرف الفسطاط أى ذيله،و هو ما تدلى من الدرع،و رفرف الدرع زرد يشد بالبيضه يطرحه الرجل على ظهره (۱)و قالت العرب لكل ثوب عريض رفرف،و الذى يجمع هذه المسميات انها ترف بفعل الريح أو الحركه،و لعل الرفرف المعنى فى الآيه هى الوسائد و المسانند المصنوعه من الديباج،و الغير محشوه كثيرا،فهى ترف كلما اتكأ عليها،بل الحرير يرف لرقته و نعومته كلما حرك أو ضربته الريح،أما العبقرى فهى:البسط الموشاه بالحرير،و تقول العرب للثياب الحرير المصنوعه بدقه و إبداع عبقريات،مبالغه فى حسنها،و يقال للإنسان:

عبقرى إذا تفتق عقله،و تفجرت مواهبه بما هو فوق المألوف،و ربنا لم يقل:

«عَبْقَرِيٍّ» و حسب بل أضاف إليها صفه «حِسٰانٍ» مبالغه فى حسنها،كما وصف الرفرف باللون الأخضر لأنه أجمل ما يمكن أن تكون عليه الوسائد لونا.

[۷۷] فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ

۱- ۱) المنجد ماده(رف)بتصرف

و ان نعم اللّه التی تحیط بالإنسان و الخلیقه فی الدنیا،و نعیمه الذی ینتظر المؤمنین به فی الآخره،لدلیل علی أنه الرحمن.

[۷۸] تَبارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ و تبارک من الأسماء الاربعه الرئیسیه للّه و هی«سبحان،تعالی،و تبارک، و اللّه»،و قال العلامه المجلسی(ر ض):و اما تبارک فهو من البرکه،و هو عزّ و جلّ ذو برکه،و هو فاعل البرکه و خالقها و جاعلها فی خلقه،و تبارک و تعالی عن الولد و الصاحبه و الشریک و عما یقول الظالمون علوا کبیرا (۱)و لعله الاسم الذی یتصل بجانب الفعل الإلهی فی الخلق،فهو مستمر و متکامل و یزداد برکه،فهو إذا قریب من اسم(الرحمن)و لعلنا نستطیع القول بأن السوره ابتدأت بالجانب المعنوی لتبارک(الرحمن)و انتهت بالجانب الظاهر منه(تبارک).

کما یبدو ان(الرحمن،و ذو الجلال و الإکرام)من الأسماء الفرعیه لتبارک، و مظهر له،و حینما نجاور الآیه ۲۷ «وَ یَبْقیٰ وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ» بهذه الآیه،نهتدی الی حقیقتین:

الاولی:ان وجه اللّه هی أسماؤه،کالرحمن،و الباقی،و ذو الجلال و الإکرام.

الثانیه:ان أسماء اللّه منزهه کما ذاته تعالی.فهناک قال «ذُو الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ» یعنی وجه الرب،و هنا قال «ذِی الْجَلالِ وَ الْإِکْرامِ» یعنی ذات الرب،و لکن تنزیه الأسماء لیس ذاتیا انما هو باللّه،کما لا نعنی بذلک أن أسماء اللّه هی ذاته..کلا..

فقد قال الامام أبو عبد اللّه علیه السلام :اللّه غایه من غیّاه،

۱- ۱) بح/ج ۴ ص ۲۰۸

فالمغيّا غير الغايه،و توحد بالربوبيه،و وصف نفسه بغير محدوديه،فالذاكر اللّه غير اللّه،و اللّه غير أسمائه،و كل شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق،ألا ترى قوله: اَلْعِزَّهَ لِلّهِ ،العظمه للّه،و قال: «وَ لِلّهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا» و قال: «قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ» فالأسماء مضافه اليه.و هو التوحيد الخالص (۱).

و الجلال اسم يحتوى على كل معانى العظمه و الكبرياء،بينما الإكرام يدل على كل معانى الجمال،فهو رحيم،حنان،غفور،منان،عطوف،عالم،قادر، و أسماء الرب أساسا تنقسم الى نوعين:الأول:تبين انه منزه عن النقص، و الثانى:تبين جوانب الكمال.

و كلمه أخيره:هناك علاقه بين سوره الرحمن التى تحدثنا عن ثلاث فئات من الناس(المجرمين أصحاب الجنتين الأوليين-و أصحاب الجنتين التاليتين)و بين سوره الواقعه التى تحدثنا أيضا عن ثلاث فئات هى(السابقون- أَصْحٰابُ الْيَمِينِ أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَهِ) ،و بالتدبر نكتشف أن المجرمين هم أصحاب المشئمه، و السابقون هم أصحاب الجنتين الأوليين،و أصحاب اليمين هم أصحاب الأخريين.

۱- ۱) المصدر/ص ۱۶۰

سوره الواقعه

اشاره

ص:۳۷۳

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

۱/

عن الإمام أبی جعفر علیه السلام :«من اشتاق إلی الجنه وصفتها فلیقرأ الواقعه،و من أحبّ أن ینظر إلی النّار فلیقرأ سوره لقمان» (نور الثقلین ج ۵ ص ۲۰۳) /۲

و عنه علیه السلام :«من قرأ الواقعه کلّ لیله قبل أن ینام لقی اللّه عزّ و جلّ و وجهه کالقمر لیله البدر» (البرهان ج ۴ ص ۲۷۳) /۳

ذکر القرطبی فی فضل السوره نقلا- عن أبی عمر ابن عبد البر فی«التمهید»و «التعلیق»و الثعلبی أیضا :أنّ عثمان دخل علی ابن مسعود یعوده فی مرضه الذی مات فیه فقال:ما تشکی؟قال:ذنوبی.قال:فما تشتهی؟قال:رحمه ربّی.

قال:أ فلا ندعو لک طبیبا؟قال:الطبیب أمرضنی،قال:أ فلا نأمر لک بعطائک؟ قال:لا حاجه لی فیه،حبسته عنی فی حیاتی،و تدفعه لی عند مماتی؟!قال:یکون لبناتک من بعدک؟قال:أ تخشی علی بناتی الفاقه من بعدی؟انّی أمرتهنّ أن یقرأن سوره الواقعه کلّ لیله،فانّی سمعت رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله و سلّم)یقول:

«من قرأ سوره الواقعه کلّ لیله لم تصبه فاقه ».

ص:۳۷۵

الإطار العام

إنّ فلاـح الإنسـان فی الحيـاه ينطلق من وعيه بحقائقها و معايشـتها،و أخـذها بعين الإعتبار عمليّا بأخلاقه و سـعيه،و مع أنّه مطالب بوعی مختلف الحقائق،إلّا أنّ الأمر يكون أشدّ ضـروره و أهميه بالنسـبه للحقائق الكبری ذات الأثر الحاسم فی حياته و مصيره.(و الواقعه)هذه السوره المكّيه التی نسـتقبل آياتها تذكرنا بواحده من أعظم الحقائق و أخطرها بالنسبه للإنسان و هی الساعه التی إذا وقعت تطبع آثارهـا علی كـل ذره فی الـدنيا،فالأرض و الجبال تسـتحيل هباء منبثا،و تنطوی صـفحه هـذه الحياه التی خلقت لابن آدم،لتفتـح صـفحات الحيـاه الآـخره فی فصول أوّلها هلاك هـذا الوجود بما فيه من البشـر،و آخرها الجزاء الـذی يمتازون فيه،و بينهما البعث و الحساب.

فبقـدر حضور الواقعه فی وعی الإنسان و معايشـتها عمليا تكون منزلته هناك،فامّا مع السابقين من الأبرار فی أعلی علّيّين،و أمّا مع أصحاب الشؤم و للفجور فی أسفل سافلين،و أمّا بينهما حيث أصحاب الميمنه،و لكن من أين له الوعی بالواقعه و هی

جزء من الغيب الذى حجب عنه؟! بلى.إنّها غيب كما الملائكه و الجن و المستقبل،و لكن تعالى اللّه أن يلزمنا الإيمان بحقيقه حاضره أو غائبه إلاّ- و الآيات الهاديه إليها قائمه و كافيه أن تكون حجه بالغه لمن ألقى السمع و أعمل النظر و الفكر و هو شهيد.فما هى آيات الواقعه؟ أوّلا:و قبل كلّ شىء ليس هنالك دليل و لا آيه تكذّب هذه الحقيقه «لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ» ،و هذه من طبيعه الحق أنّه لا دليل منطقى على خلافه،و الذى يكذّب به هو الذى يحتاج إلى تبرير موقفه.

ثانيا:إنّ الإنسان يبرر غالبا ريبه فى هذه الواقعه بالشك فى إمكانيتها،لأنّه ينظر إلى هذه الحقيقه العظمى من خلال قدراته المحدوده فيكفر بها.أمّا إذا تفكّر فيها من خلال قدره اللّه التى لا تحد،و سننه الحكيمه التى لا تتبدل،فإنّه سيراها (حق اليقين).و الإيمان بإراده اللّه يأتى من التفكّر فى آيات قدرته المتجلّيه فى النفس و فى الآفاق،فإن ذلك يهديه إلى عظمه ربّه و تنزيهه عن العجز،و الآيات (۷۳/۵۷)تثير العقل البشرى بالحقائق و تجعل الشهود جسرا إلى الغيب.

ثالثا:و القرآن الكريم هو الآيه العظمى التى تهدى إلى كل حقيقه،بشرط أن يكون الإنسان عند ما يتدبره و يأول آياته طاهرا من كل دنس مادى(خبثا و حدثا)،و نفسى(صفات و عقدا)،و عقلى(الأفكار الضاله)و ذلك لتجاوز الحجب التى تمنعه من لمس معانيه و تأويلاته العميقه الحقه،فإنّه يرى بالفطره السليمه، و العقل المتقد الحقيقه مكشوفا عنه غطاءها،و بما أنّ مشكله البشر ليست عقليه و حسب،بل هى نفسيه أيضا فقد يسّر اللّه هذه الحقيقه العظمى بالشواهد العقليه و الوجدانيه و الواقعيه،بأسلوب أدبىّ بليغ،و منهج نفسى مؤثر تضمن الترغيب

و الترهيب،بما يقود كله إلى التسليم لها،تسليما واعيا و عميقا،يحمل صاحبه على المعادله بين الحاضر و المستقبل،و السعى بجد و فاعليه للفوز فى الآخره،فإذا به و قد وقعت الواقعه مستعد للقاء ربّه و الفوز بالجنه مع المؤمنين السابقين،أولا أقل مع أصحاب اليمين.

و لأنّ الموت هو الواقعه الصغرى لكلّ إنسان فرد،و الحق الذى يحدّد به مصيره، يتعرّض له السياق فى نهايه السوره كآيه على الجزاء،و معبر إلى المصير و العلم اليقين بذلك الغيب الذى بكذّب به الضّالّون المكذّبون.

ص:٣٧٩

[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۱ الی ۲۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . إِذٰا وَقَعَتِ اَلْوٰاقِعَةُ (۱) لَيْسَ لِوَقْعَتِهٰا كٰاذِبَةٌ (۲) خٰافِضَةٌ رٰافِعَةٌ (۳) إِذٰا رُجَّتِ اَلْأَرْضُ رَجًّا (۴) وَ بُسَّتِ اَلْجِبٰالُ بَسًّا (۵) فَكٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا (۶) وَ كُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَةً (۷) فَأَصْحٰابُ اَلْمَيْمَنَةِ مٰا أَصْحٰابُ اَلْمَيْمَنَةِ (۸) وَ أَصْحٰابُ اَلْمَشْئَمَةِ مٰا أَصْحٰابُ اَلْمَشْئَمَةِ (۹) وَ اَلسّٰابِقُونَ اَلسّٰابِقُونَ (۱۰) أُولٰئِكَ اَلْمُقَرَّبُونَ (۱۱) فِي جَنّٰاتِ اَلنَّعِيمِ (۱۲) ثُلَّةٌ مِنَ اَلْأَوَّلِينَ (۱۳) وَ قَلِيلٌ مِنَ اَلْآخِرِينَ (۱۴) عَلىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (۱۵) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهٰا مُتَقٰابِلِينَ (۱۶) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ مُخَلَّدُونَ (۱۷) بِأَكْوٰابٍ وَ أَبٰارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (۱۸) لاٰ يُصَدَّعُونَ عَنْهٰا وَ لاٰ يُنْزِفُونَ (۱۹) وَ فٰاكِهَةٍ مِمّٰا يَتَخَيَّرُونَ (۲۰) وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمّٰا يَشْتَهُونَ (۲۱) وَ حُورٌ عِينٌ (۲۲) كَأَمْثٰالِ اَللُّؤْلُؤِ اَلْمَكْنُونِ (۲۳) جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۲۴) لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً وَ لاٰ تَأْثِيماً (۲۵) إِلاّٰ قِيلاً سَلاٰماً سَلاٰماً (۲۶)

اللغه

۴[رجّت]:أی حرّکت حرکه شدیده بالزلازل التی هی من علائم السّاعه.

۵[و بسّت]:فتّتت،و البسیس هو السویق أو الدقیق یتخذ زادا.

۶[هباء]:الهبآء الذی یری من الذرات فی شعاع الشمس إذا دخل الشعاع فی کوّه فی غرفه مظلمه.

۱۵[موضونه]:محکمه و مضاعفه النسج.

۱۹[لا یصدون عنها]:أی لا یأخذهم الصداع و هو وجع الرأس.

[و لا ینزفون]:لا تذهب عقولهم بالسکر،و معناها لا یسکرون فان السکر یذهب بالعقل.

ص:۳۸۲

وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ أُولٰئِکَ الْمُقَرَّبُونَ

هدی من الآیات:

تکاد فاتحه السوره تهزّ القلب حتی تقلعه من مراسیه حینما تصور واقعه القیامه الرهیبه التی لا تکذیب لها،هنالک عند ما تخفض فریقا إلی النار،و ترفع آخر إلی الجنه،عند ما تهتزّ الأرض،و تتفتت الجبال،و تنتثر هباء فی الفضاء.

و لکن لماذا هذه الکلمات فی فواتح تلک السور،التی تذکّر العباد بیوم المعاد الرهیب؟ربما لأنّ الناس فی غفله شامله،لا ینتفعون شیئا بالعبر و العظات،فهم بحاجه الی هزّه عنیفه لعلهم یستمعون الی النذیر.

ثم تمضی السوره تحدثنا عن الفرق الثلاث الذین تفرزهم عن بعضهم الواقعه:

المقربون،و أصحاب الیمین،و أصحاب الشمال.المقربون الذین هم ثله من الأولین و قلیل من الآخرین فی نعیم مقیم،یتکئون علی سرر منسوجه بالذهب، مشبّکه بالدر یتقابلون مع بعضهم براحه و سکینه،و زوجاتهم حور عین کأمثال

اللؤلؤ المكنون،يعيشون فى صفاء و هناء يعيدا عن اللّغو و التأثيم،فى حياه كلها سلام و وئام.

بينات من الآيات:

[۲]حينما تقوم القيامه،و ينهار نظام الأفلاك،و تنعدم الجاذبيه،و تتلاقى الكرات،هنالك هل يمكن تكذيبها؟كلا...أم ينفع التصديق بها من كذّب بها من قبل؟أبدا.

دعنا إذا نصدق بها اليوم قبل ضياع الفرصه الوحيده.

إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَهُ قال بعضهم: «إِذا» هنا صله،و معنى الآيه: وَقَعَتِ الْواقِعَهُ ،و لنا أن نقول:

انها ظرف زمان معناه:حينما تقع الواقعه لا تكذيب لها.

و القرآن الكريم يجعلنا نعيش بآياته الكريمه المستقبل كما نعيش الحاضر،ذلك أنّه كلما كان وعى البشر للحقائق القادمه أشد و أنمى كلما كيف حياته وفقها، و هكذا يتفاضل الناس بينهم بما يستوعبون من حقائق المستقبل فى حاضرهم فيزدادون اجتهادا إليها و سعيا،و يحذرون من الانحراف عنها،و الغفله عنها.

[۲] لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَهٌ إنها وقعه صادقه و ليست كاذبه،و قال بعضهم:لا نفس تكذب بها،و المعنى الأوّل أشدّ وقعا فى الفؤاد،فليس شيء فى الطبيعه قادرا على تكذيبها لأنها تفرض نفسها على كلّ ذرّه من الكائنات.بينما المعنى الثانى يخص البشر،فانه لا أحدّ يقدر على التكذيب بها،ليس فقط حين وقوعها،و إنما الآن أيضا لا يمكن التكذيب

بهـا لمن أوتى عقلاـ و إحساسـا.أو ليست الحيـاه كلهـا تهـدينا إلى أنّها ذات هـدف و حكمه،أو يمكن تصوّر حكمه لها من دون الايمان بالساعه كما قال ربنا: «أَنَّ السّاعَهَ آتِيَهٌ لا رَيْبَ فِيها» .

[۳]يومئذ تتموّج الكائنات كما البحر الهائج،فتنخفض الأرض المرتفعه، و ترتفع الأرض المنخفضه،و هكذا الناس.

خافِضَهٌ رافِعَهٌ المستكبرون الذين علوا فى الأرض بغير حقّ تخفضهم إلى حضيض جهنم، و المستضعفون الذين حرموا حقوقهم ترفعهم الواقعه الى الدرجات العلى فى الجنه.

جاء فى الحديث عن الامام زين العابدين عليه السلام :« خافِضَهٌ :خفضت -و اللّه-بأعداء اللّه فى النار، رافِعَهٌ :رفعت و اللّه-أولياء اللّه الى الجنه » (۱)[۴]أ رأيت كيف يتحرك المهد بالصبى،كذلك الأرض ترتجّ يومئذ بما عليها، حتى ينهدم كلّ ما بنى،و يتهاوى كلّ قائم.

إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا قال ابن عباس:الرجه:الحركه الشديده،يسمع لها صوت (۲)و يبدو أن الرجّه أعظم من الزلزال،لذلك

روى :«من ركب البحر حين ترتج فلاـ ذمه له » (۳)أى إذا اضطربت أمواجه،و لاـ ريب أن تموّج البحر حاله دائمه،و إنما المراد بالارتجاج:اضطراب البحر و هيجانه.

۱- ۱) نور الثقلين/ج /۵ص ۲۰۴.

۲- ۲) القرطبى/ج /۱۷ص ۱۹۶.

۳- ۳) المصدر.

و لنا ان نتصور رهبه الناس عند ما تضطرب الأرض من تحتهم،فهل يبقى ما يعتمدون عليه؟! [۵]و إذا كانت الأرض أعظم ركائز السكينه و الطمأنينه تتزلزل من تحتنا، فان الجبال و هى أكبر ركائز الثقه و الثبات تتفرق و تتبدد،فهل تبقى قائمه للماديين الذين خالفوا القيم،و كذبوا بالحق اعتمادا على الكائنات الموجوده،على التراب استخرج منه،أو نبت فيه،أو بنى عليه،و على الجبال و ما شابهته من الصخر و الحديد؟ وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا أ رأيت الحيه كيف تذهب فى الأرض،كأنها تذوب فيها،أ رأيت الماء كيف يتفرق فى الرمال العطشى؟أ رأيت كيف يتفتت الثوب حينما يصبح خلقا باليا؟ هكذا الجبال الراسيات تتفرق فى كل اتجاه،كما يتفرق العهن المنفوش إذا تواصلت عليه الأعاصير الهوج.

[۶]فاذا بسّت الجبال انتشرت فى الفضاء كما الرهج الذى يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب حسب ما روى عن أمير المؤمنين(عليه السلام).

فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا و قال البعض:الهباء:هو الشعاع الذى يكون فى الكوه كهيئه الغبار،و لعل الجاذبيه تنعدم مما تجعل الصخور تفقد تماسكها الداخلى،فتتفتت الى ذرأت متناهيه فى الصغر،و لعلها تتلاشى كما الشرر المتطاير من النار،فاذا وقع على شىء لا تجده شيئا حسب تفسير آخر لكلمه الهباء.

و قالوا:المنبث المتفرق كما قال ربنا: «وَ بَثَّ فِيهٰا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» (۱)و حال الجبال فی الواقعه یعکس واقع أعمال الکفار،و ما یعتمدون علیه فی الدنیا، من سلطه و ثروه و جاه.إنّ کل ذلک لیس فی الحقیقه إلّا ضلال کما ظلال الجبال، تحسبها شامخه فاذا اتکأت علیها ما أغنت عنک شیئا.

[۷]و إذا کانت المادیات بکل ضلالها و غرورها کما الجبال یوم القیامه،فان أسباب التفاخر فی الدنیا،و عوامل التمایز بین طوائف الناس ما هی إلّا باطل، بلی.یتفاضل الناس بایمانهم و أعمالهم،لا بألوانهم و ألسنتهم و ثرواتهم،و مناطق توالدهم و تواجدهم،کما یزعم أهل الدنیا.

وَ کُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَهً کنتم فی یوم القیامه ثلاثه أصناف،کما أنتم فی الدنیا ثلاثه أصناف،الا انکم الیوم محجوبون عن حقیقه أنفسکم و حقیقه ما به تتفاضلون.

قالوا:إنّما سمّوا «أَزْوٰاجاً» لأن کل صنف یتماثل أبناؤه کما یتشابه الزوج زوجته (۲)و قال البعض:لا تعنی کلمه الزوج دائما الذکر و الأنثی،بل قد تعنی الجماعات المتقارنه و باعتبار تقارن الأصناف فی القیامه سمّوا أزواجا (۳)و یبدو أن هذا المعنی أقرب.

[۸] فَأَصْحٰابُ الْمَیْمَنَهِ

۱- ۱) البقره۱۶۴/-لقمان ۱۰/

۲- ۲) القرطبی/ج /۱۷ص ۱۹۸

۳- ۳) تفسیر نمونه/ج /۲۳ص ۲۰۲

تفاءلت العرب بالجانب الأيمن،و انتزعوا له اسما من اليمن،و انتظار الخير، و ربما سموا التقدم يمينا،و التخلف شمالا،فقالوا:اجعلنى فى يمينك و لا تجعلنى فى شمالك،أى اجعلنى من المتقدمين (۱).

و لأن أصحاب الجنه يؤتون كتبهم بأيمانهم فان اليمين يصبح يومئذ رمزا لدخول الجنه،و قال بعضهم:إنّ الكلمه هنا تعنى أصحاب اليمن فى مقابل أولى الشؤم فى الآيه الآتيه،و لكن يبدو أنّ التفسير الأول أظهر،بالنظر إلى استخدام اليمين فى أهل الجنه فى النصوص الإسلاميه.

مٰا أَصْحٰابُ الْمَيْمَنَهِ جاء هذا التعبير إشاره الى التفخيم،و المراد بيان ما يتميّزون به عن أصحاب الشمال من الثواب العظيم.

[۹] وَ أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَهِ قالوا:العرب تسمّى الشمال شؤما،لأنهم يعتبرونه نحسا،و يقولون:قعد فلان شأمه(شمالا)،و يا فلان شائم بأصحابك(تياسر بهم)كما يسمون اليد اليسرى الشؤمى.

فالمراد إذا بأصحاب المشأمه أولئك الذين يؤتون كتابهم بشمالهم،ليكون ذلك علامه على أنهم من أصحاب النّار.

و قيل ان المعنى أصحاب الشؤم و النحس.

مٰا أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَهِ

۱- ۱) القرطبى/ج /۱۷ص ۱۹۹

و هذا التهويل يدل على ما أعدّ لهم من عذاب شديد،و لعل الحكمه من التهويل هنا و هناك هو الفصل بين الفريقين فصلا نهائيا بالرغم من اختلاطهم فى الدنيا، فقد يكون الولد من هؤلاء،و الوالد من أولئك،و لكنهما لن يشتركا فى مصير الآخره،و إنما بينهما مسافه أبعد مما بين الأرض و السماء.

و يبدو من آيات قرآنيه عديده أنها تهدف تعميق الفصل بين أهل الصلاح و الفساد،لأنه إذا لم يعرف الفصل كان من الطبيعى سقوط الإنسان فى وهده الفساد،لما فيه من جاذبيّه مادّيه،و لأن ذلك السقوط لا يحتاج الى قرار،و انما يتم عاده فى غيبه من صاحبه، و بسبب انعدام الحذر عنده.

[١٠] وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ الذين يسارعون فى الخيرات،و يبادرون للاستجابه للحق أنّى دعوا اليه، متجاوزين عقبه التوافق الاجتماعى بقوه الإراده،و بصيره الإيمان.

لقد كان حبيب النجار سابقا،كما كان حزقيل من السابقين،أمّا سيد السابقين فقد كان الإمام على عليه السلام الذى سبق الرجال فى الإيمان بالإسلام.

و لنا أن نتصور ملامح السابقين الشخصيه،و تحدّيهم لظروفهم و تعرّضهم للآلام و الضغوط الهائله،كل ذلك من خلال نظره الى سيره هذه القدوات الثلاث،لقد تجاوزوا أولا:عقبه التردد و الشك بقوه العقل،و مضاء التفكير،فلم يرتابوا فى الحقيقه بمجرد غفله الناس عنها،و لم يأبهوا بالرأى العام الذى خالف الحق و ناهضه،و لم تساورهم الظنون فى الداعى الى الحق بسبب الاعلام المضلل، أو الدعايات الكاذبه.كانوا كما الجبل الأشمّ،يتحدون أعاصير التهم و الافتراءات.

ان ثقه الإنسان بعقله و اعتداده بشخصيته الداخليه،و يقينه بالحق،و عزيمته فى الانتماء اليه و الدفاع عنه،و إيمانه بحتميه انتصاره،إنّ كل ذلك مكونات شخصيه السابق.

و بعد تجاوز شكوك النّفس،و وساوس الشيطان،و الالتحاق بالحق يواجه السابق عناد المجتمع،و تصلبه فى الباطل،مما يجعله وجها لوجه مع ضغوط هائله.

ابتداء من الافتراء و السخريه، و انتهاء بالتجويع،و التعذيب،و النفى،و القتل، و مرورا بالمقاطعه الاجتماعيه،فاذا تحدّاها،و انتصرت الرساله،برزت صعوبات جديده حيث تقبل الدنيا عليه بكل ما لها من إغراء النساء،و زينه المال و الأولاد، و شهوه الرئاسه و السلطه،فاذا تحداها واجه تيارا اجتماعيا جديدا من الذين التحقوا بالركب طمعا فى الدنيا،و انبهروا بزخارفها،و أخذوا يفرّغون الدّين من محتوياته، و يبدّلون الكلم عن مواضعه.

و بكلمه:إن حياه السابقين سلسله من الصراعات التى لا تنتهى..فهو إذا بحاجه الى جهاد متواصل،كما أنه بحاجه الى مبادرات مستمره،و قرارات حاسمه و تاريخيه،لا ينفك عنها حتى يأتيه اليقين،و ذلك عند ما يلقى ربه راضيا مرضيا.

و اَلسّابِقُونَ هم الأولون قدما نحو الخير،و إيمانا و معرفه ببصيرتهم و وعيهم، و عملا بتوكلهم على اللّه،و ثقتهم بأنفسهم،و شجاعتهم حيث يكسرون بذلك طوق العاده،و يخرجون عن جاذبيه المحيط،و يتجاوزون السقوف المصطنعه بالزّياده و المبادره و الإبداع، وَ لا يَخافُونَ لَوْمَهَ لائِمٍ (۱)و هم الاسبق كما و نوعا فى الخير،و لا يرون النوع من زاويه التقوى و الإخلاص فقط،إنّما من زاويه الإتقان أيضا لقوله تعالى:

۱- ۱) المائده۵۴/

اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاهَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (۱).أما فاعلیه السبق فهی ترتکز عند هذا الفریق علی الأمور التالیه:

۱-طموح الامامه و القیاده.و هو طموح مشروع فی الإسلام،قال تعالی یحکی صفات عباده المقربین: وَ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّیَّاتِنا قُرَّهَ أَعْیُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِینَ إِماماً (۲)و لکنهم لا یبحثون عن هذا الطموح من خلال الحسب و النسب،أو المقاییس المادیه الاخری،انما یسعون الیه عملیا بالحق و من خلال الکفاءه،و السبق أهم شروطها،کما قال ربنا سبحانه: «وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً» .

۲-التنافس فی الخیر مما یفرض علیهم الأخذ بکل أسباب التفوق،و لکن بعیدا عن حالات الصراع النفسیه و العملیه،کقوله سبحانه: «فَاسْتَبِقُوا الْخَیْراتِ» .

۳-الرغبه فی ثواب السابقین،و الخشیه من التقصیر.قال تعالی: وَ الَّذِینَ یُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَهٌ أَنَّهُمْ إِلی رَبِّهِمْ راجِعُونَ* أُولئِکَ یُسارِعُونَ فِی الْخَیْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ (۳).

و یبدو أن السابقین فی کل أمه هم طلیعه تلک الامه و شهداؤها،و هم الحواریون الذین یلتفون حول القیاده الالهیه الرشیده،

و قد جاء فی الحدیث عن الامام أمیر المؤمنین(علیه السلام) :

«السباق خمسه:فانا سابق العرب،و سلمان سابق الفرس،و صهیب سابق الروم،و بلال سابق الحبش،و خباب سابق النبط ». (۴)

۱- ۱) الملک۲/

۲- ۲) الفرقان۷۴/

۳- ۳) المؤمنون۵۷/-۶۱

۴- ۴) نور الثقلین/ج ۵-ص ۲۱۰

و جاء فی حدیث مأثور عن رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)انه قال :«أ تدرون من السابقون الی ظل اللّه یوم القیامه؟قالوا:اللّه و رسوله أعلم،فقال:الذین إذا أعطوا الحق قبلوه،و إذا سألوه بذلوه،و حکموا للناس کحکمهم لأنفسهم » (۱).

و بالرغم من ان تطبیق الحدیث علی هذه الآیه غیر واضح إلاّ أنّه یهدینا الی میزات السابقین بصفه عامه.

[۱۲-۱۱] أُولٰئِکَ الْمُقَرَّبُونَ* فِی جَنّاتِ النَّعِیمِ إن أعظم جزاء السابقین القربی من رب العزه،و یتجلّی فی الکرامه العظیمه التی أعدّت لهم فِی جَنّاتِ النَّعِیمِ.

ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ* وَ قَلِیلٌ مِنَ الْآخِرِینَ قالوا فی معنی الثلّه:إنها من ثللت الشیء،أی قطعته،و معناها:فرقه،لکن من هم الأولون و الآخرون؟قال بعضهم:من مضی من السابقین فی الأمم السابقه أکثر لأن الأنبیاء کانوا أکثر،بینما السابقون فی هذه الأمه قلیلون لأن النبی واحد، و کأنهم زعموا أن السابقین لا یکونون إلا من أصحاب النبی الذین سبقوا الآخرین فی الایمان به.

و قال آخرون:الأولون و الآخرون هم من هذه الامه،و إنما کان الأولون أکثر لأنهم نهضوا بأعباء الدعوه أیّام غربته،بید أن ظاهر الآیه ینسجم مع التفسیر الأول،و قد استوحی بعض المفسرین من هذه الآیه الکریمه:أن القرون الاولی خیر من التی تلتها،بینما العکس هو المفهوم من الآیه،إذ کلما کثر عدد المؤمنین قل عدد السابقین لأن أهمیه السابق تحرکه فی الاتجاه المخالف للناس،و لذلک کان

۱- ۱) تفسیر نمونه/ج ۲۳-ص ۲۰۵ نقلا عن تفسیر المراغی/ج ۲۷-۱۳۴

الایمان و الإنفاق قبل الفتح أعظم درجه من الایمان و الإنفاق بعده.

و قد روی عن رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله) :أنّه لما نزل هذا شق علی أصحاب رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله و سلم)فنزلت: «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ * وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِینَ» فقال النبی:«اننی لأرجو ان تکونوا ربع أهل الجنه،بل ثلث أهل الجنه،بل نصف أهل الجنه،و تقاسمونهم فی النصف الثانی » (۱).

و یستلهم من بعض النصوص:أن السابقین هم بعض المقربین،فقد یکون فی الآخرین من لیس بسابق،و لکنه یتساوی فی الفضل معهم،بما أوتی من درجه الایمان،و قوه الیقین،و بما وفق له من مسارعه فی الخیرات.

نقرأ

فی نص مأثور عن الامام الصادق«علیه السلام»یقول لبعض اتباعه :

«أنتم السابقون الأولون،و السابقون الآخرون،و السابقون فی الدنیا إلی ولایتنا، و فی الآخره إلی الجنه » (۲)و یبین نص آخر

مروی عن الامام الصادق(علیه السلام)انه قال :

«فالسابقون هم رسل اللّه و خاصه اللّه من خلقه،جعل فیهم خمسه أرواح،أیدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشیاء،و أیدهم بروح الایمان فبه خافوا اللّه عزّ و جلّ، و أیدهم بروح القوه فبه قدروا علی طاعه اللّه،و أیدهم بروح الشهوه فبه اشتهوا طاعه اللّه عزّ و جلّ،و کرهوا معصیته،و جعل فیهم روح المدرج الذی به یذهب الناس و یجیئون » (۳).

و یعدد حدیث آخر مأثور عن الامام موسی الکاظم(علیه السلام)جواری

۱- ۱) القرطبی/ج ۱۷-ص ۲۰۰

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵-ص ۲۰۹

۳- ۳) المصدر/ص ۲۰۵

الرسول و الأئمه علیهم السلام و یعتبرهم السابقین (۱)و یبدو من حدیث آخر أن التفاضل فی الایمان یتساوی فیه الأولون و الآخرون،

فقد روی عن الامام الصادق(علیه السلام) أنه سئل:ان الایمان درجات و منازل، یتفاضل المؤمنون فیها عند اللّه؟ قال:«نعم»فقال السائل صفه لی رحمک اللّه حتی أفهمه،قال:«إن اللّه سبق بین المؤمنین کما یسبق بین الخیل یوم الرهان،ثم فضلهم علی درجات فی السبق إلیه،فجعل کل امرء منهم درجه سبقه،لا ینقصه فیها من حقه،و لا یتقدم مسبوق سابقا،و مفضول فاضلا،تفاضل بذلک أوائل هذه الامه و أواخرها... (الحدیث)» (۲).

و من ذلک کله نستوحی ان مفهوم السبق أشمل من مجرد التقدم الزمنی الی الایمان،إذ یتسع للتسارع فی الخیرات،و المبادره الی درجات الایمان،

و قد سأل الراوی الامام الصادق علیه السلام فی ذات النص السابق آنفا عن درجات الاستباق فقال:اخبرنی عما ندب اللّه عزّ و جلّ المؤمنین الیه من الاستباق الی الایمان،فقال:

قول اللّه عزّ و جلّ: «سابِقُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُها کَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ» و قال: «وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ* أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ» (۳).

فلا یجوز ان یقنط لاحق من روح اللّه،و ما أعده اللّه للمقربین الیه من الدرجات الرفیعه،و یبرر قنوطه بأنه قد تأخر زمنیّا عن الأولین.کلا..إن معارج

۱- ۱) راجع المصدر/ص ۲۱۰

۲- ۲) راجع المصدر/ص ۲۰۸،و الحدیث مفصل

۳- ۳) المصدر

التكامل إلى اللّه معدّه لكل من شاء ان يحلّق فى أجواء القرب من ربّ العباد.

[۱۵] عَلىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مصفوفه،قالوا:الوضن النسج المضاعف و النضد،و درع موضونه:محكمه فى النسج،و السرير الموضون:الذى سطحه بمنزله المنسوج.

و قال بعضهم:إن أسره الجنه منسوجه بخيوط الذهب،مشبكه بالدر و الياقوت و الزبرجد.

[۱۶] مُتَّكِئِينَ عَلَيْهٰا مُتَقٰابِلِينَ الاتكاء علامه الارتخاء،و عدم وجود ما يشغلهم غير التلذذ بألوان النعم الالهيه، و التقابل دليل المحبه و الود المتبادل بينهم.أو ليست قلوبهم طاهره من الغل، و الحسد،و الحقد؟ و راحتهم الخالده يومئذ هى جزاء اجتهادهم الدائب فى الدنيا،فكم أتعبوا أجسادهم فى طاعه اللّه،و كم قاوموا ضغوط الحياه،و واجهوا الطغاه و المترفين،و كم تحملوا من الأذى النفسى و الجسدى؟! [۱۷] يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ مُخَلَّدُونَ إن أفضل خدمه بين الأحباب خدمه الغلمان،و بالذات حينما تكون نضاره شبابهم أبديه،فهم مخلدون لا تعتريهم خشونه الرجال،و لا تأتى على جمالهم و أناقتهم،و دماثه أخلاقهم طوارق الليل و النهار.

[۱۸] بِأَكْوٰابٍ وَ أَبٰارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ

إنهم يصبون لذيذ الشراب من أكواب و أباريق فى كؤوس جميله،و يقدمونها لأهل الجنه.

قالوا:يختلف الكوب عن الإبريق فى العرى و الخراطيم،أما الكأس فهى إناء الشرب،و قيل:لا يقال:كأس إلا إذا كان فيها شراب،و الا فهى زجاجه،و لا يقال:كوز،إلا إذا كانت له عروه،و إلا فهو كوب (۱)،و تتساءل:ما هذا الترتيب؟يبدو أن الأكواب هى الانيه الكبيره المليئه بالخمر،و تغرف منها بالأباريق،ثم تصبّ الخمره فى الكأس للتناول،كل ذلك لاضفاء جو المرج و اللذه و الكرامه فى جلسات المؤانسه.

و قالوا:المعين الجارى،حيث أن خمره الجنه تجرى من عيون،و يبدو أن الوصف ليس فقط لما فى الكأس، بل لما فى الأكواب و الأباريق أيضا.و قيل فى جريان الماء:فاذا كان ظاهرا جاريا على وجه الأرض فهو معين و سنم (۲).

[۱۹] لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَ لا يُنْزِفُونَ فهى ليست كشراب الدنيا يصيب الإنسان بصداع و دوار،أو يذهب بعقولهم.

قالوا:النزف:السكر،و قيل:لا ينفذ شرابهم،و تساءل الفخر الرازى:لماذا قيل: «لا يُصَدَّعُونَ عَنْها» و لم يقل(منها)فأجاب:لأن الصفه هنا صفه الشراب،و لو كان صفه الشخص لحسن القول:فلان لا يصدّع من الشراب (۳).

و لعلّ تقديم الشراب على الطعام لان الاحساس بالعطش أشد،و الشراب أول

۱- ۱) فقه اللغه للثعالبى/ص ۱۵

۲- ۲) المصدر/ص ۲۸۵

۳- ۳) تفسير الرازى/ج ۲۹-ص ۱۵۲

ما یکرم به الضیف و اللّه العالم.

[۲۰]و بعد بیان نعمه المؤانسه و الشرب جاء دور الطعام،و ربما قدّمت الفاکهه لأنها أذوق،کما ان العاده تقتضی تقدیمها فی الضیافه.

وَ فٰاکِهَهٍ مِمّٰا یَتَخَیَّرُونَ فالفواکه موجوده بأنواعها،و مبذوله بلا نصب،و یبقی الاختیار بأیدیهم، و یبدوا ان نعمه الحریه تتجلی عند أهل الجنه فی کل أبعادها.بلی.انهم عاشوا فی الدنیا أحرارا،و رفضوا التسلیم للطغاه و المترفین و شهوات الذات،فأسبغ علیهم ربهم نعمه الحریه بأوسع معانیها.

[۲۱]الآن و قد ارتووا،و فتحت الفواکه شهیه الطعام عندهم،تطوف علیهم الموائد التی فیها أنواع من لحم الطیر.

وَ لَحْمِ طَیْرٍ مِمّٰا یَشْتَهُونَ و یبدو ان لحوم الطیر أشهی و أطهر،و لذلک خصت بالذکر فی الکتاب،

و جاء فی الحدیث المأثور عن الامام الصادق علیه السلام عن رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله و سلم)انه قال :«سید إدام الجنه اللحم » (۱).

و روی عن الرسول(صلّی اللّه علیه و آله و سلم):انه قال :«ان فی الجنه طیرا مثل أعناق البخت،تصطف علی یدی ولی اللّه،فیقول أحدها:یا ولی اللّه! رعیت فی مروج تحت العرش،و شربت من عیون التسنیم،فکل منی،فلا یزلن یفتخرن بین یدیه حتی یخطر علی قلبه أکل أحدها،فتخر بین یدیه علی ألوان

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵-ص ۲۱۲

مختلفه،فيأكل منها ما أراد فاذا شبع تجمع عظام الطائر،فطار يرعى فى الجنه حيث شاء» (۱).

[۲۳-۲۲]و إذا فرغوا من جلسات المؤانسه،و من الشراب،و الفاكهه، و الطعام،آووا الى فرشهم ليجدوا فيها فاكهتها المفضله،لقد أعدت لهم زوجاتهم من الحور العين.

وَ حُورٌ عِينٌ* كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ إن تلاقى روح الزوجين يتم عبر العين و لذلك فان أروع الجمال جمالها،و حين تكون العين حوراء:سوادها شديد،و بياضها شفاف،ثم تكون واسعه،فانها تكون جذابه و رائعه،أما سائر أعضائهن فهى لامعه بيضاء،أ رأيت اللؤلؤ حين ينفتح عنه الصدف كيف يشعّ بياضا؟ [۲۴]إن هذه النعم العظيمه توافيهم بفضل اللّه،جزاء لأعمالهم،لكى يزدادوا تلذذا بها،و إحساسا بأهميتها.أ رأيت الذى يحصل على نعمه بلا سعى لا يعتز بها،كمن يتلقاها بسعيه فيحس انه كان على حق،و أن اختياره كان حكيما رشيدا.

جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ و قد روى عن ابن عباس فى تفسير هذه الآيه ما يرغب عباد اللّه فى الجنه،حيث قال:خلق اللّه الحور العين،من أصابع رجليها إلى ركبتها من الزعفران،و من ركبتها الى ثديها من المسك الأذفر،و من ثديها الى عنقها من العنبر الأشهب،و من عنقها الى رأسها من الكافور الأبيض،عليها سبعون ألف حلّه مثل شقائق

۱- ۱) القرطبى/ج ۱۷-ص ۲۰۴

النعمان،إذا أقبلت يتلألأ وجهها نورا ساطعا،كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، و إذا أدبرت يرى كبدها من رقه ثيابها و جلدها،فی رأسها سبعون ألف ذؤابه من المسک الأذفر،لکل ذؤابه منها وصيفه ترفع ذيلها و هی تنادی:هذه ثواب الأولياء، جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱).

[۲۶-۲۵]بعد راحه الجسد يحدثنا السياق عما يريح القلب،فأوّله:اعتزاز النفس بماضيها،و حسن انتخابها لسعيها،و الثانی:طهاره الجو من الكلام البذیء، فلا يتنابزون بالألقاب،و لا يترامون التهم و الغيبه،و لا يمشون بالنميمه.كلا..و لا يقولون لبعضهم:أثمت،و فعلت كذا،و تركت كذا،كما يقول البعض للمؤمنين فی الدنيا،و كما يتبادل غيرهم القول دائما.

لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً من الغيبه و التهمه و النميمه.

وَ لاٰ تَأْثِيماً فحشا،و استهزاء و سخريه.

لقد صبروا أياما قليله علی جراحه اللسان،و لم ينهزموا أمام الدعايه البذيئه التی نفثتها أبواق الشياطين،فأعقبتهم راحه طويله من الحياه الهنيئه.

و إذا فكرنا فی أسباب الشقاء فی الدنيا لعلمنا أن أشدها أثرا،و أبلغها ألما هی سموم الألسنه البذيئه،و لا أثر لها فی الجنه.لما ذا؟لان هذه الالسنه تنطق عن قلوب مليئه بالأحقاد،و الآلام،و العقد،و الجنه نظيفه من كل ذلک،فقد نزع اللّه سبحانه

۱- ۱) القرطبی/ج ۱۷-ص ۲۰۶

عن قلوب أهلها كل غل،و تحاسد،و طمع،و حرص،كما رفع عنهم الآلام، و أسبغ عليهم النعم،فانعدمت عوامل اللغو و التأثيم.

إِلاّ قِيلًا سَلاماً سَلاماً إن الاخطار التى تحيق بأهل الدنيا،و تفرز الصراعات،و العداوات،و الخوف، و القلق،و النفاق،انها معدومه فى الجنه،فكل ما فيها طمأنينه،و سكينه،و أمن، و راحه،و لا بد إذا أن تنعكس كل تلك النعم الظاهره فى الافئده و على الألسن فى قول السلام،هذا يسلم عليك و أنت ترد عليه السلام.

بلى.أهل الجنه صنعوا لأنفسهم فى الدنيا مجتمع السلام،و الحب،و التعاون، فلم يحسدوا أحدا على نعمه،و لم يحقدوا على أحد لمصلحه،و لم يحجبوها عن اللّه بالوساوس و الظنون،و لم يدنسوا ألسنتهم بالفحش و السباب،فأعطاهم اللّه كل ذلك كاملا وافيا فى الجنه.رزقنا اللّه جميعا توفيق طاعته فى الدنيا،و نعيم جنته فى الآخره.

ص:۴۰۰

[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۲۷ الی ۵۶]

اشاره

وَ أَصْحابُ اَلْيَمِينِ مٰا أَصْحابُ اَلْيَمِينِ (۲۷) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (۲۸) وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ (۲۹) وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ (۳۰) وَ مٰاءٍ مَسْكُوبٍ (۳۱) وَ فٰاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (۳۲) لاٰ مَقْطُوعَةٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَةٍ (۳۳) وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (۳۴) إِنّٰا أَنْشَأْنٰاهُنَّ إِنْشٰاءً (۳۵) فَجَعَلْنٰاهُنَّ أَبْكٰاراً (۳۶) عُرُباً أَتْرٰاباً (۳۷) لِأَصْحٰابِ اَلْيَمِينِ (۳۸) ثُلَّةٌ مِنَ اَلْأَوَّلِينَ (۳۹) وَ ثُلَّةٌ مِنَ اَلْآخِرِينَ (۴۰) وَ أَصْحٰابُ اَلشِّمٰالِ مٰا أَصْحٰابُ اَلشِّمٰالِ (۴۱) فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ (۴۲) وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (۴۳) لاٰ بٰارِدٍ وَ لاٰ كَرِيمٍ (۴۴) إِنَّهُمْ كٰانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُتْرَفِينَ (۴۵) وَ كٰانُوا يُصِرُّونَ عَلَى اَلْحِنْثِ اَلْعَظِيمِ (۴۶) وَ كٰانُوا يَقُولُونَ أَ إِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّٰا تُرٰاباً وَ عِظٰاماً أَ إِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ (۴۷) أَ وَ آبٰاؤُنَا اَلْأَوَّلُونَ (۴۸) قُلْ إِنَّ اَلْأَوَّلِينَ وَ اَلْآخِرِينَ (۴۹) لَمَجْمُوعُونَ إِلىٰ مِيقٰاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۵۰) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا اَلضّٰالُّونَ اَلْمُكَذِّبُونَ (۵۱) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (۵۲) فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا اَلْبُطُونَ (۵۳) فَشٰارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ اَلْحَمِيمِ (۵۴) فَشٰارِبُونَ شُرْبَ اَلْهِيمِ (۵۵) هٰذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ اَلدِّينِ (۵۶)

اللغه

۲۸[سدر مخضود]:السدر شجر النبق و مخضود أی خضر شوکه فلا شوک فیه.

۲۹[و طلح منضود]:قیل شجر الموز،و منضود قد نضد و رتّب ثمره بعضه فوق بعض،و المنضود أیضا ما نضد بعضه علی بعض نضد بالحمل من أوّله إلی آخره فلیست له سوق بارزه فمن عروقه إلی أفنانه ثمر کله.

۳۵[إنشاء]:بدون ولاده و بدون انتقال من حال إلی حال.

۳۷[عربا]:أی متحبّبات علی أزواجهن متحببات إلیهم، و قیل عاشقات لأزواجهنّ و قیل العروب اللعوب مع زوجها أنسا به کانس العرب بکلام العربی.

[أترابا]:جمع ترب،و هو أی المثیل.

۴۲[سموم]الیحموم الأسود الشدید السواد باحتراق النار،و هو یعقول من الحم و هو الشحم المسود باحتراق النار یقال حممت الرجل إذا سخمت وجهه بالفهم،و قیل دخان أسود شدید السواد،فالکافرون فی نار ذات دخان لا یرون مکانا.

۴۶[الحنث العظیم]:هو الشرک حیث لا یتوبون عنه.

۵۵[الهیم]:هو الإبل العطشان الذی لا یروی من الماء لداء یصیبه.

هٰذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ

هدى من الآيات:

فى هذا الدرس يحدّثنا ربّنا عن مصير الفريقين الآخرين(أصحاب اليمين، و أصحاب الشمال)،«و شمائل ضد اليمين،يقال:فلان عندى بالشمال إذا خسّت منزلته،و هو عندى باليمين أى بمنزله حسنه» (۱).

و أصحاب اليمين يدخلون الجنه إلى نعيم مقيم،و لكنّه دون نعيم السابقين كثره و تنوّعا و كيفا،كما أنّهم دونهم فى الإيمان و العلم فى الدنيا،و ينتمى إلى هذا الفريق عامه المؤمنين و المسلمين من الناس،الذين عنوان مسيرتهم الصلاح،فهم و إن دخل بعضهم النار،أو تأخّر فى الحساب،إلّا أنّه لا يلبث أن ينقلب إلى نعيمه و أهله مسرورا برحمه من اللّه،و بسبب أعماله الصالحه،أو شفاعه السابقين.و هم ثلّه فى كلّ أمه و جيل،و لا يطيل القرآن الحديث عنهم،بل يختصره فى أربعه عشره

۱- ۱) المنجد/ماده شمل

آیه قصیره،ثم ینتقل بنا إلی بیان مصیر أصحاب الشمال،حیث أنواع العذاب المؤلم المهین(سموم الحمیم،و ظلّ الیحموم،و شجر الزقوم،و شراب الحمیم)، و کلّ ذلک تذکره السوره فی کلمات ترعب النفوس،و بلاغه تنفذ إلی أعماق من یلقی السمع شهیدا،بما یکفی زاجرا للإنسان و علاجا للترف،و الإصرار علی الضلال و التکذیب بالآخره.

و حین یقسّم القرآن الناس إلی هذه الطوائف فلکی یکون التقسیم المشروع هو القائم علی أساس الإیمان و العمل،أمّا الأسس الأخری فهی لا تصلح سببا لتفریق الناس مثل اللغه و اللون و العنصر.

بینات من الآیات:

[۳۰-۲۷]ما هی صفات أصحاب الیمین،و ما هو جزاؤهم؟ وَ أَصْحابُ الْیَمِینِ مٰا أَصْحابُ الْیَمِینِ المیمنه من الیمن أی النصیب الحسن،و قد جعل اللّه إعطاء الکتاب للإنسان بیده الیمنی یوم القیامه دلیلا علی العاقبه الحسنی،و لأنّ کاتب الحسنات علی الیمین و کاتب السیئات علی الشمال فإنّ أصحاب الیمین هم الذین زادت حسناتهم علی السیئات،و الصحبه من التلازم و المقارنه،فقد یکون هؤلاء ذوی الصله المتینه بملائکه الحسنات لکثره الصالحات عندهم،فهم لا یبرحون یصلونهم بها بین الحین و الآخر،فیصحبهم أولئک الملائکه عند الحساب،یبیّنون حسناتهم، و یشفعون لهم عند اللّه.و من کانت هذه صفته فإنّه یصیر إلی منزله عظیمه من الجزاء و الرضوان عند اللّه.

فِی سِدْرٍ مَخْضُودٍ

يعنى منزوع الشوک،ممّا يجعل قطف ثماره خال من الأذى و المشقّه، و المخضود:مثنى الأغصان من غير کسر(أيضا)إشاره إلى کثره ثمارها و ورقها اللذان يثقلان الغصن فيثنيانه،و السدر:شجر النبق(الکنار) (۱)،و له فوائد جمّه منها:ثمره،و ظلّه،و منظره الجميل.

جاء فى الحديث عن سليم بن عامر قال :کان أصحاب النبى صلى الله عليه و آله يقولون:

إنّه لينفعنا الأعراب و مسائلهم،قال:أقبل أعرابى يوما فقال:يا رسول اللّه!لقد ذکر اللّه فى القرآن شجره مؤذيه،و ما أرى فى الجنه شجره تؤذى صاحبها؟قال رسول اللّه:و ما هى؟قال:السدر فإنّ له شوکا مؤذيا؟فقال صلى الله عليه و آله :أو ليس يقول: «فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ» ؟خضد اللّه شوکه فجعل مکان کلّ شوکه ثمره، فإنّها تنبت ثمرا يفتق الثمر منها عن اثنين و سبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الآخر (۲)و قال سعيد بن جبير:ثمرها أعظم من التلال. (۳)

و الحرف «فِى» يفيد الإحاطه و الدوام،فهم محاطون بما يذکر من النعم.

وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ أى متسق منظّم مضموم بعضه إلى بعض،و تنضّدت الأسنان تراصفت (۴)،

و عن الإمام الصادق(عليه السلام)قال :«بعضه إلى بعض » (۵)و قال تعالى:

وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (۶)متسق، و اختلف فى الطلح على أقوال

۱- ۱) قال صاحب المنجد:الکنار النبق(بالعاميه و الفارسيه)

۲- ۲) القرطبى/ج ۱۷ ص ۲۰۷

۳- ۳) المصدر

۴- ۴) المصدر ماده نضد

۵- ۵) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۱۵

۶- ۶) ق ۱۰/

أشهرها و أقربها أنّه الموز،و هو من ألذّ الفواكه و أشهاها.

وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ أی دائم متصل واسع،و قال تعالی: مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ أُكُلُهٰا دٰائِمٌ وَ ظِلُّهٰا (۱).

و فی حدیث آخر عن الرسول صلی الله علیه و آله قال :«فی ظل ممدود فی مثل ما بین طلوع الفجر إلی طلوع الشمس » (۲)

و فی الخبر :إنّ فی الجنه شجر یسیر الراکب فی ظلّها مائه سنه لا یقطعها.اقرءوا إن شئتم: «وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ» (۳)و کان الظل یعنی شیئا کثیرا فی محیط الجزیره العربیه حیث یتعرّض الناس عاده لأشعه الشمس الحارقه.

[۳۳-۳۱]و نعمه أخری لأصحاب الیمین هی الماء(قوام الحیاه)،یشربونه و یتلذّذون بمنظره الرائع،و هو ینحدر من عل منسکبا لا ینقطع.

وَ مٰاءٍ مَسْكُوبٍ* وَ فٰاكِهَهٍ كَثِيرَهٍ تنوّعا و عددا،و هی لا تنفذ مهما بالغ المؤمنون فی التفکّه بها،کما أنّها لیست محدوده ثمرتها بموسم بل هی دانیه قطوفها دائما،و من جانب آخر لا یمنعهم عنها و لا یمنعها عنهم مانع أبدا،فهی مباحه شرعا،نافعه أبدا،لا شوک فی أشجارها یمنعهم، و لا ارتفاع یصعّب علیهم الانتفاع بها.

لٰا مَقْطُوعَهٍ وَ لٰا مَمْنُوعَهٍ

۱- ۱) الرعد۳۵/

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۱۶

۳- ۳) المصدر

قال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم) يصف شجره طوبى:«و أسفلها ثمار أهل الجنه و طعامهم متذلّل فى بيوتهم،يكون فى القضيب منها مائه لون من الفاكهه ممّا رأيتم فى دار الدنيا و ممّا لم تروه،و ما سمعتم به و ما لم تسمعوا مثلها، و كلّما يجتنى منها شىء نبتت مكانها أخرى، لا مَقْطُوعَهٍ وَ لا مَمْنُوعَهٍ» (۱).

و قال(صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) حاكيا حال أهل الجنه:و الثمار دانيه منهم و هو قوله عزّ و جلّ: «وَ دانِيَهً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا» ،من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذى يشتهيه من الثمار بفيه و هو متكئ،و إنّ الأنواع من الفاكهه ليقلن لولى اللّه:يا ولىّ اللّه!!كلنى قبل أن تأكل هذا قبلى (۲).

و للمتدبّر أن يلاحظ مدى أثر الوعد بهذه النعم فى مجتمع يحلم بالماء و يتقاتل عليه،و يتنقّل عبر المفاوز الشاسعه بحثا عن الماء بل سعيا وراء السراب!كما لا يعرف الفاكهه التى لا تنبت فى محيطه إلّا كبراؤه،يجلبونها فى تجارتهم و بكميّات قليله محدوده،أو يزرعون شجرها طمعا فى بضع وحيدات منها!و هى مع قلّتها تقطعها الأسباب،و تمنعها الموانع المختلفه عنهم،فكيف بهم و هم يجدون أنفسهم أمام تلك النعم العظيمه الوافره؟إنّ العاقل منهم لا ريب يسعى لنيلها حينما تطمئن بها نفسه.

و هنا فكره لطيفه تفسّر اهتمام القرآن بالتركيز على التذكير بجوانب من نعيم الآخره،و التفضيل فيه و التشويق إليه فى كثير من المواضع،و هى:إنّ ذلك يأتى لمقاومه كثير من الانحرافات المعنويه و العمليه فى حياه الإنسان،و الناتجه من

۱- ۱) المصدر

۲- ۲) المصدر

الاغترار بنعم الدنيا،و الخضوع لجاذبيتها،

فقد جاء فی کلام الإمام أمیر المؤمنین (علیه السلام) :«فمن اشتاق إلی الجنّه سلا عن الشهوات » (۱).

[۳۸-۳۴] وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَهٍ افترش الشیء:وطئه،و عرضه:استباحه بالوقیعه فیه،و حقیقته:جعله لنفسه فراشا یطؤه (۲)،فالکلمه فیها دلالتان:الأولی:الفراش الذی ینام علیه الإنسان، و الثانیه:الزوجه التی یستبیحها و یطؤها،و هذا من بلاغه القرآن أن یشیر إلی نعمتین بکلمه.و قد ورد فی النصوص الإسلامیه استخدام للکلمه فی المعنی الثانی.

قال العلامه الطبرسی:و یقال لامرأه الرجل هی فراشه،و منه

قول النبی (صلّی اللّه علیه و آله و سلم) :«الولد للفراش،و للعاهر الحجر » (۳)،

و قال الإمام الصادق(علیه السلام) یصف إناث الجنه:«نعم.ما یفترش منهنّ شیئا إلّا وجدها کذلک » (۴)(یعنی باکرا).

و مَرْفُوعَهٍ یعنی عالیه المکان،و هی أصلح فی الفراش من الآخر الذی علی الأرض،کما تعنی الکلمه ارتفاع الشأن حسنا و کمالا أیّا کان المقصود ظاهر الفرش أو الزوجه.

إِنّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً و الإنشاء هو الإبداع و الصناعه،و قد خلق اللّه لکلّ مؤمن زوجات مخصوصات به،و هذا من عنایه اللّه و لطفه بالمؤمن،و علی هذا المعنی یکون المراد حور العین، و قال البعض:إنّهنّ من نساء الدنیا أنشأناهن اللّه من جدید فتیات جمیلات و أبکار،

۱- ۱) قصار الحکم المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغه ص ۷۰۴

۲- ۲) المنجد ماده فرش

۳- ۳) مجمع البیان/ج ۹ ص ۲۱۹

۴- ۴) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۱۷

هکذا

روی عن أمّ سلمه أنّها سألت النبی(صلّی اللّه علیه و آله و سلم)عن الآیه فقال لها:«یا أمّ سلمه هنّ اللواتی قبضن فی الدنیا عجائز شمطا عمشاء رمصا جعلهنّ اللّه بعد الکبر أترابا علی میلاد واحد فی الإستواء » (۱).

و هکذا قیل حور العین للسابقین،بینما العرب الأتراب لأصحاب الیمین.

فَجَعَلْناهُنَّ أَبْکاراً و کلمه الجعل تشیر إلی أنّ بکارتهنّ دائمه،و هکذا

جاء فی الحدیث عن رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله و سلم)أنّه قال :«کلّما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبکارا»فلمّا سمعت عائشه بذلک قالت:و أوجعاه!فقال رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله و سلم):«لیس هناک وجع » (۲)و من صفه الحور عروبتها و انسجامها.

عُرُباً أَتْراباً فی تفسیر علی بن إبراهیم:«لا یتکلّمون إلّا العربیه» (۳)و هی لغه أهل الجنه، و العروبه من النساء الضاحکه (۴)فهی تعرب و تفصح عن ثناایاها حین الابتسام، و البشاشه من جمال المرأه،و قال الراغب الأصفهانی:و امرأه عروبه:معربه بحالها عن عفّتها و محبّه زوجها (۵).

و قیل الغنج و الدلال عن أمیر المؤمنین علیه السلام فی روایه هذا نصّها:

قال علیه السلام

۱- ۱) القرطبی/ج ۱۷ ص ۲۱۰

۲- ۲) جوامع الجامع فی الموضع

۳- ۳) تفسیر القمی/ج ۲ فی الموضع

۴- ۴) المنجد/ماده عرب

۵- ۵) مفردات الراغب ماده عرب

يصف غرف الفردوس:«فی کلّ غرفه سبعون خیمه،فی کلّ خیمه سبعون سریرا من ذهب،قوائمها الدرّ و الزبرجد(فهی مرفوعه إذا)موصوله بقضبان الزمرد، علی کلّ سریر أربعون فراشا،غلظ کلّ فراش أربعون ذراعا،علی کلّ فراش زوجه من الحور العین عربا أترابا»فقال(أحد):أخبرنی یا أمیر المؤمنین عن عروبه؟!قال:«هی الغنجه،الرضیه،الشهیه،لها سبعون ألف وصیف و سبعون ألف وصیفه،ضعف الحلی،بیض الوجوه،علیهنّ تیجان اللؤلؤ،علی رقابهنّ المنادیل،بأیدیهنّ الأکوبه و الأباریق » (۱).

و فی الأتراب أقوال:فعن علی بن إبراهیم:یعنی مستویات الأسنان،و قیل أنّهن متماثلات،

یقول الرسول(صلّی اللّه علیه و آله و سلم)لأمّ سلمه :«جعلهنّ اللّه أترابا علی میلاد واحد فی الإستواء » (۲).

و قیل و هو الأشهر و الأظهر و الأشمل:أنّهنّ ینسجمن مع أزواجهن من المؤمنین فی ظاهر أجسامهن و فی خلقهن و سلوکهن و نفسیّاتهن.

و للام فی «لِأَصْحابِ» و جهان:أحدهما:أنّها موصوله بما قبلها مباشره فیکون المعنی المتقدّم(متاربتهنّ لهم)،و الآخر: أنّها موصوله بکلّ ما تقدّم فهو ملک لِأَصْحابِ الْیَمِینِ و من أجلهم،و هذا أظهر.

[۴۰-۳۹]أمّا عن نسبه هذا الفریق فی البشریه و فی کلّ جیل من أجیال المسلمین فهی ثلّه(أکثر من القلیل)لأنّ المنتمی إلیه هم عامّه المؤمنین و المسلمین.

ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِینَ* وَ ثُلَّهٌ مِنَ الْآخِرِینَ

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۱۸

۲- ۲) المصدر/ص ۲۱۹

قال الإمام الصادق(عليه السلام) (يعنى اَلْأَوَّلِينَ):من الطبقه التى كانت مع النبى(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)،(و يعنى اَلْآخِرِينَ):«بعد النبى (صلّى اللّه عليه و آله و سلم)من هذه الأمّه » (۱)،و هذه النظره الواقعيه المتوازيه تنفى موقف المغالات فى الأوّلين من المسلمين بأنهم كلّهم سابقون،و أنّ الهدايه تتحقق باتباع أىّ منهم،

على التفسير المطلق للحديث :«أصحابى كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم »،فإنّ الجيل الأوّل و إن كانت الحضاره الإسلاميه تأسست بجهودهم، و سطّروا الملاحم و المجد،إلاّ أنّ بعضهم السابقون و أقلّ من ذلك أصحاب اليمين، كما أنّ بعضهم المنافقون بصريح القرآن: وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَهِ (۲)،و هى تنفى موقف اليأس من حال المسلمين اليوم،كلاّ..

فقد يصبح الواحد منّا من السابقين أولا أقل من أصحاب اليمين كما الجيل الأوّل سواء بسواء.

ذلك لأنّ الأمه الإسلاميه كانت و لا تزال خير أمّه أخرجت للناس،

و فى روايه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال النبى(صلّى اللّه عليه و آله و سلم) :«إنّى لأرجو أن يكون من تبعنى ربع الجنه»قال:فكبّرنا.ثم قال:«إنّى لأرجو أن يكونوا ثلث أهل الجنه»فكبّرنا،ثم قال:«إنّى لأرجو أن يكونوا شطر أهل الجنه»ثم تلا(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)«الآيتين » (۳).

و فى الخصال للشيخ الصدوق(ر ض) قال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم) :«أهل الجنّه مأه و عشرون صفا،هذه الأمّه منها ثمانون صفّا » (۴).

و يكفى بالثلّه هنا كثره إذا اعتبرنا الأوّلين هم الأمم السابقه حسب بعض

۱- ۱) المصدر

۲- ۲) التوبه۱۰۱/

۳- ۳) مجمع البيان/ج ۹ الموضع

۴- ۴) الخصال/ج ۲ ص ۶۰۱

الروايات،و الآخرين هى أمّه الإسلام،و قد عدلها اللّه بهم،فقال:ثلّه من أولئك و ثلّه منها.

[۴۲-۴۱]و يبدأ السياق شوطا جديدا من الحديث يتمحور حول الفريق الثالث من الناس و هم أصحاب المشأمه و الذين يتسلمون كتابهم بشمالهم أو من وراء ظهورهم،و الذكر الحكيم لا يكتفى بذكر مصيرهم البئيس و حسب-كما هو الحال بالنسبه للسابقين و أصحاب اليمين-بل يبيّن أهمّ الأسباب التى تصير بالبشر الى ذلك،هدايه لنا الى النجد الصحيح،و إنذارا من التورط فيها.

وَ أَصْحابُ الشِّمالِ مٰا أَصْحابُ الشِّمالِ و الشمال كنايه عن الشؤم (۱)،و هذا المعنى واضح إذا فسّرنا الكلمه هنا بالآيه التاسعه،فهذا الفريق هم المعنيّون بالمشأمه،و مع أنّهم يعطون كتابهم بشمالهم وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ فَيَقُولُ يٰا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتٰابِيَهْ (۲)،إلّا أن القرآن لا يسميهم بأصحاب اليسار،لأنها مأخوذه من اليسر تفاؤلا كالمفازه للصحراء،ذلك ان قوه الإنسان فى يمينه،و يستخدمها بيسر و سهوله،بينما يواجه حرجا و عسرا فى إعمال شماله،فقيل يسار رجاء اليسر.و نستوحى من ذلك ان سيره المتقين و المؤمنين هى المسيره الطبيعيه التى تنسجم مع واقع الإنسان و الحياه،و ان مسيره أهل النار هى الشذوذ عن مسيره الخليقه.أو ليس كل شىء فى العالم يسلم للّه و يخضع لسننه و يسبح بحمده؟و كيف لا يكونون كذلك وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّٰا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ (۳)،بينما نجد هؤلاء يكفرون باللّه،و يشركون به،و ينكرون الحقائق الكبرى كالبعث،و يخالفون سنن اللّه و أوامره.

۱- ۱) المنجد ماده شمل بتصرف

۲- ۲) الحاقه۳۵/

۳- ۳) الإسراء۴۴/

و إذا كـان تجلّى الشـمال و اليمين و المشـأمه و الميمنه فى يوم الـدين هو إعطـاء الكتاب بإحـدى اليـدين فان تجليهما فى الواقع الاجتماعى و السياسـى هو القياده الصالحه بالنسـبه لليمين، و الفاسده بالنسـبه للشـمال،و قد وردت بهذا التأويل روايات كثيره من بينها:

قول رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)للإمام على (عليه السلام) :«هم شيعتك » (۱)يعنى أصحاب اليمين،

و قول أبى عبد اللّه (عليه السـلام) :«و الكتاب الامام،و من أنكره كان من أصحاب الشمال الذين قال اللّه:الآيات » (۲)،و من هذه الاخبار و أمثالها اسـتلهم على بن إبراهيم(ر ض)تفسـيره للآيه:يعنى من كان من أصـحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) (۳)،و مثل الشمال:

الجبارون و المشركون و الكافرون و الطواغيت و من أريد هوانه و شقوته » (۴).

و هنا نجد السـياق القرآنى يختلف عما سـبق،فحين ذكر أصحاب اليمين من بعد السابقين لم يبين صفاتهم،بينما هنا يذكر صفات أصـحاب الشمال مما يثير التساؤل:لما ذا؟و يبدو أنّ الاجابه تتوضّح إذا عرفنا أنّ الإنسان خلق أساسا ليكون من أصحاب الجنه.أو ليس خلقنا ليرحمنا؟فـدخول النار شـذوذ عن هـدف الخلقه لا بـد ان نبحث عن سـبب له،و هكذا يبيّن القرآن عوامل دخول النار التى من تجنّبها تفضّل اللّه عليه بالجنه،و الأسـلوب القرآنى بديع فى بيان موجبات النار حيث يجعل بيانها مسـبوقا ببيان جانب من العذاب الشديد،ثم يلحقه بإشاره الى ألوان اخرى منه أيضا،و ذلك لكى يخوفنا من مصيرهم،فما هو مصيرهم؟إنّهم:

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۲۹ نقلا عن روضه الكافى

۲- ۲) المصدر/ص ۲۲۱

۳- ۳) تفسير القمى/ج ۲ ص ۳۵۰

۴- ۴) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۱۴

فِی سَمُومٍ وَ حَمِیمٍ و السموم الریح الحاره التی تدخل مسام الجسم،و لعلّه فی الآخره نوع من النیران یعذب به أصحاب المشأمه،قال تعالی: وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (۱).

و لعلّ اللفح بریح السموم یوم القیامه متولّده من حرکه السنه النار و تداخلها فی بعضها(المرج)،و هو یصیب (أَصْحَابُ الشِّمَالِ) بحره إضافه الی کونهم فی جهنّم مباشره تحیطهم من کلّ جانب و صوب.

أمّا الحمیم فهو السائل الفائر المغلی الی درجه،من حم الماء إذا وضعه علی النار و سخّنه،قال تعالی: فَشَارِبُونَ عَلَیْهِ مِنَ الْحَمِیمِ (۲)،و قال: کَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِی النَّارِ وَ سُقُوا مَاءً حَمِیماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (۳)،من شدّه حرارته.و الحرف «فِی» یفید الاحاطه الشامله.

و الذی یظهر من تعبیر القرآن بفی أنّه یسقط الزمن من الحساب،بالرغم من انّ ظاهر الآیات الذی یلاحظه المتدبّر-أنّها تنصرف الی المستقبل«یوم الدین»، و قد أراد ربنا بذلک هدایتنا الی حقیقتین:

الاولی:انّ العذاب و الثواب حقائق واقعیه یعیشها الإنسان فی الدنیا فور مبادرته الی عمل الخیر و الشر،لان ذات السیئات و الحسنات هی التی تصیر نارا أو جنه فی الآخره،بید ان الناس محجوبون عن هذه الحقیقه الحق.قال تعالی:

۱- ۱) الحجر۲۷/

۲- ۲) الواقعه۵۴/

۳- ۳) محمد۱۵/

كُلَّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱)،و قال: إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۲)، «وَ قِيلَ لِلظّٰالِمِينَ ذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ» (۳).

الثانيه:ان جزاء الإنسان ليس بعيدا عنه من الناحيه الزمنيه،فالدنيا و ان طال عمره فيها-الى المأه عام مثلا-لا تكاد تبين فى ميزان الخلود الاخروى، وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَهٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ (۴)،و لكن أكثر الناس لا يستوعبون هذه الحقيقه و لا يدركونها بعمق الا فى الآخره إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَهً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ يَوْماً (۵)، «وَ يَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَهُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مٰا لَبِثُوا غَيْرَ سٰاعَهٍ كَذٰلِكَ كٰانُوا يُؤْفَكُونَ» (۶).

[۴۴-۴۳]فلا يظنّ أصحاب الشمال ان العذاب بعيد عنهم،فهم الآن و غدا محاطون به.

وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ قال صاحب المنجد:الأسود من كلّ شىء(و يسمى بذلك)الدخان (۷)، و قال على بن إبراهيم:ظلمه شديده الحر (۸)،و هذا النوع يقابله الظل الممدود فى جنان المؤمنين،و لعلّه المشار اليه فى قوله تعالى: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النّٰارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ (۹)،و هو إن صحّ فاليحموم نار سوداء تجعلهم فى ظلام حالك.

۱- ۱) الجاثيه۲۸/

۲- ۲) الطور۱۶/

۳- ۳) الزمر۲۴/

۴- ۴) الحج۴۷/

۵- ۵) طه۱۰۴/

۶- ۶) الروم۵۵/

۷- ۷) راجع ماده حم

۸- ۸) تفسير القمى/ج ۲ ص ۳۴۹

۹- ۹) الزمر۱۶/

لا بارِدٍ كظلال الجنه،و ظلّ الدنيا.

وَ لا كَرِيمٍ فهم يلقون من جهه عذابا للجسم بسبب الحراره فى ذلك الظل،و من جهه اخرى يتلقّون الاهانات و الاذلال و الخزى،و يعيشون انعدام الكرامه على خلاف المؤمنين و السابقين الذين تتابع عليهم كرامات اللّه و نعمه،و لا يسمعون، «إِلاّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً» .

و قيل:الكريم:العذب،و قال بعضهم:حسن المنظر،و قال آخرون:كل ما لا خير فيه فليس بكريم.

[۴۸-۴۵]و هذه الألوان من العذاب التى تحيط بأصحاب المشأمه فى الآخره، لا شك انها تجليات لما قدموه فى الدنيا،و ما كانوا عليه من الأعمال السيئه و الأفكار الضاله،و نتيجه لمنهجهم فيها،فما هى العوامل التى جعلتهم من هذا الزوج المشؤوم لعلّنا نتعرف عليها و نتجنّبها؟ أولا:الترف.قال تعالى:

إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ قالوا:ترف النبات كثر ماؤه و نضر،و انما سمى صاحب النعمه بالمترف لأنه كثرت لديه النعمه و ظهرت عليه نضارتها،و لعلّه لا يسمى كل صاحب نعمه مترفا، انما الذى جاوز الحد فى الاهتمام بنفسه،و جعل النعم هدفه الاساسى،و قد توالت آيات الذكر فى ذم هذا الفريق،و بيان صفاتهم الذميمه التى أبرزها كفرهم بكل

رساله جدیده.

قال اللّه: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا فِی قَرْیَهٍ مِنْ نَذِیرٍ إِلاّٰ قٰالَ مُتْرَفُوهٰا إِنّٰا بِمٰا أُرْسِلْتُمْ بِهِ کٰافِرُونَ (۱)،و إنّهم یجعلون النعمه قبلتهم فیتبعونها أنّی کانت،و هی -بالطبع-تجرّهم إلی ألوان من الظلم و الانحراف و الجریمه،کما قال تعالی:

وَ اتَّبَعَ الَّذِینَ ظَلَمُوا مٰا أُتْرِفُوا فِیهِ وَ کٰانُوا مُجْرِمِینَ (۲)،کما انهم یعتمدون اعتمادا کلیّا علی ما أترفوا فیه فلا یسعون لعمل الصالحات، وَ قٰالُوا نَحْنُ أَکْثَرُ أَمْوٰالاً وَ أَوْلاٰداً وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ (۳)،بل و یزداد المترفون ضلالا و ذنوبا،و بالتالی قربا من النار کلما ازدادت النعم علیهم،قال تعالی: إِنَّمٰا نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدٰادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِینٌ (۴)، و لا یعلم هؤلاء بان اعتمادهم علی المال و القوه و سائر صنوف النعمه کان خطأ إلاّ فی الآخره،حیث یغمرهم الندم و لا حیله لهم یومئذ و لا هم ینصرون،قال تعالی:

وَ أَمّٰا مَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِشِمٰالِهِ فَیَقُولُ یٰا لَیْتَنِی لَمْ أُوتَ کِتٰابِیَهْ* وَ لَمْ أَدْرِ مٰا حِسٰابِیَهْ* یٰا لَیْتَهٰا کٰانَتِ الْقٰاضِیَهَ* مٰا أَغْنیٰ عَنِّی مٰالِیَهْ* هَلَکَ عَنِّی سُلْطٰانِیَهْ (۵)، و فی صفه المترفین من أهل الدنیا

قال الامام علی(علیه السلام) :«سلکت بهم الدنیا طریق العمی،و أخذت بأبصارهم عن منار الهدی،فتاهوا فی حیرتها، و غرقوا فی نعمتها،و اتخذوها ربّا،فلعبت بهم و لعبوا بها،و نسوا ما وراءها » (۶).

و السؤال:لماذا یقول ربنا «مُتْرَفِینَ» بصیغه المبنی للمجهول،کأنّما قد

۱- ۱) سبأ۳۴/

۲- ۲) هود۱۱۶/

۳- ۳) سبأ۳۵/

۴- ۴) آل عمران۱۷۸/

۵- ۵) الحاقه۲۵/-۲۹

۶- ۶) نهج کتاب۳۱/ ص ۴۰۱

جرهم الى الترف شخص آخر،و إذا كان الأمر كذلك الأمر فلما ذا يعذبهم اللّه؟ و الجواب:ان اللّه هو الذى ينعم على العبد،و لكن الإنسان هو الذى يختار ان يجعلها وسيله يتسابق بها الى الخير و الفضيله و الرضوان،أو يصيّرها سببا للتسافل و العذاب، و بتعبير آخر:انه قادر ان يبتغى بالنعم ان شاء الدار الآخره،و ان شاء الدنيا فيتبع هو بنفسه ما يترف فيه.

و كلمه أخيره:

إنّ المفسّرين اختلفوا فى معنى هذه الآيه،فقال بعضهم:المراد انّهم تنعّموا بالحرام،و قال الآخرون:معنى المترفين المشركين،بيد ان كلمه المترف قد أصبحت علما لفئه معينه من الناس ذكر القرآن الكريم صفاتهم و أعمالهم،مما أخرج الكلمه عن وضعها اللغوى الى وضع جديد فلا نحتاج فيها الى تأويل.

ثانيا:الإصرار على الحنث.

وَ كانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ اَلْحِنْثِ :هو الميل الى الباطل،و فى اليمين:لم يف بموجبها (۱)،و هو من الذنوب الكبيره،لذلك فسر البعض الكلمه بأنّها الكبائر،و قال آخرون منهم ابن عباس انّها اليمين الغموس،و عليه كثير من المفسرين المتقدّمين و المتأخرين،و لعلّ اَلْحِنْثِ هو مخالفه الميثاق عموما،و لكن بما انّ أعظم ميثاق هو الذى قطعه الإنسان على نفسه امام اللّه فى عالم الذر فان أبرز مصاديق الحنث العظيم هو الشرك،قال تعالى: إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرىٰ إِثْماً عَظِيماً (۲)،و كيف لا يكون المشرك من أصحاب المشأمه و قد قال

۱- ۱) المنجد ماده حنث

۲- ۲) النساء۴۸/

اللّه: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّهَ وَ مَأْوَاهُ النّارُ وَ مَا لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (۱)، و لا ينحصر الشرک فی قول النصاری: إِنَّ اللّهَ ثالِثُ ثَلاثَهٍ (۲)،و لا فی قولهم: إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ (۳)،و لا فی عباده الأصنام و الأوثان،بل فی التسليم لأیّ منهج أو قیادهٍ باطله،فقد يكون الشرک سلوكا اجتماعيّا و قولا باطلا،قال اللّه تعالی: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ* حُنَفاءَ لِلّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِی بِهِ الرِّيحُ فِی مَكانٍ سَحِيقٍ (۴).

و الآیه تبيّن لنا حجم الذنب الذی يمارسه فريق المشأمه بثلاثه حدود:الأوّل:

هو الإصرار الذی يجعل الذنب الصغير كبيرا،فكيف و هو واقع علی ذنب كبير؟ و الثانی:الحنث أی مخالفه ما تعهّد به الشخص،و ألزم نفسه باتباعه.و لا ريب ان مخالفته لا تنعكس علی ضياع حقوق المجتمع،بل علی سحق كرامه المحنث نفسه، حيث يسقط اعتباره و شخصيته فلا يعود أحد يثق به،بل لا يعود يثق هو بنفسه، ذلک انّ أساس الأخلاق احترام الإنسان لنفسه،و ثقته بكرامته،فاذا فقد ذلک فلا يبقی لديه أی أساس للالتزام بالقيم،و الثالث:الشرک الذی هو أعظم الحنث، و عموما كل حنث عظيم،و الذی يهتک أعظم عهد و يمين فی حياته هل تبقی عنده حرمه و اعتبارات لأی يمين و عهد آخر؟! ثالثا:الجحود بالآخره،الذی كان يتناسب مع الترف الذی يحصر الإنسان فی حدود الدنيا،و مع الشرک الذی يبرر للنفس انحرافاتها و تبرّيها من المسؤوليه،و هم لا يكفرون بها و حسب بل و يسفّهون فكرتها و قيمها عند الآخرين بالتشكيک

۱- ۱) المائده۷۲/

۲- ۲) المصدر۷۳/

۳- ۳) المصدر۷۲/

۴- ۴) الحج ۳۰/-۳۱

فيها..

وَ كانُوا يَقُولُونَ أَ إِذا مِتْنا وَ كُنّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ للحساب و الجزاء،و قولهم هذا يكشف عن شكّهم فى قدره اللّه،و سعيهم لتشكيك الآخرين فيها،بانّه تعالى لا يقدر على بعث الخلق،و ربنا يردّ هذه الشبهه فى الآيات القادمه:۵۷-۷۴.

و ليس القول هنا مجرّد الكلام،بل يشمل مجمل موافقهم و سلوكهم،و كانوا يتساءلون تعميقا لشبهتهم:هل أنّ آباءنا الأولين الذين صاروا عظاما نخره يبعثون؟! أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ و ربما يستهدف تعرّضهم لذكر الآباء الأولين بالذات اثاره ثقافه التخلّف التى كانت تقدّس الآباء فى أعينهم،إثارتها فى نفوس الناس لتكون حاجزا دون الايمان بالبعث،ذلك انّ الرساله كانت تخبرهم بأنّ الآباء سوف يبعثون من جديد، و يحاكمون علنا،و يلقون الجزاء العادل إن خيرا فخير و ان شرا فشر..و كان من الصعب على من يقدس آباءه انّى كانوا قبول فكره محاكمتهم و مجازاتهم،على أنّ بعث الاباء أبعد فى ذهن السذّج من بعث من هم لا يزالون أحياء.و الشىء الآخر أنّهم لا يرون حديثهم عن المستقبل كافيا لتدعيم فكرتهم و نظرتهم الشيئيه المغرقه بواقع محسوس،و الآباء الأوّلون هم تراب و عظام بالفعل،و هذا يتناسب مع ضلالهم و إضلالهم غيرهم عن فكره الآخره و التى هى جانب من الغيب المستقبل.

[۵۰-۴۹]و يرد ربنا على هذه الشبهه ردا موضوعيا صاعقا على لسان رسوله صلى الله عليه و آله بالوحى:

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ و ربما كان فى فعل الأمر «قُلْ» تحقيرا لهم بأنه تعالى لا- يكلمهم مباشره،و لعل أهم ما يوحى به ظلال«قل»أنّ هذه الحقيقه يجب ان تقال صراحه،و أنّها من مفردات الدعوه الى اللّه و رسالاته،كقوله سبحانه: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ» .

و قال بعضهم:إنّ كلمه«قل»تدل على أنّ هذه الحقيقه من القضايا العامه التى يشترك فيها العوام و الخواص (۱)،و قدّم ربّنا اَلْأَوَّلِينَ على اَلْآخِرِينَ لأنّهم استبعدوا بعثهم،و لكى لا يتوهّم أحد بأن بعث الأقدمين الذين تحلّلوا و تبعثروا و لم تبق منهم حتى الآثار أصعب عليه(سبحانه)كلاّ.. فَإِنَّما هِيَ زَجْرَهٌ وٰاحِدَهٌ فَإِذٰا هُمْ يَنْظُرُونَ (۲)جميعهم، لا- فرق بين مالك و مملوك،و ذكر و أنثى،و لا أوّل و أخير، و هذا هو القرآن يؤكّد مره أخرى بعد «إِنَّ» على البعث، و أنّ الناس:

لَمَجْمُوعُونَ إِلىٰ مِيقٰاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ عند اللّه،و كونه جزء من العلم فهو واقع،و ليس بظنّ أو تخرّص أو كذب، و بالنظر إلى آيات قرآنيه فإنّ علم الساعه اختصّ به الربّ،و لعلّه سبحانه لم يحدّد لها وقتا كما يستوحى من قوله سبحانه: «إِنَّ السّٰاعَهَ آتِيَهٌ أَكٰادُ أُخْفِيهٰا» ،من هنا فإنّ اليوم معلوم الوقوع لا معلوم الوقت.و هنالك يقف الجميع أمام اللّه للحساب،لا فرق بين أحد و أحد،و لا يَجْزِي وٰالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ،وَ لاٰ مَوْلُودٌ هُوَ جٰازٍ عَنْ وٰالِدِهِ شَيْئاً (۳)،فلما ذا الاعتماد إذا على الآباء بدل الحق؟!و لعلّ «مِيقٰاتِ» هنا اسم للمكان،بينما «يَوْمٍ» يشير إلى الزمان،كما نقول:مواقيت الحج،و ربما تتسع الآيه لمعنى آخر:أنّ الناس يبقون مختلطين مع بعضهم و هكذا المجرمون إلى يوم

۱- ۱) راجع الرازى فى تفسير الآيه

۲- ۲) الصافات۱۹/

۳- ۳) لقمان۳۳/

القیامه حیث یصبح الناس أزواجا ثلاثه،حسب التعبیر الوارد فی هذه السوره، و تتقطّع الوشائج کما قال ربّنا سبحانه: وَ یَوْمَ تَقُومُ السّاعَهُ یَوْمَئِذٍ یَتَفَرَّقُونَ (۱).

و توحی کلمه «إلی» فی هذه الآیه بالسّوق، و کأنّهم یجمعون ثم یساقون إلی ذلک المیقات،کما قال سبحانه: مُهْطِعِینَ إِلَی الدّاعِ یَقُولُ الْکافِرُونَ هٰذا یَوْمٌ عَسِرٌ (۲)،و مثل التعبیر فی آیه الواقعه نجده فی قوله سبحانه: قُلِ اللّهُ یُحْیِیکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یَجْمَعُکُمْ إِلیٰ یَوْمِ الْقِیامَهِ (۳).

[۵۵-۵۱]و یوجّه القرآن الخطاب إلی أصحاب المشأمه مثیرا إلی أهمّ صفتین تمیّزهم:

ثُمَّ إِنَّکُمْ أَیُّهَا الضّالُّونَ الْمُکَذِّبُونَ فالأمر یومئذ لا ینتهی عند البعث،فهناک ما هو أعظم ممّا یلیه و هو الجزاء، الذی یشکّل إنکاره العامل الحاسم و الرئیس فی کلّ انحرافات البشر.و یزعم البعض أنّ تکذیبه بالآخره یخلّصه من مسئولیته،و کأنّ من یصدّق بشیء هو وحده یتحمّل مسئولیته!کلاّ.انّ التکذیب لیس فقط لا ینجی صاحبه من عاقبه أفعاله،بل هو بذاته جریمه توجب عقابا شدیدا،و کما التکذیب الضلاله فإنّها لا تبرّر الجرائم إذ أنّها من فعل الإنسان نفسه،کما أنّ الهدایه من مسئولیاته.أو لیس قد وفّر اللّه لنا أسباب الهدایه،فمن ضلّ فإنّما یضلّ علی نفسه.

و لعلّ تقدیم التکذیب علی الضلاله فی آخر السوره(الآیه ۹۲)خلافا لما علیه هذه الآیه یهدینا إلی أنّ(الضلال و التکذیب)کلاهما سبب للآخر و مسبّب له،

۱- ۱) الروم۱۲/-۱۴

۲- ۲) القمر۸/

۳- ۳) الجاثیه۲۶/

فالمكذّب بالحق يضل،و الضال يكذّب بالحق،و لأنّ الضال ربما يهتدى بالحكمه البالغه و الموعظه الحسنه إلى الحق،و يعود عن ضلاله،فقد وصف ربّنا المعتيّين بالمكذّبين(صيغه مبالغه)ليبيّن بأنهم من المتعمّدين الضلال المصرّين عليه.أمّا عاقبه تكذيبهم و ضلالهم فهى العذاب الشديد. إنّهم:

لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ قالوا:إنّها كريهه المنظر،و ثمرتها سوداء مرّه منتنه،و هى تنبت فى قلب جهنّم،و يمتد منها غصن إلى كلّ منزل و فرد فرد،و جاء فى القرآن إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ (۱)،و الذى يجعلهم ينجبرون على الأكل منها زجر الملائكه،و كونهم لا يجدون سواها،و لعلّهم بسبب السّموم و الحميم و ظلّ اليحموم قد بلغت حاجتهم إلى الأكل أقصى حدّها،

و قد جاء فى الحديث :«إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق ابن آدم أجوف لا بد له من الطعام و الشراب » (۲).

و لعلّ هذا العذاب يأتى جزاء الترف الذى اتبعوه فى الدنيا،على حساب حقوق اللّه و حقوق الناس،فلم يكونوا يحسون عند ما كانوا يتلذّذون بألوان النعم بمن حولهم من المستضعفين و المحرومين و الفقراء،و كانوا يجمعون المال و يكنزون الذهب و الفضه دون أن يتورّعوا عن الحرام،فنظامهم الاقتصادى قائم على أساس الاستبزاز،و الظلم و الربا و الاحتكار و...،و القرآن يصرّح بهذه الحقيقه حينما يحدّثنا فى سوره الحاقه عمّن يؤتى كتابه بشماله:

۱- ۱) الصافات۶۴/-۶۵ و للمزيد راجع تفسيرنا هناك

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۲۲

«إِنَّهُ كٰانَ لاٰ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيمِ* وَ لاٰ يَحُضُّ عَلىٰ طَعٰامِ الْمِسْكِينِ* فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰاهُنٰا حَمِيمٌ* وَ لاٰ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ غِسْلِينٍ* لاٰ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخٰاطِؤُنَ (۱)،و لأنّهم كانوا فی الدنیا متخمین علی حساب ملایین الجائعین من حولهم،دون أن یشبعوا من التهام الحرام،یسلّط اللّه علیهم الجوع حتی أنّهم لیملئون بطونهم من الزقّوم علی ما فیه من العذاب،

فلقد قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله یصفه:«و لو أنّ قطره من الزقّوم و الضریع قطرت فی شراب أهل الدنیا مات أهل الدنیا من نتنها » (۲)،و حینما یبلغ طعامها بطونهم یجدون الحاجه الملحّه إلی الشراب بما لا یمکن التصبّر علیها،فلا یجدون إلّا الحمیم فیشربون طمعا فی ریّ ظمئهم،و إطفاء التهاب الزقوم و استعاره فی أمعائهم.

فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ* فَشٰارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ و لکنّهم لا یشربون قلیلا و یکتفون أو یتوقّفون،إنّما یشربون کالرمال التی لا تروی،أو کالإبل التی ضربت فی الصحراء هائمه(لا تدری إلی أین) (۳).

فَشٰارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ قالوا: اَلْهِيم الإبل العطشان التی لا تروی لداء یصیبها،و قیل: اَلْهِیم الأرض السهله ذات الرمل(التی لا یستقرّ علیها الماء) و یقال لکل ما لا یروی من الإبل و الرمل أهیم (۴).

و من هذه الآیه عکس الإمام الصادق(علیه السلام)حکم الکراهه فی الشرب بنفس واحد.

قال أبو بصیر(ر ض):سمعت أبا عبد اللّه(علیه السلام)یقول: «ثلاثه

۱- ۱) الحاقه۳۳/-۳۷

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۲۲ نقلا عن روضه الواعظین

۳- ۳) المنجد/ماده هیم

۴- ۴) القرطبی/ج ۱۷ ص ۲۱۵

أنفاس أفضل فی الشرب من نفس واحد.و کان یکره أن یتشبّه بالهیم » (۱).

[۵۶]و إلی جانب هـذا العـذاب و السابق ذکره(الآیات ۴۲-۴۴)ألوان کـثیره و مریعه من العـذاب المؤلم المهین تصبّ کلّهـا علی أصحاب المشأمه فی النار.

هـٰذا نُزُلُهُمْ یَوْمَ الـدِّینِ قـالوا:النزل القری الـذی یقـدّم للضـیف،و کـأنّهم ضـیوف و قراهم هـذا النوع من الطعـام و الشـراب،و قال بعضهم:النزل هو أوّل الطعام و الشراب الذی یستقبل به الضیف.

أمّـا المؤمنون فـإنّهم یفـدون دار ضـیافه اللّه فَلَهُمْ جَنّـاتُ الْمَـأْوی نُزُلاً بِـما کانُوا یَعْمَلُونَ (۲)، کـانَتْ لَهُمْ جَنّـاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً* خالِدِینَ فِیها لا یَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً (۳).و لک أن تقارن بین المنزلین: أَ ذلِکَ خَیْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَهُ الزَّقُّومِ (۴)؟

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۲۳

۲- ۲) السجده۱۹/

۳- ۳) الکهف۱۰۷/-۱۰۸

۴- ۴) الصافات۶۲/

[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۵۷ الی ۷۴]

اشاره

نَحْنُ خَلَقْناکُمْ فَلَوْ لا تُصَدِّقُونَ (۵۷) أَ فَرَأَیْتُمْ ما تُمْنُونَ (۵۸) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ اَلْخالِقُونَ (۵۹) نَحْنُ قَدَّرْنا بَیْنَکُمُ اَلْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ (۶۰) عَلی أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَکُمْ وَ نُنْشِئَکُمْ فِی ما لا تَعْلَمُونَ (۶۱) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ اَلنَّشْأَهَ اَلْأُولی فَلَوْ لا تَذَکَّرُونَ (۶۲) أَ فَرَأَیْتُمْ ما تَحْرُثُونَ (۶۳) أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ اَلزّارِعُونَ (۶۴) لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَکَّهُونَ (۶۵) إِنّا لَمُغْرَمُونَ (۶۶) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (۶۷) أَ فَرَأَیْتُمُ اَلْماءَ اَلَّذِی تَشْرَبُونَ (۶۸) أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ اَلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ اَلْمُنْزِلُونَ (۶۹) لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَوْ لا تَشْکُرُونَ (۷۰) أَ فَرَأَیْتُمُ اَلنّارَ اَلَّتِی تُورُونَ (۷۱) أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ اَلْمُنْشِؤُنَ (۷۲) نَحْنُ جَعَلْناها تَذْکِرَهً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِینَ (۷۳) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ اَلْعَظِیمِ (۷۴)

اللغه

۶۵[حطاما]:الحطام هو الهشیم الذی لا ینتفع به فی مطعم و لا غذاء و أصل الحطم الکسر.

[تفکّهون]:تتکلمون فی مجالسکم من جهه التعجّب، و التندّم علی ما أنفقتم فی الأرض لأجل الزرع،و المراد إنکم لا تقدرون أمام قدره اللّه بجعله النبات هشیما إلّا التکلّم فقط.

۶۶[إنّا لمغرمون]:المغرم الذی ذهب ماله بغیر عوض، و الغرام العذاب اللازم.

۷۰[أجاجا]:مالحا يمجّه الطبع و قيل مرا مراره شديده.

۷۱[تورون]:أى تستخرجونها و تقدمونها بزنادكم من الشجر.

۷۳[للمقوين]:يقال أقويت منذ أيّام أى لم آكل طعاما فالمقوين هم الذين يحتاجون إلى الطعام،و قيل إنّ المقوى من الأضداد فيكون المقوى الذى صار ذا قوّه من المال و النعمه و المقوى أيضا الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض أى التى ليس فيها أحد.

نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْ لا تُصَدِّقُونَ

هدى من الآيات:

بعد أن درس أعقد مضامين الفلسفه كنظريه الفيض و الدور و التسلسل،و قانون العدم و الوجود،مر أحدهم بعجوز تحرك المغزل،و سألها:كيف عرفتى مدبر الكون؟ فأجابته بفطرتها و إيمانها البسيط-بعد أن أوقفت النسج-:هكذا عرفت أن للكون مدبرا.لكنه ظل حائرا لم يدرك شيئا من قصدها،فبادرته:إن المغزل يقف حينما لا أعمل،فكيف لا يكون لهذه الأرض المدحيه،و السماء المبنيه على ما فيهما من الحياه و الحركه و التحوّل مدبّر؟! هكذا الكثير من الحقائق التى نعيش معها كل لحظه نبقى ساهين عنها دون أن نهتدى إلى عبرها،فالخلق،و الموت،و النشأه،و الزرع،و الماء،و النار كلّها من أقرب الحقائق إلينا و أكبرها شهاده و هدى لو وعيناها،و الإنسان قادر على أن يجعل الحياه كلها مدرسه،و ما فيها من الظواهر و العبر دروسا يكمل بها إيمانه و معرفته،

فيهتدى بالشهود الى الغيب،و بالحاضر الى المستقبل،و بالمخلوق الى الخالق،الا ان المشكله لا تكمن فى قله العبر و انما هى فى قله الاعتبار و المعتبر، فالمواعظ على كثرتها و وضوحها كالشمس هل يراها من غض بصره أو استتر بحاجب؟! من هنا فان أهم اهداف الرسالات الالهيه رفع الحجب التى بيننا و بين الحقائق (الإصر و الأغلال)العلميه بالتعليم،و النفسيه بالتزكيه لنلمسها مباشره،قال اللّه:

هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ (۱).أ رأيت الذى ضل عن ابنه فدل عليه؟أ رأيت كيف يعرفه؟كذلك الذى عاش فى ضلال مبين عن حقائق يعشو عنها و هى قريبه منه كيف يهتدى إليها لو كشف عن بصره الستار؟و قد لا تكون حاجه الإنسان لكى يستوعب الحقائق التى تهدى الآيات إليها،و يؤمن بها الى المعلومات و المعارف،بقدر حاجته الى يقظه الضمير و إثاره العقل.

و انما يترف الإنسان،و يصر على الشرك،و يكفر بالآخره بسبب ضلاله عن ربه،و قدره حق قدره.و لذلك يذكره القرآن بآيات معرفته الداله اليه،و قد تكون تلك الآيات أقرب شىء اليه(كالخلق)و لكنه غافل عنها.

بينات من الآيات:

[۵۷]لان الإنسان مخلوق فان خلقه هو أقرب الأشياء.

هل حدث أن بحثت عن شىء ثم اكتشفت انه كان فى يدك أو جيبك و أنت ساه عنه؟أو تدرى أين كان الخطأ؟إنه فى المنهج.لقد بحثت عنه طويلا فى درج مكتبك،أو رفوف مكتبتك،أو عند أهلك و أصدقائك،لقد حسبته بعيدا عنك

۱- ۱) الجمعه۲/.

فضللت عنه،و حين عدت الى نفسك و فتشت عنه لديها وجدته،كذلك الحقائق الكبرى إنما ضل عنها البشر حين فتشوا عنها بعيدا،بينما هى أقرب إليهم من حبل الوريد.هل سمعت عن ذلك الفيلسوف الذى بحث عن الحقيقه فى النظريات المعقده فلما وقف على عجوز تغزل و سألها بم عرفت ربها أوقفت مغزلها و قالت بهذا، و أضافت:أنا حينما تركت المغزل وقف.فكيف لا تقف السماء عن الحركه.

أليس لها محركا مدبرا؟و كان درس العجوز أقرب الى قلبه من كل نظريات الفلسفه لماذا؟لأنها تحدثت معه بلغه الوجدان..بأقرب الأشياء اليه،كذلك نحن امام حقيقه الخلق،من الذى خلقنا و أوجدنا؟حيث أن الإنسان يجد نفسه أمام افتراضات ثلاث:

أولا-فهل الإنسان هو الذى أوجد نفسه،فيكون ذاته الذى خلق ذاته؟و هذا لا يقره عقل و لا علم،فقد بدأ نطفه لا علم له و لا إراده،ثم نشأ حتى صار طفلا- سويا لا حول و لا طول لديه،و كفى بجهله نفسه و عقله و بدنه دليلا على أنه ليس الخالق.أم أن والديه خلقاه مع أننا نعلم يقينا بأن تقلّبه فى صلب أبيه،ثم تناميه فى رحم أمه قد تم بعيدا عن علمهما و إرادتهما.

و ثانيا:و يقول البعض أنه الدهر يميتنا و يحيينا،و قد يعبّر عنه البعض بالطبيعه، هذه السماء و الأرض و الماء و الطين.أ فلا يرجعون الى أنفسهم و يسألون:من الذى خلق الطبيعه،و أركز فيها قوانينها،و فتقها بعد رتقها،و ألف بين أزواجها،و نظّم شؤونها.أ و ليس الخالق العليم المدبّر الحكيم؟ ثالثا:و يقولون أنّ الكون جاء صدفه و يسير بغير دليل.سبحان اللّه!ما هى الصدفه؟أو لا تعنى الصدفه ان حادثتين وقعتا فى حاله واحده،و كان لكل واحده منهما سببا،إلا أنه كانت فى وقوعهما معا نتيجه جديده؟هذه هى الصدفه

التی نعرفها،و لا نعرف الصدفه عملا بغیر عامل،أو خلقا بدون خالق،أو حادثا بدون سبب (۱).

و یسخر بعض الباحثین من هذا الزعم و یضرب مثلا و یقول:لو فسر أحد ظهور دائره المعارف البریطانیه بمجلّداتها الضخمه و علومها المتنوّعه بان انفجارا وقع فی مطبعه،ففاض الحبر علی الأوراق صدفه،و ارتسمت علیها صور الکلمات صدفه، و خرجت مجلدات دائره المعارف بما فیها من ثقافه العصر،لو فسّر أحد نشوء أعظم موسوعه عصریه بهذه الصدفه کم یکون کلامه باعثا للسخریه؟!کذلک الذی یدّعی وجود خلیه واحده صدفه.

و إن شواهد العمد و التصمیم السابق متوافره فی کل حرکه فی الکون،فبالرغم من وجود سنن کونیه تجری عبرها الکواکب و المنظومات،فانها لیست کآله میکانیکیه،بل انما هی کسیاره فی عراء قد استوی علیها صاحبها،و سیّرها بقدره و خبره بالغه ۲.(و حتی الحرکه المیکانیکیه تحتاج الی محرک).

رابعا:ان الکون و من ضمنه الإنسان لم یحدث بل کان أزلیا.هل هذا صحیح؟کلا.إن جمیع شواهده تدل علی حدوثه(تطوره،تنامیه،تناقصه، حاجه بعضه الی بعضه،ترکیب أجزائه بدقه و تناسق)إن هذه آیات الحدوث..بل کل اکتشافات العلم تهدی الی أن للوجود عمرا محدودا،فالحراره المتاحه للحیاه تتناقص،و عمر النجوم محسوب (۲).

نَحْنُ خَلَقْنَاکُمْ فَلَوْ لاٰ تُصَدِّقُونَ

۱- ۱،۲) للمؤلف بحوث طویله فی کتابه(الفکر الاسلامی مواجهه حضاریه)تقع فی مئات الصفحات بهذا الشأن فراجع.

۲- ۳) المصدر/ص ۱۶۷.

كل شيء في الإنسان و في الافاق يهديه الى تلك الحقيقه العظمى،و حتى أولئك الجاحدون لا ينكرونها بقناعه إنما كفروا وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِينَ (۱).إذا فنحن نحتاج فقط الى النظر و التفكر في آيات اللّه بعيدا عن الحجب و الخلفيات الخاطئه،حتى نصدق بذلك.

[۵۹-۵۸]و يبدد القرآن الحجب التي تحول دون رؤيه هذه الحقيقه و التصديق بها،فيقول:

أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ هذه القطرات التي تندفق منك و التي لا تعرف منها شيئا كثيرا،هل تزعم أنك الذي تصنعه في صلبك،أو تهيأ أدوات قذفه حتى تحسب أنك الذي تخلقه؟ و كان يستطيع القرآن أن يلقي علينا الحجه البالغه لو ساءلنا عن خلقه آدم و حواء و لكنه يدع ذلك الغيب إلى شهود يراه و يعايشه كل بشر(الأمناء)و يطرح السؤال التالي:

أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ من الذي أنشأ المني و هل كان بامكانك إيجاده قبل البلوغ؟و حين بلغت هل تكون بتدخل منك و علم و تخطيط و إراده؟ثم كيف تطور الحيمن و نمى من مرحله الى اخرى حتى يصير إنسانا سويا،إنه لا ريب ليس من صنع الإنسان،و لا بعلمه.انما يتطور ضمن القوانين و السنن الالهيه،و بإراده الهيه.إذ لا تعمل القوانين إلّا باذنه ذلك بأن لِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَ إِناثاً وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً (۲).ثم إذا

۱- ۱) النمل۱۴/.

۲- ۲) الشورى۴۹/-۵۰.

خرجنا من بطون أمهاتنا الى الحياه، فاننا لا نملك امام نمونا الا التسليم بأنه ليس بفعلنا،انما بفعل اراده خارجه عن اختيارنا،هى إرادته عزّ و جلّ،فنحن لا نستطيع ان نمنع نمو شعره واحده فى رأسنا،و لا ظفر واحد لأنهما ينموان بعيدا عن إرادتنا [۶۰-۶۱]و من حقيقه الخلق تنطلق بنا الآيات الى الموت،انه أيضا مفروض علينا فرضا فلا نعلم أجلنا.و لا نقدر على دفعه إذا حل بساحتنا،و لو كنّا الذين خلقنا أنفسنا فلما ذا لا نخلقها بطريقه تتحدى الموت؟إذا فربنا هو الذى خلق الموت و الحياه،و هو الذى يحيى و يميت،متى يشاء و أين و كيف.

نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ فهو يجرى بحكمه إلهيه دقيقه،فبالرغم من تعرض البشريه لألوان من الموت الجماعى،بسبب الوباء،و الحروب الطاحنه،أو الفردى بالأسباب الطبيعيه إلا أنها تزداد يوما بعد يوم و تبقى فى توازن من الحفاظ على الجنس.و لو كان يجرى الموت اعتباطا و بلا حكمه لربما انقرض النوع البشرى منذ زمن بعيد،فى مثل طوفان نوح عليه السلام .إنما اللّه هو الذى يقدر الموت بين الناس،و يقهرهم به وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (۱)، فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَهً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (۲).

وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ و السبق هنا بمعنى الغلبه و العجز،فربنا القاهر فوق عباده،و ليس سبحانه مقهورا بقوه أنى كان نوعها،فكما سبق الأشياء بالخلق لا من شىء فهو سبحانه يعدمهم متى ما شاء كيف شاء،لا يسبقه شىء،و لا يعجزه أو يغلبه.و تأتى كلمه

۱- ۱) الانعام۱۸/.

۲- ۲) النحل۶۱/.

مسبوقين لتوحى إلى حقيقه تظهر قدره اللّه من زاويه اخرى،و هى انه تعالى ابتداعا، من غير مثال يحتذى به سبقه به غيره و السؤال ماذا يعنى تبديل الأمثال؟ ١-هلاك الإنسان أو جيل و استبداله بغيره،و البشر لا يقدرون على الوقوف امام الاراده الالهيه و منع تبديلها قال تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ إِنّا لَقادِرُونَ* عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ (١).

٢-تبديل مثل الإنسان بالنظر الى صفاته الماديه و المعنويه،فان مثل الإنسان المحدود لا تستحيل عودته عند المقتدر القوى،فانها ليست بأعظم من خلق السموات و الأرض،و تدبير شؤونهما،و تنظيم عمليات التغيير و التبديل التى تجرى كل لحظه فيها الا ترى كيف يدبر الرحمن امر الحياه فيميت الأرض ثم يحيها بالغيث، أو يعجزه اعاده الإنسان بعد الممات فى الحياه بمثل هذه الطريقه؟قال اللّه تعالى: قالُوا أَ إِذا كُنّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً* أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ (٢)،و قال عز من قائل: أَ وَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَ هُوَ الْخَلّاقُ الْعَلِيمُ* إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣).

٣-و قد يكون المثل الآباء الذين ماتوا و تآكلت أجسامهم،حيث ضربوهم مثلا لانكار البعث،و زعموا بأنه يستحيل نشرهم كما قال اللّه يصف ذلك الخصيم وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (۴).و يشير القرآن

١- ١) المعارج ۴٠/-۴٢.

٢- ٢) الإسراء ٩٩/.

٣- ٣) يس ٨١/-٨٣.

۴- ۴) يس ٧٨/.

إشاره واضحه الی هذا المعنی إذ یقول تعالی یخاطب نبیه: «اُنْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلاً* وَ قالُوا أَ إِذا کُنّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِیداً* قُلْ کُونُوا حِجارَهً أَوْ حَدِیداً* أَوْ خَلْقاً مِمّا یَکْبُرُ فِی صُدُورِکُمْ فَسَیَقُولُونَ مَنْ یُعِیدُنا قُلِ الَّذِی فَطَرَکُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ فَسَیُنْغِضُونَ إِلَیْکَ رُؤُسَهُمْ وَ یَقُولُونَ مَتیٰ هُوَ قُلْ عَسیٰ أَنْ یَکُونَ قَرِیباً» (۱).

وَ نُنْشِئَکُمْ فِی مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ فکما یبدل اللّه جیلا مکان جیل ینشئ الجیل الغابر فی صوره جدیده لا یعلم عنها شیئا و هی نشأه الآخره.و هکذا توحی الآیه بأن عملیه تبدیل الأجیال دلیل علی وجود تدبیر حکیم فی نظام الخلق یهدینا بدوره الی أن ربنا سبحانه لا یذهب بالجیل الماضی الی العدم،بل الی نشأه اخری لأنه حکیم کما لا یأتی بالجیل الجدید عبثا بل للامتحان و تکون الدنیا کقاعه امتحان یدخلها جماعه بعد جماعه و الذین یخرجون منها یذهبون للحساب،کما ان الذین یدخلون فیها یتعرضون للامتحان.

و لعل المعنی ان حقیقه الإنسان لا تتغیر بعد الموت،و انما تتبدل صورته الظاهریه فقط،حیث ینتقل الی حیاه تتغیر فیها المقاییس و نحن لا نعلم عنها شیئا.

[۶۲]و کفی بجهل الإنسان این یصیر بعد الموت دلیلا علی أنه مدبر مخلوق و انه لیس القادر المتصرف فی نفسه،و کفی بعلمه بالخلق الأول إثباتا للبعث.و ان الذی خلقه من نطفه من منی یمنی،قادر علی بعثه للجزاء إذا وقعت الواقعه.

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولیٰ فَلَوْ لاٰ تَذَکَّرُونَ ان الإنسان لا یستطیع ان ینکر قدره اللّه علی الأحیاء فی خلقه الاول، فلما ذا

۱- ۱) أسراء۴۸/-۵۱.

يشک فيه تعالى و فى قدرته على البعث؟ أَ لَمْ يَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى* ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثى* أَ لَيْسَ ذلِکَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (۱)؟!بلى إنه قادر و کفى بالنشأه الاولى مذکرا لنا بهذه الحقيقه المودعه فى فطرتنا و عقولنا.

و دعوته الى التذکر هنا بعد قوله:(فَلَوْ لا تُصَدِّقُونَ الآيه ۵۷)،يهدينا الى ان المسافه بين الإنسان و بين التصديق باللّه و باليوم الآخر قريبه جدا لا تحتاج الا الى التذکر و ذلک بالتوجه الى مقاييسه العقليه التى يمارس بها فعاليات حياته.

[۶۴-۶۳]و يلفتنا الذکر الحکيم الى آيه اخرى تهدينا لو تفکرنا فيها الى الخالق اللطيف عزّ و جلّ و الذى يتجلى لخلقه فى کل شىء حتى لا يجهلوه فى شىء، انها آيه الزراعه،التى تعرفنا من جهه بربنا،و تضع أمامنا من جهه ثانيه صوره واضحه و قريبه لواقع البعث و النشور،حيث نضع البذره فى التراب،فلا تلبث بعد ان نصب عليها الماء أن تصير نبته،ثم تستوى على سوقها تحکى الحياه بکل روعتها و عنفوانها.

أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ انه لا يحدثنا عما لا نزرعه من الأشجار و النباتات لان عدم صنعنا فيها ثابت فهى إذا من عند اللّه،إنما يحدثنا عما نزرعه بأيدينا و نحرث له،و الحرث هو قلب الأرض و وضع البذور فيها،و الرؤيه فى الآيه منصرفه الى رؤيه البصيره کما هى فى الآيات(۵۸،۶۸،۷۱)،و نحن بعد ان نرى بهذا المعنى ينبغى لنا ان نجيب على السؤال:

أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ

۱- ۱) القيامه۳۷/- ۴۰.

فنحن حينما نعمل بصرنا و بصيرتنا و نطلع على الواقع الذى تتم فيه الزراعه حيث مئات الآلاف من العوامل و القوانين التى نجهل أكثرها،و لسنا نحن الذين اوجدناها،أو نسيرها فانه حينئذ يتأكد لنا بأنه تعالى الذى يزرع،أما دورنا فى الحقيقه فليس إلّا الحرث و السقى و ما أشبه و كل ذلك يكون بنعم اللّه و حوله و قوته.

و حين تصفو رؤيه الإنسان و تجلو بصيرته يلامس قدره اللّه و تدبيره و يؤمن بمدى سعه القدره و حسن التدبير،خصوصا المزارع حيث تحيط به آيات الخليقه،و يتعامل مع الأنواء و التراب و الماء و يتعايش نمو النبات و جماله و تجليات القدره الالهيه فيه.

و ترغب النصوص الدينيه المؤمنين فى التعامل مع الزراعه بهذه البصيره،

قال الامام أبو عبد اللّه عليه السلام :«إذا أردت ان تزرع زرعا فخذ قبضه من البذر و استقبل القبله،و قل(الآيتان ۶۴/۶۳)ثلاث مرات،ثم تقول:بل اللّه الزارع ثلاث مرات،ثم قل:اللهم اجعله مباركا،و ارزقنا فيه السلامه،ثم انشر القبضه التى فى يدك فى القراح » (۱)الأرض الخاليه.

و قال عليه السلام :«ان بنى إسرائيل أتوا موسى عليه السلام فسألوه ان يسأل اللّه عزّ و جلّ ان يمطر السماء عليهم إذا أرادوا،و يحبسها إذا أرادوا،فسأل اللّه عزّ و جلّ لهم ذلك،فقال اللّه عزّ و جلّ:لهم ذلك،فأخبرهم موسى فحرثوا،و لم يتركوا شيئا الا زرعوه.ثم استنزلوا المطر على إرادتهم و حبسوه على إرادتهم،فصارت زروعهم كأنها الجبال و الآجام(الشجر الكثير الملتف)،ثم حصدوا و داسوا و ذروا فلم يجدوا شيئا،فضجوا الى موسى عليه السلام و قالوا:انما سألناك ان تسأل اللّه ان يمطر السماء علينا إذا أردنا،فأجابنا ثم صيّرها علينا ضررا،فقال:يا رب ان بنى إسرائيل ضجوا مما صنعت بهم،فقال:و مم ذاك يا موسى؟قال سألونى ان

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵-ص ۲۲۳.

أسألک ان تمطر السماء علیهم إذا أرادوا و تحبسها إذا أرادوا فأجبتهم ثم صیرتها ضررا،فقال:یا موسی انا کنت المقدر لبنی إسرائیل فلم یرضوا بتقدیری، فأجبتهم الی إرادتهم فکان ما رأیت » (۱).

و من دقیق عباره القرآن انه لم یقل أ أنتم تخلقونه کما هو حال الحیمن و الجنین لأنه لیس من عاقل یدعی ذلک و علیه النمو من البذره حتی الثمره تتم خارج ارادتنا و بعیدا عن أیدینا،و لان نفی مجرد الزراعه ینفی الخلق بالتأکید.

[۶۷-۶۵]و الدلیل إلی أننا لسنا الزارعین،ان اللّه قادر علی منع المطر،أو ان یسلط علی حرثنا وباء فلا تقوم له قائمه، کَمَثَلِ رِیحٍ فِیهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَکَتْهُ (۲).و لا أحد یمنع قدرته عزّ و جلّ.

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَکَّهُونَ قالوا:تتکلمون فی مجالسکم،من جهه التعجب و التندم علی ما أنفقتم فی الأرض لأجل الزرع،و المراد انکم لا تقدرون امام قدره اللّه بجعله النبات هشیما إلا (علی)التکلم فقط (۳).و لعل أصل الکلمه(فکه)یدل علی الحدیث غیر الضروری و غیر الجاد و غیر الحق،و منه سمی المزاح تفکها باعتباره لا یهدف بیان الحقیقه،کما سمی بالباطل.و منه أیضا سمیت(الثمرات)بالفاکهه باعتبارها غیر ضروریه.و من هنا قیل:التفکه:التکلم فیما لا یعنیک و منه قیل للمزاح فکاهه و هذا المعنی أقرب الی الآیه.

حیث ان الإنسان یفقد الاراده امام المشاکل،و یتراکم علیه الهم و الغم عند

۱- ۱) المصدر.

۲- ۲) ال عمران۱۱۷/.

۳- ۳) تقریب القرآن الی الأذهان آیه اللّه الشیرازی.

الخساره و یلحقه الندم و الشعور بالهوان فَیَقُولُ رَبِّی أَهانَنِ (۱)،حتی لیصبح حدیثه عن ذلک أکله و شربه و محوره الذی یدور حوله فی کل لحظه،لعله یروح بذلک عن نفسه بعض الشیء.

و الآراء التی ذکرها المفسرون فی هذه الآیه قریبه من هذا المعنی إذ قالوا:

تعجبون،و قالوا:تندمون و قال بعضهم تتلاومون نادمین علی ما حل بکم (۲).و ربما کان المعنی الأخیر أقرب و السیاق التالی یدل علیه حیث انهم کانوا یقولون:

إِنّا لَمُغْرَمُونَ و فی اللغه غرم أی خسر فی التجاره،و الغرم ما یعطی من المال علی کره (۳).

فاللّه القادر علی جعل المزارع حطاما،و فرض الغرم علینا،بأن یرسل السماء بماء منهمر یغرق الحقول،أو یرسل أسراب الجراد فلا تبقی زرعا و لا ضرعا،أو یبعث ملایین الفئران تقضم الأخضر و الیابس فنجد أنفسنا مغرمین خاسرین لکننا إذا تفکرنا بمنهج سلیم،نکتشف أن الخساره(الغرامه)التی فرضت علینا لیست بالصدفه،بل هی بإراده متصرف فی الحیاه و یمضی فی مصائرنا و أرزاقنا ما یشاء، فیرزقنا أو یمنعنا و یحرمنا متی شاء و کیف.

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ إذن فارزاقنا یقسمها مقسم هو الخالق تعالی،و ما دام هو الزارع،فبیده الحرمان،فلما ذا نشرک به أو نکفر؟و ما دامت إرادته نافذه فی الحیاه لا یمنعها مانع فلما ذا نشک فی البعث و نصیر فی لبس من خلق جدید؟أو لا یکفی ذلک دافعا الی

۱- ۱) الفجر۱۶/.

۲- ۲) القرطبی/ج ۱۷-ص ۲۱۶.

۳- ۳) المنجد/ماده غرم.

التصديق به و اليقين برسالته؟ [۶۸-۷۰]ثم للنظر الى الماء و بالذات ذلك الذى نشر به و ترتكز عليه حياتنا و حياه كل كائن حى،إننا لم ننزله من السحاب.

أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ* أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ و لا ريب اننا لا نستطيع الادعاء بانزاله من قبلنا،و أكبر دليل على ذلك اننا لا ندرى متى ينزل.و إذا غطت السحب سماءنا لا نملك التصرف فى انزاله و بالكيفيه و المقادير الطبيعيه،و هذه الحقيقه يقبلها الجميع،و لكن أورد البعض هنا شبهه، فقالوا إن المطر نتيجه عوامل و قوانين طبيعيه،تبدأ من تبخر مياه البحار و المحيطات و الأنهار بفعل الشمس،و تنتهى بالغيث مرورا بصعود الأبخره فى طبقات الجو العليا،و هى عمليه يفعلها النظام المجرد،و لا نحتاج معها الى افتراض وجود اراده (الخالق)تجرى العمليه بسببها،و هذه من أعقد مشاكل الإنسان مع العلم.

يقول الدكتور بخنر الألمانى بما اننا لم نجد ظاهره واحده فى هذا الكون الرحيب من أبعد نقطه اكتشفناها فى الفضاء و الى أقرب جرم إلينا لم نجدها شاذه عن النظام الكونى.فليس لنا الحاجه الى افتراض وجود اللّه.

(و لكنّ الحقيقه)أن عدم وجود شذوذ فى النظام،أو شموليه النظام فى الكون لا يكون دليلا على عدم وجود الخالق،بل يكون دليلا قاطعا على وجود من خلق النظام و هو اللّه الخالق العظيم و إلّا فمن جعل هذا النظام و قدّره و أجراه و بعد هذا فهل كله خاضع للنظام،أو هل أثبت العلم الحديث هذا النظام،لنسمع«هايز نبرغ»العالم الفيزيائى يقول-فى نظام الذره-:إنّ من المستحيل علينا أن نقيس

بصوره دقیقه کمیه الحرکه التی یقوم بها جسیم بسیط و أن نحدد فی الوقت عینه موضعه فی الموجه المرتبه به بحسب المیکانیکا الموجبه التی نادی بها«لویس دوبروغلی»فکلما کان مقیاس موضعه دقیقا کان هذا المقیاس عاملا فی تعدیل کمیه الحرکه،و من ثم فی تعدیل سرعه الجسیم بصوره لا- یمکن التنبؤ بها،و مهما تعمقنا فی تدقیق المقاییس العلمیه ابتعدنا أکثر عن الواقع الموضوعی.

هذا فی الذره الذی نادی فیها بعض بمبدإ النظام فی اللانظام.و أما فی المجره أکبر وحده وجودیه فإنّ أحدث النظریات الفلکیه أثبتت أنّه بالرغم من وجود نظام متناسق فیها فان فیها مجالا واسعا لما نسمیه بالصدف؟ (۱).

فالنظام إذا لیس کل شیء،حتی نتخذه ربّا-فهو بالاضافه إلی کونه دلیلا- الی العلیم العزیز الذی قدّر،کما أنّ الأثر دلیل علی المؤثر-فإنّ هناک إراده فوق النظام تمضیه أو تعطله متی ما شاءت و هی إراده اللّه،و لقد أودع اللّه ثغره فی کل نظام و سنه تدل علیه،فهذا ماء المزن العذب یصیّره ربنا أشد ملوحه من الملح إن شاء،فلا نقدر علی شربه،أو یستحیل من سبب للحیاه،الی وسیله للموت و الدمار.

لَوْ نَشٰاءُ جَعَلْنٰاهُ أُجٰاجاً یعنی أشد ما تکون الملوحه،و ربّنا قادر علی جعله کذلک حال کونه غیثا أو فی مخازن الأرض،بحیث لا یؤثر قانون التبخر فی فصل ماء البحر عن أملاحه،أو یجعل أساس ترکیب الماء قائم بالملح فلا یمکن فصله عنه بالتحلیل و التحلیه کما یفعل الآن لمیاه البحار،أو أنّه لا ینزله من السحاب فلا یجد الناس إلاّ ماء البحر الأجاج،و لکنه بلطفه جعل درجه تبخر الماء تختلف عن الأملاح،کما نظم دوره

۱- ۱) الفکر الاسلامی مواجهه حضاریه/ص ۱۸۸-۱۸۹ للمؤلف.

سقوط الغیث و جمیع جوانب الحیاه بالصوره التی تنسجم مع متطلبات حیاتنا.و عدم جعله ماء شربنا أجاجا لیس لعجز فی مشیئته،أو لأنّ القانون یفرض نفسه علیه بل لرحمته بنا،فلم یرد ذلک حیث وضع القوانین الأساسیه للغیث و إذا شاء فی المستقبل تغییرها فله البداء «یَمْحُوا اللّهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتٰابِ» .

و إدراکنا لهذه الحقیقه یعرّفنا بخالقنا و یسوقنا إلی التصدیق به و بقدرته المطلقه، و ما یجب هو أن یصیر التصدیق مسئولیه و برنامجا عملیا فی حیاتنا،یفرض علینا التزامات یعبر عنها القرآن بالشکر.

فَلَوْ لاٰ تَشْکُرُونَ إذ لا فائده من معرفه لا تقود إلی العمل،و لا معنی للتصدیق إذا فرّغ من أهم مضامینه و أهدافه أی الشکر.و المهم هنا التذکیر بأن الشکر لا ینحصر فی تلک الأذکار المتعارف علیها، فهی جانب منها أو هی رمز لها أما الشکر الحقیقی فهو معرفه المنعم و تذکر نعمته علیه،و التصرف فی النعمه حسب تعالیمه.و بالتالی التسلیم الشامل له.

قال الامام الصادق علیه السلام :«ما من عبد أنعم اللّه علیه نعمه فعرف أنّها من عند اللّه إلاّ غفر اللّه له قبل أن یحمده » (۱)

و قال :«شکر النعمه اجتناب المحارم،و تمام الشکر(أی ما یکمله)قول الرجل الحمد للّه رب العالمین » (۲)

و قال فی تفسیر الآیه: لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ :«نعم من حمد اللّه علی نعمه،و شکره، و علم أن ذلک منه لا من غیره » (۳).

۱- ۱) أصول الکافی/ج ۲-ص ۹۶.

۲- ۲) بح/ج ۷۱-ص ۴۰.

۳- ۳) المصدر/ص ۵۳.

و قال الإمام العسكرى عليه السلام :«لا يعرف النعمه إلّا الشاكر،و لا يشكرها إلّا العارف » (۱)

و قال الإمام زين العابدين عليه السلام :الحمد للّه الذى لو حبس عن عباده معرفه حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعه،و أسبغ عليهم من نعمه المتظاهره،لتصرفوا فى مننه فلم يحمدوه،و توسّعوا فى رزقه فلم يشكروه،و لو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الإنسانيه إلى حد البهيمه،فكانوا كما وصف فى محكم كتابه: «إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً» (۲).

و ما شكر اللّه من أسرف فى نعمه،أو تقوّى بها على معصيته،و نستوحى من أمر اللّه بالشكر بعد الإنذار المبطن المتمثل فى قدره اللّه على تحويل الماء أجاجا،أنّ سلوك الإنسان فيما يتصل بربّه أو بنعمه سبحانه ينعكس على الطبيعه من حوله.

فربما ضرب الجفاف بلدا،فقلّت المياه و انعدمت لعدم شكرهم ربّهم.

[۷۲-۷۱]و النار هى الأخرى نعمه هامه و أساسيه تتدخل فى كثير من مرافق حياتنا،فهى مصدر للطاقه،و وسيله للتدفئه و الطبخ و الإضاءه،و عامل أساسى فى الصناعه إلّا أنّ القرآن فى هذا السياق لا يريد الفاتنا إلى هذه الجوانب على أهميتها، بقدر ما يريد الحديث عن النار باعتبارها آيه من آياته و نعمه عظيمه لا بد من شكر اللّه عليها.

أَ فَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِى تُورُونَ أى توقدون و تشعلون،و الملاحظ أنّ اللّه يوجهنا إلى أشياء متميزه(الحيمن و الجنين،و الموت،و الحرث،و الماء،و النار)،و تميّزها ليس فقط فى كونها من أبرز و أهم الأشياء،بالنسبه للإنسان أو لأنها من أعظم تجليات اللّه فى الخليقه،بل لأنها قد أصبحت لا تثير اهتمامنا كثيرا و لا تدعونا إلى التذكره و الاتعاظ،إنّما

۱- ۱) المصدر/ج ۷۸-ص ۳۷۸.

۲- ۲) الصحيفه السجاديه الدعاء الاول.

نتعامل عاده معها باعتبارها متوفره قد تعودنا عليها،فمنذ أن بدأنا ندرک الحياه تعايشنا مع الماء و النار و ما أشبه،و لکن ألا فکرنا فی مدی حاجتنا أليها؟و کيف أنّ اللّه وفّرها لنا؟و ماذا لو انعدمت عنا؟هنالک يتحول موقفنا منها تماما..إنّها سوف تنطق بأسرار الحياه و تسبّح بحمد الرّب الذی وفّرها و تصبح جسرا بيننا و بين معرفه الخالق العظيم.

أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ قالوا إنّها المرخ و العقار الذين کانت العرب توقد النار بضربهما ببعضهما و يبدو أنّها کل شجره تتقد فهل کنا نحن الخالقين لها أم اللّه؟أ فلا نؤمن بقدره ربّنا الذی خزن النار فی هذه الأشجار الخضر أولا نصدق بأنّه قادر علی إحياء الموتی؟ مشکله البشر فی قضيه البعث أنّه يقيس الأمور حسب قدراته،فحيث يجد فی نفسه الضعف و العجز ينکر الآخره،أما إذا نظر إلی القضيه من خلال إراده اللّه المتجليه فی الکون فلن يری البعث إلاّ أمرا هينا و ربما تکشف هذه الفکره سر التساؤل المتکرر(أَ أَنْتُمْ أَمْ نَحْنُ)،فلو کانت الإجابه فرضا أننا نحن(البشر) نخلق و نزرع و ننشئ و ننزل لأمکن الکفر بالبعث،بينما الإجابه المعروفه لدی کل بشر أن من يفعل ذلک غيرنا،هنالک نسعی لمعرفته،و الإيمان به و معرفه أسمائه و بالتالی نعرف واقع البعث و النشور.

[۷۳]و ربّنا لم يخلق النّار و ينشئ شجرتها و حسب،و إنّما جعل لخلقها أهدافا محدده.

نَحْنُ جَعَلْناها تَذْکِرَهً

للناس بربّهم من حيث هى نعمه إلهيه عظيمه،كما أنّها تذكرنا بنار جهنم الكبرى فهدفها الأول و الأهم هو تزكيه نفس الإنسان،

ففى الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام :«إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم،و قد أطفيت سبعين مرّه بالماء،ثم التهبت،و لو لا ذلك ما استطاع آدمى أن يطفيها،و إنّها ليؤتى بها يوم القيامه حتى توضع على النار فتصرخ صرخه لا يبقى ملك مقرب و لا نبى مرسل إلّا جثى على ركبتيه فزعا من صرختها » (۱).

أما الهدف الآخر للنار فهو الانتفاع المادى بها فى مختلف مرافق الحياه، و المجالات التى يكتشف الإنسان منافعها فيها و طرق استخدامها سواء بصورتها المباشره(اللهب و الشعله)،أو غير مباشره(عموم الطاقه).

وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ قالوا:المقوى الذى ينزل القى و هو الصحراء القاحله،و إنّما جعلت متاعا لهم بالخصوص لمزيد حاجتهم إليها ليس للتدفى و الطبخ فقط و إنما لطرد الوحوش فى الليل أيضا.

و قال بعضهم:المقوى الجائع كما قال الشاعر:

و إنّى لأختار القوى طاوى الحشى محافظه من أن يقال لئيم

و يقال:أقوى الرجل إذا لم يكن معه زاد. (۲)و هذا أقرب،و لعل القى سمى كذلك لانعدام الطعام فيه.و فى حاله الجوع و فناء الزاد تكون النار متاعا عظيما خصوصا للمسافر.

[۷۴]و يختم ربّنا هذا الدرس القرآنى بدعوه إلى التسبيح باسمه للخلاص من

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵-ص ۲۲۴.

۲- ۲) القرطبى/ج ۱۷-ص ۲۲۳.

النار و مصير أصحاب الشمال و كوسيله للتقرب إلى رضوانه.

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِیمِ و هذه الدعوه هی محصله طبیعیه لحدیث الآیات السابقه،و متممه لها،فتلک دعتنا إلی التصدیق و عرفتنا بربّنا من خلال نعمه و آیاته المتجلی فیها سبحانه، و حرضتنا علی التذکر و الشکر،و هذه الخاتمه أوضحت لنا البرنامج العملی لتلک المعرفه و التذکر و الشکر المتمثل فی تنزیه اللّه عن الشریک و عن أی نقص و عجز وحد.

و لأننا لا نعرف کنه ذاته سبحانه فلیست لنا وسیله الیه و إلی تسبیحه إلّا أسماؤه الحسنی المتجلیه فی الطبیعه،و المذکوره فی کتابه،و أسمی أذکار التسبیح قول العبد (سبحان اللّه،و الحمد للّه،و لا إله إلّا اللّه و اللّه أکبر)و هو سبحانه عظیم و اسمه کذلک عظیم،و تنکشف لنا عظمته و عظمه اسمه کلما تقدمت و تعمقت معرفتنا بآیاته و آثار عظمته فی الخلیقه کلها.

و الملاحظ فی هذه الآیات(۵۸-۷۳)ذکرها لأهم النعم الفطریه و الحضاریه بالنسبه للإنسان،فاهم النعم الفطریه هی خلقه الإنسان التی تبدأ من المنی و تستمر،و بنعمه المطر،و أهمها حضاریا مما یعتبر اکتشافها انعطافات کبری فی تاریخ الحضاره البشریه. اکتشاف الزراعه و النار،و لا ریب أنّ لنعمه الزراعه تأثیرا فی سائر مرافق حیاه الإنسان،فهی مرتکز لحاجاته الأساسیه کالتغذیه و البناء، و الکمالیه کالزینه و الظل و التمتع،حتی قالوا إنها أصل کل حضاره.

و معرفه هذه الحقائق یهدینا إلی أنّ الحضاره التی بأیدینا الآن ظاهر الأمر أنّنا الذین صنعناها و أوجدناها،إلّا أنّها من صنع اللّه و فضله،لأنّ الحضاره المادیه

(الإنسان+الزراعه+الماء+الطاقه)هی من خلقه و تنشئته،ثم إنّها لا تکتمل إلّا بالإیمان مما یأتی التأکید علیه فی الدرس القادم.

ص:۴۴۷

[سوره الواقعه (۵۶): الآیات ۷۵ الی ۹۶]

اشاره

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ اَلنُّجُومِ (۷۵) وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (۷۶) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (۷۷) فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ (۷۸) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ اَلْمُطَهَّرُونَ (۷۹) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ اَلْعالَمِينَ (۸۰) أَ فَبِهذَا اَلْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (۸۱) وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (۸۲) فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ اَلْحُلْقُومَ (۸۳) وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (۸۴) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ (۸۵) فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (۸۶) تَرْجِعُونَها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۸۷) فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ اَلْمُقَرَّبِينَ (۸۸) فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ (۸۹) وَ أَمَّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ اَلْيَمِينِ (۹۰) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ اَلْيَمِينِ (۹۱) وَ أَمَّا إِنْ كانَ مِنَ اَلْمُكَذِّبِينَ اَلضّالِّينَ (۹۲) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (۹۳) وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (۹۴) إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ اَلْيَقِينِ (۹۵) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلْعَظِيمِ (۹۶)

اللغه

۸۱[مدهنون]:متهاونون-كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه تهاونا،و أصله استعمال الدهن للين الجسم.

۸۶[مدينين]:أى محاسبين و مبعوثين،و قيل مربوبين من دان السلطان الرعيه إذا ساسهم.

إِنَّ هٰذا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ

هدى من الآيات:

إنّ خلقنا و موتنا،و الزراعه و الغيث،و كذلك النار،من الآيات التكوينيه الهاديه إلى الإيمان باللّه الخالق،و باليوم الآخر،أمّا الآيه التشريعيه فهى القرآن الذى هو انعكاس لسائر سنن الحياه و واقعياتها فى صوره نهج شامل و كامل،و هو أعظم آيه تجلّى فيها الخالق لخلقه،إذ لا ينتفع البشر من سائر آيات اللّه فى الخليقه من دون القرآن الذى ترتفع به حجب الغفله و الشهوات،و تتكامل به التذكره و التبصره،و تتنامى المعرفه و الإيمان بتلاوه آياته المبصرات.

و فى أوّل هذا الدرس يطالعنا الذكر قسما مؤكّدا و عظيما على كرامه القرآن، و أنّه حفظ فى كتاب لا تناله إلّا الأيدى الطاهره،و أنّه ليس إلّا من عند خالق الوجود و مبدعه،الأمر الذى يجعل الإيمان به مفروضا على الإنسان المخلوق فرضا.

ثم تلخّص الآيات الأخيره حديث السوره عن البعث(الواقعه)،و تبدأ

بالاستنكار على البشر استخفافهم بحديث الواقعه،و تتحدّاهم بالموت الذى قهر اللّه به عباده،و الذى هو فى نفس الوقت دليل الجزاء و المسؤوليه اللذان يزعم الإنسان القدره على تحدّيهما.ثم تؤكّد الآيات انقسام الناس إلى ثلاثه أزواج،و أنّ التحاق كل امرء بأصحابه يتمّ عند الموت،فأمّا من المقربين،و أمّا من أصحاب اليمين،و أمّا من أهل الشؤم و النار.و هذه الحقيقه واقعيه،و حق يقين لا يغيّر فيه تكذيب المكذّبين و ضلالهم شيئا،كأىّ واقع آخر لا ينتفى بمجرّد إنكاره.و كفى بحتميه وقوعه أنّه وعد من ربّنا القادر العظيم.

و فى الأخير يأمرنا بالتسبيح لأنّه السبيل إلى النجاه من النار،و إلى المزيد من القربى اليه و التى ينتمى بها الإنسان إلى المقربين أفضل الأزواج،أ و ليس هو النهج الأنجح لمقاومه دواعى الشرك به و التكذيب بوعده؟

بينات من الآيات:

[۷۶-۷۵]إنّ عظمه اللّه و أسمائه تتأكد لدى الإنسان كلّما لاحظ الوجود من حوله و تفكّر فيه، لأنّه بكلّه آيات هاديه إلى تلك الحقيقه،و عرصه تتجلّى فيها العظمه و الأسماء،فبعظمه الخلق و روعته نهتدى إلى أسمائه الجماليه فهو الحىّ القوى المقتدر الجميل الرحمن.

و بما فى الخلق من صفات التحوّل،و العجز،و الضعف،و المحدوديه،نهتدى إلى صفات الخالق الجلاليه،و أنّه القدّوس السبحان المتعالى الواسع،و لعلّ هذا ما يفسر إشارته بالقسم إلى الكواكب و النجوم المتوزعه فى الفضاء الرحب،فإنّها بحسنها و نظامها الدقيق و علاقتها بالحياه على الأرض تكشف جانبا من عظمه الخالق عزّ و جل و ربّنا يفتح أفق البشريه و يثيرها نحو التطلع إلى علم الفضاء، و لكن ليس فى هذا العصر الذى تقدّمت فيه معارف الإنسان بهذا الجانب من

العلم،و تخصّص فيه الباحثون و المراقبون،إنّما قبل عدّه قرون،و فی وقت کانت معلومات البشر بهذا العلم و توجّهاته ضئیله و محدوده،بل و مخلوطه بالخرافات و الأساطیر.

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ و لم یقل بذات النجوم،و ذلک لیبیّن حقیقه علمیّه مهمه و هی أنّ الکواکب لیست منثوره فی السماء اعتباطا،کما یظنّ الجاهل بنظرته الخاطفه إلی ظاهرها،بل هی خاضعه لنظام دقیق و محکم بحیث تأخذ کلّ نجمه موقعها فیه،بما یجعل النظام متکاملا،و یجعلها تؤدّی دورها المطلوب و المناسب فی الوجود.و لا ریب أنّ هذه الحقیقه حریّه بالدراسه و البحث من جانب المختصین لما فیها من فوائد علمیه تهمّ الإنسان،و تجلّیات لعظمه خالقها و مدبّرها تزید إیمانه و تصدیقه و تسبیحه.

«و یقول الفلکیون:إنّ من هذه النجوم و الکواکب التی تزید علی عدّه بلایین نجم(تزداد کلّما تقدّم العلم بالإنسان)ما یمکن رؤیته بالعین المجرّده،و ما یری إلّا بالمجاهر و الأجهزه،و ما یمکن أن تحس به الأجهزه دون أن تراه،هذه کلها تسبح فی الفلک الغامض،و لا یوجد أیّ احتمال أن یقترب مجال مغناطیسی لنجم من نجم آخر،أو یصطدم بکوکب آخر،إلّا کما یحتمل تصادم مرکب فی البحر الأبیض المتوسط بآخر فی المحیط الهادی،یسیران فی اتجاه واحد،و بسرعه واحده،و هو احتمال بعید،جدا،إن لم یکن مستحیلا» (۱).

و یقول العلماء المختصون أنّهم اکتشفوا لحدّ الآن نصف ملیارد مجرّه،و لا یزالون یکتشفون المجرّه تلو الأخری فی هذا الفضاء الرحب،و إنّما یدرک عظمه قسم اللّه بمواقع النجوم الذی یطّلع علی مثل هذه الحقائق،أمّا الذی یجهلها فانّ القسم بها

۱- ۱) فی ظلال القرآن/نقلا عن کتاب:اللّه و العلم الحدیث ص ۳۳

عنده ليس ذا أهميه.

وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ فكلّما تقدّم الإنسان خطوه فى العلم كلّما ظهرت و تأكّدت له عظمه هذا القسم،و كفى بذلك عظمه أنّه قسم منه تعالى بمواقع النجوم.و نخلص الى القول بأنّ عدم قسمه مباشره بها يعود الى أمرين رئيسيين:أحدهما:أنّ القسم بشىء يحقّق غرضه حينما تكون عظمته معروفه عند الطرف المقابل،و الآخر:لأنّ الناس فى الجاهليه كانوا يعتقدون فى النجوم و مواقعها بالخرافات و الشرك فلم يقسم اللّه بها لكى لا تتعمّق اعتقاداتهم الباطله،أو يتخذونه مبرّرا لها.

قال الامام الصادق (عليه السلام) :«إنّ مواقع النجوم رجومها للشياطين،فكان المشركون يقسمون بها،فقال سبحانه:فلا أقسم بها » (۱)،

و قال(عليه السلام) :«كان أهل الجاهليه يحلفون بها،فقال اللّه عزّ و جل:الآيه » (۲).

و لعلّ فى الآيه ايحاء و اشاره من قبل اللّه الى الناس بعدم جواز حلفهم هم بها، حيث لا يصح للمخلوق القسم إلّا بالخالق،و فى الروايات تصريح بذلك،

قال الامام الصادق(عليه السلام) بعد ان تلى الآيه:«عظم إثم من يحلف بها » (۳)، و فى هاتين الآيتين دعوه الى نبذ الظنون و الأساطير فى موقف الإنسان من النجوم، و التى تضر أكثر مما تنفع،الى العلم،مما يظهر اهتمام الإسلام و موقفه من العلم، و دعوته الرائده اليه،و أنّه ليس كما يظن البعض أو يصوّرونه يعارض العلم و الحضاره.

[۷۷-۷۹]و بعد التمهيد الآنف بالقسم يصارحنا الوحى بتلك الحقيقه

۱- ۱) مجمع البيان/ج ۹ الموضع.

۲- ۲) نور الثقلين/ج /۵ص ۲۲۵.

۳- ۳) المصدر

العظمی،و التی کانت الغرض من القسم العظیم.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ أ لیس یتجلّی فیه ربنا بکلّ جماله و جلاله،و أی کرامه اسمی من کتاب تنفتح آیاته عن جمال الخالق،و روعه المخلوق،و عن جلال الخالق،و عظیم خلقه؟ قالوا:الکرم مجمل الصفات الحمیده (۱).

و کیف لا یکون القرآن کریما و قد رغبنا الی مکارم الأخلاق و حسان الآداب، الی العدل و الحریه و الفضائل الانسانیه،کما نهانا عن الخبائث و الرذائل و السیئات؟ و إذا عدنا الی أنفسنا و ما فطرت علیه من حب الخیر و الفضیله لعرفنا ان القرآن کتاب ربنا أ و لیس یدعو الی ذات الصفات الحسنی التی نحبها و نعتقد ان ربنا یحبها،فکیف یکفرون به و کل آیه آیه منه شاهد علی انه من عند اللّه؟ و السؤال هنا:ما هو وجه ذکر السیاق للقرآن و بهذه الصوره المؤکده؟ أولا:لان الدرس السابق ذکرنا بالآیات الهادیه الی التصدیق بالخالق.فکان من البدیهی ان یأتی ذکر القرآن،لأنه السبیل الی معرفه الآیات،و البصیره لرؤیه تجلیات الرب.و من لا یهتدی بالقرآن کیف یتسنی له وعی حقائق الخلیقه،و فک رموزها،و مشاهده غیبها،و العروج منها الی معرفه خالقها؟ ثانیا:لان التصدیق بالخالق،و التذکر،و الشکر،و بالتالی التسبیح باسم الرب العظیم الذی دعا الیه الدرس السابق،لا یتم بالوجه الأکمل إلّا بالقرآن،

۱- ۱) راجع مفردات الراغب

فالقرآن معراج السابقين،و منهج أصحاب اليمين. انه شريعه سمحاء لمن أراد الذكر،و ابتغى الشكر،و بحث عن سبيل التقوى.إنّك تسأل كيف أصدّق بالخالق؟و كيف أتذكّر و أشكر؟و كيف أسبّح؟كل ذلك بالقرآن يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱)فالتسبيح الحقيقى الذى يأمر به اللّه بقوله: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (۲)لا يتلخّص فى الذكر،انما يكون باسم اللّه العظيم و قرآنه أعظم أسمائه الظاهره،بل و فيه الاسم الأعظم.

قال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله) :«من أعطاه اللّه القرآن فرأى ان أحدا أعطى شيئا أفضل مما أعطى فقد صغر عظيما و عظّم صغيرا » (۳)

و قال(صلّى اللّه عليه و آله) :«فضل القرآن على سائر الكلام كفضل اللّه على خلقه » (۴)

و قال :

«القرآن مأدبه اللّه فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن هو حبل اللّه، و هو النور المبين،و الشفاء النافع،فاقرأوه فان اللّه يأجركم على كل تلاوته بكل حرف عشر حسنات.أما انى لا أقول(الم)حرف واحد،و لكن الف،و لام، و ميم ثلاثون حسنه » (۵)

و قال :«القرآن أفضل كلّ شىء دون اللّه،فمن وقّر القرآن فقد وقر اللّه، و من لم يوقّر القرآن فقد استخفّ بحرمه اللّه،و حرمه القرآن على اللّه كحرمه الولد على والده » (۶)

و قال :«إن أردتم عيش السعداء،و موت الشهداء،و النجاه يوم الحسره،و الظل يوم الحرور،و الهدى يوم الضلاله،فادرسوا

۱- ۱) المائده۱۶/

۲- ۲) الواقعه۷۴/

۳- ۳) بح/ج /۹۲ص ۱۳

۴- ۴) المصدر/ص ۱۹

۵- ۵) المصدر

۶- ۶) المصدر

القرآن فانه كلام الرحمن،و حرز من الشيطان،و رجحان فى الميزان » (۱)

و قال :

«من استظهر القرآن و حفظه،و أحل حلاله،و حرم حرامه،أدخله اللّه به الجنه، و شفعه فى عشره من أهل بيته،كلهم قد وجب له النار » (۲)

و قال(صلّى اللّه عليه و آله)يعظ سلمان المحمدى :«يا سلمان!المؤمن إذا قرأ القرآن فتح اللّه عليه أبواب الرحمه،و خلق اللّه بكل حرف يخرج من فمه ملكا يسبّح له الى يوم القيامه..و ان أكرم العباد الى اللّه بعد الأنبياء العلماء ثم حمله القرآن،يخرجون من الدنيا كما يخرج الأنبياء،و يحشرون من قبورهم مع الأنبياء،و يمرون على الصراط مع الأنبياء،و يأخذون ثواب الأنبياء،فطوبى لطالب العلم و حامل القرآن مما لهم عند اللّه من الكرامه و الشرف » (۳).

و لكننا نحن المسلمين لا زلنا بعيدين عن القرآن،بالرغم من هذه التأكيدات، و بالرغم من تجربتنا معه،أ و ليس قد أنقذنا من ظلمات الجاهليه،و شيد لنا حضاره كانت و لا ـ زالت منارا للبشريه،فلما ذا هجرناه حتى عاد بيننا غريبا؟أفكارنا لا تشير إلى بصائره،و سلوكنا لا تستوحى من قيمه.و بكلمه:خسرنا كرامه القرآن و عزّه، و لا يزال يدعونا الى مأدبته و كرامته،بيد اننا لن نبلغه الا بسعى منّا،ذلك لأنه كما يصفه اللّه عزّ و جلّ:

فِى كِتٰابٍ مَكْنُونٍ فلا ـ بد إذا نستظهره كما يقول رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله) (۴)،و نستنطقه كما يقول الامام على(عليه السلام)،حتى نطلع على مكنونه،فهو بالرغم من اشتماله على تبيان لكل شىء لن ينطق،

«ذلك القرآن فاستنطقوه،و لن ينطق،

۱- ۱) المصدر

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) المصدر/ص ۱۸ و للمزيد راجع المصدر

۴- ۴) المصدر/ص ۱۳

و لكن أخبركم عنه،فيه علم ما يأتى،و الحديث عن الماضى،و دواء دائكم، و نظم ما بينكم » (۱)،و قد أراد الامام(عليه السلام)من قوله:«و لن ينطق»أننا لن نقرأ فى ظاهر القرآن كل المناهج الحضاريه للحياه،و لا مضامينه العلميه،انما نجدها بالتفكير و التدبر فى آياته،الذى يفتح لنا كن الذكر الحكيم و يبصرنا محتوياته و تأويلاته الواقعيه فى جوانب الحياه المختلفه،و العقل إذا أعمل على هدى الآيات و السنه و العلم الصحيح هو مفتاح القرآن.قال تعالى: وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا وَ مٰا يَذَّكَّرُ إِلاّٰ أُولُوا الْأَلْبٰابِ (۲)،و قال: وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ (۳)،و قال: كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَيْكَ مُبٰارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيٰاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبٰابِ (۴)و لأننا تعوّدنا على الأفكار الجاهزه،و لان العمليه الفكريه عمليه مجهده،و لان مناهجنا فى فهم القرآن و تفسيره متخلّفه و خاطئه فى أغلبها،فلا زلنا بعيدين عن الثقافه القرآنيه التى نحتاجها فى حياتنا الفرديه و الاجتماعيه،و لم ننتفع عمليا بالرغم من الحاجه الملحّه إليها.و ما أشبه حالنا بظمآن يجرى بقربه نهر فرات لم يكتشفه،أو فقير تحته كنز كبير! و لا يفوتنا القول بان من معانى «مَكْنُونٍ» محفوظ،لم و لن تصل اليه يد التحريف،و لن يطفئ نوره المشركون و لا الكافرون.و قال بعض المفسرين ان معنى الايه انه كتاب محفوظ عند اللّه،و الكتاب هنا كتاب فى السماء (۵)،و لكن

۱- ۱) المصدر/ص ۲۳ عن أمير المؤمنين عليه السلام

۲- ۲) آل عمران۷/

۳- ۳) العنكبوت۴۳/

۴- ۴) ص۲۹/

۵- ۵) القرطبى/ج ۱۷/ص ۲۲۴

يبدو ان الايه التاليه تفسر هذه الايه،فهو مكنون عن غير المطهرين.

لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ قال المفسرون و الفقهاء تبعا للآيات يعنى لا يجوز ان يمس القرآن الا من كان مسلما طاهرا.

قال أبو الحسن(عليه السلام) :«المصحف لا تمسه على غير طهر، و لا جنبا،و لا تمس خطه و لا تعلّقه.ان اللّه يقول:الآيه » (۱)،

و سئل الامام الصادق(عليه السلام)عن التعويذ تعلّقه على الحائض؟قال:«نعم لا بأس، تقرأه،و تكتبه،و لا تصيبه يدها » (۲).

و هذا التفسير هو ظاهر الايه،و إذا تدبرنا فى الايه أكثر لعرفنا ان الطهاره الجسديه بعد واحد من الطهاره،و البعد الاخر هو طهاره الروح التى هى الأهم.

و لا يمس حقائق القرآن الا المطهرون،عن الإثم و الفواحش،البعيدون عن العقد و الأفكار الدخيله و المسبقه،و الأغلال و الإصر،و سائر الأدران التى تحجب الإنسان عن كتاب اللّه.قال ربنا سبحانه: وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ حِجاباً مَسْتُوراً* وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّهً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِى آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (۳)و قال:

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها (۴)،كما جاء أمره تعالى بالاستعاذه من الشيطان فى قوله: فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ (۵)لأنه لون من ألوان النجاسه المعنويه التى تحجب الإنسان عن الآيات.

۱- ۱) نور الثقلين/ج /۵ص ۲۲۶

۲- ۲) المصدر/ص

۳- ۳) الإسراء۴۵/-۴۶

۴- ۴) محمد۲۴/

۵- ۵) النحل۹۸/

و أئمه الهدى الذين تنزل الوحى فى بيوتهم هم الأعلم بمعانى القرآن،لأنهم أظهر مصاديق الطهر لقوله تعالى: إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۱).

و من الدقه فى التعبير انه تعالى لم يقل الطاهرين انما قال«المطهرين»مما يؤكد تأويل هذه الآيه فى أهل البيت العصمه(عليهم السلام)حيث طهرهم اللّه، و لذلك

قال أمير المؤمنين(عليه السلام) :«فان القرآن الذى عندى لا يمسه الا المطهرون و الأوصياء من ولدى » (۲)و لعل المراد مما عنده القرآن بتفسيره و تأويله و ما تلقى من الأحاديث عن النبى(صلّى اللّه عليه و آله)فيه.

و قد قال الامام الصادق(عليه السلام) :«و انما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم،و لقوم يتلونه حق تلاوته،و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه،فاما غيرهم،فما أشد اشكاله عليهم و أبعده من مذاهب قلوبهم،و لذلك قال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم):إنه ليس شىء بأبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن،و فى ذلك تحير الخلائق أجمعون الا ما شاء اللّه..الى ان يقول يخاطب السائل..و إيّاك و تلاوه القرآن برأيك فان الناس غير مشتركين فى علمه كاشتراكهم فيما سواه من الأمور(يعنى كعلم الائمه)،و لا قادرين عليه و لا على تأويله الا من حده و بابه الذى جعله اللّه له،فافهم ان شاء اللّه،و اطلب الأمر من مكانه تجده إنشاء اللّه » (۳).

[۸۲-۸۰]و انما يقصر غير المطهرين عن مسه و لا يجوز لهم ذلك لأنه كلام اللّه رب العالمين.

۱- ۱) الأحزاب۳۳/

۲- ۲) نور الثقلين/ج /۵ص ۲۲۶

۳- ۳) بح/ج /۹۲ص ۱۰۰ و ص ۱۰۱

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ و قد تجلى الرب فيه بأسمائه،و آياته،و رسالاته،و شرائعه،و كتاب هذا شأنه يحجب عنه من اتبع هواه،و تمكّنت الشهوات من قلبه،لان معرفه اللّه معراج القلب اليه،و حضور النفس فى مقامه الأعلى،فكيف يسمح لمن تراكمت عقد الذنوب على قلبه بذلك؟!حاشا بذى العرش ان يسمو الى مقامه الذين اخلدوا الى الأرض و اتبعوا أهواءهم! أَ فَبِهٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ انه حديث عظيم لا بد من أخذه بقوه و عزم،و الاستقامه عليه فى مواجهه الضغوط.أما اللين فى أمره،و الاستسلام للضغوط بالاعراض عنه،فهو لا يتناسب و عظمه القرآن.و هذا المعنى هو المفهوم من مختلف الآراء فى تفسير المدهن،قالوا:

مكذبون،و قالوا:منافقون،و قال بعضهم:ممالقون الكفار على الكفر به،و قال آخر:المدهن الذى لا يعقل ما حقّ اللّه عليه و يدفعه بالعلل،و قال بعض اللغويين:

مدهنون تاركون للجزم فى قبول القرآن (۱).و قال آيه اللّه الشيرازى:متهاونون، كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه تهاونا،و أصله استعمال الدهن للين الجسم (۲)،و منه قول اللّه: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ* فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ* وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ* وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ مَهِينٍ (۳).و نستفيد من الايه انه لا يجوز لأحد التهاون فى احكام القرآن فى اى حال،و لأى سبب،لأنه حديث اللّه المفروض تطبيقه و الالتزام به على الخلق،و لا يجوز ان يبرر

۱- ۱) القرطبى/ج /۱۷ص ۲۲۸

۲- ۲) تفسير تقريب القرآن للأذهان/الموضع

۳- ۳) القلم۷/-۱۰

ذلک بأنه قد تعرض للضغط لان علامه الایمان تحدی الضغوط،و تفضیل الاخره علی مصالح الدنیا و شهواتها.

و انما سقط الغابرون عند ما خارت عزائمهم عند مواجهه التحدیات فأخذوا یتهاونون فی أمر الدین،و یلینون أمام الصعاب.

وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ کذب الذی یزعم ان رزقه من العباد فأخذ یداهنهم،أو من الأنواء فطفق یستدرها بدل ان یشکر بارئها،فقد یکون الناس سببا للرزق،و لکن اللّه هو الرزاق ذو القوه المتین،فلا یجوز مداهنتهم و تکذیب الحق للحصول علی لقمه الخبز،بل اللّه یجب ان یخاف و یتقی،لأنه إذا منع الرزق لا یقدر أحد علی منحه، و إذا منح فلا یقدر أحد علی منعه.و بهذا نعرف ان تفاسیر الایه المختلفه تعود بالتالی الی تفسیر واحد:انهم قد زعموا خطأ ان رزقهم بالتکذیب مداهنه للناس،و لعل هذا الزعم هو مورد استشهاد النصوص التی جعلت الرزق بمعنی الشکر حسب مورد النزول المروی،ذلک ان زعم أهل الجاهلیه بأنّ الأنواء هی التی تمطرهم هو کزعم هؤلاء ان التکذیب سبب لرزقهم.

و هذا التفسیر ینسجم مع السیاق الذی یستهدف ترکیز الایمان باللّه وحده و التصدیق بأنه الخالق الرزاق(الآیات ۷۴/۵۷)و بالأخص إذا لا حظنا قوله:

«فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ» فی الایه(۷۰).

قال الامام علی(علیه السلام) :«تجعلون شکرکم انکم تکذبون،(و أضاف یعنی أهل الجاهلیه)و کانوا إذا امطروا قالوا:أمطرنا بنوء کذا و کذا،فأنزل اللّه الآیه » (۱)،و جاء فی تفسیر القرطبی یعلل استبدال کلمه الرزق بالشکر فی

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۲۷

المعنی:(لأن شکر الرزق یقتضی الزیاده فیه،و یکون الشکر رزقا علی هذا المعنی،فقبل «وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَکُمْ» أی شکر رزقکم الذی لو وجد منکم لعاد رزقکم،انکم تکذبون بالرزق،ای تضعون الکذب مکان الشکر،کقوله تعالی:

«وَ ما کانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَیْتِ إِلاّ مُکاءً وَ تَصْدِیَهً» ای لم یکونوا یصلون،و لکنهم کانوا یصفّرون و یصفقون مکان الصلاه.ففیه بیان ان ما أصاب العباد من خیر فلا ینبغی ان یروه من قبل الوسائط الذی جرت العاده بان تکون أسبابا،بل ینبغی ان یروه من قبل اللّه تعالی،ثم یقابلونه بشکر ان کان نعمه،أو صبر ان کان مکروها).

و روی عن ابن عباس قال :مطر الناس علی عهد النبی(صلّی اللّه علیه و آله) فقال النبی(صلّی اللّه علیه و آله):أصبح من الناس شاکر و منهم کافر،قالوا:

هذه رحمه اللّه،و قال بعضهم:لقد صدق نوء کذا و کذا(أی نجم)،فنزلت الآیات« فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ.. (حتی بلغ قوله:) وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَکُمْ أَنَّکُمْ تُکَذِّبُونَ» (۱)أی تجعلون رزقکم انکم تکذبون باللّه،و تصدقون بالأنواء.

[۸۷-۸۳]و یعالج القرآن الانحراف الذی یقع الإنسان فیه بالشرک،سواء الصریح منه کالاعتقاد بالأنواء،أو المبطن کالاسترزاق و المداهنه اللذان هما من ألوان الشرک،حیث یساوم الإنسان بالحق،و یتنازل عنه الی الباطل،أو یکذّب به استجابه لعوامل معینه داخلیه أو خارجیه،یعالج هذا و ذاک بوضعه امام الموت الواقعه الصغری التی هی أخطر و أصعب و أحسم حوادث الدنیا،فهو حینئذ لا ینفعه شیء و لا شخص،و یأتی التأکید علی هذین الأمرین لان مداهنه الإنسان بالحق و تکذیبه به و شرکه ینطلق من کفره بالآخره و الحساب،و اعتماده علی الآخرین.

فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ

۱- ۱) تفسیر القرطبی/ج ۱۷ ص ۲۳۰

يعنى النفس عند الأجل،و بلوغها الحلقوم كنايه عن قرب خروجها،بل هى حقيقه يعاينها كل من حل اجله.اما الجالسون حول المنازع للموت فإنهم لا يرون من الأمر الا ظاهر صاحبهم،إذ يلف ساقا بساق، و يقبض يدا و يبسط أخرى.

وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ بأعينكم اليه لا تستطيعون الا التسليم للواقع،بينما تستل رسل اللّه روحه على أقرب من حبل الوريد.

وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لٰكِنْ لاٰ تُبْصِرُونَ كما أنّهم إذا صاروا إلى مثل أمر من ماتوا سيدركون بيقين و يرون رسل الموت بأبصارهم و بصائرهم،و إنّما يدعونا ربّنا إلى الاتعاظ بمن يمضون قبل أن نكون بأنفسنا الموعظه،و الإمام على(عليه السلام)يؤكّد لنا هذه الحقيقه إذ

يقول:

«فإنّكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم،و سمعتم و أطعتم،و لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا،و قريب ما يطرح الحجاب!و لقد بصّرتم إن أبصرتم،و أسمعتم إن سمعتم،و هديتم إن اهتديتم،و بحقّ أقول لكم:لقد جاهرتكم العبر،و زجرتم بما فيه مزدجر،و ما يبلغ عن اللّه بعد رسل السماء إلاّ البشر. » (۱)و من دقيق عباره القرآن أنّه لا يقول هنا:«و لكن لا تنظرون»،لأنّ ما يريد بيانه عمى البصيره و ليس البصر و حسب،فالمؤمنون الموقنون لا يرون الملائكه بأعينهم إذا قضى أحد نحبه على مقربه منهم،و لكنّهم لا شك يدركون الموت، و يسلّمون لهذا الحق،كتسليمهم بكل الحقائق الأخرى،و يبصرون بقلوبهم حتى ملائكه اللّه.

۱- ۱) نهج/خ ۲۰ ص ۶۲

و حيث تبلغ الروح الحلقوم يتيقن الإنسان بكثير من الحقائق التى طالما داهن بها و كذّب و استرزق،فيذهل عن كلّ شىء،و يأسف على ما فرط،و يرى أنّ الواقع الذى يعانيه هو نفسه الذى جاء فى حديث اللّه و رسالته للعالمين.

«و إنّه لبين أهله ينظر ببصره،و يسمع بإذنه،على صحّه من عقله،و بقاء من لبّه،يفكّر فيم أفنى عمره،و فيم أذهب دهره،و يتذكّر أموالا جمعها،أغمض فى مطالبها، و أخذها من مصرّحاتها و مشتبهاتها،قد لزمه تبعات جمعها،و أشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها،و يتمتعون بها،...ثم ازداد الموت التياطا به فقبض بصره كما قبض سمعه،و خرجت الروح من جسده،فصار جيفه بين أهله،قد أوحشوا من جانبه،و تباعدوا من قربه. » (۱)هكذا قهر اللّه عباده بالموت،و به يتحدّى غرور البشر و ضلالهم،و يعالج كفرهم بالجزاء فيقول:

فَلَوْ لا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ أى إن زعمتم أنّكم غير مجزيّين بأعمالكم،و قيل:أنّكم غير مملوكين.

تَرْجِعُونَها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ و لكن كيف يكون الموت دليل الجزاء؟و الجواب:إنّ هذا و ذاك حق واقع مفروض،و الموت كما الجزاء يخشاه الإنسان فيتهرّب من الاعتراف به حتى يكذّبه، حتى جاء فى الحديث أنّه الحق الذى يشبه الباطل حيث لا يكاد يصدّق به أحد لعظيم شأنه فى نفوس الناس،و لكن هل ينتفى الموت بتكذيبه،أو يمكن الفرار منه؟كلّا..كذلك الجزاء.إنّ اللّه يأخذ الروح و يدفعها للجزاء،فإذا كان أحد يدّعى قدره على تحدى سنّه الجزاء فليردّها ممّن أخذها؟

۱- ۱) نهج/خ ۱۰۹ ص ۱۶۱

[۸۸]و حینما یحلّ الأجل یزهق کلّ باطل إلّا الحق الذی بشّرت به رساله اللّه، فإنّه یصیر ماثلا أمام ابن آدم،فما أخبر به اللّه من انقسام الناس إلی ثلاثه أزواج لا یعود کذبا و لا ظنّا و لا حتی مجرّد إیمان بل یجده واقعا ماثلا أمامه.

فَأَمّٰا إِنْ کٰانَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ إلی اللّه بإیمانهم و أعمالهم.

فَرَوْحٌ أی راحه و اطمئنان و سعاده.

وَ رَیْحٰانٌ

جاء فی الأخبار أنّه من أزهار الجنه و روائحها یشمّه ملک الموت المؤمن فلا یحس بمنازعه الروح و خروجها.و یلقی المؤمن هذین الجزائین عند موته،قال الإمام الصادق(علیه السلام)و قد تلا الآیه:«یعنی فی قبره ».

وَ جَنَّهُ نَعِیمٍ «یعنی فی الآخره» (۱)،و قد تعرّضت السوره فی أوّلها إلی ذکر شیء من نعیم السابقین المقرّبین.

قال رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله و سلم) :«إذا أراد اللّه تبارک و تعالی قبض روح المؤمن قال:یا ملک الموت انطلق أنت و أعوانک إلی عبدی فطال ما نصب نفسه من أجلی،فأتنی بروحه لأریحه عندی،فیأتیه ملک الموت بوجه حسن،و ثیاب طاهره،و ریح طیبه،فیقوم بالباب فلا یستأذن بوّابا،و لا یهتک حجابا،و لا یکسر بابا،معه خمسمائه ملک أعوان،معهم طنان الریحان،و الحریر

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۲۸

الأبيض،و المسک الأذفر،فيقولون:السلام عليک يا ولیّ اللّه أبشر فإنّ الربّ يقرؤک السلام،أمّا إنّه عنک راض غير غضبان،و أبشر بروح و ريحان و جنه نعيم، قال:أمّا الروح فراحه من الدنيا و بلائها،و أمّا الريحان من کلّ طيب فی الجنه، فيوضع علی ذقنه فيصل ريحه إلی روحه،فلا يزال فی راحه حتی يخرج نفسه،ثم يأتيه رضوان خازن الجنه فيسقيه شربه من الجنه لا يعطش فی قبره و لا فی القيامه حتی يدخل الجنه ريّانا،فيقول:يا ملک الموت ردّ روحی حتی يثنی علی جسدی و جسدی علی روحی،قال:فيقول ملک الموت:ليثن کلّ واحد منکما علی صاحبه،فيقول الروح:جزاک اللّه من جسد خير الجزاء،لقد کنت فی طاعه اللّه مسرعا،و عن معاصيه مبطئا،فجزاک اللّه عنی من جسد خير الجزاء،فعليک السلام إلی يوم القيامه،و يقول الجسد للروح مثل ذلک.

قال:فيصيح ملک الموت:أيّتها الروح الطيبه أخرجی من الدنيا مؤمنه مرحومه مغتبطه،قال:فرقّت به الملائکه،و فرّجت عنه الشدائد،و سهّلت له الموارد،و صار لحيوان الخلد،قال:ثمّ يبعث اللّه له صفّين من الملائکه غير القابضين لروحه،فيقومون سماطين ما بين منزله إلی قبره يستغفرون له و يشفعون له،قال:فيعلّله ملک الموت و يمنّيه،و يبشّره عن اللّه بالکرامه و الخير،کما تخادع الصبی أمّه،تمرّخه بالدهن و الريحان و بقاء النفس و يفديه بالنفس و الوالدين، قال:فإذا بلغت الحلقوم قال الحافظان اللذان معه:يا ملک الموت ارأف بصاحبنا و ارفق فنعم الأخ کان و نعم الجليس،لم يمل علينا ما يسخط اللّه قط،فإذا خرجت روحه کنخله بيضاء وضعت فی مسکه بيضاء،و من کلّ ريحان فی الجنه فأدرجت إدراجا،و عرج بها القابضون إلی السماء الدنيا،قال:فيفتح له أبواب السماء و يقول لها البوّابون:حيّاها اللّه من جسد کانت فيه،لقد کان يمرّ له علينا عمل صالح،و نسمع حلاوه صوته بالقرآن،قال:فبکی له أبواب السماء و البوّابون لفقده و يقولون:يا ربّ قد کان لعبدک هذا عمل صالح،و کنّا نسمع

حلاوه صوته بالذكر للقرآن،و يقولون:اللهمّ ابعث لنا مكانه عبدا يسمعنا ما كان يسمعنا،و يصنع اللّه ما يشاء،فيصعد به إلى عيش رحب به ملائكه السماء كلّهم أجمعون،و يشفعون له،و يستغفرون له،و يقول اللّه تبارك و تعالى:

رحمتى عليه من روح،و يتلقّاه أرواح المؤمنين كما يتلقّى الغائب غائبه،فيقول بعضهم لبعض:ذروا هذه الروح حتى تفيق فقد خرجت من كرب عظيم،و إذا هو استراح أقبلوا عليه يسائلونه و يقولون:ما فعل فلان و فلان،فإن كان قد مات بكوا و استرجعوا و يقولون:ذهبت به أمّه الهاويه إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ،قال:

فيقول اللّه:ردّوها عليه،فمنها خلقتهم و فيها أعيدهم و منها أخرجهم تاره أخرى،قال:فإذا حمل سريره حملت نعشه الملائكه،و اندفعوا به اندفاعا، و الشياطين سماطين ينظرون من بعيد ليس لهم عليه سلطان و لا سبيل،فإذا بلغوا القبر توثّبت إليه بقاع الأرض كالرياض الخضر،فقالت كلّ بقعه منها:اللهمّ اجعله فى بطنى،قال:فيجاء به حتى يوضع فى الحفره التى قضاها اللّه له،فإذا وضع فى لحده مثّل له أبوه و أمّه و زوجته و ولده و إخوانه،قال:فيقول لزوجته:

ما يبكيك؟قال:فتقول:لفقدك،تركتنا معلولين،قال:فتجىء صوره حسنه قال:فيقول:ما أنت؟فيقول:أنا عملك الصالح،أنا لك اليوم حصن حصين و جنه و سلاح بأمر اللّه.

قال:فيقول:أما و اللّه لو علمت أنّك فى هذا المكان لنصبت نفسى لك، و ما غرّنى ما لى و ولدى،قال:فيقول:يا ولىّ اللّه أبشر بالخير،فو اللّه إنّه ليسمع خفق نعال القوم إذا رجعوا،و نفضهم أيديهم من التراب إذا فرغوا،قد ردّ روحه و ما علموا،قال:فيقول له الأرض:مرحبا يا ولىّ اللّه،مرحبا بك،لأحسننّ جوارك،و لأبرّدنّ مضجعك،و لأوسّعنّ مدخلك،إنّما أنا روضه من رياض الجنه، أو حفره من حفر النار » (۱)

۱- ۱) بح/ج ۱ ص ۲۰۷-۲۰۹ و فى الروايه بقيه فى المصدر

[۹۴-۹۰]هذا كان حال الإنسان إذا كان من المقرّبين عند الموت و بعده.

وَ أَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنْ أَصْحٰابِ الْيَمِينِ* فَسَلاٰمٌ لَكَ مِنْ أَصْحٰابِ الْيَمِينِ قيل المعنى أنّ الملائكه تبشره بالأمن و السلام و العافيه،و هو أكبر ما يطمح إليه الإنسان،فهم يؤمنونه من غضب اللّه و عذابه الذى يحلّ بأصحاب المشأمه،فيقولون له:أنت فى سلام لأنّك من أصحاب اليمين.

و قيل:يعنى إن سألت عنه فهو سلام:كقولنا:أحمد إليك ربّى،أى إن سألت عنّى فأنا أحمد اللّه،و كما لو سألت شخصا عن صاحبك فيقول:كما تحب فى عافيه،أو يقول:يدعو لك إنّه بخير،أو:يسلّم عليك هو فى عافيه.قال القرطبى:

أى لست ترى منهم إلّا ما تحب من السلامه فلا تهتم لهم،فإنّهم يسلمون من عذاب اللّه،و يبدو أنّ هذا المعنى هو الأقرب.

و يحتمل أنّ الكلام هنا عن صفه علاقتهم بالرسول(و من خلاله كلّ مؤمن تال للقرآن)فى الدنيا قبل الموت.إنّها ليست علاقه العداء و التكذيب،و إنّما هم فى تسليم له،و سلام تجاهه،و ليسوا كأصحاب المشأمه الذين يعادونك يا رسول اللّه و يكذّبون برسالتك.

و فى روضه الكافى(ر ض):قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله لعلىّ (عليه السلام) :«هم شيعتك فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم » (۱)،و الآيه تتسع إلى هذا المعنى بدليل هذه الروايه.

وَ أَمّٰا إِنْ كٰانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضّٰالِّينَ الذين كذّبوا الرساله و الرسول،و أنكروا البعث فلم يستعدوا للقاء الآخره،بل

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۲۹

أسرفوا فی السیئات و الذنوب فضلوا..

فَنُزُلٌ مِنْ حَمِیمٍ* وَ تَصْلِیَهُ جَحِیمٍ

قال الإمام الکاظم(علیه السلام) :إذا مات الکافر شیّعه سبعون ألفا من الزبانیه إلی قبره،و إنّه لیناشد حامله بقول یسمعه کلّ شیء إلاّ الثقلان،و یقول:

لو أنّ لی کرّه فأکون من المؤمنین،و یقول: «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صَالِحاً فِیمَا تَرَکْتُ» فتجیبه الزبانیه: «کَلاَّ إِنَّهَا کَلِمَهٌ هُوَ قَائِلُهَا» و ینادیهم ملک:لو ردّ لعاد لما نهی عنه،فإذا أدخل قبره و فارقه الناس أتاه منکر و نکیر فی أهول صوره، فیقیمانه ثم یقولان له:من ربّک و ما دینک و من نبیّک؟فیتلجلج لسانه و لا یقدر علی الجواب فیضرب بأنه ضربه من عذاب اللّه یذعر لها کلّ شیء،ثم یقولان له:

من ربّک و ما دینک و من نبیّک؟فیقول:لا أدری،فیقولان له:لا دریت و لا هدیت و لا أفلحت،ثم یفتحان له بابا إلی النار و ینزلان إلیه الحمیم من جهنّم، و ذلک قول اللّه جلّ جلاله:«الآیتان » (۱) و کونه من الضّالین المکذّبین یبیّن أنّ ضلالته متعمّده اصطنعها بتکذیبه، و لیست عفویّه أو بسبب جهله بالحق و غفلته عنه.

[۹۶-۹۵]و فی نهایه السوره یؤکّد ربّنا بأنّ الحقائق التی ذکّر بها القرآن و أهمّها حقیقه الجزاء الأخروی لیست خیالا،و لم تذکر لمجرّد التخویف إنّما هی واقع و سوف ینکشف بعینه للإنسان عند الموت.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْیَقِینِ و حیث لا یصل کثیر من الناس إلی درجه الیقین إیمانا و علما فإنّهم یضیعون هذا

۱- ۱) أمالی الصدوق/ص ۲۳۹

الحق،و يكفرون به،بينما يتجلّى لقلوب الصادقين من المؤمنين و هم فى دار الدنيا، و لذلك تكاد أرواحهم تطير من أجسادهم فرحا لذكر الجنه،و تزهق خوفا لذكر النار،و السبب أنّهم ليسوا فى كفر و لا شك بالآخره،إنّما يتعاملون مع ذلك الحقّ الغيب،كما يتعاملون مع أىّ حقّ محسوس،فهم حاضرون ببصائرهم هناك كحضورهم ببصرهم هنا.

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ تنزيها له عمّا يصف المشركون و الكافرون،كوصفه بالعجز عن البعث و الجزاء، أو تبرير أخطائهم و خطيئاتهم و إلقاء المسؤوليه على اللّه سبحانه بصوره أو بأخرى كالذين يسبّون الدهر و يعيبون الزمان،و ما الدهر إلاّ سنّه اللّه القائمه فيه، و ما الزمان إلاّ وعاؤها! إنّما هم المسؤولون،و قد جاء التسبيح عند ذكر الذنب كما فى قوله سبحانه وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ،إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ و لعلّ حكمه ذلك إلاّ نلقى اللوم على اللّه سبحانه،و هكذا نسبّح اللّه لكى لا نظنّ به جورا تعالى ربّنا عن ذلك كبيرا،فنعود إلى أنفسنا و نحرّضها على العمل لنصبح من أصحاب اليمين بحوله و قوّته.نسأل اللّه أن يوقظنا من سبات الشهوات و غفله الأهواء،و يوفّقنا للعمل الصالح،و ينزلنا منزله المقرّبين.إنّه سميع الدعاء.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
١.JAVA
٢.ANDROID
٣.EPUB
٤.CHM
٥.PDF
٦.HTML
٧.CHM
٨.GHB
إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
١.ANDROID
٢.IOS
٣.WINDOWS PHONE
٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹